I

د. حسن حنفي

من الفناء إلى البقاء

محاولة لإعادة بناء علوم التصوف

الجزء الأول **الوعي الموضوعي**





د. حسن حنفي

المؤهلات العلميّة:

دكتوراه الدولة في الفلسفة، جامعة باريس، السوربون، 1966.

يتقن العربية، الإنكليزية، الفرنسية، الألمانية.

التدرُّج الوظيفي:

عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة القاهرة منذ 1967.

رئيس قسم الفلسفة،كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1988 - 1994.

أستاذ متفرغ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1995 حتى اليوم.

المهمات العلمية:

أستاذ زائر، جامعة تمبل فيلادلفيا، أميركا، 1971 - 1975.

أستاذ زائر، جامعة فاس، المغرب، 1982 - 1984.

أستاذ زائر، جامعة طوكيو، 1984 - 1985.

مستشار علمي للبرامج، جامعة الأمم المتحدة، طوكيو، 1985 - 1987.

أستاذ زائر، جامعة UCLA، ربيع 1995.

أستاذ زائر، جامعة بريمن، ربيع 1998.

عضو في العديد من الجمعيّات العلميّة.

الأعمال العلميّة، بالعربية:

- المعتمد في أصول الفقه لأبي الحُسين البَصْري، (جزءان)، دمشق، 1964. (تحقيق).
- نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، الإسكندرية، 1968. (ترجمة).
- رسالة في اللاهوت والسياسة لاسبينوزا، القاهرة، 1973. (ترجمة).
- لسنج: تربية الجنس البشري، القاهرة، 1977. (ترجمة).
- سارتر: تعالي الأنا موجود، القاهرة، 1977. (ترجمة).
- التراث والتجديد، القاهرة، 1980.
- دراسات إسلامية، القاهرة، 1982.
- دراسات فلسفية، القاهرة، 1987.
- من العقيدة إلى الثورة، (خمسة أجزاء)، القاهرة، 1988.
- الدين والثورة في مصر، (ثمانية أجزاء)، القاهرة، 1989.

من الفناء إلى البقاء

محاولة لإعادة بناء علوم التصوف

1

الوعي الموضوعي

الدكتور حسن حنفي

دار المدار الإسلامي

من الفناء إلى البقاء: محاولة لإعادة بناء علوم التصوف

الجزء الأول: الوعي الموضوعي

الدكتور حسن حنفي

© دار المدار الإسلامي 2009

جميع الحقوق محفوظة للناشر بالتعاقد مع المؤلف

الطبعة الأولى

حزيران/يونيو/الصيف 2009 إفرنجي

موضوع الكتاب في التصوف الإسلامي

تصميم الغلاف دار المدار الإسلامي

الحجم 17 × 24 سم

التجليد فنّي مع جاكيت

ردمك **ISBN** 978-9959-29-449-1

ردمك **ISBN** 978-9959-29-448-7 للمجموعة

(دار الكتب الوطنية/بنغازي ـ ليبيا)

رقم الإيداع المحلي 2008/763

دار المدار الإسلامي

الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس،

هاتف 04 03 75 1 961 + **خليوي** 39 39 93 3 961 +

05 03 75 1 961 + **فاكس** 07 03 75 1 961 +

ص.ب. 14/6703 بيروت ـ لبنان

بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb

الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

جميع الحقوق محفوظة للدار، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including *photocopyings, recording or by any information* storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية

زاوية الدهماني، شارع أبي داود، بجانب سوق المهاري، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

هاتف وفاكس: 013 07 34 21 218 + **نقال** 463 45 21 91 218 +

بريد إلكتروني: **oeabooks@yahoo.com**

الإهـداء

إلى كل مشايخ الطرق الصوفية

كي يعودوا إلى العالم من جديد.

حسن حنفي



المقدمة

1 ـ «من النص إلى الواقع» إلى «الفناء والبقاء»

جرت العادة على النقد الذاتي المستمر، من عمل إلى عمل، ومن محاولة إلى محاولة، بغية لمزيد من الكمال والإحكام، أخذاً بعين الاعتبار ما وُجه من نقد رصين. فالإنسان ما زال يطلب العلم، فإذا ظن أنه علم فقد جهل[1]. لم يكن النقد الموجه إلى «من النص إلى الواقع» كبيراً نظراً لإحكام الموضوع ولأن علم أصول الفقه بذاته أكثر العلوم إحكاماً، وأقلها عرضة للنقد، وربما ما زال مبكراً. فلم تعقد عليه إلا ندوة واحدة بالرغم من الاعتزاز به وتقديره. فلم يُقرأ بعد من الأصوليين والعلماء بالرغم من إعجابهم به وتقديرهم لصاحبه. وربما لأنه لم يظهر من خلال أجهزة الإعلام، موطن الشهرة الزائفة والمزايدة والتضحية بالموضوع وصاحبه من أجل الإثارة والسبق الصحفي. وربما خوف العلماء منه والذين تعودوا على التجريح والاستبعاد لعلميته ورصانته. وربما لحرج المسؤولين الرسميين حتى لا يوافقوا على ما لا توافق عليه المؤسسات الدينية التابعة للدولة ونظامها السياسي. وربما خوفاً من النقاش العلمي الجاد بعد أن تعودوا على عموميات الإعلام وادعاءات التجديد والأفكار النمطية السابقة[2].

---

(1) «من العقيدة والثورة» إلى «النقل والإبداع»، «من النقل والإبداع» إلى «النص والواقع»، من النقل إلى الإبداع مجـ1، جـ1 ص 7-20 «من النص إلى الواقع» جـ1 تكوين النص ص 5-17.

(2) عقدت هذه الندوة بالمجلس الأعلى للثقافة بعد أن تأجلت من يونيو 2006 إلى سبتمبر وغاب عنها الكثير من العلماء المرموقين، وحضر القليل من الزملاء خاصة من كلية دار العلوم وحقوق الإسكندرية. فلهم منا خالص التقدير.

ومع ذلك يمكن ممارسة النقد الذاتي على «من النص إلى الواقع». فالعيب لا يظهر إلا بعد الاكتمال. والجنين لا يبدو إلا بعد الولادة. والممكن أكثر غنى من الواقع. وما بالقوة أكثر اتساعاً مما بالفعل. والمؤلف هو الناقد بالأصالة. والمبدع هو الذي يعلم حدود الإبداع. والأم أقدر على وصف معاناة الولادة من المولَّد.

أ ـ كان الهدف من الجزء الأول «تكوين النص» تفكيك النص الأصولي القديم، وبيان أنه لا يوجد نص ثابت خالد أبدي واحد عبر كل العصور. تتعدد قواعده وأصوله. بنيته متحركة داخل النص الأصولي السني والشيعي على حد سواء. كان القصد «تحريك النص» من جديد وهو عنوان الفصل عن النص الأصولي الشيعي[3]. لذلك كثر حضور النص بعد ترتيبه زمانياً لبيان تغير القواعد والأصول التي يبنى عليها العلم عبر الزمان مما يسمح بتطويره مرة أخرى طبقاً لهذا العصر. فيتحرك النص من جديد عبر التاريخ. كان الهدف هو القضاء على تكلس النص وثباته بل وقدسيته، والعودة إلى الاجتهاد البشري في إبداع النصوص. كان الهدف هو هز سلطة القدماء التي ما زالت أحد أسباب توقف حركة العلم، بالإضافة إلى إحساس المحدثين بالدونية أمامهم، فلم يترك السلف للخلف شيئاً. كان الهدف إثبات أن النص الأصولي ليس نصاً ثابتاً أبدياً أزلياً إلى آخر الزمان، بل هو نص تاريخي حتمته ظروف كل عصر ومستواه الثقافي. فقد خرج التراث كله من حيز التاريخ إلى الإطلاق. وتحول من اجتهادات الأجيال المتتالية إلى مقدس خارج الزمان نظراً لعجز الأجيال المتأخرة عن التواصل معه واستئنافه وكتابة نصوص جديدة دون الاكتفاء بدراسة النصوص القديمة وعرضها وتكرارها بعد أن انفصل الذات الدارس عن الموضوع المدروس، وتحول إلى مستشرق ينظر إلى موضوع مغاير له وليس مسؤولاً عنه. تمايز بينه وبين تراثه ولم يتوحد معه. فتكلس التراث وتشيأ وتحجر، وأصبح قديماً يدرسه المحدثون. ومع ذلك جاء الجزء الأول «تكوين النص» علمي للغاية، تاريخي صرف. لا يظهر فيه التجديد بوضوح. أقرب إلى القدماء منه إلى المحدثين. ثقيل في القراءة، ممل الاستيعاب. يُظهر صاحبه عالماً لا مجدداً، مؤرخاً لا أصولياً، يعرض القدماء ولا يخاطب المحدثين. كان السبب هو الرغبة في تسوية الأرض أولاً قبل الزرع، وحفر التربة وتقليبها قبل

---

(3) من النص إلى الواقع جـ1 تكوين النص، الفصل الرابع: تحريك البنية ص 245-343.

البذر فما جدوى بناء جديد على أرض لم تسوى؟ وقد قامت محاولات قبل ذلك لإعادة البناء دون تسوية من القدماء المتأخرين ومن المحدثين المعاصرين فسرعان ما انهار البناء[4].

ب ـ كان مفهوم البنية وتعدد قواعدها هو المفهوم السائد الذي على أساسه تم تقسيم الأصول، غياب البنية أو حضورها احتجابها أو ظهورها، أحادية أو ثنائية أو ثلاثية أو رباعية. .. الخ. لم يستعمل لفظ البنية بمعنى المحدثين عند البنيويين[5]. كان له معني عام وشائع في اللغة المتداولة[6]. كان يعني فقط الأصول أو القواعد التي يبنى عليها العلم. هي البنية الظاهرية وليست البنية الباطنية، بنية النص وليست بنية الفكر، بنية القول وليست بنية الرؤية، بنية التعبير وليست بنية المعنى، فتعددت البنيات بين الكثير والقليل، بين الدال على الفكر وغير الدال الذي يكتفي برصد الموضوعات في أبواب وفصول وأقسام وأجزاء. غابت أولاً ثم حضرت ثانياً ثم غابت ثالثاً. منها ما كان تقليداً وإتباعاً مثل كثير من النصوص التي تتكاثر فيها الأقسام والأجزاء ومنها ما كان اجتهاداً واتباعاً مثل البنية الرباعية في «الموافقات». منها ما كان لا شعورياً ودون قصد بل مجرد إحصاء لترتيب الأبواب، ومنها ما كان شعورياً عن قصد ولو عن طريق الصورة الفنية مثل «المستصفى»، عن صورة الثمرة والمستثمر، والمستثمِر وطرق الاستثمار. تكاثرت فصول البنيان بعد أن تعددت وأصبح من الصعب فهم دلالاتها. كان المقصود هو بيان عدم وجود بنية واحدة ثابتة للعلم مما يسمح بإدخال البنية الثلاثية.

وقد تم اختيار البنية الثلاثية التي قام عليها الجزء الثاني «بنية النص»، وليس الرباعية في «المستصفى». وهي البنية التي قامت عليها متون أصولية أخرى عديدة ابتداء من «الرسالة» وانتهاء إليها[7]. وهي بنية تكشف عن التطابق بين بنية النص

---

(4) على سبيل المثال «مقاصد الشريعة ومكارمها» لعلال الفاسي، و «تفعيل مقاصد الشريعة» لجمال الدين عطية.

(5) وهو المعنى الذي يناقشه محمد عابد الجابري في مقدمة «بنية العقل العربي»، محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت ص19.

(6) من النص إلى الواقع جـ1 تكوين النص، رابعاً: البنية الثلاثية ص54-68.

(7) من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ1 ص 40-54 التدوين، مقدمة، رابعاً، مناهج الدراسة لعلوم الحكمة، 1- المنهج التاريخي والمنهج البنيوي. 2- منهج التحليل المضمون.

(المصادر الشرعية الأربعة، ومباحث الألفاظ، والأحكام الشرعية) وبنية الوعي التاريخي والوعي النظري والوعي العملي .

جـ ـ كان الجزء الأول «تكوين النص» بمثابة التمهيد للجزء الثاني «بنية النص». كان هو «البولدوزر» الذي يسوي الأرض بدلاً من إقامة الجزء الثاني على نتوءات أو منخفضات لم يتم تسويتها من قبل وإلا انهار البناء الجديد. كان الهدف من الجزء الأول هو تحرير الوعي الأصولي من ثقل التاريخ حتى يستطيع أن يقبل النص الأصولي الجديد ويتفهمه بعقل حر دون خوف من القدماء المجتهدين أو قهر من المحدثين المقلدين

ومع ذلك كان «البولدوزر» بطيء الحركة، ضعيف الصوت، هادئ المعول، لا يجرف الكثير. كان مجرد تحريك للتربة دون دكها. كان يعمل دون صخب ودوي ربما لعزوف صاحبه عن الفرقعات، الرصاص الفارغ «الفشنك»، وصخب الإعلام. لم يؤد غرضه على نحو مباشر. يحتاج إلى وقود ليدور محركه بدلاً من دفعه باليد. يحتاج إلى وقت حتى يدرك أهميته طلاب العلم في الجامعات الدينية والمدنية بعيداً عن الاستقطاب الحالي بين سلفيين وعلمانيين، قدماء ومحدثين، محافظين ومجددين.

كان الركام الناشئ منها كثيراً مبعثراً. غطى على الحفر والأسس الفارغة التي في حاجة إلى صب جديد. كان أشبه بوقوع البناء بطريقة التفجير أو الزلزال حتى غطى الركام على الأساس المطلوب دون إعادة حفره وصبه من جديد وظهرت على المشاهد علامات الحزن على المنزل المهدم أكثر من علامات الفرح لمشروع البناء الجديد الذي لم يره بعد في الجزء الثاني «بنية النص».

د ـ ثم أتى الجزء الثاني «بنية النص» واضحاً مرتباً، ولكنه غرق في تحليل اللغة كما قام به القدماء. ولم يكتف بالاشتباه اللغوي الذي يبدأ منه التجديد. ربما كان القصد اللاشعوري هو إمكانية تحويل التحليلات اللغوية عند الأصوليين إلى علم اللغة العام ليخفف ثقل الأحكام الشرعية خاصة أحكام التكليف، وبوجه أخص الحلال والحرام بعد أن اختزل العلم فيها في أذهان العامة الذين يخشون من السلوك التلقائي وأنصاف العلماء الذين يودون إبقاء العلم أداة للسيطرة على الناس والمؤسسات الدينية التابعة للنظم السياسية التي تستعمل الدين كأداة للضبط الاجتماعي.

تضخم الوعي التاريخي خاصة في مسائل الرواية. وكانت أقرب إلى هم القدماء في نقد السند من هم المحدثين في نقد المتن[8]. كما غرق في تحليل أنواع العلل بحيث تاهت دلالة التحليل وسط هذا الكم الهائل من التفصيلات. كان المبرر هو عدم ترك تحليلات القدماء دون إشارة حتى يعيش المحدثون معهم، ويشعرون بهم إيجاباً أم سلباً. فيتضخم الحجم بلا داع إلا استهلاك مادة القدماء، وإعادة عرضها. وما كان يتطلب التطوير والتفصيل هو الوعي العملي، المقاصد والأحكام، جاء على قدر ما ترك القدماء. ومقاصد الشريعة، وأحكام الوضع هي زُبدة العلم. خشي من التطوير الزائد حتى لا ينفصل العلم عما تركه القدماء، لحظة «الموافقات» وحتى يتم التغير من خلال التواصل، ولا تكون المسافة شاسعة بين إبداع القدماء وتطوير المحدثين. ويمكن لجيل آخر أن يطور الوعي العملي ويقلّصَ الوعي النظري. ويعيد التوازن إلى أبعاد العلم الثلاثة: الوعي التاريخي، والوعي النظري، والوعي العملي[9].

هـ ـ وبالرغم من أن العنوان يتضمن لفظين: «النص» و«الواقع» إلا أن العمل كله أتى أقرب إلى النص منه إلى الواقع. طغت النصوص، وتوارى الواقع مشرئباً برأسه من الانهيار، يطلب الخروج. قد يكون السبب في ذلك أيضاً إبقاء الطابع المنطقي الخالص لعلم الأصول، وما يتميز به من إحكام نظري. وعلم الفقه هو العلم الذي يتم فيه التحول من فقه العبادات إلى فقه المعاملات، ومن فقه الحلال والحرام إلى فقه المجتمع. ربما كان السبب هو كثرة تحليل الواقع ووصف تحديات العصر في المؤلفات الثقافية مثل «هموم الفكر والوطن»، «حصار الزمن». وربما كانت هناك خشية من الخطابة والحديث العام عن مآسي العصر وأحزانه، وعلم أصول الفقه علم محكم ودقيق. والقراءة المتأنية قادرة على تلمس الواقع والإحساس أو الإمساك به من خلال خيوط قائدة قصيرة أو حبال طويلة. فمن الأفضل ظهور الواقع على نحو غير مباشر حتى يبقي العلم في الأصول وليس في

(8) من نقد السند إلى نقد المتن، حصار الزمن جـ3 ص 53-165.

(9) كانت ملاحظة جيتون على «ظاهريات التأويل» تضخم الوعي التاريخي على حساب الوعي العملي، والتناقص الكمّي التدريجي، من الوعي التاريخي وهو الأضخم إلى الوعي النظري وهو المتوسط إلى الوعي العملي الذي هو الأصغر.

الفروع. وكثيراً ما تتحدث النصوص القديمة عن «زماننا» و«عصرنا» دون تفصيل أحوال الزمان وظروف العصر.

و ـ كانت مشكلة إعادة بناء العلوم القديمة كبر الحجم. «من العقيدة إلى الثورة» (خمسة مجلدات) ومن النقل إلى الإبداع (ثلاثة مجلدات كل منها ثلاثة أجزاء، وفي مجموعها تسعة). وجاء «من النص إلى الواقع» مجلدين. أصغر من حيث الكم. ومن في هذا العصر قادر على قراءة مجلد واحد؟ التحدي الآن هو إخراج «من الفناء إلى البقاء» في مجلد واحد. اللهم إلا إذا كبرت الأبواب الثلاثة الرئيسية: التصوف الأخلاقي، التصوف النفسي، التصوف الفلسفي. وتحول كل منها إلى فصول. واستحال ضمها في مجلد واحد. فأصبحت ثلاثة مجلدات. وبعد وضع المقدمة عن «الوعي الصوفي» لوصف تطور النص الصوفي كما هو الحال في الجزء الأول «تكوين النص» و«من النص إلى الواقع» تضخمت كما تضخم وأصبح باباً مستقلاً هو الباب الأول من الجزء الأول عن التصوف الخلقي. ثم تضخم هذا الباب الأول إلى ثلاثة فصول: الوعي التاريخي، الوعي الموضوعي، الوعي النظري. ثم تغيرت الفكرة الشائعة أن ابن عربي آخر الصوفية وما بعده شراح له مثل النابلسي والشعراني، وهو ما قيل أيضاً عن ابن رشد أنه أخر الفلاسفة وما بعده شراح، عندما اتضح قدر التصوف العملي بعد «الفتوحات» على مدى خمسة قرون فأصبح فصلاً رابعاً. ولما كثرت النصوص وتعددت وتضخّم هذا الباب الأول بفصوله الأربعة ولم تنته بعد المقدمة، أضيف إليها فصل خامس عن التصوف وموضوعه داخل منظومة العلوم قبل أن تبدأ فصول التصوف الخلقي: الشريعة والأخلاق، والرذائل والفضائل، والتوحيد الخلقي. فانفصلت المقدمة وأصبحت هي الجزء الأول «تكوين النص» وهو عنوان الجزء الأول من المادة بناء علم أصول الفقه في «من النص إلى الواقع»[10].

(10) أصبح الآن الجزء الأول: التصوف تاريخ وعلم ينقسم إلى قسمين. الأول التصوف كتاريخ ويشمل ستة فصول: تشكل الوعي التاريخي، الوعي التاريخي الخالص، الوعي التاريخي الموضوعي، الوعي الموضوعي الوعي النظري، الوعي العملي، والثاني التصوف كعلم ويشمل أربعة فصول: تعريف التصوف. تصنيف العلوم، العلم الشعوري، العلم والعمل. (وقد يحدث تعديل في اللحظة الأخيرة). وقد حدث التعديل بالفعل وأصبح عنوان الجزء الأول «الوعي الموضوعي» بدلاً من التصوف كتاريخ أو تاريخ التصوف، وعنوان =

وضمت الأجزاء الثلاثة الأولى: التصوف الخلقي، التصوف النفسي، التصوف النظري ثم زيد عليها التصوف العملي في جزء ثان «بنية النص» وهو نفس عنوان الجزء الثاني «من النص إلى الواقع»[11]. هذا هو الوضع وهو أفضل من حيث الكم. جزءان: الأول عن تطور النص الصوفي، والثاني عن «بنية النص الصوفي» أفضل من مقدمة طويلة وثلاثة أجزاء من حيث الكم[12]. والأعمال التكوينية بطبيعتها ضخمة الحجم. والأعمال التأسيسية مشاريع كبرى. «الشفاء» عدة مجلدات اختصرها صاحبها في «النجاة»، ثم شرح الملخص في «الإشارات والتنبيهات». وأعمال ابن رشد الشارحة لأرسطو أكبر وأوسط وأصغر، تفاسير وتلخيصات وجوامع. و«المغني» للقاضي عبد الجبار عشرون مجلداً في علم أصول الدين. وشروح علم أصول الفقه عدة مجلدات مثل «البحر المحيط» للزركشي. وفي التصوف «الإحياء» و«الفتوحات» كل منها أربعة مجلدات. يبدو أن مشروع «التراث والتجديد» خارج من بين القبور. به روح القدماء من حيث الإسهاب والتطويل. قد يأتي جيل جديد يلخص كل ما فعل القدماء حتى تسهل قراءة المحدثين[13].

2 ـ الموضوع، المنهج، المادة العلمية، الأسلوب

أ ـ الموضوع: هي المحاولة الرابعة والأخيرة لإعادة بناء العلوم النقلية العقلية الأربعة، علم أصول الدين في «من العقيدة إلى الثورة»، وعلوم الحكمة في

= الجزء الثاني «الوعي الذاتي» عن التصوف كعلم أو التجربة الصوفية. الأول في التاريخ، والثاني في البنية. ويشمل الجزء الأول أربعة أبواب: الوعي التاريخي، الوعي النظري، الوعي العملي، الوعي العلمي. ويضم الجزء الثاني أربعة أبواب: التصوف الخلقي، التصوف النفسي، التصوف الفلسفي، التصوف الطرقي.

(11) هذا أيضاً هو ما حدث في رسالتي الثانية لدكتوراه الدولة عندما وضعت مقدمة عن المنهج الظاهري لتطبيقه في تأويل العهد الجديد فأصبحت جزءاً بمفرده «تأويل الظاهريات»، والتطبيق «ظاهريات التأويل».

(12) حدث هذا التطور وأنا في الرباط بالمغرب في الأيام الثقافية المصرية بالمغرب يوم 2/2/2007 كما جاءني حدس لبنية الوعي الثلاثية في «مناهج التأويل» في علم أصول الفقه في الرسالة الأولي في أكتوبر 1956 وأنا في باريس.

(13) وهذا ما فعله أحد تلاميذ توينبي في تلخيص «دراسات في التاريخ» للأستاذ سومرفيل (تسعة أجزاء) في مجلد واحد.

«من النقل إلى الإبداع»، وعلم أصول الفقه في «من النص إلى الواقع». وبعد اكتمال إعادة بناء العلوم النقلية العقلية الأربعة، يتضح أن أبعد العلوم عن اللحظة الراهنة وأشدها حاجة إلى إعادة البناء هو علم أصول الدين ثم علوم الحكمة. ثم علوم التصوف ثم علم أصول الفقه. وأكثرها اقتراباً من تحليل التجارب الشعورية هي علوم التصوف ثم علم أصول الفقه ثم علم أصول الدين ثم علوم الحكمة التي غلب عليها التحليل النظري المجرد خاصة في أجزائها الثلاثة المنطق والطبيعيات والإلهيات قبل إضافة «إخوان الصفا» العلوم الناموسية والشرعية وتحليلات النفس والأخلاق والاجتماع عند الفلاسفة خاصة الفارابي.

بقي من الجبهة الأولى «الموقف من التراث القديم» إعادة بناء العلوم النقلية الخمسة «من النقل إلى العقل»، القرآن والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه. بعدها يتم التوجه إلى الجبهة الثالثة الموقف من الواقع أو «نظرية التفسير» خشية من قصر العمر. بعدها تتم العودة إلى الجبهة الثانية «الموقف من التراث الغربي» لترصيع العقد «مقدمة في علم الاستغراب» بالأحجار الكريمة مثل فشته فيلسوف المقاومة، وظاهريات هوسرل، وبرجسون فيلسوف الحياة، ثم استئنافها عند ماكس شيلر وظاهريات الحياة الوجدانية، ونيتشه فيلسوف العدمية، ومونييه فيلسوف الشخص ثم العودة من بداية النهاية إلى الذروة في الوعي الأوروبي هيجل الفيلسوف الشامل، واليسار الهيجلي: فيورباخ، وباور، وشترنر، وشتراوس، وماركس الشاب، ثم شلنج فيلسوف الوحدة. كل ذلك لو كانت هناك نسيئة في العمر بتعبير ابن سينا. وبالتالي يصبح مشروع «التراث والتجديد» أهم وأكبر مشروع يعبر عن الوضع الحضاري في نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الهجريين، ونهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين الميلاديين، وليعبر عن مرحلة جديدة من تطور الحضارات ودورانها في العالم، وإغلاق الفترة العثمانية واستئناف الإصلاح الديني وتحويله إلى نهضة شاملة في مرحلة ثالثة للحضارة الإسلامية تلحق بالمرحلة الأولى في القرون السبعة الأولى من الأول حتى السابع، مرحلة الازدهار التي أرخ لها ابن خلدون، و تغلق المرحلة الثانية في القرون السبعة التالية من الثامن حتى الرابع عشر لتبدأ المرحلة الثالثة، قرون سبعة ثالثة، من الخامس عشر حتى الواحد والعشرين الهجريين. «التراث والتجديد» إذن مشروع مفصلي كما حدث في الحضارة الغربية عند ديكارت (1650) «أنا أفكر فأنا

إذن موجود» ومشروع بيكون (1626) «الآلة الجديدة». كان العنوان في وصف المشروع في «التراث والتجديد» المنهج الصوفي[14]. ثم برز شيئاً فشيئاً هذا العنوان «من الفناء إلى البقاء» بنفس طريقة «من... إلى...» للدلالة على نقل العلوم القديمة كلها من مرحلة إلى مرحلة، من مرحلة القدماء إلى مرحلة المحدثين، من التأسيس الأول إلى التأسيس الثاني[15]. وهما مصطلحان في علوم التصوف، حالان أو مقامان. يذكرهما إقبال ويجعلهما رؤية له مطالباً أيضاً التحول من الفناء إلى البقاء[16]. وهو لا يبعد أيضاً عن موقف الحركة السلفية عند ابن تيمية الذي يجعل البقاء هو نهاية المقامات وليس الفناء.

والتصوف بالجمع «علوم التصوف» مثل علوم الحكمة في حين أن «علم أصول الدين» و «علم أصول الفقه» بالمفرد. وهو يدل على أن التصوف يجمع عدة علوم: علم الأخلاق، وعلم النفس، والفلسفة، وليس علماً واحداً. فالتصوف مجموعة من العلوم تعتمد على الفقه والحديث والتفسير والسيرة خاصة في التصوف العملي.

وقد عُرض التصوف نفسه بطريقتين. الأولى تاريخية، تطور التصوف ومراحله عبر التاريخ، خاصة القرون السبعة الأولى حيث تكتمل الحضارة الإسلامية في دورتها الأولى قبل أن يؤرخ لها ابن خلدون. وفي هذه الحالة يتضح أن التصوف مر بأربع مراحل: المرحلة الأخلاقية عندما كان التصوف علماً للأخلاق الإسلامية، في القرنين الثاني والثالث، نموذج رابعة العدوية والحسن البصري، والمرحلة النفسية عندما تحول التصوف إلى علم لبواطن القلوب في القرنين الرابع والخامس

---

(14) وقد كان العنوان الأول لمحاولة إعادة علم الكلام «من العقيدة إلى الثورة»، علم الإنسان المحاولة الثانية لإعادة بناء علوم الحكمة «من النقل إلى الإبداع» والعنوان الثاني فلسفة الحضارة، والعنوان الأول للمحاولة الثالثة لإعادة بناء علوم أصول الفقه «من النص إلى الواقع»، «المنهج الأصولي»، التراث والتجديد ص 206، 209.

(15) وهو الشعار الذي تصدّر كتاب «إقبال فيلسوف الذاتية» والصادر في دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009.

بروحي للحياة مع الفناء صراع، لا أري غير البقاء

(16) وقد استعمل الوعي الأوروبي لفظ «جديد» مثل «الآلة الجديدة» لـ فرنسيس بيكون و«العلوم الجديدة» لـ نيوتن وفيكو. واستعمل هوسرل نفس الأسلوب في المنطق «من المنطق الصوري إلى المنطق الترنسندنتالي».

نماذج ذي النون المصري، والبسطامي والحلاج وأصحاب الشطحات، والمرحلة الثالثة مرحلة الفلسفة الإلهية في القرنين السادس والسابع، نماذج السهروردي وابن الفارض، وابن عربي وعبد الحق بن سبعين في القرنين السادس والسابع. أما الغزالي الذي جعل التصوف أيديولوجية الطاعة للناس كما جعل الكلام أيدلوجية القوة للسلطان فإنه يمثل حلقة الوصل بين المرحلة الخلقية والمرحلة النفسية وبين المرحلة الفلسفية[17]. كما يمثل ابن عربي حلقة الاتصال بين المرحلة النفسية والمرحلة الفلسفية، ومن ثم يكون أهم عملين نظريين في التصوف كعلم هما «إحياء علوم الدين» و«الفتوحات المكية». والمرحلة النفسية والمرحلة الميتافيزيقية. والمرحلة الرابعة هي المرحلة الطرقية التي تحول فيها التصوف النظري في الفلسفة الإلهية إلى التصوف العملي كما بدأ في المرحلة الأولى ولكنه في هذه المرة تصوف جماعي طرقي في العصر العثماني. وإذا كانت كل مرحلة قد دامت قرنين من الزمان، الخلقية في القرنين الثاني والثالث، والنفسية في الرابع والخامس، والفلسفية في السادس والسابع فإن المرحلة الطرقية قد استمرت سبعة قرون من الثامن حتى الرابع عشر، ومازالت مستمرة حتى الآن. طالت أكثر من اللازم. وآن الأوان لانتهائها بعد محاولات حركات الإصلاح الديني تغييرها عند الأفغاني وإقبال إلى المرحلة الخامسة المرحلة «الثورية» التي يمثلها «من الفناء إلى البقاء». وقد استعملت الدراسات الثانوية هذه الطريقة المدرسية التاريخية لأنها أقرب إلى الاستيعاب والحفظ وتقديم العلوم الإسلامية القديمة كتاريخ وليس كعلوم عقلية نقلية.

ولا يوجد فصل حاد بين هذه المراحل الأربع. قد تستمر المرحلة الأخلاقية بعد القرنين الثاني والثالث. بل إن كبار الصوفية الأخلاقيين في القرنين الثالث مثل المحاسبي (ت243هـ)، والحكيم الترمذي (ت270 هـ)، والخراز (ت299 هـ)، والتستري (319هـ)، والمرحلة الثورية الخامسة لها جذورها عند الحلاج واشتراكه في ثورة القرامطة ونجم الدين كبري في حروبه ضد التتار في الشام، وفي المرحلة

(17) وقد أدرك هذه المراحل من قبل مصطفي حلمي في «الحياة الروحية في الإسلام» وسار على أثره أبو الوفا التفتازاني في «المدخل إلى التصوف الإسلامي». وأصبحت حقيقة تاريخية مسلّماً بها عند دارسي التصوف ومؤرخيه.

الطرقية عند المهدية في السودان في نضالها ضد الاستعمار البريطاني، والسنوسية في صراعها ضد الاستعمار الإيطالي في ليبيا، وعند محمد إقبال في نهضة الأمة في نضالها ضد الاستعمار في الخارج والتخلف في الداخل[18]. وهذا هو مضمون الجزء الأول التصوف كتاريخ. ولا يوجد صوفي في المرحلة النفسية أو في المرحلة الميتافيزيقية إلا ولديه جانب أخلاقي. ولا يوجد صوفي في المرحلة الأخلاقية أو المرحلة الميتافيزيقية إلا ولديه تحليلات نفسية مثل المحبة عند رابعة، والخوف عند الحسن البصري، والمحبة عند ابن الفارض وابن عربي. ولا يوجد صوفي في المرحلة الأخلاقية أو المرحلة النفسية إلا ولديه بعض الجوانب الفلسفية مثل نظريات الحلول والاتحاد والحقيقة المحمدية في المرحلة النفسية. والغزالي نفسه يجمع بين كل المراحل. الأخلاقية والنفسية والميتافيزيقية. والمرحلة الرابعة، المرحلة الطرقية مرتبطة بكبار الصوفية السابقين: الأكبرية لمحيي الدين بن عربي (ت 638)، والمولوية لجلال الدين الرومي (ت 672هـ)، والجيلانية لعبد القادر الجيلاني (ت561هـ)، والرفاعية لأحمد الرفاعي (ت678هـ).

والثانية عرض التصوف نفسه كطريق أو طريقة أو فهم عملي مستقل عن التاريخ، طريق صاعد من أسفل إلى أعلى، من الإنسان إلى الله. يبدأ بالتوبة، وينتهي بالفناء. وبين البداية والنهاية المقامات والأحوال. المقامات سبعة أو تسعة طبقاً لعدد فردي يحصل عليها الصوفي بجهده وبقدرته على الرياضات والمجاهدات. والأحوال مزدوجة. حالتان سلبية وايجابية في الانتقال من مقام إلى مقام، هبة أو إشارة أو علامة على اجتياز مرحلة في الطريق مثل علامات المرور. المقامات مثل التوبة، والفقر، والصبر، والتوكل، والرضا... الخ. والأحوال مثل: الخوف والرجاء، الصحو والسكر، المحو والإثبات، الغيبة والحضور، الفقد والوجد، الفناء والبقاء...الخ.

التصوف كطريق يبدأ من الخارج إلى الداخل ثم من الداخل إلى أعلى، من العالم إلى النفس، ثم من النفس إلى الله، من أفعال الجوارح إلى أفعال القلوب، ومن أفعال القلوب إلى الأفعال الإلهية.

(18) انظر كتابنا: محمد إقبال: فيلسوف الذاتية، دار المدر الإسلامي بيروت، 2009.

وهنا يتداخل التصوف الخلقي مع التصوف النفسي. فالفضائل عند الصوفية مثل الصدق والورع والإخلاص لا تختلف في أهدافها عن المقامات الصوفية. وقد ميز الصوفية في مصطلحاتهم بين الاثنين. وهناك تماثل بين المراحل الأربع في التصوف كتاريخ والتصوف كطريق، التصوف الأفقي والتصوف الرأسي. المرحلة الأولى في الطريقتين هي المرحلة الأخلاقية عند رابعة في التاريخ وفي التوبة كطريق. والمرحلة الثانية هي المرحلة النفسية لدى الحلاج في التاريخ وفي الأحوال والمقامات كطريق. والمرحلة الثالثة في التاريخ تعادل المرحلة الثالثة كطريق مرحلة الفلسفة الإلهية عند السهروردي وابن الفارض وابن عربي وعبد الحق بن سبعين. الأفقي مثل الرأسي ومسار التاريخ مثل مسار الروح. والمرحلة الرابعة الحالية وهي المرحلة الطرقية تقابل علاقة الشيخ بالمريد. والمرحلة الخامسة القادمة، المرحلة الثورية، هي مرحلة تنوير الثقافة الشعبية وحركة الجماهير لتجاوز الاستكانة والهوان لدي جيل ما بعد التحرر من الاستعمار، وانهيار الدول الوطنية الحديثة.

وهي من جديد قضية التاريخ والبنية في «من العقيدة إلى الثورة» وتفضيل البنية أي النسق العقائدي على التاريخ أي الفرق الكلامية[19]. وهي قضية «من النقل إلى الإبداع» وتفضيل الأشكال الأدبية على التاريخ طبقاً للفلاسفة أو العصور أو المذاهب[20]. وهي قضية «من النص إلى الواقع»، وتخصيص الجزء الأول «تكوين النص» لتاريخ البنية، والجزء الثاني «بنية النص»، لبنية التاريخ[21]. فقد عرض علم الكلام نفسه كتاريخ للفرق وكنسق للعقائد. هكذا فعل الأشعري والباقلاني والشهرستاني وابن حزم. كما عرضت الفلسفة نفسها كبنية في موسوعات ابن سينا الأربع وكتاريخ في الدراسات الثانوية. وعرض التصوف نفسه كتاريخ في كتب الطبقات بداية بالسلمي حتى الشعراني وكبنية في «الإحياء» و«الفتوحات».

و«من الفناء إلى البقاء» أيضاً دراسة في الطريق أي في البنية وليس في التاريخ. يعرض التاريخ من خلال البنية، ولا تعرض البنية من خلال التاريخ أسوة

(19) «من العقيدة إلى الثورة»، جـ1 المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم ص141-227.

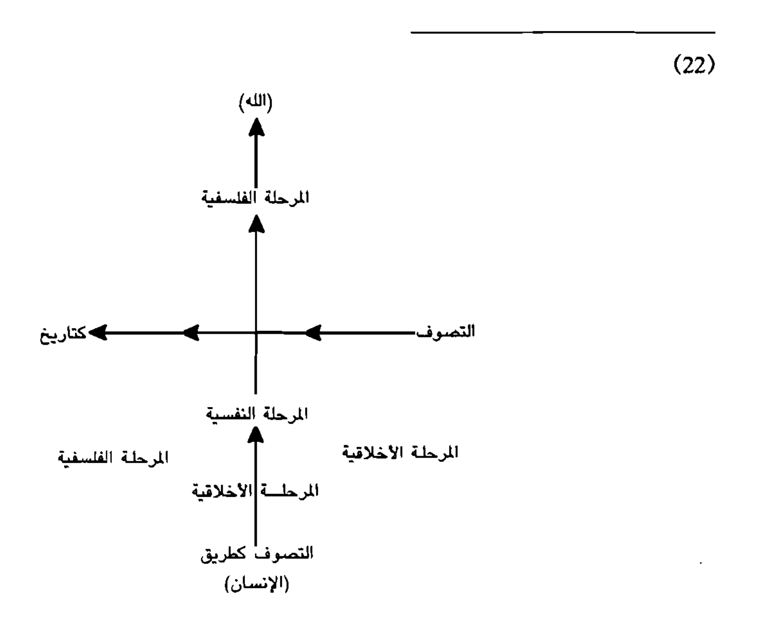
(20) «من النقل إلى الإبداع»، مجـ1 النقل جـ1 التدوين، رابعاً: مناهج الدراسة لعلوم الحكمة، ص40-54.

(21) «من النص إلى الواقع»، المقدمة، ثانياً: السمات والمنهج، كيف يمكن دراسة علم أصول الفقه؟ ص24-29.

بالمحاولات الثلاث السابقة، «من العقيدة إلى الثورة» و«من النقل إلى الإبداع» و«من النص إلى الواقع». ومع ذلك يخرج في جزءين. الأول التصوف كتاريخ وعلم. ويضم فصولاً ستة: تشكل الوعي التاريخي، والوعي التاريخي الخالص، والوعي التاريخي الموضوعي، والوعي الموضوعي، والوعي النظري، والوعي العملي، والتصوف كعلم يضم تعريفات التصوف وتصنيفه في تقسيم العلوم وعلوم الذوق، والعلم والعمل. ويضم المراحل السابقة، ويمزجها من التاريخ إلى الموضوع.

والثاني التصوف كطريق وطريقة. ويضم الأول التصوف الخلقي. ويشمل أربعة أبواب. الشريعة إلى الأخلاق، والظاهر إلى الباطن، والأوامر والنواهي إلى الفضائل والرذائل حتى التوحيد الخلقي. والثاني التصوف النفسي الذي يضم المقامات والأحوال ووصف الطريق في الرياضة والمجاهدة ووحدة الشهود. والباب الثالث التصوف النظري الذي يضم المسائل الإلهية مثل الله والإنسان الكامل ووحدة الوجود. والباب الرابع التصوف العملي الذي يتحول فيه التصوف النظري إلى ممارسات عملية وينتقل من الطريق إلى الطريقة إلى آداب الشيخ والمريد. وبالتالي يتطابق التصوف كتاريخ مع التصوف كطريق. التقابل بين التصوف كتاريخ والتصوف كطريق[22]. ويمكن تقسيم مراحل التصوف إلى خمس،

(22)



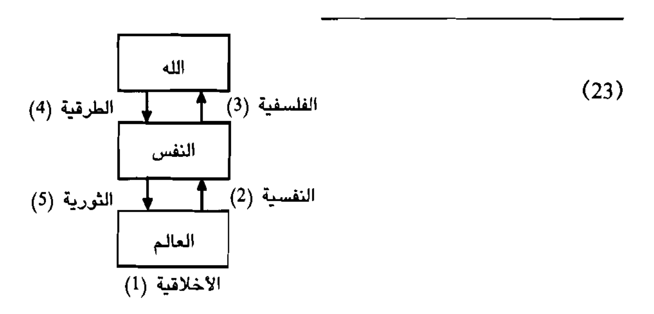
بزيادة المرحلة الطرقية بعد المرحلة الفلسفية، والمرحلة الثورية بعد المرحلة الطرقية. وعيب هذا التقسيم أن الطريقة موجودة منذ البداية في المراحل الثلاث الأولى خاصة المرحلة النفسية الثانية. كما أن المرحلة الإصلاحية بدأت منذ ثورة الفقهاء على الصوفية في الصراع بين التنزيل والتأويل، وعودة الصوفية إلى المشاركة في الحياة العملية، ومناهضة الفساد والتسلط الخارجي والداخلي[23].

ب ـ **المنهج**: والمنهج المتبع هو تحليل الخبرات الشعورية لمعرفة مدى صدق التجارب التي يحللها الصوفية ومدى تطابقها مع التجارب الإنسانية العامة. فمنهج البحث متفق مع منهج الموضوع المبحوث، تحليل التجارب الحية للباحث وللصوفي. وهو نفس المنهج المتبع من قبل في «من العقيدة إلى الثورة» و«من النص إلى الواقع» و«من النقل إلى الإبداع»[24].

وتنقسم التجارب الإنسانية إلى نوعين: الأول تجارب إنسانية عامة، الإنسان من حيث هو إنسان، لا يتغير بتغير الزمان والمكان، الإنسان الوجودي الذي تصفه فلسفات الوجود. والثاني تجارب إنسانية خاصة مرتبطة بعصر دون عصر تتحكم فيها الظروف السياسية والاجتماعية في كل عصر، وتختلف باختلافها. هي التجارب التي تعبر عن أحوال الأمة ومسارها في التاريخ.

وهو منهج مزدوج يقوم على تحليل النص القرآني وعلى وصف مصالح الأمة حالياً. فالتجربة لها أساس نصي من أعلى، وهو ما تتعامل معه علوم التأويل. ولها

(23)



(24) «من العقيدة إلى الثورة» جـ1 المقدمات، النظرية خامساً منهجه ص100-113، «من النقل إلى الإبداع» جـ1 النقل. رابعاً: مناهج الدراسة لعلوم الحكمة ص40-54، «من النص إلى الواقع» جـ1 تكوين النص، ثانياً: السمات والمنهج، كيف يمكن دراسة علم أصول الفقه؟ ص24-27.

أساس واقعي حياتي من أسفل، وهو موضوع العلوم الاجتماعية، الاجتماع والسياسة والاقتصاد. وهما الأساسان في إعادة بناء التصوف ونقله من المرحلة القديمة إلى المرحلة الجديدة، من عصر النشأة الأولى إلى عصر النشأة الثانية.

يعتمد الصوفية على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كمصدر لتحليلاتهم مع تنميط معانيها في اتجاه خاص دون الاتجاه العام، واختيار جزئي لآيات وأحاديث دون أخرى. ويمكن لمجموع الآيات والأحاديث توجيه الموضوع في اتجاه آخر. لذلك تعددت مذاهب التصوف وطرقه. فإذا كان التصوف قد خرج من الكتاب والسنة فإن إرجاع الموضوع اليهما يساعد على إعادة تشكيل الموضوع. تهدف العودة إلى النص الأصلي تخليص ما وقع في النص الصوفي من شوائب وأعلاق تاريخية تحيد بالموضوع الصوفي وتميله إلى جانب دون آخر كما هو الحال في موضوع «الزهد» الذي لم يرد في القرآن إلا مرة واحدة ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ أي غير راغبين في شرائه فخفضوا ثمنه. فالذي يحدد السعر هو مدى الحاجة إلى السلعة. وهذه أهمية منهج تحليل المضمون الذي تم الإيغال في استعماله في «من النقل إلى الإبداع»[25].

كما يعتمد الصوفية على تقديرهم لمصالح الأمة في عصرهم. فالعلوم ليست فقط أبنية نظرية بل تهدف إلى تحقيق مصالح عملية. فالكلام دفاع عن التوحيد ضد الثنوية والتثليث والتجسيم والتشبيه. والحكمة دفاع عن وحدة الثقافة، والتعبير عن الموروث بلغة الوافد ضد ازدواجية الثقافة بين متكلمين ومترجمين. وأصول الفقه وضع منهج لاستنباط الأحكام للوقائع الجديدة. وعلم التصوف دفاع عن سلامة القلب ونقاء الضمير، ونوع من المقاومة السلبية ضد تيار البذخ والترف والتكالب على الدنيا والسعي وراء السلطة والثروة. فإذا كان التصوف في نشأته تعبيراً عن نوع من المقاومة السلبية لمظاهر السقوط والانحطاط في الأمة فإنه اليوم يُعاد بناؤه كمقاومة إيجابية بعد أن انتشرت أساليب المقاومة منذ حركات التحرر الوطني في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي حتى حركات المقاومة الآن في أوائل هذا القرن في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير.

---

(25) من النقل إلى الإبداع، مجـ1 النقل جـ1 التدوين، مقدمة، رابعاً مناهج الدراسة لعلوم الحكمة، منهج تحليل المضمون ص45-54.

ومقياس المنفعة والضرر وارد أيضاً عند الصوفية في البحث عن أنفع التواضع، وأنفع الإخلاص، وأنفع الفقر، وأنفع الأعمال، وأنفع الخوف، وأنفع الرجاء، وأنفع العبادات، وأضر المعاصي(26).

ومن ثم، يقرأ النص الصوفي القديم بطريقتين: الأولى عرض النص القديم ثم التساؤل حوله من أجل إعادة النظر في الموقف، والتشكك في حكم القدماء. والثاني الاستدراك بعدة حروف مثل «ومع ذلك»، «إلا أن» أو «واو» العطف. دون استعمال «لكن» لأنها ليست جملة رئيسية.

والنصوص موضوعة في الهوامش حتى لا تكسر اتساق الخطاب وهي نوعان. نوع يؤيد التحليل والثاني منفر حتى يشارك القارئ في النفور منه(27) فهي نصوص موجهة وليست محايدة. تخضع لجدل الإيجاب والسلب.

جـ ـ المادة العلمية: والمادة العلمية هي معظم ما كتبه الصوفية أنفسهم كنصوص مثل الحسن البصري والمحاسبي والترمذي والخراز والحلاج والتستري وابن مسرّة والقشيري والغزالي والسهروردي وابن الفارض وابن عربي وابن سبعين والجيلاني والجيلي والشعراني والرفاعي نثراً أو شعراً وكذلك ما كتبه الصوفية المؤرخون مثل «اللمع» للطوسي (ت378هـ) و «التعرف» للكلاباذي (ت380هـ)، و«قوت القلوب»، لأبي طالب المكي (ت386)، و«طبقات الصوفية» للسلمي (ت412هـ)، «وحلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (ت430هـ)، و«الرسالة القشيرية» للقشيري (ت465هـ) و«كشف المحجوب» للهجويري (ت465)، و«التشوف إلى رجال التصوف» للتادلي (ت617هـ) حتى «الطبقات الكبرى» للشعراني (930هـ)، و«طبقات الصوفية» للمناوي (1031هـ)

في التصوف كتاريخ أي في الوعي الموضوعي الأعمال مرتبة ترتيباً زمنياً لمعرفة تطور الوعي الصوفي. وفي التصوف كطريق مرتبة ترتيباً موضوعياً طبقاً

---

(26) أحمد ابن عاصم الأنطاكي، طبقات الصوفية ص138/ 145، أبو تراب النخشبي السابق ص149.

(27) وهو المنهج الذي سميناه في رسالتنا الأولى «مناهج التأويل»، النقل الحضاري La Transposition، انظر Les méthodes d' Exégèse, pp- LXXIX- CLXXIX.

لبنيته لمعرفة ما هو الطريق، بدايته ونهايته، منطلقه وغايته. وقد يكون تعريف متقدم لموضوع ما في المرحلة الخلقية أو النفسية أو الميتافيزيقية أنفع في المرحلة الثورية. وقد يبدو تماهياً باطنياً بين التاريخ والبنية لأن البنية تتكشف في التاريخ، والتاريخ يفرز البنية.

والمادة العلمية المحللة هي أقوال الصوفية المباشرة وليست الحكايات المروية عنهم كما هو الحال في علم الحديث أقوال الرسول وليس الأفعال المروية عنه، ومثل أقوال المتكلمين والفلاسفة. فالمهم النص وليس صاحبه. فما يترسب في الذهن وما يبقى في الموروث الشعبي هو المثل العامي وإن لم يعرف مؤلفه. ولا يهم نسبة القول إلى صاحبه إلا في الهوامش إذا دعت الضرورة وكان مشهوراً وإلا تحولت الدراسة إلى استشراق والتحقق من العمل لمعرفة الصحيح من المنتحل. هناك صوفية لم يتركوا مؤلفات ورائهم بل جُمعت أقوالهم ورويت عنهم أو عن رواتهم مثل رابعة العدوية والبسطامي وذي النون المصري والشبلي ومعظم صوفية القرنين الثاني والثالث الهجري الذين يذكرهم مؤرخو التصوف كالسلمي في «الطبقات» والقشيري في «الرسالة». فقد انشغلوا بالتصوف العملي وهي مرحلة التصوف الخلقي قبل أن يتحول إلى تصوف نظري في القرنين السادس والسابع، مرحلة التصوف الفلسفي.

والمادة العلمية كما هو الحال في باقي العلوم الإسلامية متوافرة وغزيرة. والموجود منها يغني عن المفقود. والمطبوع من كتب التصوف يكفي لإصدار أحكام عليه، والدخول في حوار معه لإعادة بنائه. والمتاح منه أكثر مما نفذ. والمطبوع منه أكثر من المخطوط. والتكرار فيه يغني عما لم يمكن الإطلاع عليه. والتعبير الكمي غير الدال لا يغني عن التحليل الكيفي الدال. ونقل الصوفية عن بعضهم البعض يغني عن المفقود.

وبطبيعة الحال لا يمكن استيعاب كل شيء، وتحليل كل نص. أما النقلات الإبداعية فلا يمكن الاستغناء عنها مثل «الرسالة القشيرية»، «الإحياء» و«الفتوحات»[28]. ومع ذلك تأتي مرحلة يتوقف فيه الكم أن يصبح دالاً على

(28) بدأت الكتاب بحوالي مائتي نص ووصلت حالياً إلى ثلاثمائة. ويمكن أن تزيد بمزيد من تحليل ما تبقى من أعمال.

الكيف. وما هو متوافر حالياً من الأعمال الصوفية يكفي للحكم على التصوف وإلا ظل الباحث إذا ما انتظر اكتمال الكم غير قادر على إصدار أي حكم. فالمتوافر عينة ممثلة. والاستقراء الناقص قادر على إصدار حكم لاستحالة الاستقراء الكامل. وهو ما سماه الشاطبي في «الموافقات» الاستقراء المعنوي(29).

وتستعمل بعض الدراسات الثانوية الأخرى التي جمعت نصوصاً وأقوالاً للصوفية عن بطون الكتب والمراجع بعد أن تناثرت أو ضاعت أو أن الصوفي لم يترك عملاً مدوناً له إلا بعض الأقوال الشفاهية المروية عنه(30).

وكالعادة تم استبعاد الدراسات الثانوية لأنها موضوع دراسة وليست دراسة لموضوع، سواء من المستشرقين أو من الباحثين العرب(31). ويستثنى ما كان منها قراءة إبداعية كنص صوفي وليس تكراراً له بعبارات شارحة(32). وكما تم استبعاد الدراسات الاستشراقية في المحاولات السابقة لإعادة بناء العلوم القديمة «من العقيدة إلى الثورة» و«من النقل إلى الإبداع» و«من النص إلى الواقع» فإنه تم استبعادها أيضاً في هذه المحاولة الرابعة «من الفناء إلى البقاء» لأن الاستشراق ليس دراسة لموضوع بل هو موضوع لدراسة. يحتاج إلى مراجعات طويلة للأحكام والتصورات والمناهج المستعملة فيه مما يحتاج إلى جهد شاق ومسح كامل(33). ويمكن أن يكون ذلك موضوعاً لعديد من الرسائل الجامعية في الجامعات العربية.

---

(29) من النص إلى الواقع جـ2 بنية النص ص 391- 401.

(30) مثال ذلك «رابعة العدوية»، «شطحات الصوفية» لعبد الرحمن بدوي.

(31) من العقيدة إلى الثورة جـ1 المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، سادساً: المصنفات القديمة ص203-227، من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ1 التدوين، مقدمة، سادساً: المصادر والمراجع.

(32) مثال هذه الدراسة: التأويل عند ابن عربي، لنصر حامد أبو زيد، الخيال الخلاق لكوربان، الخيال الخلاق لأوزتسو. من العقيدة إلى الثورة جـ1 المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، سادساً: المصنفات القديمة ص203-227، من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ1 التدوين، مقدمة، سادساً: المصادر والمراجع

(33) من العقيدة إلى الثورة جـ1 المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، سادساً: خاتمة، المصنفات القديمة ص203-227. من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ1 التدوين، مقدمة سادساً: المصادر والمراجع ص63-76. من النص إلى الواقع جـ1 تكوين النص، المقدمة، ثالثاً: أنواع المصنفات 3- الدراسات الثانوية ص36-37.

قد تفيد في القراءة الأولية للإحاطة بالموضوع ولكن لا يمكن الاعتماد على أحكامها ونتائجها. وهي في النهاية نوع من الدراسات الثانوية التي تسودها النزعة العلمية كما تسود الدراسات العربية النزعة الخطابية[34].

د ـ **الأسلوب**: والأسلوب المتبع هو الأسلوب الإنساني المباشر خارج المصطلحات والتحليلات النظرية المعقدة. فالتصوف تجربة إنسانية تعبر عن نفسها ببساطة ووضوح قبل أن تكون تحليلات نظرية خالصة أو شطحات أو إشارات أو رموز. وإذا كانت الغاية إعادة بناء التصوف كثقافة شعبية موروثة من خلال الأفعال العامية من أجل إعادة بناء الثقافة الوطنية فإن ذلك يتحقق بالأسلوب المباشر بعيداً عن الإغراق في التنظير حتى لو تعلق الأمر بالتصوف الفلسفي. فليس العلم هو شكل الخطاب بل مضمون الخطاب.

وقد استعمل الصوفية أنفسهم النثر والشعر للتعبير عن مواجيدهم. كما استعملوا كل فنون الكلام من تصريح وكناية وإشارة ورمز وإيماء وإيحاء خاصة في التصوف النفسي. وكبار الصوفية هم كبار الشعراء، وكبار الشعراء هم كبار الصوفية مثل ابن الفارض.

وهذا لا يعني أي تنازل عن الأسلوب العلمي الدقيق، بل هو السهل الممتنع الذي يجمع بين الدقة والتوجيه، بين التحليل النظري والتوجه العملي. يخاطب الخاصة والعامة في آن واحد. هو نوع من الدراسات الوطنية التي تجمع في نفس الوقت بين هموم العلم والوطن، وهو ما اتبع من قبل في أجزاء مشروع «التراث والتجديد» الثلاثة السابقة.

3 ـ السمات العامة للتصوف

وكما أن لكل علم سماته العامة كذلك للتصوف سماته العامة[35]. قد يشارك في بعضها علم أصول الفقه.

(34) التراث والتجديد. ثالثاً: أزمة المناهج في الدراسات الإسلامية ص75-121.

(35) من النص إلى الواقع جـ1 تكوين النص، المقدمة. ثانياً السمات والمنهج 1- السمات العامة لعلم أصول الفقه ص18-23.

أ ـ التصوف علم عملي مثل علم أصول الفقه: غايته تحويل الناس من النظر إلى العمل عن طريق الرياضة والمجاهدة. ليس علماً تأملياً أو منطقياً بل هو علم يهدف إلى تغيير سلوك الناس. فالعلوم العقلية النقلية نوعان: علوم نظرية كأصول الدين وعلوم الحكمة، بالرغم من وجود الحكمة العملية ولكنها حكمة عملية نظرية، وعلوم عملية وهي علم أصول الفقه وعلوم التصوف. وهو يعبر عن الموقف القرآني والكوجيتو العملي ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟﴾، ﴿يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ﴾، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

ب ـ وهو علم منهجي مثل علم أصول الفقه: يتحول فيه المنهج إلى منهج حياة. وليس منهجاً عقلياً للاستدلال. وهو منهج صاعد يقوم على التأويل من «أول» أي رجع إلى المصدر الأول، وليس منهجاً نازلاً يقوم على التنزيل كما هو الحال في علم أصول الفقه، استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها اليقينية. لهذا السبب نشأ صراع بين الفقهاء أنصار التنزيل والصوفية أنصار التأويل. في التصوف الحقيقة في السماء وفي أصول الفقه الحقيقة في الأرض. والطريق إلى الله طريق أفقي صاعد، من الأخلاق إلى النفس إلى الميتافيزيقا، من علم الجوارح إلى علم القلوب إلى علم العقول، من وحدة الذات إلى وحدة الشهود إلى وحدة الوجود.

جـ ـ وهو علم ذوقي: يعتمد على التجربة والمشاهدة العيانية وليس علماً نظرياً استدلالياً كما هو الحال في علوم الحكمة أو علماً استنباطياً استقرائياً كما هو الحال في علم أصول الفقه. الصوفية أهل ذوق في مقابل المتكلمين والحكماء والأصوليين أهل النظر. ويتجلى الذوق في الحدس المباشر، في الكشف والمكاشفة، في العلم اللدني الذي يقذفه الله تعالى في القلب بلا تعب ولا نصب. في حين أن باقي العلوم الإسلامية علوم برهان واستدلال، مقدمات ونتائج. الذوق يقين والنظر شك. هو علم يقيني في مقابل العلوم الإسلامية الظنية حتى ولو كانت علوماً برهانية. الجدل هو علم اليقين. والحكمة عين اليقين. أما التصوف فهو حق اليقين. هو العلم الذي فتح آفاق الشعور والوجدان وتحليل الخبرات الحية وعالم الباطن، الذوق، والقلب، والروح، والخاطر. فالعالم شعوري، والعلم شعوري. الموضوع والمنهج شعوريان. لذلك ارتبط بالأدب خاصة التجربة الشعرية.

د ـ وهو علم باطني يذهب إلى ما وراء الظاهر: الظاهر مجرد علامات أو إشارات على معاني باطنية. لذلك ارتبط التصوف بالنزعات الباطنية كما فعل الغزالي في «المستظهري» أو «فضائح الباطنية» لذلك نقده الفقهاء وأهل الظاهر. دوَّن بعض الصوفية تفاسير صوفية مثل الحلاج والتستري والقشيري وابن عربي وغيرهم. وبجانب التفاسير اللغوية والفقهية والفلسفية والكلامية والتاريخية هناك التفسير الصوفي. فالحقيقة لها ظاهر وباطن. المتكلمون والأصوليون والفقهاء يتعاملون مع الظاهر. والصوفية وحدهم يعكفون على الباطن. وقد أنزل القرآن بنص حديث الرسول على سبعة أحرف. وقد حول الصوفية منطق الاشتباه عند الأصوليين: الحقيقة والمجاز، الظاهر والمؤول، المحكم والمتشابه، المجمل والمبين، المطلق والمقيد، العام والخاص، للآيات المتشابهة إلى منطق محكم للغة على الإطلاق ثم التحول من اللغة إلى الوجود، من الاشتباه اللغوي إلى الاشتباه الوجودي.

هـ ـ وهو علم حركي لا ثبات له: النفس متحركة، والعالم متحرك، والله كل يوم هو في شأن. ينتقل الصوفي من مقام إلى مقام، ومن حال إلى حال، ومن وحدة الذات إلى وحدة الشهود إلى وحدة الوجود، ومن حرف إلى حرف، من الحرف الأول إلى الحرف السابع. ينتقل من التنزيل إلى التأويل، ومن التأويل إلى التنزيل، من الخارج إلى الداخل، ومن الداخل إلى الخارج، من الأنا إلى الآخر، ومن الآخر إلى الأنا، من الله إلى العالم في الحلول، ومن العالم إلى الله في الاتحاد. والتوحيد حركة من وحدة الذات إلى وحدة الشهود إلى وحدة الوجود، رد فعل على التصور الثابت لله في نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء عند المتكلمين. والمقامات والأحوال في ارتقاء مستمر، من التوبة إلى الفناء.

و ـ ويبدع التصوف عالماً من صنع الخيال الخلاق بديلاً عن عالم الواقع الذي تم نفيه واستبعاده والتراجع عنه بعد أن أصبح عصياً على الطاعة، لا يمكن تغييره: عالم الخيال ميسور خلقه، يسهل اتّباعه. وهو ليس من صنع الوهم بل هو حقيقة بديلة تصنعها الروح، وينسجها الخيال. هو عالم الأقطاب والأبدال، عالم الأرواح المتآلفة، عالم الملأ الأعلى. فالحقائق ليست في عالم الأعيان بل في عالم الأذهان بتعبير الفلاسفة. والحقائق العلوية من وضع الخيال. لذلك امتزجت

التجربة الصوفية بالتجربة الأدبية الإبداعية لفنون القول خاصة الشعر ثم النثر ثم القصة. وقد يكون عالم الخيال أكثر واقعية من عالم الواقع. وقد يكون أكثر تأثيراً من علم الأخلاق.

ز ـ وهو علم إنساني يبدأ من «الإنسان الكامل» الإنسان الأخلاقي، وهو الإنسان المتعين: وينتهي أيضاً «بالإنسان الكامل» وهو الله كما هو الحال عند ابن عربي وعبد الكريم الجيلي الذي طالما غاب في علم أصول الدين لصالح الإنسان الكامل وحده كما تجلى في نظرية الذات والصفات والأفعال والذي انقسم في علوم الحكمة إلى بدن ونفس، بدن في الطبيعيات، ونفس في الإلهيات. فإذا سئل: لماذا غاب مبحث الإنسان في تراثنا القديم؟ كانت الإجابة بل حضر بوضوح في التصوف[36]. ومن ثم لا تدعي حضارة واحدة فقط مثل الحضارة الأوروبية إنها هي الوحيدة صاحبة النزعة الإنسانية. في حين مثلها التصوف منذ إخوان الصفا حتى ابن عربي: وقد تكون أحد أسباب أزمة حقوق الإنسان في وجداننا المعاصر هو غيابه في التراث القديم وحضوره في التصوف كإنسان إلهي، وفي الأصول عليه واجبات أكثر مما عليه حقوق[37].

4 ـ نشأة التصوف

أ ـ لم ينشأ التصوف من مصدر فارسي أو هندي شرقاً أو يوناني أو مسيحي غرباً نظراً لعيوب منهج الأثر والتأثر[38]. فالثنائيات الفارسية طبيعة بشرية توجد في كل حضارة، في الأخلاق والتصوف. وإذا كان بعض الصوفية من أصل مجوسي فإن غيرهم ليسوا كذلك في مصر والشام والمغرب[39].

---

(36) أبو بكر عبد الله بن شاهاور الرازي: منارات السائرين ومقامات الطائرين، الباب الخامس: في مقام الإنسان. الباب السادس: في مقام الخلافة المختصة بالإنسان، المقام السابع: في مقامات الإنسان عند رجوعه إلى ربه ص 229-292.

(37) انظر بحثنا: لماذا غاب مبحث الإنسان في تراثنا القديم؟ دراسات إسلامية، ص393-415.

(38) التراث والتجديد ص102-110.

(39) هذا هو رأيي تولك Thoulk لأن بعض الصوفية كانوا من المجوس، ويشاركه دوزي Douzy الرأي..

والفقر الهندي والحلول والاتحاد أيضاً في كل حضارة مستقلة عن الأخري. ولا يعني أن بعض الصوفية من أصول هندية أن التصوف هندي. ولا يعني انتشاره في خراسان وتركستان أنه أسيوي، ودراسة البيروني عن الهند دراسة علمية تاريخية حضارية لا تعني تأثر التصوف الإسلامي بالهند. وإبراهيم بن أدهم هذا الأمير الذي تحول إلى صوفي في كل حضارة وليس متأثراً بحياة بوذا. والفناء الصوفي حالة نفسية لا أثر فيها للنرفانا. ورسالة ابن سبعين «الرسالة النورية» التي بها ما يشبه الأذكار الهندية متأخرة للغاية. وما أبعد المغرب عن المشرق[40]. والنحل الصوفية مثل نحلة أورفيوس وفيثاغورث موجودة في كل حضارة «واْعرف نفسك بنفسك» لدى كل حكماء الشرق والغرب مع تغيير اتجاهها إلى أعلى مثل «من عرف نفسه فقد عرف ربه». والأفلاطونية المحدثة بها من تصوف الشرق وليست مصدر التصوف. هي معلولة وليست علة[41]. والتصوف الفلسفي نهاية التصوف متأخر عن التصوف الأخلاقي بداية التصوف. والتصوف المسيحي يتبع طبيعة النفس البشرية والظروف النفسية والاجتماعية والسياسية للجماعة المسيحية مثل التصوف الإسلامي تماماً دون أثر أو تأثر. وكان للعرب قبل الإسلام صلات مع كل الديانات والطوائف وليس فقط مع النصارى، والزهد في كل حضارة[42]. قد ينجح المستشرق في التعرف على العوامل المادية للظاهرة ولكنه لا يعرف المحمول أي دلالة للظاهرة وما تمثله من قصد حضاري.

ب ـ لم ينشأ التصوف نشأة داخلية من الكتاب والسنة باجتزاء بعض الآيات والأحاديث دون غيرها. وإلا أصبح الكتاب والسنة يمثلان نزعة دنيوية بآيات وأحاديث أخرى مجتزأة من سياقها. وفي كلتا الحالتين يرد الجزء إلى الكل. والتصوف رد فعل على الكلام والفلسفة وأصول الفقه والفقه وليس نابعا منها. والطرق الصوفية ظاهرة اجتماعية في مجتمعات الفقر والوفرة على حد سواء،

---

(40) هذا هو رأي هورتن وهارتمان.

(41) هذا هو رأي نيكلسون.

(42) هذا هو رأي فون كريمر Von Krämer وجولد زيهر Goldizieher ونيكلسون Nicholson، وآسين بلاثيوس Asin Palacios وأوليري س leary. وأبو الوفا التفتازاني: المدخل إلى التصوف الإسلامي ص29-40، مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام ص 13-18.

تعويضاً عن الفقر وإشباعاً للروح. وفي القرآن مجاهدة النفس وجهاد العدو على حد سواء، ومقامات مثل الصبر ورفض الصبر ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ على حد سواء، والتوكل والاعتماد على النفس، والرضا والغضب، وأحوال مثل الخوف والحزن ورفضها ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾. والرضا بالتخلف والقعود مذموم ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾. وحياة الرسول بها تأمل وحرب، تهجد ويقظة، روح وجنس، عزلة وصحبة، عبادة ومعاملة، قوة وضعف، كمال إلهي ونقص بشري، حلم وغضب، تسامح وانتقام، رحمة وعدل، شفقة وعداوة، معاشرة واعتكاف، تواضع واعتزاز بالنفس، حياء وصراحة، فلا حياء في الدين، عطاء و تقتير على النفس، ولاية ومسكنة «**اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، وأحشرني في زمرة المساكين**»، دعاء وفعل.

والصحابة مثله عاشوا حياة الإسلام في كليتها دون إيثار جانب على جانب. وكان الاقتداء في كل شيء في الزواج والحرب، وليس فقط في الحياة الروحية. والحياة الخلقية القائمة على التقوى واليقين والتواضع والمحبة والطهارة والزهد هي حياة خلقية وليست صوفية بالضرورة. ورؤية عمر عن بعد سارية في الشام معروف في علم النفس في تحليل قوى الإدراك. والتمكن قوة ذاتية وليس تدخل إرادة خارجية. ويتفاضل الصحابة في ميزان التعادل بين الحياة الروحية والحياة العملية. والصحابة في عصر ونحن في عصر آخر. والتاريخ يتغير. والتقليد ليس مصدراً من مصادر العلم.

جـ ـ لم ينشأ التصوف نشأة شيعية. فلا فرق بين التصوف السني والتصوف الشيعي. والتميز بينهما ينم عن بقايا طائفية وغربية أو استشراق من آثار التاريخ. كما أنه يهدف إلى رفض التصوف الشيعي الذي تغلب عليه نظريات الاتحاد والحلول دفاعاً عن التصوف السني عند الغزالي من أجل تحرير التصوف خاصة الغزالي للإبقاء على سلطته إبقاء على الوضع القائم، إيديولوجية السلطة للحاكم في «الاقتصاد في الاعتقاد»، وإيديولوجية الطاعة للمحكوم في «إحياء علوم الدين»، وتكفير فرق المعارضة في «المستظهري» أو «فضائح الباطنية»، وأخذ الحكم بالشوكة دون البيعة تبريراً للانقلاب العسكري. ومن الطبيعي أن تكون هناك علاقة بين التصوف والتشيع. فقد نشأ كلاهما كحركة معارضة للحاكم الظالم. التصوف

باسم أهل السنة، والتشيع باسم الإمام الغائب، الأول حركة علنية سنية، والثاني حركة سرية باطنية. وكلاهما حركة صامتة. الأولى في العاجل، والثانية في الآجل. الأولى في الحاضر، والثانية في المستقبل، الأولى في النفس، وهو الجهاد الأكبر، والثانية في الواقع والسياسة والدولة.

د ـ إنما نشأ التصوف كتوجه نحو الآخرة كرد فعل على التكالب على الدنيا، والتقاتل على السلطة، وإراقة الدماء في الصراع السياسي على الخلافة في عصر الفتنة الكبرى. اغتصب الأمويون السلطة. وبايع الناس خوفاً وطمعاً. واستشهد الأئمة من آل البيت وفي مقدمتهم الحسين. واستحالت المقاومة. فآثر فريق العزلة والانشغال بالتجارة الحلال لأنه إذا اقتتل المسلمان فالقاتل والمقتول في النار. القاتل لأنه قاتل، والمقتول لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه، والأعمال بالنيات. وآثر فريق ثالث اعتزال الدنيا برمتها، السياسة والتجارة، السلطة والثروة، والانشغال بإصلاح النفس بعد أن استعصى عليهم تغيير العالم. وحاولوا تطهير النفس من الرغبات والأهواء والدوافع والميول، والشهوات وحب الدنيا. وخلقوا بالخيال عالماً بديلاً من الأقطاب والأبدال يعيشون فيه، مدينة روحية سماوية بدلاً من المدينة المادية الأرضية، مدينة يعيش فيها أهلها في محبة وألفة وسلام، وليست مدن الخلافة والإمارة التي يتقاتل عليها طلاب الدنيا وحب الجاه والمال والثروة. فالتصوف نشأ من الداخل وليس من الخارج. وهذا الداخل ليس الكتاب والسنة أي النص بل من الواقع الاجتماعي السياسي ورد الفعل عليه.

هـ ـ كما نشأ التصوف كمنهج ذوقي وكرد فعل على العلوم العقلية التي جعلت العقل أساس النقل كالمعتزلة والفلاسفة. صحيح أن الوحي والعقل شيء واحد ولكن بإضافة الحدس والواقع. فالتصوف يعتمد على الكشف والحدس والرؤية المباشرة. ولا يكتفي بعلم اليقين عند المتكلمين، ولا بعين اليقين عند الفلاسفة، بل يذهب إلى حق اليقين. وفي كل حضارة الرومانسية رد فعل طبيعي على «الكلاسيكية». أو الوجدانية و العاطفية رد طبيعي على العقلانية أو الصورية.

ز ـ نشأ التصوف أيضاً كرد فعل على ثنائيات المتكلمين والفلاسفة وتقسيمات الأصوليين وتفريعاتهم. فقد وقع المتكلمون والفلاسفة باسم الدفاع عن التوحيد في ثنائية حادة: الخالق والمخلوق، الواحد والكثير، العلة والمعلول، الجوهر

والعرض، القديم والحديث، الواجب والممكن التي تفصل بين الله والعالم. فحدث رد فعل عند الصوفية لرد الاعتبار للتوحيد في الحلول أو الاتحاد، وحدة الشهود أو وحدة الوجود بين الله والعالم، وبين الله والإنسان. الثنائية الأولى ظاهر، والتوحيد الثاني باطن.

الباب الأول

الوعي التاريخي

أولاً: تشكل الوعي التاريخي:

التصوف كتاريخ هو تاريخ الوعي الصوفي. ليس المقصود بالتصوف كتاريخ تاريخ التصوف، بل وصف الوعي الصوفي الذي يبدو من خلال تاريخ التصوف[1]. ويتم ذلك عن طريق رصد الأعمال الصوفية تاريخياً، مرتبة ترتيباً زمانياً حتى يظهر من خلالها مسار الوعي الصوفي. وهو البديل عن الأبواب والفصول الأولى المعتادة في كتب الفكر عن الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي ظهر فيها. وقد تكررت هذه العادة بحيث أصبحت مجرد مادة تاريخية لا صلة لها بالفكر موضوع البحث، مجرد استيفاء لشروط البحث العلمي. فالنص مكتف بذاته، تاريخاً وبنية، واقعاً وفكراً. النص يحمل التاريخ في ثناياه، بعباراته الدالة على العصر مثل «زماننا»، «عصرنا». التاريخ داخل النص وليس خارجه. والنص عاكس للتاريخ وليس منفصلاً عنه. النص ذات وموضوع، من المؤلف ومن عصره. النص حامل للتاريخ لأن المؤلف في التاريخ. فلا إبداع إلا في زمان ومكان. ولا تأليف إلا في عصر. وهذا هو الذي يبرر استعمال لفظ «الوعي» بدلاً من التصوف في «الوعي التاريخي» و«الوعي التاريخي الموضوعي» و«الوعي الموضوعي» و«الوعي النظري» و«الوعي العملي». أما «الوعي العلمي» فيعني حصيلة تطور الوعي الصوفي في وضع التصوف كعلم داخل نسق العلوم، علوم الذوق في مقابل علوم النظر، علم الكشف في مقابل علوم الاستدلال.

---

(1) وهذا ما فعل هيجل في «ظاهريات الروح» عندما وصف تطور الوعي الأوروبي من خلال حقبات تاريخه اليوناني والوسيط والحديث.

هناك أعمال صوفية سابقة على تجلي الوعي التاريخي. وتعتبر من عناصره أو مكوناته التي بلغ تراكمها حداً يسمح بظهور الوعي التاريخي وتسمى أيضاً ما قبل الوعي التاريخي أي أعمال الصوفية الأوائل التي ساهمت في ظهور الوعي التاريخي. وقد ظهرت هذه الأعمال في القرون الثلاثة الهجرية الأولى. ومن الصوفية الذين ساهموا في بلورة الوعي التاريخي من القرن الثاني حتى القرن الرابع ولم يتركوا أعمالاً رابعة العدوية (185هـ). ومن أبرزهم وأقلهم إنتاجاً الحسن البصري (110هـ)، جعفر الصادق (148هـ). ونموذجها في التصوف الخلقي وغزارة الإنتاج المحاسبي (243هـ)[1]. ولم يترك الجنيد (277هـ) إلا أعمالاً صغيرة متناثرة، وأبو سعيد الخراز (286هـ) في كتاب الصدق أو الطريق السالم (الطريق إلى الله). ثم يأتي الترمذي (270هـ) بغزارة مؤلفاته مثل المحاسبي[2]. ثم يأتي الصقلي المالكي(380هـ) في «الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار».

وقد ساهم فيه الفقهاء أيضاً مثل أحمد بن حنبل (240هـ) في «كتاب الزهد»، وابن أبي الدنيا (281هـ) في «كتاب الشكر» و«الصمت وحفظ اللسان» وأبي عاصم (282هـ) في «كتاب الزهد».

1 ـ الوعي التاريخي الغيبي (التنبؤ بالمستقبل وتفسير الأحلام)

هو أول مكوّن للوعي الصوفي بكتابات خيالية منتحلة أو غيبية أو باطنية. أصحابها من أوائل الصوفية. ولهم عدة كتب أهمها:

أ ـ كتاب «الجفر الجامع والنور اللامع» لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب[3]

وهو من المنتحلات المنسوبة إلى علي بن أبي طالب لا يتفق مع وصاياه ومواعظه في كتاب «الحجة البالغة» المنسوب إليه أيضاً. وعلم الجفر هو علم قراءة

(1) وله «مبدأ من أناب إلى الله» (التوبة)، «التوهم»، «البعث والنشور»، «رسالة في التصوف»، «رسالة المسترشدين»، «شرف العقل وماهيتة»، «الوصايا» (النصائح الدينية والنفحات القدسية)، «القصد والرجوع إلى الله»، «فهم الصلاة»، «المسائل في أعمال القلوب والجوارح» «الرعاية لحقوق الله».

(2) أهم مؤلفات الترمذي: كتاب الرياضة، أدب النفس، غور الأمور، ختم الأولياء.

(3) مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1971م-1391هـ.

المستقبل، ورؤية الطالع عن طريق الحروف[1]. ويمكن الاستدلال على الحاضر بالماضي، وعلى المستقبل بالحاضر، والتبشير بوقوع الحوادث[2]. فهو على جريان الحوادث في التاريخ. ويمكن معرفة مساره من التقابل بينها وبين عالم الحروف والأفلاك. وهو أحد أشكال الوعي التاريخي. ومؤسسه علي وبنوه تقديراً لعلي مما يدل على ارتباط تشكل الوعي التاريخي وعلم الجفر والحدثان بالشيعة من علي حتى جعفر الصادق. والبعض يرجعه إلى الوافد اليوناني أفلاطون. وعلي هو مؤسس علم الكلام في جدله مع الخصوم، وعلم أصول الفقه في قدرته على التشريع واستنباط الأحكام، وعلوم الحكمة التي فيها فلسفة التاريخ وقراءة المستقبل وعلم الحروف وعلم الطوالع وعلم النجوم. وهو أيضاً موضوع التصوف النظري.

والجفر جلد البعير المرقوم بالحروف المكنوز فيها حوادث المتقدمين والمتأخرين. وقد يعني مفتاح الروح والقلم والحكمة. وقد يعني في علم الحروف القضاء والقدر، وعند الصوفية مفتاح أسرار الغيب، وعند أهل الملاحم سر حوادث الدهور[3]. ويعتمد الكتاب على مقتطفات تدل عليها العلامة «أهـ»[4]. وهو في الحقيقة منتحل على «علي» بالرغم مما يوحى به من حادثة وقعت بين علي بن موسى والمأمون والعهد الذي أعطاه له[5]. وهو أقرب إلى التأليف المتأخر عندما تحول التصوف إلى علم البروج عند البوني (622هـ) في «منبع أصول الحكمة» و «شمس المعارف»[6].

---

(1) «علم الجفر علم بقوانين حرفية يصل بها إلى استنباط المجهولات من الحوادث الكونية موضوعة الحروف المنجمة في صحائف الجفر الجامع والنور اللامع ليعسوب المؤمنين وما لهم من الحوض المعين علي بن أبي طالب... قد ذكر فيه على طريقة علم الحروف والحوادث، تحدث إلى انقراض العالم. وكانت الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونه ويحكمون به...»، الجفر الجامع ص3.

(2) «اعلم أن الجفر الجامع يمكن أن يفهم منه أحوال الإنسان الماضي والحال والمستقبل أو كيفية الحادثة بهذه الطريقة»، السابق ص3.

(3) السابق ص4.

(4) السابق ص5.

(5) السابق ص3/ 26.

(6) انظر فيما بعد الباب الثاني: الوعي النظري سادساً: تناثر البنية.

وهو مقسم إلى خمس «جواهر» وخاتمة. واللفظ نفسه «جوهرة» إشراقي. الأولى تصف الكتاب على نحو سحري: عدد أبوابه وفصوله وصفحاته وسطوره وأبياته وحروفه وجداوله الهندسية ورسومه التوضيحية الأبجدية والقدرة على قراءتها والاستنباط منها. وهو ترتيب وضعه آدم[1]. والجوهرة الثانية كيفية تعليم الرسوم. والثالثة طريقة استخراج أي سؤال منها في أي وقت وفي أي مكان. والرابعة الطريق الثاني وهي المداخل المختلفة للكتاب، المدخل الكبير ومدخل النقط ومدخل الحروف (الأهطمي والأبجدي). والخامسة التنبؤ بوقوع الحوادث وأحوال الإنسان في الماضي والحاضر والمستقبل عن طريق الحروف «الملفوظية» و«المكتوبية» و«السردرية». وينتهي الوصف بآية قرآنية واحدة ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾. وفي الخاتمة جدول الحروف الأبجدية والهجائية وتقسيمها إلى أيام ومنازل في خمسة جداول مع البروج والكواكب والأعداد والأيام. وآخر فقرة عن كشف الغطاء عن هذا العلم السري حتى لا يعرفه أهل الكفر. ولمزيد من إخفائه حرمه أهله[2].

والسؤال هو : كيف يمكن الانتقال من المجرد إلى العياني، من الحروف والأعداد والرسوم إلى الوقائع والحوادث والأحوال؟ أين إرادة الله أو إرادة الإنسان بصرف النظر عن التوحيد أو التميز بينهما؟ أين اللاحتمية في الطبيعة إذا كان كل شيء مقرراً سلفاً ويمكن للإنسان معرفته وليس تغييره؟ والإيمان بالقضاء والقدر أحد عقائد الكلام والتصوف والحكمة والثقافة الشعبية. والعلم نفسه «علم الجفر والحدثان» له رصيده في تاريخ الأديان في كل الملل[3].

والدليل على انتحالها في عصر متأخر ثم نسبها إلى علي أنها من نفس نوع الرسالة الثانية المجهولة المؤلف، تنتسب إلى الحكمة اليمنية[4]. وقد كتبت بعد

---

(1) الجفر الجامع ص5-13.

(2) «فقد كشفت لك الغطاء. وإن زدنا على ذلك فربما يقف على هذا العلم أراذيل القوم. وقد قرر علماء هذا الفن عدم الجواز في كشفه بل قالوا إنه حرام. وساحة هذا العلم واسعة الفضا لا يسلك فيها إلا بالأخماس والأسداس. إنما الفوز فيه بالمطالب بنجائب الأنس والاستئناس»، السابق ص 13.

(3) ويسمى علم الأعداد La Numerique في اليهودية والمسيحية.

(4) «وهذه رسالة من الشعرة اليمانية»، الجفر الجامع ص14-35.

القرن التاسع الهجري لأنها تشير إلى فائدة عن الشيخ زروق الذي توفي عام 899هـ. وموضوعها علوم النجوم والطوالع والبروج والطبائع مجموعة من أقوال هرمس الحكيم. فهي إلى الوافد أقرب. كما أن الرسالة المنسوبة إلى علي مجموعة من أقوال أفلاطون جمعا بين الوافد والموروث لجمع الحكمتين، أمل الفلاسفة مثل ناصر خسرو. ومادتها نفس الرسالة الأولى مع مزيد من التفصيل والتقسيم إلى فصول، فيما يتعلق بالسنة العربية في دخولها بأول الأسبوع أو دخول السنين بالأيام، وكسوف الشمس وخسوف القمر في الأشهر الرومية. وتدخل الأنواء أو بتعبير القدماء الآثار العلوية مثل ظهور البرق والرعد والمطر في نيسان. ومن البروج يمكن استنباط الحوادث ومن دلائل الأسبوع في السادس من طوبة يمكن معرفة الحوادث في العالم في مستقبل الزمان. ويساعد هذا العلم على معرفة الأيام المنحوسة في السنة وساعات الليل والنهار وما يصلح فيها وما يضر، ومعرفة الكواكب السبعة وما لها من المعاد والساعات السعيدة منها والنحسة، ومعرفة الأيام وخدامها والمدبرون أمرها[1]. ويساعد أيضاً على معرفة ما يعتري الأطفال من الأسقام والأعلال، وعلامات الحياة والممات، وسعة الرزق والبيع والشراء، وكيفية استحضار المندل والتوافق بين الزوجين، ورؤية الأهلة. ويُرسم خاتم يوضع في وسطه قطرة حبر أو زيت![2].

وقد وقع الانتحال في التصوف كما وقع في الفلسفة والكلام وأقله في أصول الفقه. ويتميز الانتحال بالخرافات والأوهام والخزعبلات مثل كتاب «الجفر الجامع والنور اللامع» المنسوب إلى علي بن أبي طالب[3]. وعلى هو باب العلم. تنتسب إليه الأخلاق والكلام والفقه والتصوف كما نسب إليه «نهج البلاغة». وعلم الجفر هو العلم بالقوانين التي يستنبط منها المجهول من الحوادث الكونية الموضوعة في الحروف. وهو أقرب إلى التعرف على قوانين التاريخ «علم الجفر والحدثان».

(1) وهم الملائكة حندس و نيكل و برقيل و نهش و سحردل و تنهش و حنكوش و حراش و شمهورش و ميمون و طمطمان و قرياش وطقطوش وصلصائيل... إلخ، الجفر الجامع ص30-31.

(2) السابق ص 34.

(3) السابق ص3-13.

تفهم منه أحوال الإنسان، الماضي والحاضر والمستقبل وكيفية وقوع الحوادث[1]. والجفر لغوياً هو جلد البعير ويقرأ بكسر الجيم وهي قراءة جعفر الصادق. وبه مفتاح العلوم. ويعني اصطلاحاً القضاء والقدر. وعند الصوفية مفتاح أسرار الغيب، وعند أصحاب الملاحم سر حوادث الدهور.

ويجمع بين الموروث والوافد، الموروث من علي بن أبي طالب وجعفر الصادق، والوافد من أفلاطون. يجمع بين الحروف من الموروث والأعداد من الوافد[2]. ينتقل من المجرد إلى العياني، ومن الحرف إلى الشيء، في حرية مطلقة دون تدخل الإرادة الإلهية أو الإرادة الإنسانية[3]. تقسم الحروف الأبجدية والهجائية إلى الأيام والمنازل أي إلى قسمة زمان الأفلاك. وهو علم سري لا يجوز البوح به لمن ليس أهله.

ومن نفس النوع «رسالة من الشعرة اليمانية»، إحالة إلى شعرة الرسول وموطنه[4]. وهي رسالة في علوم النجوم والطوالع والبروج والطبائع[5]. والغرض التأثير في الأحداث بالوسائل السحرية تعبيرا عن العجز عن الفعل. ويختلط بالطب الشعبي في البيئة الزراعية مع الاستعانة بالكواكب.

ومن نفس النوع «رسالة لطيفة في معرفة الحوادث في مستقبل الزمان» تدخل فيها الأحجبة للشيخ زروق. وكلها فوائد عملية لجلب الخير ودفع الشر. «فالحذر ثم الحذر من تعاطي شيئاً من الأمور». وهي مجموعة من أقوال هرمس الحكيم يختلط فيها الوافد الأسطوري بالموروث الخرافي[6]. فالخير والشر لم يعد في

(1) تعريف الجفر الجامع والنور اللامع، وضع كتاب الجفر الجامع، طريقاً لاستخراج من علم الجفر أي سؤال كان في أي وقت كان في أي مكان كان، في الطريق الثاني، جدول الحروف الأبجدية والهجائية وتقسيمها إلى الأيام والمنازل، السابق ص5-12.

(2) السابق ص5. تذكر آية قرآنية واحدة ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وأفلاطون مرة واحدة.

(3) السابق ص7-13.

(4) السابق ص14-23.

(5) وتتضمن: السنة العربية في دخولها بأيام الأسبوع، معرفة دخول السنين والأيام، كسوف الشمس في الأشهر الرومية، خسوف القمر في السنة الرومية، ظهور البرق، ظهور الرعد والمطر في نيسان، دلائل الأسبوع في سادس طوبة على الحوادث في العالم.

(6) السابق ص23-35. فائدة من الشيخ زروق، فائدة في معرفة الأيام المنحوسة في السنة، =

قدرة الإنسان ولا مرهوناً بإرادة الله بل بأيام الأسبوع ولياليها. ولم يعد الإنسان قادراً على التأثير في الحوادث والسيطرة عليها أو التنبؤ بها في المستقبل إلا من خلال الأحجبة التي يكتبها المشايخ والاستعانة بالأفلاك والطوالع والبروج. وهو ما ترسب في الثقافة الشعبية[1]. وقد تدخل فيها الإسرائيليات نظرا لظهور بعض شخصيات صوتية عبرية صلصائيل، وسمسمائيل، وعنيائيل، وكسفائيل. وتذكر بعض الآيات القرآنية لكتابة الحجاب للتأييد مع بعض الدعوات[2].

والسؤال هو: هل العجز عن الفعل في الدنيا دافع إلى الهروب منها إلى عالم آخر هو عالم السحر والخرافة؟ هل البعد عن الأرض قرب من السماء؟ هل العجز عن التأثير في الأحداث يستدعي التأثير عليها بالحروف والأعداد والبروج والطوالع؟

ب ـ مؤلفات ابن سيرين (110هـ)

1 ـ «منتخب الكلام في تفسير الأحلام»، (تفسير الأحلام الكبير)[3]: وكما تشكل الوعي التاريخي خارج الزمان في الأعداد والحروف والبروج والطوالع فإنه

= في معرفة ساعات الليل والنهار وما يصلح فيها وما يضر يوم الأحد وليلة الخميس، يوم الاثنين وليلة الجمعة، يوم الثلاثاء وليلة السبت، يوم الأربعاء وليلة الأحد، يوم الخميس وليلة الاثنين، يوم الجمعة وليلة الثلاثاء، يوم السبت وليلة الأربعاء، في معرفة الكواكب السبعة وما لها من المعاد والساعات السعيدة منها والنحسة، في معرفة الأيام، وخدامها والمدبرون أمرها، في معرفة ما يعتري الأطفال من الأسقام والأعلال، علامات الحياة والممات. فالأول يرجى وإن عاش كان ملكاً أو أميراً كبير القوم، فائدة أو قياس الأثر، فائدة لسعة الرزق والبيع والشراء، في معرفة استحضار المندل وخدامها الروحانية، معرفة موافقة الزوجين، معرفة ما ينظر إليه عند رؤية الأهلة..

(1) أعوان في العلاج والمندل (الملك حندس) و(نيكل)، في الأعمال الملك (برقيل) الطواف و(دنهش) وسمردل الطيار و(تنهش)...، وأعوان الملك حنكوش وحراش ومجملس ومدحرج الطويل... وخادمه شمهورش وأعوانه ميمون الحرناوي وطمطمان الهادي وقرياش...، وأعوان بليس ودرويس... وخادمه ميمون أبا نوح وأعوانه الأدهم وذوبعة وطقطوش والقبرسم...، السابق ص30-31.

(2) وذلك مثل ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾، ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ والمعوذتان والفاتحة والتكوير والحشر ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ للشفاء، السابق ص32-33.

(3) مكتبة صبيح، القاهرة 1963م-1382هـ.

تشكل أيضاً في الأحلام أي القدرة على معرفة المستقبل بقراءة الرؤيا وتفسيرها. وهو ما فعله التابعي محمد بن سيرين في «تفسير الأحلام الكبير» ثم لخصه في «تعبير الرؤيا». فالتلخيص سابق على الشرح تاريخياً.

والحقيقة أن الكتاب منسوب إلى ابن سيرين. كتب في فترة متأخرة بعد الشافعي (204هـ) لأنه يشير إليه وابن سيرين توفي في 110هـ. جمعه أبو سعيد ووضع مادته في صيغة سؤال وجواب[1]. ولا يعقل أن يشير ابن سيرين إلى نفسه. وتروى عنه حكايات لا يرويها هو عن نفسه[2].

والمقدمة نظرية خالصة تفرق بين الرؤيا والحلم. الأولى من الله، والثانية من الشيطان. وكلاهما من الواقع وحمل همومه والانشغال بها. وهو موضوع موجود في كل الثقافات[3]. وهي حكايات أقرب إلى «ألف ليلة وليلة» وما بها من عجائب ويرتبط بالطب النبوي وبعلم النجوم. ولا يُحال إلى الوافد ويبدو أنه تم تأليفه قبل ترجمة كتاب تعبير الرؤيا لأرطيمدروس. ومع ذلك يُشار إلى الاسكندر[4].

يتكون من تسع وخمسين باباً بعد مقدمة نظرية. ويمكن تجميعها في عشرة مجموعات. الأولى تأويل رؤيا الإنسان بين يدي ربه ورؤيا الأنبياء والمرسلين، والرسول والملائكة والصحابة والتابعين، وهي الرؤيا الدينية. والثانية رؤيا التأويل. تأويل القرآن والإسلام والسلام والمصافحة والطهارة والآذان والصلاة والمسجد والزكاة والصوم والحج والجهاد وهي تأويل شعائر الدين، والذهاب من الظاهر إلى الباطن. والثالثة تضم الأخرويات رؤيا الموت والقيامة والحساب وجهنم والجنة والجن والشياطين وكل ما يتعلق بالحياة بعد الموت. والرابعة رؤيا الإنسان، الشيخ والشاب والعجوز والأطفال والنساء، والإنسان وأعضائه، وما يخرج من الإنسان،

(1) تفسير الأحلام ص 18/ 115/ 372.

(2) السابق ص 3-17.

(3) لأرطيمدروس «كتاب تفسير الرؤيا»، ولشيشرون «التنبؤ بالغيب». وقد أخذه توفيق الطويل موضوعاً لرسالة الماجستير «التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام».

(4) تفسير الأحلام ص 147.

والأمراض والأطعمة والأشربة، والملابس والفرش والأثاث، والنوم والبلايا والنكاح والسفر وأنواع المعاملات، والمنازعات والمخاصمات. والخامسة رؤيا الحيوان والخيل والدواب والوحش والسباع والطيور الوحشية والهوام وأدوات الصيد ودلالاتها الإنسانية. والسادسة رؤيا السلاطين والملوك، والحرب والصناع والركاب والفرسان وكل ما يتعلق بمظاهر الدولة. وهو موضوع السياسة. والسابعة رؤيا الأرض والسماء والبحر والذهب والفضة والنار والأشجار والحبوب والزرع وهي الرؤيا الطبيعية. والثامنة رؤيا القلم والدواة والمداد والنقش، وهي رؤيا العلماء. والتاسعة رؤيا الأضداد كالصعود والهبوط والبخل والإنفاق والحركة والسكون، وأشياء لا يُشاكل بعضها بعضاً وهي رؤيا الحركة. والعاشرة حكايات عن رؤى بعض الصالحين، وهنا يرتبط الموضوع بالصوفية وبذكر أعلام الصوفية[1]. والكرامة جزء من التأويل إذا كان الحلم من معجزات وخوارق للعادات. ويظل يغلب على الموضوعات الدين والجنس والسياسة وهي المحرمات أو المقدسات الثلاثة في الذهن الشعبي.

والرسول هو مؤسس علم الرؤيا بتأويل رؤيا أبي بكر وتأويل جبريل رؤياه[2]. ويُستعمل القرآن كأحجبة وتعاويذ[3]. تكثر في البداية وتقل في النهاية. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[4]. وهل يمكن الاستشهاد بالآيات والأحاديث على تفسير الأحلام؟. التجربة الشعرية مصداق للتجربة القرآنية والنبوية. ويذكر السند مع المتن نظراً لأن العصر سابق على تدوين الحديث، وقريب عهد بعلم الرجال. ويُرى النبي في المنام كعادة المتصوفة[5].

ويقوم التأويل على المطابقة والمشابهة. كل ما يُرى في الحلم له شيء مطابق في الواقع سيحدث في المستقبل. والمشابهة رمزية مثل الحديد للبأس والقوة، والشجرة أو الخنجر لعضو الذكر، والتفاحة لعضو الأنثى... الخ. ولا

(1) السابق ص67.
(2) السابق ص 38-41/ 304.
(3) السابق ص 131.
(4) الآيات(265)، الأحاديث(51)، الأشعار(32)، القدسية(1).
(5) السابق ص 410.

يعبر عن مكبوت نفسي كما هو الحال في التحليل النفسي الغربي الحديث. ويذكر امرؤ القيس[1].

وتكشف معظمها عن الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للبيئة العربية. وكثير منها يشير إلى أحداث سياسية كالسلاطين والخوارج. ومنها أحداث مأساوية مثل مقتل الحسين، ومذابح الحجاج ومظاهر القهر السياسي. ويحال إلى اللغة الفارسية مما يدل على المكون الفارسي في تفسير الأحلام[2].

ويعتمد على أقوال بعض الصوفية مما يدل على بداية التراكم التاريخي[3]. كما يتناول بعض تعريفات التصوف مثل التوكل وقصر الأمل[4]. كما يعتمد على الإسرائيليات وقصص الانبياء، سليمان ومريم[5]. وهناك إحالات مستمرة إلى اليهود والنصارى وأهل الذمة[6]. وتقتبس بعض الآيات من الكتب المقدسة.

2 ـ كتاب تعبير الرؤيا:[7] وهو اختصار لتفسير الأحلام الكبير. ولا يُعرف ما الدافع إلى الاختصار وكيف تم ومن الذي قام به؟ فقد انخفض عدد الأبواب من تسع وخمسين إلى خمس وعشرين أي أقل من النصف. قلت فيه الأدلة النقلية والأمثلة وتفصيلات الموضوعات.

وكما لم يكتب ابن سيرين «تفسير الأحلام الكبير» لم يكتب ملخصه «تعبير الرؤيا» لأنه يشير إلى نفسه كموضوع، ويذكر صوفية عاشوا بعده مثل سعيد بن المسيب وجعفر الصادق والشافعي وأبو حنيفة. كما يشير إلى بعض الطرق الصوفية

(1) مثل: بشر بن الحارث، الطرطوسي، الحسن البصري، سفيان الثوري، الكرماني، السهروردي، التستري، جعفر الصادق، الحسن بن علي، الباهلي.

(2) السابق ص25/ 311.

(3) السابق ص26/ 280.

(4) السابق ص 411.

(5) السابق ص 2/ 49/ 179.

(6) السابق ص 187/ 330/ 382/ 384.

(7) الشيخ محمد بن سيرين (رحمه الله ونفعنا بعلومه. آمين): كتاب تعبير الرؤيا، مكتبة صبيح، القاهرة (د.ت) وهي طبعة مختصرة لكتاب «تفسير الأحلام الكبير»، (الإمام الهمام محمد بن سيرين نفعنا الله به. آمين)، صبيح القاهرة 1382هـ-1963م.

المتأخرة مثل القادرية. ويشير إلى بعض الأمراء مثل المنصور، وعبد الملك بن مروان، ومروان ابن عبد الملك. ويظهر أعلام الصوفية مما يدل على تشكل الوعي التاريخي[1].

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[2]. ويتحول القرآن إلى أحجبة وتعاويذ. وهي نفس الموضوعات العشر في «تفسير الأحلام الكبير»: الطبيعيات مثل الملائكة والأنبياء السابقين والجنة والنار والموت. والموضوعات الطبيعية مثل السماء والشمس والقمر والنجوم والرعد والبرق والأمطار والمياه والبحار، والجبال والأبنية والأشجار والثمار والحبوب. والموضوعات الإنسانية مثل الشراب والنساء والنكاح واللباس والجواهر والحلي والأواني والحرف والصناعات والملاهي. وتبرز موضوعات الحيوان كالإبل والبقر والغنم والماعز والخيل والفيل والسبع، مع موضوعات الهوام والحياة والعقارب وحيوان الماء والسمك والطيور. ثم يظهر تأويل بعض سور القرآن التي تتحول إلى أدعية وأحجبة لقضاء الحاجات[3]. وكل ذلك يتم في إطار نسبية المعرفة «الله أعلم».

ويمكن اعتبار كتاب «تعبير الرؤيا» أول كتاب في التأويل ولكن تأويل الأحلام، وقد يحتار مصنفو النصوص أين يصنفونه وفي أي علم؟ في علم النفس وهو جزء من علوم الحكمة أم علوم التصوف في الرؤيا أو في الكلام في النبوة أو في علوم التفسير؟ والحقيقة أنه أدخل في التصوف باب التأويل في الفلسفة الإلهية في المرحلة الثالثة بالرغم من امتداد جذوره في المرحلة الثانية، المرحلة النفسية، في تأويل الشطحات. وهي مجموعة من الروايات المنقولة وليست الموضوعات المدروسة. وقد تدخل فيها الإسرائيليات. يعتمد على الموروث وحده، القرآن والحديث[4]. ويضاف الشعر إلى القرآن[5]. تغلب عليه السطحية والمباشرة في

---

(1) مثل: جعفر الصادق، سعيد بن المسيب. ومن الفقهاء الشافعي، أبو حنيفة. ومن الطرق الصوفية القادرية.

(2) الآيات (23)، الأحاديث(4)، الشعر(1).

(3) تعبير الرؤيا ص 58-62.

(4) يشمل المختصر 22 آية.

(5) كتاب تعبير الرؤيا ص58.

الرمزية ولكنه أصيل خاصة في هذا العصر المبكر[1]. وتنقسم الرؤيا طبقاً لعدة مجالات[2].

2 ـ الوعي التاريخي التفسيري

ويعني مساهمة اللغة في تشكل الوعي التاريخي عن طريق علم التفسير. فالتفسير التقليدي هو معرفة بالواقع التاريخي، وعلم بأخبار السابقين. وقد بدأ التفسير الصوفي مبكراً مثل «تفسير جعفر الصادق وتفسير القرآن العظيم» للتستري(293هـ)».

أ ـ «تفسير جعفر الصادق» (148هـ)[3]: شارك التفسير مثل الفقه في تشكيل الوعي التاريخي الصوفي. وهو ليس تفسيراً طولياً، سورة سورة، وآية آية، من الفاتحة حتى الناس بل هو تفسير عرضي. وهو التفسير الموضوعي الذي تعطى فيه الأولوية للبنية على التاريخ، وللموضوع الكلي في كل الآيات على تناوله الجزئي المقتطع في عديد من الآيات. تقطع السور إلى آيات، والآيات إلى ألفاظ، والألفاظ إلى حروف، ثم من الحرف إلى النبي، ومن اللغة إلى الله. فاللغة إشارة إلى مشار إليه. بل إن سورة الفاتحة التي تفسر كلية تقطع آياتها إلى ألف بل وإلى حروف كما يفعل الصوفية المتأخرون خاصة ابن عربي[4]. والآيات منتقاة مما يسمح بالتأويل الباطني مثل القصص إبراهيم وموسى ويوسف. وهي ليست مرتبة ترتيباً تاريخياً بل هي منتقاة طبقاً للموضوع والقرآن نفسه ليس مرتباً ترتيباً تاريخياً.

هو تفسير إشاري رمزي تأويلي. يترك الظاهر إلى الباطن، وينتقل من التنزيل

---

(1) أ- رؤية الجنة، والملائكة والأنبياء والصالحين والعلماء والكعبة والآذان والصلاة والحج.
ب- رؤية السماء والشمس والقمر والنجوم والقيامة والجنة والنار، والأمطار والرعد والبرق ومياه الآبار والبحار والسواقي والطين والوصل وأنهار السفن.

(2) أ- رؤية الموضوعات الدينية، ب- رؤية الموضوعات الطبيعية، جـ- رؤية الأشجار والحيوان والأشربة والخيل والبغال والوحوش والهوام، د- تأويل النساء والرجال والنكاح والحمل والولادة، هـ- رؤية الرقي، و- الكسوة واللباس، الجواهر والحلي والأواني، ز- رؤيا السلاح، ح- تأويل الحرف والصناعات والملاهي.

(3) Beyrouth, Imprémerie Catholique,1968.

(4) السابق ص 188-190.

إلى التأويل، ومن الخارج إلى الداخل، ومن النظر إلى الذوق، ومن الشيء إلى الوجدان، ومن أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب، ومن الكون إلى الإنسان. الغاية عملية وليست نظرية، وهي طهارة القلب. يستعمل لغة النور. وتظهر موضوعات التصوف مثل المقامات والأحوال، وبداية الانعراج كرد فعل على السقوط، والصعود إلى أعلى كرد فعل على الانحدار إلى أسفل. وتبدأ القبة السماوية في الظهور، الوجود الواحد، غطاء كل شيء، وحدة كل شيء في كل شيء، في تفسير الصفات الإلهية. وهو منقول عن «حقائق التفسير» للسلمي الذي يشهد له بأنه أول من عبر عن خطابه بلسان أهل الحقيقة مع أبي العباس بن عطاء[1]. يقوم التفسير على نظرية في المطابقة أي إيجاد الموضوع الذي تشير إليه الآية. وهو موضوع شعوري، وتجربة حياتية أي تاريخ ذاتي. كان الصوفية من أوائل الذين وضعوا قواعد التفسير الباطني عند جعفر الصادق (148هـ)، والتستري(319هـ) في «تفسير القرآن العظيم»، والقشيري (465هـ) في «لطائف الإشارات» قبل كبار المفسرين المؤرخين كالطبري وابن كثير. فكانوا من أوائل الذين أحالوا النص القرآني ليس إلى حوادث التاريخ بل إلى التجارب الشعورية والمواقف الإنسانية.

ومع ذلك، هو تفسير بالمأثور، تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالحديث[2]. وفي الحديث يقترن السند بالمتن، فجمعه وتدوينه لم يكن قد بدأ بعد. ويغيب الشعر. فقد ورثه القرآن واستولى على الوجدان العربي قبل أن يعود الشعر من جديد ليعبر عن الوجدان العربي في القرون المتأخرة، ويصبح أداة لتدوين العلوم التي وقعت في الصورية والتجريد.

والمقدمة النظرية تضع بذور منهج للتفسير الباطني. إذ يقوم الكتاب على أربعة أشياء: العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق. لذلك سمى القشيري تفسيره فيما بعد «لطائف الإشارات». العبارة للعوام، والإشارة للخواص،

---

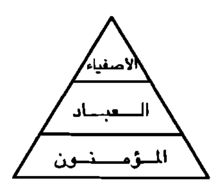
(1) «ولم يشتغل أحد منهم بجمع فهم خطابه على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة نسبت إلى أبي العباس بن عطاء وآيات ذكر أنها عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما على غير ترتيب»، السابق ص 188.

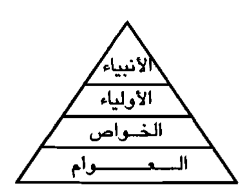
(2) الآيات (415)، الأحاديث (3).

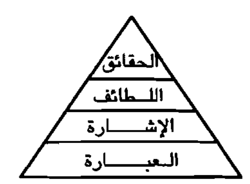
واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء[1].

كما تظهر القسمة والعدد والإحصاء طبقاً للمستويات. فالشهادة تقوم على أربعة أركان: اتباع الأمر، واجتناب النهي، والقناعة، والرضا[2]. وقد تحول الرابع فيما بعد إلى مقام. والنداء أي الإيمان له أربع خصال: نداء، وكتابة، إشارة، وشهادة. ويستحيل على الإنسان بالنسبة لله ثلاثة أشياء: التجلي، والوصلة، والمعرفة. وقد تتكاثر المستويات وتتراتب إلى اثني عشر مقاماً لتفسير ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾، وهي مقامات المعرفة[3]. وقد تتراتب في سبع فقط تفسيراً لآية ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾، سبع كرامات[4]. وقد تتعدد الأنواع بالعشرات بحيث تفقد القسمة غايتها وهو الحصر مثل قسمة النور إلى سبع وثلاثين نوعاً[5]. يتكرر بعضها مثل الجلال. ثم يُعاد جمعها في أربع فقط في السماء[6]. وأربع في الأرض[7]. والحرمات أربع[8]. والمؤمنون ثلاثة[9]. وتحيل حروف

(1) تفسير جعفر الصادق ص 188.







(2) السابق ص 191/ 194/ 196-197/ 205/ 211-212/ 217/ 230.

(3) وهي: التوحيد، العبودية، الإخلاص، الصدق، التواضع، الرضا والتفويض، السكينة والوقار، السخاء والثقة بالله، اليقين، العقل، المحبة، الأنس والخلوة.

(4) وهي: الهدي، والنبوة، والرحمة، والشفقة، والمودة والألفة، والنعيم، والسكينة.

(5) وهي: حفظ القلب، الخوف، الرجاء، التذكر، النظر، العلم، الحياء، حلاوة الإيمان، الإسلام، الإحسان، النعمة، الفضل، الآلاء، الكرم، العطف، القلب، الإحاطة، الهيبة، الحيرة، الحياة، الأنس، الاستقامة، الاستكانة، الطمأنينة، العظمة، الجلال، القدرة، الألوهية، الوجدانية، الفردانية، الأبدية، السرمدية، الديمومة، الأزلية، البقاء، الكلية، الهوية.

(6) أنوار السماء: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

(7) أنوار الأرض: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي.

(8) وهي: حرمة الخلق، حرمة المؤمنين، حرمة الرسول، حرمة الله.

(9) وهم: المؤمنون، العباد، الأصفياء.

الكلمات إلى الألوهية وتجلياتها. فلفظ (الصمد) خمسة أحرف. الألف الأحدية، واللام الألوهية، لا ينطقان باللسان لخفائهما. والصاد الصدق، والميم الملك، والدال الدوام .

ب ـ **تفسير الحلاج (309هـ)**[1]: وهو تفسير منتقى من بعض السور وبعض الآيات منها للتحول من الخارج إلى الداخل، ومن الظاهر إلى الباطن[2]. ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر. والحلاج شاعر وصاحب ديوان. ويظهر تأويل الحروف والانتقال من الحروف إلى الوجود. فالاسم هو أمر الكينونة. والنتيجة هي الكشف والعلم اللدني ومعرفة التوحيد.

وتظهر موضوعات التصوف من خلال التفسير، الأخلاق أو المقامات والأحوال أو التوحيد أو علامات الطريق. فالتصوف ظاهر وباطن، عبادة وطاعة، جوارح وقلوب. ومن الفضائل التقوى والصدق والإخلاص. ومن الرذائل الظلم والمكر والتلبيس وزينة الدنيا. وتظهر بعض المقامات مثل المحبة وهو معنى الطريق المستقيم في الفاتحة والتوكل والصبر والتوبة والشكر والرضا بالقضاء والقدر. كما تظهر بعض الأحوال مثل الخوف. والطريق ذكر ضد الغفلة والغور في النفوس ونزول البلاء والامتحان والفقر. والله هو الحق، والشهادة عليه منذ عهد ﴿أَلَسْتُ﴾، شهادة الخلق كله على التوحيد، شهادة الفطرة وحمل الأمانة.

ويخصص الحلاج جزءاً من أعماله لموضوع التفسير داخل أعماله الصغرى دون أبواب أو فصول مع انتقاء لبعض الآيات المتناثرة. هو أقرب إلى التفسير

(1) الأعمال الكاملة، رياض الريس، بيروت 2002م، ص109-158.

(2) تذكر 69 سورة من مجموع 114 سورة. والآيات المنتقاة 225 آية. الأنعام(10). الأعراف(9). الكهف(7). البقرة، آل عمران، يونس، النور(6). النساء، المائدة، الفرقان، الزمر (5). التوبة، يوسف، مريم، طه، الأنبياء، المؤمنون، القصص، يس، ق، المجادلة (4). الفاتحة، هود، الرعد، الإسراء، الأحزاب، الصافات، الحديد، النجم، المدثر (3). إبراهيم، النحل، الروم، فاطر، الفتح، الحجرات، الطور، الرحمن، التكوير، الغاشية، البينة، التكاثر (2). الحجر، النمل، السجدة، ص، غافر، الدخان، الأحقاف، محمد، القمر، الواقعة، الحشر، الجمعة، التغابن، الطلاق، القلم، الحاقة، الجن، الانفطار، البروج، الفجر، القدر، الزلزلة، الكافرون، الإخلاص، الفلق (1).

الجزئي وليس الموضوعي[1]. ويدخل في موضوع التأويل لأنه ليس مثل «تفسير القرآن العظيم» للتستري الأدخل في علوم التفسير.

ففي تفسير الفاتحة الصراط هو المحبة. والهداية علم التوحيد. والنور والظلام العلم والجهل. ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ التوبة محو البشرية بإثبات الإلهية وفناء النفوس عما دون الله رجوعاً إلى أصل العدم حتى يبقي الحق وحده. ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾ أي التحول عن القصد. ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ تقتضي إزالة العلة عن الربوبية وتنزيه الحق عن الدرك وإتيان الملك وانتزاعه ممن يشاء أي الاصطفاء.

ولا يقدم الحلاج في «التفسير» تفسيراً كاملاً مثل «تفسير القرآن العظيم للتستري» ولا أجزاء أو سور مختارة بل بعض آيات منتقاة تسمح بالتأويل الباطني[2]. بل إن سورة الفاتحة يختار منها بعض الآيات دون غيرها[3]. وتُعطى الآية مرة واحدة. ثم تفصل جزءاً جزءاً وأحياناً كلمة كلمة لاكتشاف معانيها الباطنية. ويختلف التأويل من حيث الكم بين لفظ وعبارة وفقرة وعدة فقرات. فالمهم هو تحول الخارج إلى الداخل، والنص إلى تجربة، واللغة إلى روح. وقد تضم أكثر من آية لمعني باطني واحد خاصة في قصص الأنبياء لاستكمال القصة.

ولا يستعمل الحديث لتدعيم تفسير القرآن أو يكون موضوعا خاصا للتفسير إلا مرة واحدة[4]. ومنهج التأويل ليس اللغة أو السياق أو أسباب النزول بل التجربة الصوفية. ولا يوجد نسق يجمع هذه الآيات المنتقاة أو منهج عام. ويمكن تجميعها طبقا لمنهج في التأويل أو طبقاً لمجموعات التأويل. والموضوعات أفضل حتى يتكشف المنهج حتى لو بدت متناثرة مثلاً، التكليف نوعان، تكليف عن وسائط، وتكليف بحقائق. الأول تبدو معارفه عمن دونه ولا يرقى إلا بعد التخلي عنها، وذلك مثل إظهار البيت والكعبة. والثاني تبدو معارفه منه وتعود إليه. الأول فصل،

(1) الحلاج، الأعمال الكاملة ص109-160.

(2) السابق ص109-158. ومجموع الآيات المنتقاة 225 آية من أول القرآن إلى آخره.

(3) اقتبس الحلاج آيات من 72 سورة وترك42.

(4) وهو حديث **«تعرف إلى الله في الرضا يعرفك في الشدة»** تفسير لآية ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾، الحلاج، الأعمال الكاملة ص141-142.

والثاني وصل[1]. الصلاة في الشريعة والرسول إمامها. أما الله فليس له مقام ولا شهود في نار، ولا استهلاك في حيرة، ولا ذهول في عظمة تخل بآداب الشريعة. ولا أوقف الموحدين[2]. والحق هي العبادات دليلاً على الطاعات والشهادة عليه وحده[3]. فالعبادة ظاهر والطاعة باطن، والشهادة باطن الباطن. والحق لا يستحسن حسناً، ولا يستقبح قبحاً. وهذه أشعرية من جديد تنكر الحسن والقبح العقليين. فالحق هو معلى الأنام ولا يعقل كما هو الحال عند الأشاعرة في إنكار التعليل. العبودية كلها شريعة، والربوبية كلها حقيقة[4]. والتصوف هو تحرر الإنسان من عبودية الشريعة إلى ربوبية الحقيقة. والإسلام إما طوعاً بمشاهدة الربوبية والإطلاع على الذات وإما كرهاً من الهيبة[5]. والتكليف للمؤمنين دون الكافرين. للمؤمنين استعباد بخصائص العبودية حتى يأتيهم اليقين وهو استحقاق بالجهد[6]. وطاعة الرسول بها صلاح الكل. وهي المواظبة على الأوامر والفرائض. يعمل الأنبياء في الفرائض، والمؤمنون في الفضائل، والصديقون في ترك النواهي، والعارفون نسيان كل شيء غير الله[7]. والخبيث هو الناظر إلى الخبائث بعين الطهارة[8]. فإدراك الشيء بضدّه.

(1) ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، التفسير ص112، ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، السابق ص119.

(2) ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾، السابق ص113.

(3) ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾، ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾، السابق ص122.

(4) السابق ص125.

(5) ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، التستري ص112.

(6) ﴿قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون﴾، ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾، السابق ص156-157.

(7) ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾، التفسير ص135

الذات	الموضوع
العارفون	الله
الصديقون	ترك النواهي
المؤمنون	الفضائل
الأنبياء	الفرائض

(8) ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾، التفسير ص133.

والقرآن الكريم به محكم ومتشابه. المحكم الأمر والنهي. وتفصيله في ﴿فُصِّلَتۡ﴾ في الوعد والوعيد. والله «حكيم» فيما نزل و «خبير» بمن يقوم بأمره أو يعرض عنه[1]. والاستنباط من القرآن على قدر تقوى الإنسان في الظاهر والباطن وفي تمام المعرفة. وهو أعظم مقامات الإيمان[2]. فهو ليس عملاً عقلياً منطقياً استدلالياً بل هو عمل أخلاقي إيماني باطني. وأمر الإنسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والخاطر من الكتاب طاعة الله ثم من السنة ثم من السلف الصالحين[3]. فأولوا الأمر ليسوا هم الحكام بل السلف.

جـ - تفسير القرآن العظيم للتستري (319هـ)[4]: وبالرغم من أن التفسير الصوفي يدخل في علم التفسير، أحد العلوم النقلية الخمسة، القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه، إلا أنه ساهم في بلورة الوعي التاريخي عن طريق العثور على المقابل للنص في التجربة الشعورية في العالم. وهو تفسير طولي من الفاتحة إلى الناس. تتجزأ فيه الموضوعات حتى لو تكررت. ولا تفسر كل آية داخل كل سورة وإن توالت السور كلها بل تنتقى بعض الآيات الأكثر دلالة على الجانب الأخلاقي الشعوري. ويبرز الموضوع في عناوين السور. فلا يقال سورة البقرة بل السورة التي تذكر فيها البقرة. فالبقرة ليست اسماً بل موضوعاً. وهي تفسيرات قصيرة قصر الآيات دون استفاضة. ولا توجد أبواب أو فصول بل هي مادة مجمعة طبقاً لطريقة السؤال والجواب.

وهو تفسير القرآن بالقرآن أولاً، والقرآن بالحديث ثانياً، والقرآن بالشعر ثالثاً. القرآن بالقرآن بالآلاف، والقرآن بالحديث بالعشرات، والقرآن بالشعر هو الأقل[5]. والأحاديث متون بلا أسانيد. كما يتم الاعتماد على بعض الأمثال العامية عند العرب[6].

---

(1) ﴿الٓرۚ * كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾، التفسير ص123.

(2) ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾، التفسير ص113.

(3) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾، التفسير ص113.

(4) دار الكتب العربية، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (د.ت). يختلف المؤرخون حول تاريخ وفاته بين 283، 287، 293، 319هـ.

(5) القرآن بالآلاف، والأحاديث (30)، والأشعار (7).

(6) السابق ص 49/ 53/ 69.

وتظهر الإسرائيليات بوضوح عشرات المرات في حوارات الأنبياء السابقين وأحاديثهم وأقوالهم.

ويظهر الوعي التاريخي في الإحالة إلى الصوفية السابقين. فقد أتى تراكمهم إلى إحداث وعي تاريخي بالتصوف[1]. كما يعتمد على ابن عباس حبر الأمة. وتظهر بعض المقامات والأحوال مثل الصبر والرضا والتوكل[2]. وتظهر القسمة العقلية عدة مرات، مما يؤذن ببداية التحليل النظري[3]. ويبدأ التفسير بمقدمة نظرية مثل تفسير جعفر الصادق بعنوان صفات طلاب فهم القرآن[4]. التفسير موقف ذاتي. بقدر ما يعي المفسر ذاته يعي موضوعه. وهو معنى أن القرآن نزل على سبعة أحرف. وهذه المراتب ليست في الحرف بل في الشعور، ليست في الموضوع بل في الذات. وطبقاً لعمق الذات يتم فهم الحرف.

ومع ذلك، للنص خمسة أنواع: المحكم والمتشابه والحلال والحرام والأمثال. العمل بالمحكم، والإيمان بالمتشابه وإحلال الحلال وتحريم الحرام وعقل الأمثال. وهي مبادئ لغوية من علم أصول الفقه مع بعض الأحكام الشرعية. وشرط فهم القرآن العمل به. فالعمل أساس النظر. والفعل شرط الفهم. فعلم التفسير مثل علوم التصوف علوم عملية.

---

(1) مثل: أبو سعيد الخراز، عربان، الحسن البصري، السجزي، الجنيد.

(2) تفسير القرآن العظيم ص 22.

(3) فالعلماء ثلاثة: ربانيون، ونورانيون وذاتيون. وفي قسمة أخرى العلماء ثلاثة: عالم بالله لا بأمره ولا بأيامه وهم العامة، وعالم بالله وبأمره لا بأيامه وهم العلماء، وعالم بالله وبأمره وبأيامه وهم النبيون والصدّيقون، والعلم بأيام الله هو العلم بالتاريخ. والعلوم أربعة: الوحي والتجلي العندي واللدني. والإيمان أربعة أركان: التوكل على الله، والاستسلام لأمره، والرضا بقضائه، والشكر لنعمائه. وللقلب ثلاثة مقامات: مجهر القلب، ومقام اللسان من القلب، ومقام الجوارح من القلب. وأولياء الله ثلاثة: الثقة بالله في كل شيء، والفقر إليه في كل شيء، والرجوع إليه مدخل كل شيء. والعبادة الكاملة لا تغرر من أربعة أشياء: الجوع والعري والفقر والذلة. والتوقي في الكتاب بثلاث طرق: الموت والنوم والرفع، تفسير القرآن العظيم ص 24/ 29/ 63/ 73/ 77-78/ 80.

(4) السابق ص 4-7.

3 ـ الوعي التاريخي الأخلاقي

والوعي الفقهي هو أحد مكونات الوعي التاريخي الصوفي. فالفقه بتعبير المغاربة «علم النوازل». ولا فرق بين مقامات الزهد والشكر والصمت في التصوف وبين كتب الزهد والشكر والصمت في الحديث. هو الحديث الصوفي أو تصوف الحديث النبوي. فالصراع المتأخر بين علماء الحديث والصوفية صراع مفتعل، ربما على السلطة الدينية والسياسية. فعلماء الحديث هم أهل السنة والجماعة في العقيدة والشريعة، الفرقة الناجية في الدين، وفرقة الحكم في السياسة. خرج التصوف من علم الحديث ثم عاد إليه.

وكبار صوفية المرحلة الخلقية تركوا أعمالاً مدونة قليلة مثل الحسن البصري (ت110هـ)، والمحاسبي (ت243هـ)، والحكيم الترمذي (ت230هـ)، وأبو سعيد الخراز (ت277هـ)، وسهل التستري (ت319هـ)، وواضح أن المرحلة الخلقية تمتد حتى قبيل نهاية القرن الثالث حيث تبدأ المرحلة النفسية عند البسطامي (261هـ)، والحلاج (309هـ).

لم تترك رابعة العدوية (185هـ) أعمالا صوفية بل تناقلت الروايات أقوالها وأخبارها في كتب المؤرخين والطبقات[1]. والخلط بين رابعة الشامية ورابعة البصرية أو التمييز بينهما قضية استشراقية خالصة. ما يهم أقوالها ودلالتها على التصوف كتاريخ وطريق[2]. وتتكرر بعض الأقوال طبقاً لتعدد المصادر. وهناك أخبار وروايات كثيرة عنها وعن كراماتها، ولكنها ليست أقوالاً. ويخشى من تدخل الخيال الشعبي في صياغتها. فالرواية بطبيعتها تتضخّم وتتمدد. ورواية عنها تروى حلماً مملوءاً بالكرامات، مرفوعة إلى روضة خضراء ذات قصور، وطائر أخضر وجارية تطارده، ويُفتح باب يشع منه شعاع ينير كل شيء، ويرفع باب، ويظهر بستان، وصفاء وجوههم كاللؤلؤ، وكذلك رواية كرامات الميلاد[3]. وبعض أقوالها مروية في صيغة سؤال وجواب. ولقاءاتها مع حسن البصري مشكوكة فيها نظراً لأن الحسن توفي

(1) عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي، رابعة العدوية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1948. أخبار رابعة ص108-182.

(2) السابق ص46-50.

(3) السابق ص133-134/ 143/ 149.

110هـ، ورابعة 185هـ. فبينهما أكثر من جيل. وقد صاغ الخيال الشعري كل ذلك.

وبعض أقوالها مروية في المنام مثل «رؤيا يوحنا»[1]. وتنتحل بعض الأقوال مدعمة بالآيات القرآنية أو الحديث النبوي ليس كاستشهاد بل كجزء من الخطاب. فالدليل تجريبي حسي وليس نقلياً نصياً وينطبق ذلك أيضاً على روايات الكرامة دون الأقوال[2].

وتعتمد الأخلاق على الحجج النقلية، الآيات والأحاديث، أكثر من التحليل النظري أو التأسيس في التجربة الحسية[3]. التأليف هو تجميع آيات وأحاديث حول موضوعات معينة. كان العهد قريباً من الرسالة. ولا يهم صحة الأحاديث وضعفها من حيث السند بل ما يهم هو دلالتها من حيث المتن. وتختلط بالأقوال المأثورة. وتكثر الأحاديث القدسية الإشراقية. وفي معظمها ضعيفة ولكن دلالتها الصوفية واضحة وهي طويلة للغاية عكس الأحاديث الصحيحة العملية. وتتجه الآيات والأحاديث نحو العمل المباشر. فهي نداء للعمل، ودعوة للتحقق كما هو الحال في الحركة الوهابية. ويتم تجميع أقوال الصحابة أيضاً. ويتم الاستشهاد بأقوال الأنبياء السابقين مثل عيسى[4] كما يستشهد بالشعر العربي[5].

أ ـ في عمل اليوم والليلة (فرائض الإسلام) للحسن البصري (110هـ)[6]:

ويستعمل نفس أسلوب الرواية في علم الحديث دون أي عرض نظري أو تحليل نفسي، مجرد تجميع أحاديث وآيات وقليل من الشعر[7]. والحديث القدسي مفعم بالإشراقيات. ويستمد معلوماته عن الأنبياء السابقين من الإسرائيليات والكتب المقدسة وأقوال الأنبياء منها[8]. كما يعتمد على أقوال الصحابة.

---

(1) مثل: «هدايات تأتينا على أطباق من نور، محمرة بمناديل من نور»، رابعة ص170.
(2) السابق ص138/ 142/ 147/ 162/ 173.
(3) الحسن البصري: في عمل اليوم والليلة آية (69)، حديث (99).
(4) السابق ص105.
(5) السابق ص80/ 83 (مرتان، كل مرة بيتان).
(6) دار الأرقم، الزقازيق 1991م-1412هـ.
(7) الأحاديث (99)، الآيات (69)، القدسية (2)، الأشعار (2).
(8) في عمل اليوم والليلة ص 84/ 97.

والأهم هو وضع أربع وخمسين فريضة[1]. تجمع بين الفقه والتصوف، بين أعمال الجوارح وأعمال القلوب، بين العبادات والمعاملات[2]. تظهر المقامات مثل التوكل والرضا والشكر والصبر والتوبة، والأحوال مثل الخوف. كما تظهر بعض الفضائل مثل القناعة والإخلاص والصدق، وتجنب الرذائل مثل: الهوى، العلو، الفرح، سوء الظن، السخرية، القنوط، الشرك. كما تظهر بعض متطلبات الطريق مثل الذكر والإيمان والعبرة والتفكر. ويظهر وضع الإنسان في العالم، مع الآخرين، وبين الأشياء ومع الله[3].

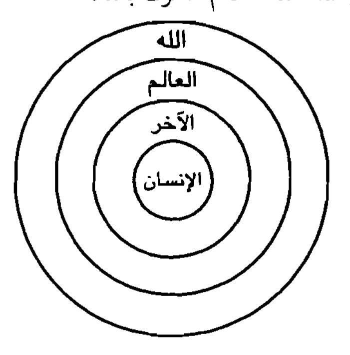
ب ـ «كتاب الزهد» لأحمد بن حنبل (240هـ)[4]:

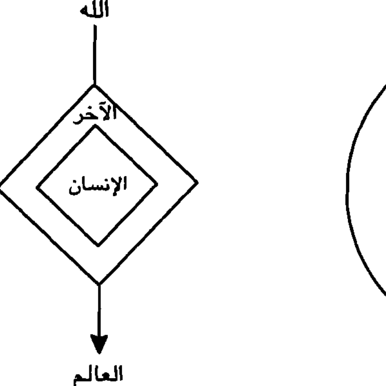
وهو نموذج التأليف المشترك بين الحديث والتصوف. فالزهد أحد

(1) وهو ما حدث أيضاً في علم قواعد العقائد في العصور المتأخرة في حصر العقائد في اثنين وخمسين عقيدة، من العقيدة إلى الثورة جـ1 المقدمات النظرية ص 194-202.

(2) الفقه مثل: الوضوء، الاغتسال، لبس الثياب، الصلاة، المحافظة عليها. ومن العبادات: اعتزال النساء، عدم الزنا، عدم شرب الخمر، عدم الحلف بالله كذباً. ومن المعاملات: بر الوالدين، صلة الرحم، أداء الأمانة، الوفاء بالكيل، عدم رد المسكين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، النفقة، النفقة على المقدار، حفظ المال، حفظ مال اليتيم، عدم أخذ مال اليتيم، الأكل الحلال. ومن أعمال القلوب: الذكر، الإيمان، القناعة، العبرة، التفكر، التوكل، الرضا بالقضاء، الشكر، الصبر، التوبة، الإخلاص، العداوة مع الشيطان، العمل بالحجة، الاستعداد للموت، عدم العمل بالهوى، صفوة القلب، ترك الغلو، ترك الفرح، طاعة الله، الخوف من الله، حفظ اللسان، اجتناب سوء الظن، اجتناب السخرية، غض البصر، الصدق، حرس السمع والبصر والفؤاد، الأمان من مكر الله، ترك القنوط من رحمة الله، عدم الشرك بالله.

(3)





(4) دار الدعوة، الإسكندرية 1987-1407هـ.

المقامات. وهو أحد موضوعات الحديث. ويسبق الاستشهاد بالحديث الاستشهاد بالقرآن وبالشعر[1]. ويذكر السند مع المتن مع حضور طاغ للسند. وتشمل الأحاديث الأقوال والحكايات. وتتوالى في زخات متعاقبة. وتستعمل بعض الأحاديث الآيات. وإثبات زهد الرسول بأقواله ليس دليلاً وتتكرر بعض الأحاديث في صياغات مختلفة مثل الأحاديث المروية عن أويس القرني[2]، ويرى الرسول في منامات بعض الزهاد لمدى القرابة بينهم. ويستكمل الحديث بالشعر.

وتظهر الإسرائيليات بطبيعة الحال كمصدر لزهد الأنبياء وأخبارهم بالرغم من حديث القرآن والحديث عنهم دون تفصيل في الروايات. وربما زادت معارف الرسول عن الأنبياء السابقين من رحلاته إلى الشام ومن المرويات في الثقافة العربية قبل الإسلام. وتزيد عليه مشافهته لهم ليلة الإسراء والمعراج. والمعجزات مقرونة بزهد الأنبياء. وفي الأحاديث القدسية يتكلم الرسول باسم الله ويصلي ويسلم مع الله على نفسه[3].

ويتجلى الوعي التاريخي في ذكر أسماء الزهاد ابتداء من الرسول ثم الصحابة ثم التابعين. دون ترتيب أبجدي أو زماني. وهي بداية كتب الطبقات مرتبة أبجدياً أو زمانياً. والأنبياء كلهم قبل الرسول زهاد[4]. وتذكر امرأة واحدة زاهدة هي عائشة دون رابعة. ويتكرر لفظ «زاهد» أمام معظم الأسماء فالمطلوب هو الزهد وليس الزاهد. وعند نصفهم تقريباً لفظ «أخبار» الذي يدل على بروز الوعي التاريخي الإخباري. والأقل استعمال ألفاظ «حديث»، «فضل»، «بلاء»، «مواعظ»، «حكمة». وقد تستعمل أكثر من كلمة لنبي أو زاهد واحد مثل مواعظ عيسى وحكمة عيسى وزهد عيسى، وزهد داود وحديث داود، وأخبار موسى وزهد موسى. وأكبرهم من حيث الكم زهد محمد بن سيرين ثم الحسن وعبد الله بن عمر، ثم الرسول وعيسى ثم عائشة ثم عمر ثم عمر بن عبد العزيز. وقد يسبق مثل هؤلاء الزهاد بعض الأنبياء مثل موسى وداود ونوح وإبراهيم وآدم وأيوب

---

(1) الأحاديث (235)، الآيات (171)، الأشعار (8)، القدسية (3).

(2) كتاب الزهد ص 323-328.

(3) السابق ص 22.

(4) يذكر ابن حنبل 55 زاهد، 4 أنبياء، 41 من الصحابة والتابعين.

ولقمان. ومن المشاهير أويس القرني. ويغيب الحسن البصري إمام الزاهدين مما يدل على بداية تشكل الوعي التاريخي دون وعي تاريخي.

جـ ـ رسائل المحاسبي (243هـ):

يتشكل الوعي التاريخي من ظهور التصوف الخلقي عند المحاسبي والترمذي والخراز والتستري، وهو ما يعادل المرحلة الخلقية في التصوف كتاريخ والتصوف الخلقي في التصوف كطريق. والمحاسبي في التصوف الأخلاقي يعادل الشافعي في علم أصول الفقه فيما يتعلق بالتدوين. ويقوم المنهج على انتقاء النصوص الأخلاقية التي تدعو إلى ترك العالم، وليس النصوص السياسية التي تختارها الفرق الكلامية في صراعها السياسي.

1 ـ المسائل في الزهد[1]: تحول الزهد إلى موضوع في التصوف الخلقي مثل الشكر. ويتناوله الصوفية بأسلوب الفقه، السؤال والجواب. هل الزهد فرض أم نفل كما أجاب ابن رشد فيما بعد سؤال عن حكم النظر هل هو فرض أم مندوب أم مكروه أم محرم أو مباح طبقاً لأحكام التكليف الخمسة؟. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[2]. ويقرن بالأدلة النقلية بعض التحليل العقلي في البداية. ويتفرع من الزهد موضوعات التصوف الأخرى مثل الصمت والفكرة كعلامات الطريق، والغنى والشكر والفقر من الفضائل والمقامات، ودفع الوسواس، والكبر والحسد والغش من الرذائل، والرياء والوسوسة. والرياضات والمجاهدات مثل مكابدة الهوى، وأفضل العبادات، وتجسيد الشر في الشيطان بل ومسائل الأوراد والأوقات في حلقات الذكر وآداب الشيخ والمريد. تتخلق موضوعات التصوف وتتفرع من الزهد[3]. وكل ذلك في إطار من التخويف والتحذير والتنبيه[4].

---

(1) المسائل في أعمال القلوب والجوارح، عالم الكتب، القاهرة 1969.

(2) الآيات (11)، الأحاديث (7)، الأشعار (1).

(3) الصمت والفكرة، السائل ص 48-50، الغنى والشكر والفقر ص 51-54، دفع الوسواس ص 55-57، الكبر والحسد والغش ص 58-63، الرياء والوسوسة ص 64-68، مكابدة الهوى ص 69-272، أفضل عبارة ص73-80، الشيطان ص 81-283، الأوراد والأوقات ص 84-88.

(4) «فانظر ما أنت صائر إليه، واحذره أن يصيرك إلى ما صار إليه»، السابق ص57.

والفتن والشكر والفقر تأليف بطريقة السائل، السؤال والجواب بطريقة «قلت. . . قال». وهو على درجة عالية من التنظير العقلي والتحليل النفسي دون الاعتماد على الحجج النقلية من القرآن أو الحديث بل الاعتماد فقط على أقوال الحكماء[1]. تخلق مقام الزهد في «المسائل في الزهد للمحاسبي» كما تخلق مقام التوبة في «التوبة» لأبي الحسن البصري[2]. وقد ارتبط بمسائل أخرى مما يدل على أن تخلق المقام مازال عسير المخاض[3]. والتأليف رواية، إجابة على سؤال يتكرر بأسلوب «قلت. . . قال» مثل أسئلة الفقه والفتوى. فقد سئل المحاسبي عن الزهد، فرض أم [نفل]، كما سئل ابن رشد فيما بعد عن حكم النظر هل هو واجب بالشروع أو مندوب أو مكروه أو مباح أو حرام هي أحكام الشرع الخمسة في «فصل المقال». وواضح تخلق مقام الزهد من الفقه والأحكام الشرعية. ولا يعتمد على الحجج النقلية بل على التحليل العقلي الخالص. ولا يضار الاستشهاد بأقوال عيسى نظراً لوحدة الأديان[4].

2 ـ **«فهم الصلاة»**[5]: والرسالة مؤشر على التحول من الفقه إلى التصوف، ومن أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب، ومن الظاهر إلى الباطن. تعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[6]. ويظهر التراكم التاريخي بذكر بعض أعلام الصوفية مثل إبراهيم النخعي وإبراهيم بن أدهم وأبي سعيد الخدري[7]. ومن حفاظ الحديث حماد وعطاء. ويقوم على فهم الصلاة على إيقاع خماسي تدريجي، من الوضوء إلى المشي إلى الصلاة إلى الدخول في الصلاة إلى الفراغ من الصلاة إلى الوصايا الختامية. وأكبرها الدخول في الصلاة[8].

(1) المحاسبي: المسائل ص51-54.

(2) المسائل في أعمال القلوب والجوارح، والمكاسب، والعقل ص43-47.

(3) هي مسائل: الصمت والفكرة، الغنى والشكر والفقر، دفع الوسواس، الكبر والحسد والغش، الرياء والوسوسة، مكابدة الهوى، أفضل العبادة، الشيطان، الأوراد والأوقات، السابق ص48-88.

(4) المسائل.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ، ص225-240.

(6) الآيات (20)، الحديث (17).

(7) إبراهيم النخعي (2)، إبراهيم بن أدهم، أبو سعيد الخدري، حماد، عطاء (1).

(8) الدخول في الصلاة (9)، الوضوء (4)، الوصايا (3)، المشي (2)، الفراغ (1).

3 ـ **«المسائل في أعمال القلوب والجوارح»**[1]: هو انتقال من المرحلة الخلقية وأعمال الجوارح، إلى المرحلة النفسية أعمال القلوب[2]. يعتمد على كثير من الحجج النقلية والأحاديث أكثر من الآيات[3]. والشعر أقلها. ويتبع أيضاً أسلوب السؤال والجواب بالرغم من كبر العمل. ويتضمن خمسة عشر موضوعاً[4]. معظمها في أعمال القلوب وأقلها في أعمال الجوارح. وهي موضوعات متفرقة لا روابط بينها إلا العنوان. ويروي على لسان حكيم نص أقرب إلى حديث الرسول عن البر بالأم ثلاث مرات ثم بالأب في المرة الرابعة، ثم الأدنى فالأدنى، الأخت والأخ، ومن يعول المرء. وكذلك حديث الإنفاق على النفس أولاً ثم على الأهل. وهذا هو معنى الأثرة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، وإيثار الآخر على النفس عمل مجاني دون مقابل ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾. و«كل ما وقى به الإنسان عرضه فهو صدقة»، و «ما وقى الرجل به عرضه فهو صدقة».

وهي نموذج للتحول من الفقه إلى الأخلاق، ومن أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب. وهو اسم على مسمى، المحاسبي في محاسبة النفس يعتمد على الحديث ثم القرآن ثم الشعر[5]. ويقل الاعتماد على السند لصالح المتن. ويظهر القليل من الإسرائيليات وأقوال الأنبياء السابقين مثل لقمان[6]. ويقل التحليل العقلي لصالح الدليل النقلي. ويبدأ الوعي التاريخي بالتصوف في الازدهار. يتقدمه الحسن البصري ثم ابن المبارك، ثم إبراهيم النخعي، والفزاري، ومالك بن دينار وسعيد بن المسيب[7].

---

(1) عالم الكتب، القاهرة 1969.

(2) المسائل ص91-170.

(3) الآيات (43)، الأحاديث (69)، الشعر (3).

(4) وهي: الحسبة في إدخال السرور على المؤمن، الإسرار بالعمل، الشهوة، من أم قوماً فالزم قلبه الحذر، إزالة الخوف، النوافل، من أعمال القلوب، الصمت والكلام في الوعظ والبلاغة، الجدال في أسباب الدنيا، التفويض، معرفة النفس، الغفلة والنسيان، ما يحل من النظر، نظر الفجأة، النذور.

(5) الأحاديث (69)، الآيات (43)، القدسي (2).

(6) المسائل في أعمال الجوارح ص120.

(7) الحسن البصري (9)، ابن المبارك (2)، إبراهيم النخعي، الفزاري، مالك بن دينار، سعيد بن المسيب (1).

والأسلوب سؤال وجواب كما هو الحال في المفتي والمستفتي في علم أصول الفقه. ويستشهد أحياناً بالحكماء الذين يشاركون الصوفية في الرؤية الباطنية. ويتضح ذلك في التأويل[1].

تتحول الحسبة من الخارج إلى الداخل، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى إدخال السرور على النفس، ومن العمل في العلن إلى العمل في الخفاء. ولما كان الصوفي إماماً يلزم قلبه الحذر. وإذا كان الوعي الصوفي عند البصري يقوم على التخويف في «التوهم» فإنه يقوم عند المحاسبي على إزالة الخوف. والنوافل لتكفير الذنوب وشكر المنعم وتجريد القلوب، والجزع من فقدان الطاعات ومن الغفلة، والقرب من الله. ومن أعمال القلوب اعتقاد الإيمان ومجانبة الكفر، واعتقاد السنة ومجانبة البدعة، واعتقاد الطاعة ومجانبة المعصية، واعتقاد التواضع ونفي الكبر، واعتقاد الجنة ونفي العجب. ولا تتناهى أفعال القلوب وأضدادها مثل المحبة والكراهية والخوف والأمن، والحذر والثقة، والغرة والسلامة. . .الخ. والصمت أفضل من الكلام كما هو الحال عند ابن أبي الدنيا. والجدال في أسباب الدنيا من تبعات الكلام. والتفويض تسليم لله. ومعرفة النفس طريق إليه والحذر من الغفلة والنسيان. ولا يحل النظر إلا إلى الحلال. وهو النظر المقصود. والوفاء بالنذور تمسك بالعهد.

وقد يكون الحوار هو الشكل الأدبي في التأليف، السؤال والجواب، سؤال المريد وجواب الشيخ كما هو الحال في «التوبة». ويستمر الحوار للاستيضاح والإيضاح. وهو نوع من الاستدلال وترتيب المقدمات على النتائج[2]. ومسائل «الكبر والحسد والغش» أيضاً سؤال وجواب. تعتمد على التحليل النفسي وحده دون الاستعانة بأية حجج نقلية باستثناء واحدة بيت واحد من الشعر[3]. ويعتمد «الرياء والوسوسة» على التحليل النفسي للتجارب الحية دون الاعتماد على الحجج النقلية من الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة باستثناء أقوال بعض الحكماء. وهو أيضاً سؤال وجواب يعتمد على التنظير العقلي الخالص باستثناء آية واحدة[4]. ومسائل

(1) المسائل في أعمال الجوارح ص 115-117.
(2) المحاسبي: التوبة ص17-48.
(3) المحاسبي: المسائل ص58-63.
(4) السابق، ص64-68.

«دفع الوسواس» سؤال وجواب. تعتمد على التحليل النفسي الصرف دون الاستعانة بالأدلة النقلية باستثناء آية قرآنية واحدة[1]. ومسألة أفضل العبادة «سؤال وجواب. مازالت تعتمد على الأدلة النقلية، أربعة أحاديث»[2]. و «مكابدة الهوى» تنظير مباشر وتحليل نفسي دون الاعتماد على أي من الأدلة النقلية، قرآناً أو حديثاً باستثناء حديث واحد وبعض أقوال الصوفية والحكماء التي حللت هذه الانفعالات النفسية من قبل ووضعت لها صياغات عقلية[3].

وتقوم الأخلاق الصوفية على التخويف، التخويف من الآخرة، وتوهم الوقوف بين يدي الله عز وجل والارتعاد أمامه. وهذا هو مضمون كتاب «التوهم»[4]. يعتمد على الحجج النقلية قدر التحليل للتجارب الحية[5]. والأسلوب خطابي. يتوجه إلى المخاطب لدعوته لمعايشة التجربة، وهي تجربة وهمية تستبق الأحداث، وهي تجربة الموت والبعث والوقوف أمام الله عز وجل للحساب والعقاب. لا تنقسم إلى أبواب وفصول بل هو نداء حاد متواصل لتوهم الموت بدلاً من عشق الحياة. ويتكرر أمر «توهم» عشرات المرات للتنكير بالموت[6]. والموت ليس تجربة تستدعى من المستقبل إلى الحاضر. هي التجربة الوحيدة التي لا تُنتظر[7].

الرعاية لحقوق الله والقيام بها «موضوع السؤال عن أمر عظيم»، موضوع حديث موسى[8]. كما أنه حديث نبوي يظهر فيه لفظ الرعاية[9]. ولفهمه يتحول النص إلى القلب إلى تجربة روحية بدلاً من الجدل الكلامي وفقه السلطان دون الوقوع في الرهبانية. ولفظ الرعاية أيضاً لفظ قرآني إشارة إلى الرهبانية ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

ويغلب عليها تحليل أهواء النفس قبل أن تظهر المقامات والأحوال باعتبارها

(1) السابق ص55-57.
(2) السابق ص73-80.
(3) السابق ص69-72.
(4) المحاسبي: التوهم ص29-73.
(5) الآيات (15)، الأحاديث (9)، الأحاديث القدسية (1).
(6) عدد مرات فعل أمر «توهم» (22)، للعذاب (15)، وللنعيم (7).
(7) الرعاية لحقوق الله عز وجل ص37-39.
(8) «مرحبا بعبادي وزواري وخيرتي من خلقي الذين رعوا عهدي وحفظوا وصيتي، وخافوني بالغيب، السابق ص37».
(9) «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»، السابق ص37.

فضائل النفس. فالرياء والكبر والغرّة والحسد ومعرفة سوء أحوال النفس ودعائها إلى هواها انفعالات سلبية. كما يظهر التصوف كطريق في «تأديب المريد» ويتضح التراكم الفلسفي بذكر الصوفية السابقين. لذلك يروي عن الصوفية. وأول العلم حسن الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر[1]. ويستعين بعلم التفسير لشرح بعض الآيات مما يدل على اعتماد التصوف على غيره من علوم الكلام والفلسفة وأصول الفقه من العلوم العقلية النقلية والفقه والتفسير من العلوم النقلية. المقدمة فلسفية دينية تبدأ بشرح البسملة وتعتمد على آراء الحكماء دون تعيينهم مما يدل على أن التصوف أصبح هو المصب للحكمة الخالدة[2]. كما يعتمد على بعض الحكايات المروية عن الأولياء. فالتصوف ليس تحليلات نظرية أو نفسية بل حوادث واقعية وسلوك يومي، فردي وجماعي. ولا يهم السند في الحديث بل المتن مشجب لتعليق تحليلات الصوفية عليه. لذلك نادرا ما تسند الأحاديث.

4 ـ **«المكاسب»**[3]: والمقصود التفويض. وهو الذي تحول بعد ذلك إلى التوكل والرضا وعدم الأخذ بالأسباب، وما يتبقى من إيمان بالقضاء وتسليم بالقدر. وفرض التوكل يجمع الخواص والعوام في حبس الرزق وإطلاقه. والحركة في الكسب لطلب الرزق به محمود ومذموم. والأفضل ترك الحركة في الكسب كلية والحرص على الورع. وتتفق عليه مذاهب السلف. فالتصوف بهذا المعنى نزعة سلفية. ومن التقشف في المطاعم والملابس واتقاء الشبهات، وعدم التعاون على الإثم والعدوان، يمتد الورع إلى جوائز السلطان. ويتبعه الجوع دون سؤال وتحري. ويعتمد على القرآن قدر الاعتماد على الحديث دون الشعر[4]. ويغيب السند لصالح المتن. ويزداد التحليل النظري. ويظهر التراكم التاريخي على استحياء في الإحالة إلى شقيق البلخي.

5 ـ **«الرعاية لحقوق الله»**[5]: «والرعاية لحقوق الله» وكما يدل العنوان يتضمن

---

(1) السابق ص34.

(2) السابق ص31-36، الحكمة الخالدة Philosophia Perennis.

(3) عالم الكتب، القاهرة 1969 ص171-234.

(4) الأحاديث (46)، الآيات (45)، القدسية (1).

(5) دار الكتب الحديثة، القاهرة 1970م-1390هـ.

واجبات الإنسان. والسؤال هو أين حقوق الإنسان والواجبات العقلية، كالصلاح والأصلح والتعويض عن الآلام كما قرر المعتزلة؟ عدم التوازن هذا بين حضور حقوق الله وغياب حقوق الإنسان هو أحد أسباب ضياع حقوق الإنسان في هذا الزمن. والكتاب مؤلف بطريقة السؤال والجواب وهي أقرب إلى رواية الحديث الشفاهي المدون. تبدأ بفعل و«حدثني». ويعتمد على الحجج النقلية قدر الاعتماد على التنظير العقلي والتحليل النفسي وتعتمد على علم التفسير لشرح الآيات. ولا يعتمد على الوافد باستثناء بعض الحكماء[1]. وهو أكبر مؤلفات المحاسبي من حيث الكم بعدها أعمال القلوب والجوارح، كتاب المسترشدين، الوصايا، المكاسب، العقل، آداب النفوس، بدأ من أناب إلى الله، المعرفة، القصد والرجوع. وهو أقرب النصوص التكوينية في التصوف الخلقي والمقامات والأحوال قبل «قوت القلوب» لأبي طالب المكي و «كشف المحجوب» لعلى الهجويري و«الرسالة القشيرية» لعبد الكريم القشيري والتي صبت كلها في «إحياء علوم الدين» للغزالي.

ويشمل بعد المقدمة سبعة موضوعات: الرياء، الإخوان ومعرفة النفس، التنبيه، العجب، الكبر، الغرّة، الحسد، تأديب المريد. وأكبرها الرياء، ثم المقدمة، ثم العزة، ثم الكبر، ثم العجب، ثم الحسد، ثم الإخوان ومعرفة النفس، ثم التنبيه[2]. لذلك أتى طويلاً مسهباً بلا تركيز. وينقسم كل موضوع إلى عدة أبواب صغيرة.

وهو ربما أضخم كتاب في التصوف قبل «الإحياء». يعتمد على القرآن ثم الحديث. ويخلو من الشعر[3]. ولا يظهر أعلام الصوفية إلا نادراً مثل وهب بن منبه[4]. ولا فرق بين الصوفية والحكماء[5].

ويضم الكتاب بعد المقدمة سبعة كتب عن الرياء، والإخوان، ومعرفة

---

(1) الآيات (310)، الأحاديث (207)، الحديث القدسي (1).

(2) الرياء (183ص)، المقدمة (146)، الغرّة (62)، الكبر (52)، العجب (48)، الحسد (38)، الإخوان ومعرفة النفس (24)، التنبيه على معرفة النفس وسوء أفعالها ودعائها إلى هواها (14).

(3) الآيات (310)، الأحاديث (207)، القدسية (1).

(4) الرعاية لحقوق الله ص 33.

(5) السابق ص34.

النفس، والتنبيه، والعجب، والكبر، والغرة، والحسد، ثم تأديب المريد. أكبرها الرياء وأصغرها التنبيه[1]. ومعظمها عن الرذائل. والمقدمة تحديد معنى رعاية حقوق الله وهي أقرب إلى واجبات الإنسان[2]. وتتناول موضوعات الفضائل مثل التقوى والورع والحذر، وبعض الأحوال مثل الخوف، وبعض خوالج النفس كالهم والتذكر والمعرفة، وبعض المقامات مثل التوكل، وبعض مسائل الفقه مثل أداء الفرائض والنوافل، وبعض أمور المعاد مثل كراهة الموت.

والرياء أسوأ الآفات. وهو ازدواجية القول والسلوك، وعدم صفاء النية، والفصل بين النية والعمل. والدافع عليه الحرص على ما في أيدي الناس، والخوف من فقده. رمزه إبليس أي الإدعاء والفصل بين الظاهر والباطن[3]. وقد يكون العجب بالدين أو بإضافة العمل إلى النفس أو بالرأي الخاطئ أو بأعمال الطاعة أو بالدنيا والنفس وكثرة المال والبنين[4]. ويرتبط به الكبر والكبرياء. وقد يكون الكبر أيضاً بالدنيا والعلم والعمل والبدعة ونقيضه الصدق والتواضع[5]. والغرة أصل الغرور. وقد تكون بالله. وبالفقه وبالعلم وبحفظ الكلام وبالجدل وبالعبادة وبالورع وبالغزو وبالحج وبالإخلاص وبطول الستر[6]. وقد تكون من عوام المسلمين وعصاهم ومن أهل النسك والتقوى والفقه. أما الحسد فقد يكون على الرياسة وحب المنزلة وظاهر الدنيا والعجب. ويشمل الحقد والعداوة[7]. لذلك يجب التنبيه على سوء أفعال النفس وإتباعها هواها[8]. وهو ما يستلزم صحبة الإخوان والابتعاد عن الشبهة ومعرفة النفس والتوبة[9]. لذلك لزم تأديب المريد

---

(1) الرياء (83)، الغرة (62)، الكبر (52)، العجب (48)، الحسد (38)، الإخوان ومعرفة النفس (24)، التنبيه (14).

(2) الرعاية لحقوق الله31-173.

(3) السابق ص 177-357.

(4) السابق ص 398-443.

(5) السابق ص 446-506.

(6) *السابق ص508-567.*

(7) السابق ص570-605.

(8) السابق ص 384-395.

(9) السابق ص360-381.

ورعاية سيرته وتحذيره من الفتنة وهدايته[1].

6 ـ «الوصايا (النصائح الدينية والنفحات القدسية)»[2]: وهي رسالة في التصوف العملي. تخاطب القارئ بنداء «إخواني»، وأقرب إلى العقل العملي منها إلى العقل النظري[3]. وسبب التأليف هو بيان الفرقة الناجية وهم الصوفية الذين يدعون إلى صفاء القلب وإسقاط الهوى، والتخلي عن آفات النفس، وتطبيق الفرائض والسنة[4]. والناس على أصناف في حب الله وفي العمل بالبر .وتعتمد على الحديث تقريباً أربعة أضعاف اعتمادها على القرآن. ويغيب الشعر[5]. والمتن دون السند حرصاً على الأمر والنصيحة والوصية وليس سندها. وتبدأ رواية الحديث بلفظ بل وآية القرآن أيضاً. «بلغنا أن الله جَل ثناؤه قال»[6]. كما تعتمد على الإسرائيليات[7]. وتضم واحداً وأربعين باباً تتنوع موضوعاتها بين الفضائل مثل التقوى والقناعة والتواضع كرد فعل على فساد الدين والدنيا، وإحراز ما يمكن من الخير، وطلب الحلال. كما تدعو إلى تجنب الرذائل مثل البخل والوقوف أمام مكائد الشيطان والعجب والكبر بالأعمال. وتحث على طريق العزلة والسرور بمصائب الدنيا والوقوف أي الصمود. كما تدعو إلى أعمال القلوب وتفقد السرائر والقلوب، والتقرب بطاعات القلوب، والسر في أعمال البر نظراً لأخطار المدح، وطهارة النفس الأمارة بالسوء، وخشوع القلب مع الأبدان، ورعاية القلوب والجوارح، وقرن النية بالعمل النافع، وتصحيح أعمال الجوارح، والذكر باللسان والقلب، وضرورة الإنابة من الآثام، والتدبر عند قراءة القرآن، والابتعاد عن الشبهات، وشكر الله.

د ـ الحكيم الترمذي

وتستمر المرحلة الخلقية عند الترمذي (ت270هـ) وإن بدأ الاعتماد على

---

(1) السابق ص 608-627.
(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م ـ 1424هـ (1) ص37-38.
(3) الوصايا في شرف العقل ص 83-85.
(4) السابق ص 37-41.
(5) الأحاديث (56)، الآيات (15)، القدسي (1).
(6) الوصايا ص 93.
(7) السابق ص 46.

تحليل التجارب النفسية والطبيعية بعد ترجمة علوم الطب في القرن الثاني الهجري. لذلك سمي الحكيم «الترمذي» وقد جمع من علوم القرآن والحديث والسيرة والكلام واللغة وعلم النفس والأخلاق والطب والتصوف والتاريخ والعلوم[1]. والطب العضوي مقدمة للطب النفسي بعد تجاوز الطب النبوي[2].

وفي المرحلة الأخلاقية يتم الاعتماد على الحجج النقلية، وعلى الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية[3]. وتكثر الأحاديث القدسية لأنها تتناول موضوعات عينية لإثارة الخيال[4]. كما يعتمد على حكايات الصوفية وعلم الرواة أشبه بعلم الحديث المعاصر للمرحلة الخلقية[5]. ويعتمد على أقوال الأنبياء السابقين داود وسليمان وموسى وعيسى ويوسف المستمدة من الإسرائيليات[6]. لذلك يكثر ذكر أسماء الأنبياء. كما يعتمد على ضرب الأمثال الطبيعية والكونية والاجتماعية والاقتصادية[7]. والتحليل العقلي ليس مرفوضاً كما هو الحال في التصوف الطرقي في المرحلة الرابعة. وتتوالى مصطلحات المرحلة الخلقية في الظهور عند الترمذي مثل «الرياضة»، «أدب النفس».

وغالبية الصوفية من أواسط أسيا مثل الترمذي حيث الديانات الشرقية،

---

(1) تترواح مؤلفاته بين القرآن والحديث والسيرة مثل: نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول، الأمثال من الكتاب والسنة. واللغة مثل: كتاب الفروق ومنع الترادف، الجمل اللازم معرفتها. ويعتمد الترمذي على بعض التحليلات اللغوية في «أدب النفس»، أدب النفس ص105، وعلم النفس مثل: مسائل التدبير، والأخلاق مثل: كتاب الأكياس والمغترين، العقل والهوى، المنهيات، والكلام مثل: بيان الكسب، الاختيارات، عرش الموحدين، مسألة في الإيمان، مسألة لمراتب أهل القيامة، عذاب القبر، التوحيد. والفقه مثل: شرح الصلاة ومقاصدها، الحج وأسراره، منازل العباد في العبادة، علل العبودية وعلل الشريعة (التحول من الفقه إلى التصوف)، والطب مثل: الأعضاء والنفس، والتصوف مثل: ختم الولاية، آداب المريدين، صفة القلوب، المنهج، غور الأمور، والتاريخ مثل: تاريخ المشايخ، العلوم مثل: كتاب العلوم.

(2) كتاب الرياضة ص34-42.

(3) الآيات (43)، الأحاديث (28) وفي «آداب النفس»: الآيات (81)، الأحاديث (19).

(4) السابق ص72/ 79-85، آداب النفس ص96-97/ 110/ 121.

(5) كتاب الرياضة ص47-49/ 72.

(6) السابق ص56/ 66/ 76/ 119/ 126/ 155.

(7) السابق ص120/ 128.

الهندوسية والبوذية خاصة. ومع ذلك ظهر أيضاً صوفية بغداد كالحلاج والبصرة مثل الحسن البصري. فالمنطقة الجغرافية أحد المصادر الثقافية للتصوف. كان البسطامي مجوسياً ثم أسلم ولكنها ليست العامل الوحيد. لذلك تذكر بعض العبارات بالفارسية عند البسطامي والترمذي. بل إن هناك مؤلفات كاملة بالفارسية لفريد الدين العطار وجلال الدين الرومي والهجويري. وتظهر بعض العبارات الفارسية في أدب النفس للترمذي[1].

ويعتمد الصوفية على ضرب الأمثال في التعبير. فالمثل أكثر قدرة على التعبير من العبارة[2]. وتتعدد مجالات التشبيه من البدن إلى الكون إلى التاريخ كما هو الحال في رسائل إخوان الصفا. وهي مدونة من نفس العصر. قيادة النفس للبدن مثل قيادة الفارس للحصان.

1 ـ **«كتاب الرياضة»**[3]: وتعني الرياضة أيضاً تهذيب النفس والتخلي عن آفاتها. تجمع بين الطب وعلم النفس، بين علاج البدن وإصلاح الروح. فكلاهما أجزاء للإنسان ويحتاج إلى الفحص جزءاً جزءاً. فالشهوة بين البدن وهوى النفس. يعتمد على القرآن ثم الحديث دون الشعر[4]. ويستعمل أسلوب القول «فإن قال قائل»[5]. ولا يُذكر أحد من الصوفية أو المحدثين الكبار[6]. تقوم على استنباط الأخلاق من النص دون تحليل كاف للتجارب النفسية. ولا يقسم إلى أبواب أو فصول، بل يتناول عدة موضوعات متنوعة. سلطان الشهوة يعادله سلطان المعرفة. وموضوع الفرح من المذموم ومن المحمود. والأفضل اتقاؤه. ومن الأهواء الكبر في النفس. وابن آدم مطبوع على سبع: الغفلة والشك والشرك والرغبة والرهبة والشهوة والغضب. والجوارح سبع: اللسان والسمع والبصر واليدان والرجلان

---

(1) السابق ص103.

(2) السابق ص58/ 106-108/ 111/ 116.

(3) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1947م- 1366هـ.

(4) الآيات (43)، الأحاديث (20)، قدسي (1).

(5) كتاب الرياضة ص 86.

(6) الرسول (22)، آدم (6)، إبليس (5)، جبريل (4)، الترمذي، عبد الله بن عمر، موسى (3)، أنس بن مالك، حارثة، حواء، نوح، يوسف بن عطية (2)، ابن عباس، عمر بن الخطاب، مالك بن دينار وعشرات من المحدثين (32).

والبطن والفرج. ومستقرها البطن. والقلب أميرها بما يُشرق عليها من أنوار تصقله. الجوارح أمانة، وتهذيبها بالصوم. ويقوم الصوفية بالمجاهدة، ومنع النفس من الحلال، وحث الأكياس في أحوال النفس، ودرع المؤمن حتى يتجلى الله. وقد ارتبط الصوفية بالعهد منذ ﴿أَلَسْتُ﴾، وحملوا نور التوحيد.

وفي «كتاب الرياضة» لا توجد أبواب أو فصول بل يوجد خطاب إرشادي وعظي متصل أقرب إلى الخطاب الشفاهي قبل التدوين. وكذلك كتاب «أدب النفس» مع التذكير بالموضوع والإحالة إليه[1]. كما يحيل إلى أجزاء الكتاب في البداية أو النهاية لاستكمال الموضوع[2]. ويقوي ذلك أساليب البيان والبديع من سجع وطباق وباقي الأساليب الأدبية[3]. كما يستعمل أسلوب السؤال والجواب فإن «قال قائل. . . قال» فالحوار أسلوب تربوي منذ سقراط وأفلاطون[4].

ويحيل الترمذي إلى باقي أعماله مما يدل على وحدة الموقف[5]. ويحدث التراكم التاريخي ليس فقط في أسماء الرواة كما هو الحال في علم الحديث بل استرجاعا للصوفية الأوائل الذين لم يتركوا مصنفات مدونة وإن تناقل الرواة أقوالهم[6].

كان الصوفية من المعارضين الأوائل حتى في المرحلة الخلقية. فقد اتهم الترمذي بالكفر بسبب «ختم الولاية» أو «ختم الأنبياء» و «علل الشريعة». فللأولياء خاتم كما أن للأنبياء خاتم. والولاية أفضل من النبوة بدليل قول النبي **«يغبطهم**

---

(1) مثل «رجعنا إلى رياضة النفس»، أدب النفس ص104. «عدنا إلى صفحة الموقد»، السابق ص129.

(2) السابق ص106.

(3) «فإذا ذكر المنة غرق. وإذا ذكر العافية قلق، وإذا ذكر حلول الأجل شرق، وإذا ذكر العيوب عرق، وإذا ذكر الرعاية والكلاءة وحق، وإذا رأى اللذات في الطاعة مئق، وإذا ذكره تئق، وإذا حن إليه واشتاق غرق»، أدب النفس ص130.

(4) السابق ص104-105/ 110-111/ 116/ 119/ 131/ 150/ 152/ 156/ 158.

(5) يحيل الترمذي إلى كتابه «صفة القلوب وأحوالها وهيئة تركيبها» لمزيد من التفصيل، أدب النفس ص104.

(6) من الأنبياء يتقدم محمد (46)، آدم (10)، سليمان (5)، عيسى (4)، داود، يوسف، موسى (2)، ومن الملائكة جبريل (7)، ومن الرواة يتقدم ابن عباس (7)، حارثة (8)، أنس بن مالك (4)، ومن الصوفية الأوائل يتقدم مالك بن دينار (4)، ابن المبارك (3)، ومن الصحابة: عمر، علي (2).

النبيون والشهداء». وهناك عناصر تشابه بين المرحلة الخلقية والديانات الشرقية مثل البوذية في السيطرة على الأهواء والانفعالات من أجل التحرر منها والسيطرة على شهوات النفس في التصوف.

2 ـ «**أدب النفس**»[1]: وهو من نفس النوع. ويعتمد على القرآن أكثر من الحديث دون الشعر[2]. ومن أعلام المحدثين والصوفية بعد الرسول ابن عباس وحارثة ثم ابن المبارك ثم الحسن البصري ومالك بن دينار وأويس القرني. ومن الفقهاء أنس بن مالك. ومن الأنبياء عيسى ثم آدم ثم داود ويوسف. ومن الرواة يذكر العشرات. ومن الملائكة جبريل[3]. وهو أيضاً بلا أبواب أو فصول بل يضم عدة موضوعات أخلاقية مثل رياضة النفس وأثرها في قبول أحكام الله، ومجاهدة النفس ورياضتها، وعدم الغفلة عنها، ومنع اللذة والشهوة عنها، وتحرير القلب من رقها، والتخلص من الهوى والشهوات، وصفاء القلب وطهارته أو صقله متى يحل الإيمان واليقين فيه. وتظهر بعض المقامات مثل الصبر والرضا وبعض الأحوال مثل الفرح والحزن على الأنبياء والمتقين. ويظهر بعض القصص الرمزي مثل البازي والدابة، وذكر أفعال الخضر التي يدل باطنها على غير ظاهرها.

هـ ـ رسائل ابن أبي الدنيا (281هـ)

1 ـ «**كتاب الشكر**»: وهو أيضاً في موضوع للحديث النبوي وأحد مقامات الصوفية في آن واحد. كله أحاديث، وأقله قرآن وشعر[4]. وبلا أبواب أو فصول بالرغم من قسمته إلى جزأين بلا أي دلالة أو معيار للقسمة. الجزء الأول للرسول والصحابة، والثاني للعلماء الفقهاء والصوفية مما يدل على بداية تخلق الوعي التاريخي بالطبقات دون ترتيب زماني أو أبجدي. أكثر من نصف الأحاديث أقوال

---

(1) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1947م-1366هـ.

(2) الآيات (81)، الأحاديث (19).

(3) الرسول (26)، ابن عباس، حارثة (6)، عيسى (4)، آدم، ابن المبارك، جبريل، الحسن البصري، مالك بن دينار (3)، أنس بن مالك، جارود بن معاذ، حبيب العجمي، داود، سيار، يوسف (2)، صالح بن محمد، عامر بن عبد قيس، عبد الكريم بن عبد الله، عبد الله بن أبي زياد وحوالي السبعين من الرواة (1).

(4) الأحاديث (72)، الأقوال المباشرة (43)، الآيات (13)، الأشعار (3)، قدسي (1).

مباشرة، والباقي روايات وحكايات. يذكر السند مع المتن. ويذكر القرآن داخل الحديث[1]. ويعتمد على الإسرائيليات في أقوال الأنبياء السابقين خاصة نوح وداود وموسى[2]. ومن الصوفية والزهاد والمحدثين والعلماء يذكر أولاً الرسول ثم الحسن البصري ثم ابن أبي الدنيا ثم أبو حاتم الرازي، ثم سفيان الثوري ثم ابن عيينة ثم عائشة ثم وهب بن منبه. ومنهم إبراهيم بن أدهم وأبو سليمان الداراني وعمران بن حصين، وعمرو بن دينار، والفضيل بن عياض، ومن الفقهاء أنس بن مالك ومن الأنبياء داود ثم موسى ونوح[3]. ومن المجموعات يتقدم الأنصار[4]. ومن البلدان الكوفة والمدينة ثم مكة ثم باقي البلدان[5].

2 ـ «الصمت وحفظ اللسان»[6]: والصمت إحدى الفضائل الصوفية المذكورة في «الرسالة القشيرية». والمؤلف مؤرخ وصاحب مغازي وسير. ومع ذلك اكتفى بدور المحدث، جمع الأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين حول فضيلة الصمت وحفظ اللسان. وتتكرر بعض الأحاديث وتتعدد الروايات لأهمية السند من أجل صحة الحديث. وللأحاديث الأولوية على الآيات كما أن للآيات الأولوية على الشعر[7]. والأحاديث مجرد رصد دون موضوعات في أبواب أو فصول. كما يُذكر العديد من الإسرائيليات كمصدر لفضيلة الصمت عند الأنبياء[8]. ويبدو أن الدافع

---

(1) كتاب الشكر ص 65.

(2) السابق ص 67/ 70-71/ 76/ 82/ 84/ 129/ 139/ 970.

(3) الرسول (43)، الحسن البصري (18)، ابن أبي الدنيا (13)، جبلة الأزدي، حاتم الرازي (12)، المزني (10)، محمد بن الحسين (9)، سفيان الثوري، سفيان بن عينية (8)، أنس ابن مالك، الجروي، داود، روح بن عبادة (7)، أحمد بن سلمان النجار، خلف بن هشام، سعيد بن عامر، علي بن الجعد، قاسم بن هاشم، مسعد بن كرام، أبو هريرة (6)، أبو حاتم الرازي، سلمة بن دينار، البزاز، الحسن بن صباح، السمان، عائشة، العدوي، السحار، خشيش أبو سعد، موسى، نوح، وهب بن منبه. والمجموع حوالي 460 اسما.

(4) الأنصار (2)، أهل الحجاز، أهل الكوفة، أهل المدينة، أهل مكة، البصريون (1).

(5) الكوفة، المدينة (3)، مكة (2)، البصرة، بغداد، بلخ، الحجاز، دمشق، الرقة، صنعاء، الطائف، مصر، نيسابور (1).

(6) دار الاعتصام، القاهرة (د.ت).

(7) الأحاديث (218)، الآيات (27)، الأشعار (15).

(8) حوالي (17) مرة.

هو رد فعل على جدال المتكلمين. ولا يذكر إلا الوافد الشرقي، الهند، مرة واحدة [1].

وتذكر في المقدمة الإجازة بالرواية دون أي مقدمة نظرية أخرى. وأسماء الأعلام من الصوفية يتقدمها أبو هريرة والحسن البصري ثم أنس بن مالك ثم إبراهيم التيمي ثم الأحنف بن قيس، أبو الدرداء، مالك بن دينار، إبراهيم النخعي ثم ابن سيرين، وهب بن منبه، أبو سعيد الخدري ثم سلمان الفارسي، فضيل بن عياض ثم إبراهيم ابن أدهم وأويس القرني. ومن الفقهاء أحمد بن حنبل. ومن الصحابة يتقدم أبو هريرة ثم عبد الله بن مسعود ثم عمر ثم ابن عباس ومجاهد ثم عبد الله بن عمر ثم علي ثم أبو بكر، ثم معاوية! ومن زوجات الرسول تتقدم عائشة. ومن المحدثين يتقدم ابن أبي الدنيا ثم الترمذي. ومن التابعين يتقدم عمر بن عبد العزيز. ومن الأنبياء يتقدم عيسى ثم لقمان ثم موسى ثم داود ثم إسماعيل وذو القرنين إذا كان نبياً[2]. والكوفة هي المدينة الأولى لظهور الصوفية ثم البصرة في العراق، ثم خراسان في الشام ثم الحجاز[3].

3 ـ **«محاسبة النفس والازدراء عليها»**[4]: قد يظهر عند مؤلف واحد أكثر من

(1) الصمت ص 51.

(2) أبو هريرة (38)، الحسن البصري (31)، أنس بن مالك (27)، عبد الله بن مسعود (26)، عائشة، عمر (21)، إبراهيم التيمي، ابن أبي الدنيا، ابن عباس، مجاهد (15)، عبد الله ابن عمر (14)، الأحنف بن قيس، أبو الدرداء، عمر بن عبد العزيز (12)، إبراهيم النخعي (9)، عطاء بن رباح، علي، عيسى، مالك بن دينار (8)، جابر بن عبد الله (10)، الشعبي، الربيع بن هيثم، سليمان بن الأشعث، عبد الله بن عمر (7)، عبد الله ابن المبارك، عون بن عبد الله، قتادة، معاوية، وهب بن الورد (6)، أبو بكر، الترمذي، ابن سيرين، شمس الدين الذهبي، كعب، وهب بن منبه (5)، بكر بن ماعز، أبو ذر، سالم بن عبد الله بن عمر، أبو سعيد الخدري، سليمان الفارسي، عبد الله بن زكريا، لقمان، مطرف، ميمون بن مهران (4)، إبراهيم بن أدهم، أحمد بن حنبل، أسامة بن يزيد، حميد الطويل، داود سفيان (3)، الثوري، سليمان، شعبة، صعصعة، عمرو بن قيس، فضيل بن عياض، مسروق، معاذ بن جبل، المعتضد، موسى، يونس بن عبيد.

(3) الكوفة (12)، البصرة (9)، خراسان (6)، الشام (5)، العراق، صفين، المدينة (4)، مكة (3)، سمرقند (2).

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م- 1421هـ.

شكل من أشكال الوعي التاريخي مثل ابن أبي الدنيا. فبالرغم من أنه لديه الوعي التاريخي بالحديث إلا أن لديه أيضاً الوعي بالأخلاق الفردية مثل «محاسبة النفس». فهو لا يعتمد على الحديث بل على أقوال الصحابة والتابعين لأجيال أربعة. ومن قلة الاعتماد على الحديث أضافه المحقق في تخريج أقوال الصحابة والتابعين وإرجاعها إلى الحديث[1]. ولا يعتمد على القرآن قدر اعتماده على الشعر[2]. ويظل الأسلوب هو الرواية، والسند مع المتن. ومن الصوفية يذكر مالك بن دينار[3]. ولا توجد مقدمة نظرية ولا خاتمة ولا أي تحليل نفسي. توجد فقط الإجازة بالحديث في البداية والنهاية[4]. كما يبدأ الموضوع في الظهور من خلال الأقوال. ويوضع في أبواب خمسة: ذم النفس، معاقبة النفس، جهاد النفس ومنعها من شهواتها، الحذر على النفس من مخالفة سوء المنقلب والمقت، إجهاد النفس في الأعمال طلباً للراحة يوم الميعاد.

و ـ **«كتاب الزهد» لابن أبي عاصم(282هـ)**[5]: ويكشف عن التقاء علم الحديث والتصوف في مقام الزهد، ونشأة علم التصوف من علم الحديث. ويخلو من الأبواب والفصول. يذكر فقط لفظ «باب» ست مرات دون عناوين، منهما مرتان فقط عنوان الباب هي حديث الرسول[6]. وتُذكر أحاديث النبي في الموضوع تباعاً، السند مع المتن. وتتكرر بعض الأحاديث[7]. وتشمل الأحاديث الأقوال والحكايات[8]. ولا يظهر القرآن أو الشعر. بل تضم أقوال بعض الصحابة دون الزهاد والعباد والنساك الأوائل. وتظهر الإسرائيليات في أقوال الأنبياء السابقين في الزهد[9]. ويخلو الكتاب من أي مقدمة أو خاتمة نظرية تبين الهدف من الكتاب أو

(1) محاسبة النفس ص29-57/ 61-65/ 88-89/ 98-101/ 115-117.
(2) الشعر (13)، القرآن (6)، الحديث (4). أقوال الصحابة والتابعين (126).
(3) محاسبة النفس ص (75).
(4) السابق ص 19/ 135-136.
(5) دار الريان للتراث، القاهرة، الدار السلفية، بومباي، 1987م-1408هـ.
(6) كتاب الزهد ص15/ 51/ 89/ 111/ 117/ 126.
(7) السابق 74/ 75.
(8) أحاديث الأقوال 178 حديثا من مجموع 288 حديثا.
(9) كتاب الزهد ص 29/ 38/ 40/ 56.

سبب تأليفه. كما يخلو من أي أدلة عقلية أو عرض نظري. ويعرف الزهد سلباً بمعنى ترك الدنيا.

ز ـ «الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار» لأبي القاسم الصقلي المالكي (380هـ)[1]: وبالرغم من أن العنوان في المعرفة الكشفية إلا أنه أقرب إلى الأخلاق النفسية والمقامات والأحوال. وبالرغم من اعتماده على بعض الآيات والأحاديث إلا أنه يقوم على مستوى عال من التنظير اعتماداً على القسمة العقلية[2]. وأحياناً تتوالي الآيات بالرغم من قلتها[3]. ولا يُذكر أحد من الصوفية الأوائل على الإطلاق، ولا أحد من الرواة. ولا يذكر إلا الحكماء مرة واحدة[4]. وكل فقرة خطاب أمري مباشر يتوجه إلى القارئ لنبدأ التربية الخلقية وتهذيب النفس ومحاسبتها كما فعل المحاسبي والترمذي من قبل. وهي أقوال للمؤلف مثل أقوال التستري مجموعة في سبعة أجزاء بلا عناوين. يتقدم كل منها فعل القول لمجرد القسمة. ويمكن استنباط موضوعاتها كالآتي: مفاتيح الرشد ومزيد الهداية، مراتب العلماء وأهل المعرفة، منن الله على الأمة، حكمة الله، فروض الله على المؤمنين، آداب أهل المحبة مع الله، والعلم والعلماء. أكبرها الخامس، فروض الله على المؤمنين وأصغرها السابع، العلم والعلماء[5]. تقع بين مصطلحات الصوفية والتجارب الأخلاقية والنفسية.

وتقوم المقدمة على قسمة عقلية. الغاية العمل بالتحقيق. وعليه أربعة علامات: الأمر والنهي والترغيب والترهيب. وله أربعة أصول، لكل منها درجة ومقام. وأهلها الراسخون في العلم والطالبون لها والمريدون للمعرفة، حزب الله، جنة الله. هذه الأصول الأربعة هي: معرفة الله، معرفة دين الله، معرفة عدد الله،

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م-1421هـ.

(2) الآيات (19)، الأحاديث (2)، القدسي (2).

(3) الأنوار ص228/ 232.

(4) السابق ص 129.

(5) الجزء الأول: مفاتيح الرشد ومزيد الهداية (32)، الجزء الثاني: مراتب العلماء وأهل المعرفة (33). الجزء الثالث: منن الله على الأمة (29). الجزء الرابع: حكمة الله (36). الجزء الخامس: فروض الله على المؤمنين (41). الجزء السادس: آداب أهل المحبة مع الله (39). الجزء السابع: العلم والعلماء (9).

معرفة الدنيا. وتدور الأقوال كلها التي تبلغ المئات حول هذه الأصول الأربعة[1]. وتتوالى القسمة العقلية عشرات المرات[2]. ويبدأ بها الجزء الأول. وتضم مجموعة من المقامات مثل التوبة والصبر والشكر والمحبة والرضا والتوكل ومجموعة أقل من الأحوال، الخوف والرجاء، ومجموعة ثالثة من الفضائل مثل الإيمان والعمل والعلم والنصيحة. ونقيضها ما يبعد عن الهداية والرشاد: إسلام بلا صدق، عمل بلا إخلاص، علم بلا إتباع، عقل بلا فهم، معرفة بلا بصيرة. وتتوالى القسمة للرضا والتوكل والمعروف بين أيدي الناس، ومعرفة عقل الفاضل والأحمق، والسخف والطبع، والمحبة، والإرادة والحذر والحقيقة والمقامات... الخ. كما تنقسم مراتب الناس، أهل الصدق وأهل والإرادة والعلماء والإخوان، والحكماء، وأصحاب اليمين... الخ[3].

---

(1) عدد الأقوال (947).

(2) والنجاة في خمس: لزوم التوحيد، الاعتصام بالكتاب والسنة، صلاح القلب للسلف، سلامة الصدر للأمة وصفاء الطعمة. ونقيضها الهلاك في إيثار الدنيا على الآخرة، وطاعة العدو، وموافقة النفس، ومؤالفة الهوى. جعل الله مفاتيح الرشد ومزيد الهداية في عشرة وجوه تفترق على أجزاء: الإيمان، وعقد القلب بالتصديق على إخلاص التوحيد. فشرط العمل بالإتباع ثم مبادرة التوبة على ترك الكبائر والصغائر، ثم طلب العلم بالأدب لإرادة العمل به، ثم الصبر على البلوى بترك التبرم والشكوى، ثم الشكر على النعماء برؤية التقصير في الواجب، ثم عين الخوف بصحبة الرجاء، ثم الحياة بالمراقبة، ثم المحبة ببذل الأشياء، ثم النصيحة بالإنصاف، ثم الرضا بالتوكل «الأنوار ص12» وجعل مغاليق الرشد وذهاب الهداية في خمس يفترق على أجزاء الكفر: إسلام بلا صدق، وعمل بلا إخلاص، وعلم بلا اتباع، وعقل بلا فهم، ومعرفة بلا بصيرة، السابق ص12. النجاة في خمس والهلكة في أربع: النجاة في لزوم التوحيد، والاعتصام بالكتاب والسنة، وصلاح القلب للسلف، وسلامة الصدر للأمة، وصفاء الطعمة. والهلكة في إيثار الدنيا على الآخرة، وطاعة العدو، وموافقة النفس، ومخالفة الهوى بغير بنيان ولا هدى، السابق ص12.

(3) أصول الرضا ثلاثة وشعبه ثلاثة (ص13). أصول التوكل ثلاثة وشعبه ثلاثة (ص14). المعروف بين الناس على أربعة وجوه (ص15). معرفة عقل الفاضل في ثلاثة، ومعرفة الأحمق في ثلاثة، والسخف في أربعة (ص17-18). والطبع على أربع، والمحبة لثلاث، والإرادة على ثلاث، والحذر من صحبة ثلاث (ص22/ 25). أهل الحقيقة أربع (ص36) ثمانية مثاقيل للأمة (37) لأهل الصدق طريقان (37)، أصول أهل الإرادة عشرة، وآدابها عشرة، وأخلاقها عشرة (42)، سبع مقامات (49)، العلماء ثلاثة، حجة ومحجاج ومحجوج (50)، فقدان الناس ثلاثة، والابتلاء لستة (73)، التقوى والكرم والفجور والدناءة =

وتردد الأقوال التي تقارب الألف حول موضوعات التصوف الأخلاقية الفضائل والرذائل، والتصوف النفسي مثل المقامات والأحوال، والتصوف النظري في نظرية المعرفة، والتصوف العملي في أحوال الطريق. فمتن التصوف الأخلاقي الفضائل كالفقر والورع والتعفف، الحلم والإتباع، الإنصاف، الصمت، العدل، الحياء، البكاء، الصدق، التقوى، الكرم والسخاء، الطهارة. ومن الرذائل الإفراط والأذى والإسراف والغضب، الهوى والحمق، سوء الظن، البدعة، الحسد، العجب، الكبر، البخل والشح، الرياء، الشهرة، الخرق، ومن التصوف النفسي، المقامات كالرضا والتوبة والمحبة والصبر، والزهد، والتوكل، والأحوال الخوف والرجاء، الأنس، الفناء والبقاء. ومن التصوف النظري، العلم، العقل، الوسوسة، اليقين، الغفلة، التوحيد، الكشف، الحكمة، ومن التصوف العملي، إنكار الدنيا، الرياضة والمجاهدة، العمل والأدب، البلاء، الامتحان، الذكر، المريد، الوحشة، المحاسبة، العامة والخاصة، الولاية، الحذر من النساء، الإرادة.

وأهم دلالة له هو نقد أحوال العصر وفساد الصوفية والعلماء. يكرر عدة مرات[1]. معرفة العصر معرفة للنفس، معرفة النفس ومعرفة للعصر. فالإنسان ابن عصره، والصوفي ابن وقته[2]. وشر زمان عندما يكون فيه التقي من العامة ذليلاً والفاجر من الخاصة عزيزاً[3]. يتسم علماء أهل هذا الزمان بالجهل بالدين وادعاء

= والمروءة والوفاء والإضاعة والخيانة خمس (75-76)، أصول الإسلام في الظاهر أربعة (78)، وفي الباطن أربعة. الإخوان أربعة (86)، الحكماء ثلاث، والعقلاء ثلاث (107)، صلاح الدنيا بأربعة (110)، أصحاب اليمين ثلاثة (123). معرفة الناس من ثلاثة (160)، للغة أصلان (163). طلب الدنيا على ثلاثة أوجه (176). للمعرفة أربعة معاني (183). علامة المعونة من الحق ثلاث (195). أربعة خلائق للولاية (200) أخلاق المؤمن أربعة (200) الإيمان في القناعة على ثلاثة منازل (207).

(1) نقد العصر حوالي (13) فقرة.

(2) «لا يعرف الناس من لم يعرف زمانه. ولا يعرف زمانه من لم يعرف نفسه. ولا يعرف نفسه من لم يعرف عيوبها. ولا يعرف عيوبها من لم يعرف دينه. ولا يعرف دينه من لم يعرف دنياه. ولا يعرف دنياه من لم يعرف آخرته. ولا يعرف آخرته من لا يعرف ربه. ولا يعرف ربه بالحقيقة من لم يرض بقضائه، ويصبر على بلائه، ويشكر على نعمائه، ويقر بفضل ما خوله من عطائه»، الأنوار ص120. «وأقبح من ذلك الزمان زمان يُرى فيه الظلم إحساناً»، السابق ص132.

(3) «شر زمان للعامة يكون التقي منهم ذليلاً صغيراً، وشر زمان للخاصة يكون فيه الفاجر =

المعرفة. وادعاء الزهد والتقوى باللباس والتدليس، وإيذاء الناس[1]. وهم قدوة سيئة تؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة. هم علم بلا بصيرة، وخبر بلا فراسة، مع فسق المريدين أو صحتهم، وفساد السلاطين والعلماء بالرشوة، والتكالب على الدنيا، المال والسلطة، الثروة والرئاسة، وترك العمل بالحكم من الكتاب والسنة، والاعتماد على الأهواء والمصالح الشخصية[2].

ومن مظاهر فساد العصر ثلاثة في الدين: ترك الفرض وموالاة العدو،

= منهم عزيزاً شريفاً»، «ما أقبح زماناً لا سلطان فيه للحق منة على الظالم، وأقبح من ذلك الزمان زمان يجد فيه الظالم على نفسه ظلمة»، السابق ص 133.

(1) «ويلكم يا معشر النساك الجهلة بدينهم. أظهرتم زهدكم بالعجز عن محاسبتكم. واستعملتم تواضعكم في لباسكم، وأخفيتم الكبر والحرص في صدوركم. فلا أنتم وجدتم راحة في قلوبكم، ولا أنتم أرحتم الناس من آذاكم. فما ظنكم غداً عند ربكم إذا وضع ميزان الحق للخلق وذهب الباطل؟ ويلكم يا معشر العلماء السوء الجهلة بربهم. جلستم على باب الجنة تدعون الناس إلى النار بأعمالكم. فلا أنتم دخلتم الجنة بفضل أعمالكم، ولا أنتم أدخلتموها للناس بصالح أعمالهم. قطعتم الطريق على المريد فصددتم الجاهل عن الحق بعد علمكم. فما ظنكم غداً عند ربكم إذا ذهب الباطل بأهله وقرب الحق أتباعه. عجبت لقوم عجزوا عن معرفة أنفسهم يدعون المعرفة بأحوال غيرهم. بل عجبت من قوم أطاعوا الله في جهلهم فلما علموا واجبه عليهم عصوه بعد المعرفة به. . . عفت الطريق، أكثر أهل التدليس، والمشتبهون بدعاوى كاذبة، وحكايات مزخرفة، وصفات منمقة، وظواهر بالعلم فاسدة، وتعاطي حجج غير صادقة. كل ذلك لطلب دنيا أو محبة لثناء. وقد قل أهل العلم والبصيرة، وأهل المعارف بالحقيقة. فمن رأيتم يحفظ كلمته، ويبحث عن طعمته، ويصافي أهل الحق بالمودة، ويسلم غريب العلم، وأسباب القدرة. فشدوا به أيديكم، وتوسلوا به إلى ربكم. فإنه علم من أعلام الحق منار لأهل الوفاء والصدق. ومن كان بغير هذا الوصف فإما جاهل في عمله أو أحمق في عمله أو دجال يكيد الطريق وأهله»، السابق ص 23-24.

(2) «هلك في هذا الزمان من عرفه الناس بالعلم والخبر. ولم يعرفهم بالبصيرة والفراسة، وسلم من الناس من لم يعرفهم ولم يعرفوه وأربح الناس من عرفهم ولم يعرفوه. إذا فخر العلماء وفسق القراء وسفك السلطان الدماء وأخذ على الحكم والحاجة الرشاء، وافتخرت العامة بكسب الحرام، ولم يغير الخاصة منكراً فهناك وجب الفرار ووسع المريد الصمت، وكان الموت تحفة لكل مؤمن. فساق هذا الزمان أكثر مروءة في الدين من قرائهم، وعوامهم أقوى إيماناً من علمائهم، وجهالهم أكثر تصديقاً بالقدرة من أهل القدوة بهم. وما ذاك إلا عقوبة نزلت بالقوم. فإن اعتبروا وأنابوا وإلا زيدت الفتنة عليهم من تسليط سلطان السماء، وسلطان الأرض في الدين والدنيا. . .»، السابق ص86-87.

وفقدان الثقة بالله. وثلاثة في الدنيا: أكل الحرام وغياب النصيحة وضياع الإنصاف وثلاثة لدى الفقراء: عدم الصبر وعدم الرضا وعدم ترك الذم والمدح. وثلاثة لدى الأغنياء: عدم الشكر وبذل الفضل وترك النصح. وثلاثة في الأصل: إهمال الدين ومصلحة الدنيا والافتخار[1]. وثلاثة في الإخوان: غياب سلامة الصدر والبذل عند الحاجة ونصرة الحق عند الغيبة[2]. الزمان زمان بلاء وفتنة وامتحان واختبار سواء

(1) «إنما عميت قلوب أهل الإتراف بالدنيا لقلة التحافظ في الكسب، وترك المحاسبة في الإنفاق. وإنما عميت قلوب العلماء والفقراء لمحبة الذكر والرئاسة، ومخالطة الظلمة، ومداهنة الفجرة. وإنما غويت قلوب أهل الإرادة، لإضاعة الرعاية. وإنما قل صبر الفقراء لموافقة هوى أبناء الدنيا. . .، «لما تركوا العمل بالمحكم من كتاب الله، والثابت من السنة، ورجعوا إلى الرأي والقياس والمستحسن سلبوا أنوار عقولهم، وانطمست فطن فهومهم، فعمي القلب، وكل الذهن، فقامت النفس عند ذلك مقام العقل، وقام الهوى مقام الروح، وقام العدو مقام العلم، وقامت الوسوسة مقام الصدق والأخلاص، وقام الباطل مقام الحق. . . «ذهبت الغنيمة،وغربت السلامة، وعلا الباطل، وظهر المنكر، وتعامل الناس بالخبث والفجور. فلا يُري الحق في هذه الأزمان إلا مريد سمعه بإذن قلبه من الحق أو ناطق غير الحق، ولا يعقله إلا ظاهر بالتوبة، ولا يعمل به إلا بصير بالمعرفة». . .،السابق ص 112-113. «سيد الناس في هذا الزمان من وهبه الله ثلاثة وإن قل علمه وعمله: حفظ فرضه، وضبط لسانه وإصلاح طعمته. وشر الناس في هذا الزمان من منع في ثلاثة وإن كثر علمه وعمله من استبدل بصحبه أبناء الآخرة وحتى أبناء للدنيا، ولهي بالتكاثر من الدنيا بعد التقلل منها، وصنع من معرفة نفسه بتزكية الجهال له»، السابق ص53-54. «وحصل أهل هذا الزمن على ثلاثة أخلاق مذمومة تورث ثلاثة محتومة تورث ثلاثة موبوقة. توالوا على إظهار المحبة، وتباينوا في القلوب بالمخالفة فورَّثهم ذلك المراهنة، وورثوا منها الإصرار على مذموم الحال، وتواطئوا على إظهار العداوة، وتألفوا على الركون إلى الظلمة والاختلاف إلى الفجرة فورَّثهم ذلك الصمت عن قبيح أفعالهم، وإظهار شكر ما عملوه منهم، وورثوا من ذلك أخذ الأجعال على قضاء الحوائج وهو السحت الذي نهى الله عنه، ورأوا أن ذلك لهن حلال. وتواطئوا على طاعة النساء فورَّثهم ذلك ذهاب أموالهم في الباطل فورَّثوا من ذلك ذهاب الغيرة لله ولرسوله ولصحابته ولأعراض المؤمنين وحرماتهم. فماذا ينتظر الناس بعد هذا إن كان هذا موجود في السلطان والقاضي والعالم والخاص والعام. إنا لله وإنا إليه راجعون على ذهاب الأعمار، وموت الأخيار والتخلق بداء الاغترار والأنس بقوم لا يستحيون من فضيحة ولا عار»، السابق ص67.

(2) «عدم في هذا الزمان ثلاثة في الدين، وثلاثة في الدنيا، وثلاثة في الفقراء، وثلاثة في الأغنياء، وثلاثة في الأهل، وثلاثة في الإخوان. فأما الذي في الدين فالمحافظة على الفرض، والرعاية في المعاداة والموالاة، وفقد الثقة بالله. وأما التي في الدنيا فالحلال =

لمن عارضه أو لمن رضي به[1]. والطريق هو محاسبة النفس وإصلاح الدين والكف عن الأذى[2].

لقد ضيع العوام والعلماء والعارفون والمريدون وأهل الإيمان وجميع الناس كل شيء، كل في مستواه[3]. ضيّع العامة سبعة أشياء: الأمر والنهي، والترغيب

= المحض بلا شبهة، والنصيحة بالحقيقة، والإنصاف في المودة. وأما التي في الفقراء فالصبر عند العدم، والرضا بما أوتي، وترك الذم والمدح. وأما التي في الأغنياء فالشكر عند الموجود وبذل الفضل بلا منة، وترك النصح بالنعمة. وأما التي في الأهل فإقامة الدين بواجب فرضه، ومصلحة الدنيا بنية التعفف، ومحبة الستر بترك الافتخار والمباهاة. وأما التي في الإخوان فسلامة الصدر عند المخالفة، والبذل عند الحاجة، والنصرة بالحق عند الغيبة»، السابق ص160-161.

(1) «هو زمان بلاء وفتنة، وامتحان واختبار. وأشد ذلك كله على من أشار إلى شيء من الحقيقة إما بحال حل فيه فذلك الذي أعظم البلاء عليه، وإما بتصديق فيلحقه من البلاء بقدر إيمانه. فطوبى للصابرين القانعين، وهنيئاً للراضين المحسنين»، السابق ص. . . 168، «إذا صار العلماء بالأمر جهالاً في أعمالهم، وصار العمال أهل عبادة في أفعالهم، وصار المدعون الورع سخفاً في أحوالهم، وصار المريدون والطالبون أهل رؤية ودعوى ونفور وجفاء، لا يهابون شيخهم، ولا يجلون كبيرهم، ولا يرحمون صغيرهم فيكرمون كرامات أهل الطاعة، ويرفعوا بأهل التخاليط والمعصية فقد وجب كتمان هذا العلم ووجبت الظنة بذكر أحوال أهل المعرفة واليقين الخاصة والخصوص إلا عن أهله من أهل التصديق والبصيرة في التحقيق». . .، السابق ص 168.

(2) «لا يسلم لأحد في هذا الزمان دينه حتى يكون همه محاسبة نفسه، وشغله بصلاح دينه، ويترك الناس جميعاً بكف الأذى عنهم، واتصال نفعه بهم»، السابق ص 168-169.

(3) «ضيع العوام في هذا الزمان معرفة معاني سبعة أشياء من الكتاب والسنة فيها كل بر وفضل ومقام ودرجة. وهو: الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والآداب والقصص والأمثال. وضيع العلماء معرفة معاني ستة أشياء وهو أول فرض عليهم في صلاتهم: فرضها وسننها وحدودها وأحكامها وترتيبها وجمع الفهم فيها. وضيع العارفون معرفة معاني خمسة أشياء في حالهم. وبها تصلح عبوديتهم: عقل الإيمان، وفهم الإيمان، وعلم الإيمان، وعمل الإيمان، ويقين الإيمان. وضيع المريدون معرفة معاني أربعة أشياء بها قوام حالهم في طريقتهم: أداء الحق المفترض عليهم، وأخذ الحق الواجب لهم، وابتغاء الحق المرغوب فيه والنهي عنه، وتمييز الحق الوارد من الحق للحق والخلق. وضيع أهل الإيمان معرفة معاني ثلاثة أشياء وهي ما لا يسع أحد جهلها: أحكام أصول الدين من الكتاب والسنة ووجوه الإتباع في الترغيب والترهيب وموافقة الحق في الرضا والغضب. وقل في الناس معرفة معاني اثنين: النصيحة في الموالاة، والإنصاف في العداوة، وعدم في الناس معرفة معنى واحد: إدخال المسرّة بالموافقة للحق على قلوب المؤمنين»، السابق ص 185-186.

والترهيب والآداب والقصص والأمثال. وضيّع العلماء معاني ستة أشياء في الصلاة: الفرض والسنة والحدود والأحكام والترتيب والفهم. وضيّع العارفون معاني خمسة أشياء في الإيمان: عقله وفهم وعلمه وعمله ويقينه. وضيّعَ المريدون معاني أربعة أشياء بالنسبة للحق: أدائه وأخذه وابتغائه وتمييزه. وضيّع أهل الإيمان معاني ثلاثة أشياء: أحكام أصول الدين، وإتباع الترغيب والترهيب وموافقة الحق في الرضى والغضب. وضيّع الناس معنيين: النصيحة في الموالاة والإنصاف في العداوة. وضيّعوا معنى واحداً هو إدخال المسرّة بالموافقة للحق على قلوب المؤمنين.

وتلك من علامات آخر الزمان[1]. والسؤال هو: ما هي ظروف هذا العصر الحديث الشبيه بذلك العصر القديم؟ وهل هي ظروف مشابهة تقتضي نفس رد الفعل أم ظروف مغايرة تقتضي رد فعل جديد؟.

ويحضر البعد السياسي في مقاومة السلطان الجائر[2]. فأشد بلاء في الأرض على العامة والخاصة سلطان جائر، وعالم فاجر وعابد جاهل ومصاحبة العلماء للسلطان فساد لهم. وصلاح الدنيا بأربعة: إمام عادل، وقاضي يحكم بما أنزل الله، وعالم يفتي بالسنة، وناسك يُغاث به العباد[3]. والأمل الدولة الأبدية وهي

---

(1) «يحدث في آخر الزمان قوم سفهاء الأحلام، مفتونون بجمع الحطام، يتعلمون العلم والقرآن للدنيا والرئاسة، ويدعون السنة وهم يعملون بالبدعة. يظهرون ترك التسبب من الحلال زهداً. ويأخذون من الناس بالشبهات والحرام بحثا»، السابق ص 207.

(2) «أعظم بلاء في الأرض، وأشد عقوبة في العامة والخاصة ثلاث: سلطان جائر، وعالم فاجر، وعابد جاهل. فالسلطان الجائر نقمة على الناس في دنياهم. والعالم الفاجر محنة وبلاء على الناس في دينهم. والعابد الجاهل رأس كل فتنة في الدين والدنيا، مشؤوم على نفسه بجهله، ضر على العوام به. وأضر أحوال الناس ثلاث: جور العمال، وجهل العلماء، وحماقة النساك، الأنوار ص105. «إذا صحب السلطان الجائر أهل العلم والتقوى على الدنيا فسد دينهم. وإذا صحبه أهل الفسق والاعتداء فسدت دنيا العامة. ومن رأيتموه من العلماء والنساك يتصدى للأمراء والملوك لقضاء الحوائج، ويكثر الاختلاف إلى أبواب القضاة والوزراء ليودعوه وليعدلوه فهو خبيث رجال قد دخل في طريق الفتنة. وعلامته دهانته لهم في الحق، وصحته عن الباطل، وفقد التوفيق منه في نصرة المظلوم، وذهاب البصيرة منه في حال نفسه، وعدم التميز منه لغيره»، السابق ص105.

(3) «صلاح الدنيا بأربعة: إمام عادل، وقاضي يحكم بما أنزل الله، وعالم يفتي بسنة رسول الله، وناسك يُغاث به العباد والبلاد»، السابق ص110. «إذا جاء السلطان فسد سكن =

الجنة السرمدية، والبقاء دون الفناء[1].

4 ـ الوعي التاريخي المعرفي

وهو قمة الوعي التاريخي في أشكاله الأولى قبل أن يصبح وعياً نظرياً خالصاً في مرحلة التصوف الفلسفي. وقد بدأ ذلك في رسالة العقل و «كتاب العلم» و«رسالة في التصوف» عند المحاسبي (243هـ)، واستمر في «بستان المعرفة» عند الحلاج(309)، و«رسالة الاعتبار» عند ابن مسرّة (319).

أ ـ رسائل المحاسبي(243هـ)

1 ـ «رسالة العقل»[2]: ويدحض تحليل العقل الحكم الشائع بأن منهج الذوق مضاد لمنهج العقل. فالعقل قادر على الوصول للكشف. يتفق عليه الفلاسفة والمتكلمون والأصوليون والصوفية. وتعتمد الرسالة على القرآن اعتمادا كلياً أكثر من الحديث[3]. وتكاد تخلو من الأشعار. وهي على قدر كبير من التنظير. وهو العقل الأخلاقي، والعقل العملي الذي اشتهر به كانط. وهو صادر من الله. فأول ما خلق الله خلق العقل. وهو أعز من خلق. هو دليل وحجة. والحجة حجتان: عيان ظاهر أو خبر قاهر. والعقل يشمل الحس والقلب، العيان والوجدان.

2 ـ «كتاب العلم»[4]: وهو وعي تاريخي نظري بالتصوف كعلم. وهو على قدر عال من التنظير بالرغم من الاعتماد نسبياً على القرآن والحديث[5]. ولا يذكر من الصوفية الأوائل إلا سفيان بن عيينة ووهب بن منبه[6]. العلم على ثلاثة أنواع:

= البلد. وإذا قبل القاضي الرشاء والاستعانة فسد سكناء الحضر. وإذا فجر العلماء ذهب خير الدين. وإذا فسد القراء ذهب خير الناس»، السابق ص110.

(1) «اطلبوا الدولة الأبدية وارغبوا في الجنة السرمدية بالتصمد للصمد والإبقاء لمن أحببتموه للواحد الأحد عسى أن تحيوا في دار البقاء بما أسلفتم في دار الفناء فإن الكريم يعود بفضله على من يخالفه ويعصيه فكيف لمن يوافقه ويطيعه؟»، السابق ص182.

(2) عالم الكتب، القاهرة 1969 ص235-259.

(3) الآيات (43)، الأحاديث (2)، الشعر (1).

(4) الدار التونسية للنشر، تونس 1975.

(5) الآيات (3)، الحديث، القدسي (1).

(6) كتاب العلم ص98.

علم الحلال والحرام وأحكام الدنيا، علم الظاهر وهو الفقه، وعلم أحكام الآخرة، علم الباطن، وعلم بالله وأحكام خلقه في الدارين. العلم الأول لأفعال الجوارح. والعلم الثاني لأفعال القلوب وفيها الفضائل والرذائل والمقامات والأحوال. والعلم الثالث لأهل الإيمان وحدهم[1].

ب ـ أعمال الحلاج (309هـ)

1 ـ «الروايات أو الأحاديث»[2]: وهو كتاب أصيل يستبدل بالسند في الرواية والعنعنات الشهيرة مصادر قلبية للمعرفة المباشرة من الله «عن قلبي عن ربي أنه قال»[3]. ولا يهم المتن بقدر ما يهم السند. لذلك يظهر «الله». ضمن العنعنات[4].

---

(1) السابق ص 129–135. ويغالي الناشر في ثبت الفهارس العامة فيما يدل وفيما لا يدل.

(2) الأعمال الكاملة، دار الحكمة، لندن، ط2/ 2005 ص269–284.

(3) الروايات أو الأحاديث، الحلاج: الأعمال الكاملة ص269–275.

(4) الحي السميع البصير العزة، المالك الكبير، الحق الأعلى، الجليل الوحيد عن الحدين، الجليل الوحيد القدرة، الجلال القريب، قد يكون السند أنواع المعرفة مثل: الإيمان المعروف، اليقين الموجود، العلم القديم، الرؤية الصادقة، العلم، المعنى، المحيط، المعرفة الأصلية، العيان اليقين الغيب. وقد يكون وسائل المعرفة: العقل الوجيه، الفهم المبين. وقد يكون شخصياً مثل: الملك الحكيم، الكروب الكبير، الروح المكنون، الملك اللطيف، جبريل، صاحب الميزان، الروح القديم، الملك الشاخص، الملك القدير، المدبرات عن الحكمة. وقد يكون زمان الكون: مثل الفجر، رجب، العصر، الجمعة القائمة، العصر الماضي، القدم. وقد يكون المكان مثل: السجنج (مكة)، القدس، الفردوس الأعلى، عدن المعبود، قبة الأزلية. سدرة المنتهى، بيت الله، موسى الله، بيت الله الوسيع، الطور، الركن، المقام. وقد تكون مظاهر الحياة مثل: الحياة الدائمة، المملوك البصير، ساعة الساعات، الحسن، الإحسان، الإرادة، روح الحياة، نور السمع والبصر. وقد يكون مظاهر الطبيعة مثل: السحاب المتراكم، البرق الخاطف، الرعد المقدس، القوة المحمية بالغيب المنهمر في أفق النور بين الشمس والقمر، الضياء المخمر، الصورة الكائنة، حضرة النبات، ألوان الأنوار، حياة القدم، الخلق، الظل المسدود، النور الفريد، ريح الجنوب، عقاد المن، جبل البروق، بحر من البحار الشعاعي، قوس الله المشرقة بالأنوار المشارق، البروج، القطب، الهلال اليماني، الطائر الميمون، حيدرة الملك، نشر النشوب، صورة الجمود، النور التائب، الوجود، لسان الغيب اللطيف، الصورة الحسنة، الفطرة الساطعة، صنع المجيد، السماء والأرض، الفطرة. وقد يكون تاريخ الدين مثل: الميثاق، البرهان، مجمع القرآن، الشأن المشهود، القرآن المجيد، الشهر المعظم، البلاء والنعمة، =

2 ـ «**بستان المعرفة**»[1]: وهي رسالة صغيرة عن المعرفة تقوم على التنظير العقلي الخالص كما هو الحال في رسائل ابن مسرّة عن الاعتبار والنظر. أسلوبها إلغازي، شديد التركيز. يكشف عن شدة الوجد وحالتي الفقد والوجد. المعرفة رؤية وشطح تقوم على الوحدة بين الذات والموضوع[2].

جـ ـ «رسالة الاعتبار» لابن مسرّة (319هـ)[3]: وتكشف عن الوعي الصوفي النظري وبداية الفلسفة الإلهية. والاعتبار هو النظر كما هو الحال عند ابن رشد. وقد سماه ابن الهيثم التجربة. لم يعد التصوف مجرد أخلاق عملية بل هو تأمل نظري على عكس الشطحات عند البسطامي والجنيد والشبلي والحلاج. وتعتمد على الآيات وحدها دون الحديث أو الشعر[4]. ومع ذلك يغلب عليها التنظير العقلي. ولا يشار إلى أحد من أعلام الصوفية.

وبالرغم من أن المرحلة الفلسفية في القرنين السادس والسابع عند السهروردي (ت587هـ)، وابن الفارض (ت632هـ) وابن عربي (ت638) وابن سبعين (ت669) إلا أنها بدأت مبكرة عند ابن مسرّة الأندلسي(ت319)، بالرغم من أن لقبه هو الشيخ العارف المحقق في أعماله الفلسفية الخالصة مثل «رسالة الاعتبار»

= القضاء والقدر، عين الميزان الأمر المبين. وقد يكون الأحجار الكريمة مثل: الياقوت الأحمر، ياقوت النور. وقد يكون الأنبياء مثل مُحمد صاحب الركن واليمين. وقد يكون السند الحروف والأسماء والكلمات: مثل الاسم العزيز، ميم، الخازن، الكلمة المتصلة الكبرى، الكلمة العليا، الاسم المبين. وقد يكون شخصاً مثل صاحب الحجاب، خادم البيت المعمور، صاحب ستر الأقصى، السفير الأعلى، صاحب هبابة الراح، الولي القريب شاهد الكعبة. وتذكر أحياناً التواريخ عين الميزان سنة مائتي وتسعين، والعصر سنة سبع من البيت. ، السابق ص 270-274.

(1) الأعمال الكاملة، دار الحكمة، لندن 2005 ص213-235.

(2) أربابها، أربابها. كأنها كأنها كأنها، كأنه كأنه كأنه، كأنها كأنها، كأنه كأنه، كأنه كأنها، كأنه كأنه، كأنها كأنها، بنيانها أركانها، وأركانها بنيانها، أصحابها أصحابها، بنيانها بها، لها بها، لا هي هو، ولا هو هي، ولا هو إلا هي، ولا هي إلا هو، لا هي إلا هو. ولا هو إلا هو، بستان المعرفة، الحلاج، الأعمال الكاملة ص315-316.

(3) من التراث الفلسفي لابن مسرّة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1982م-1402هـ، ص61-73.

(4) الآيات (22).

وموضوعها الصلة بين الدين والفلسفة مثل «فصل المقال» لابن رشد، و«خواص الحروف» في التأويل. ويحيل إلى الفلاسفة. و «رسالة الاعتبار» جواب على سؤال تلميذ له «لا يجد المستدل بالاعتبار من أسفل العالم إلى الأعلى إلا مثل ما دلت عليه الأنبياء من أعلى إلى أسفل» فالوحي هو العقل. والتنزيل هو التأويل. والإجابة «اتفق البرهان وتصادق النبأ الموصوف بالأثر المفهوم لزم العقل ضرورة الإقرار» وهو ما سماه ابن تيمية «اتفاق صحيح المنقول لصريح العقول» أو «درأ تعارض النقل والعقل»، وتعتمد على الآيات القرآنية بالرغم من اعتمادها على التحليل النظري الخالص[1]. ولا يعتمد على الحديث. فالقرآن أصل والحديث فرع، وكما تكثر من الآيات توغل في المسائل الفلسفية النظرية الخالصة المتعلقة بالطبيعيات. والاعتبار هو النظر عند ابن رشد، والتجربة عند ابن الهيثم، والتبصرة عند الصوفية وهو الاعتبار بمخلوقات الله عز وجل. جمعا بين الاستدلال والتجربة، بين العقل والآية مع التحذير والترهيب والتذكير والتمجيد لأسمائه وصفاته. ثم يتحول الخطاب الفلسفي إلى حروف الأسماء[2].

د ـ **«بستان العارفين» لأبي الليث السمرقندي (373هـ)**[3]: ويوحي العنوان بأنه في المعرفة الكشفية. وهو في الحقيقة في الفقه والآداب الشرعية. لقب المؤلف الإمام. لا يعتمد إلا على فقيه واحد هو أبو الليث. لقبه الزاهد. يبدأ به كل باب من الأبواب المائة وتسع وخمسين. ويتكرر قوله أكثر من مرة داخل بعض الأبواب. ومعظم الآداب أقرب إلى العادات منها إلى الفقه خاصة في آداب الطعام والشراب واللباس، والحمام والزيارة والحديث والمداواة. وتتوالى الأحاديث أحياناً في دفعات[4]. وهي أقوال أكثر منها روايات أفعال. تغلب الأحاديث على الآيات، ويقل الشعر[5]. وتغيب الأحاديث القدسية نظراً للطابع السلوكي للفقه دون ما

(1) «فلما اتفق البرهان وتصادق النبأ الموصوف بالأثر المفهوم لزم العقل ضرورة الإقرار بأن هذه القوة حاصرة له محيطة به، عالية عليه. إن عمي عنها ورام الخروج عن حوزتها خرج عن الكنف كله...»، الاعتبار ص72.

(2) خواص الحروف، من التراث الفلسفي لابن مسرّة ص96.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م-1424هـ.

(4) بستان العارفين ص 135/ 138.

(5) الأحاديث (412)، الآيات (220)، الأشعار (15).

حاجة إلى اللجوء إلى الإيحاءات الخيالية والإخراج المسرحي. وتذكر المتون دون أسانيدها. وأكثر الأسماء المذكورة محدثون ورواة. ولا يذكر من الصوفية إلا الحسن البصري وذو النون. ويذكر الحكماء بالمعنى العام دون أشارة إلى وافد أو موروث. ويذكر من الوافد الشرقي برزجمهر[1]. ويقل التحليل العقلي إلى الحد الأدنى لدرجة الغياب أمام طغيان الأحاديث وكأن الكتاب في الحديث أو الفقه. ولا يظهر الجانب الصوفي. وسبب التأليف جمع فنون العلم الفردي للعامة والخاصة مستمداً من عدة كتب سابقة اعتماداً على الأدلة النقلية وترك غوامض الكلام[2]. لذلك تناثرت الموضوعات وتكررت مما يستدعي إعادة تجميع وتصنيفها في عدة أبواب أصغر[3].

---

(1) الحسن البصري (3)، ذو النون (1)، الحكماء (5)، برزجمهر (1).

(2) «إني قد جمعت في كتابي هذا من فنون العلم ما لا يسع جمعه ولا التخلف عنه للخاص والعام. واستخرجت ذلك من كتب كثيرة. وأوردت فيه ما هو الأوضح للناظر فيه، والراغب إليه. وبينت في الحجج فيما يحتاج إليه من الحجة بالكتاب والأخبار والنظر والآثار. وتركت الغوامض من الكلام. وحذفت أسانيد الأحاديث تخفيفا للراغبين فيه، وتسهيلاً للمجتهدين، والتماساً لمنفعة الناس»، بستان العارفين ص 5.

(3) أهمها: العلم، طلب العلم وكتابته وأخذه من الثقات وفضله على الفقه وآداب المناظرة والمتعلم، في فضل تعلم القرآن وتعليمه وآداب المستمعين، العلم والأدب، فضل المعلمين. الفقه والفتوى ولمن تجوز، الاختلاف والقضاء، آداب القاضي، آداب الوضوء والصلاة، آداب النوم، تقديم اليمين على الشمال، النهي عن التعرض للتهمة، التصاوير، قتل العمد، الجماع، دخول الحمام، آداب الخلاء، قتل الجراد. نقش المسجد، كراهية البصاق فيه، كراهية الصلاة أثناء النعاس. الفوائد، السباحة والفروسية والرمي، النهي عن اقتناء الكلب، حضور العشاء مع إقامة الصلاة، الصلاة في المطر، كراهية الجرس، نشر السكر، البول في حالة القيام، خصار الحيوان. الحديث، رواية بالمعنى والإجازة. والأخلاق والمواعظ والآداب، إباحة مجلس العظة، آداب المذكر، المروءة، الآداب، الرفق. القرآن والتفسير: تفسير السبع المثاني، وما أنزله منه بمكة والمدينة وسورة براءة، وقراءة النبي على أُبي بن كعب، ونزوله على سبعة أحرف، تفسيره، عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه وأثلاثه وأرباعه وأنصافه والسادس الشعر إنشاده وأشعار النبي. اللغة: تفضيل اللسان العربي على غيره، حد الكلام، معاريض الكلام، مما يستحب من الأسماء، الأمثال. المعاملات: حسن المعاشرة ومعرفة الحقوق، زيارة الإخوان، التسليم على الكبار والصبيان وأهل الذمة وعند دخول البيت، إجابة الدعوة، آداب الضيافة، الخروج من المنزل والصحبة، البيع والشراء، النهي عن النظر في بيت الغير، الاستدانة، الكذب، كراهة الوحدة، المزاح، كراهية الدخول على الأهل من السفر ليلاً، التعزية، المسابقة، الهدية والمكافأة، تشميت العاطس، مداراة الناس، التحية. اللباس: =

5 ـ الوعي التاريخي الأدبي

ويظهر الوعي التاريخي الأدبي من تجميع أقوال الصوفية المتناثرة في الروايات الشفاهية أو عبر التدوين المبكر أو المتأخر مثل أقوال التستري. وغالباً ما تكون الأقوال شطحات مثل شطحات الجنيد والبسطامي. والأقوال هي وحدة التحليل الأخيرة في علوم الحكمة وعلوم التصوف[1]. يجمع المحدثون أقوال الصوفية القدماء كما يجمع الرواة الحديث. وهي تدل على الوعي التاريخي عند المحدّثين. فوحدة التحليل هو العمل الصوفي وليس ما يُجمع من أقوال شفاهية أو مدونة من غيره[2]. فجمع أقوال صوفية لم يكتبوا من أحد المحدثين لا يدل على الوعي التاريخي عند القدماء الذي لا يبدأ إلا بالتدوين.

= ما يستحب منه، الجمال، وما يجوز لبسه وما لا يجوز، العلم في الثوب، افتراش الديباج، ولبس الحمرة، وجلود السباع. الطعام: أكل اللحم والفالوذج، أنواع الأطعمة، الثوم، آداب الأكل، الخلال، آداب الشرب، مباكرة الغداء، السحر بعد العشاء، قلة الأكل. الأخلاق والسياسة: الرذائل والفضائل، السخاء والبخل، الغيرة، إكرام أهل الفضل والشرف، طاعة الولاة، الأخذ من الأمراء، الأمر بالمعروف، الخاتم والكتابة عليه، الرسالة، الفلسفة، طبائع الإنسان، العمارة والبناء، كلام الحكماء، المعرفة. عبارة الرؤيا، الرؤيا الصالحة وحسن العبادة، العقل. الكلام: علامات الساعة، الشفاعة، البكاء على الميت ببكاء أهله، الحفظة المرأة التي كان لها زوجان في الدنيا، أسماء الجنان والنيران. تفضيل الفقير على الغني، عذاب الميت، أطفال المشركين، الأنبياء، نسبة النبي وأولاده وأزواجه، ابتداء أمر النبي، هجرته، مغازيه، ما يكره، الدعوات، الخلق، بدأ خلق السموات والأرض، المسخ، الإيمان، يزيد أم لا؟ عمل أم قرار؟ مخلوق أم لا؟ القرآن، الرؤية، القدر، المعاملة مع أهل الكفر، الرفض، الطب، الرقى، الأطعمة التي فيها الدواء، فضل العصا، الامتناع عما يضر البدن، الحجامة. التصوف. زوال الدنيا عن المؤمن. وهو أقل الموضوعات. الأحوال الشخصية: تزويج الزانية، العزل، القبلة للولد الصغير، ضرب الدف، النكاح. التاريخ: أسماء الخلفاء بعد النبي، الأيام والشهور، والصحابة.

(1) من النقل إلى الإبداع مجـ3/ النقل جـ1 التدوين، فصل1 التاريخ، ثامناً: الأقوال ص214-227.

(2) من أعمال المحدثين «الإمام الجنيد، سيد الطائفين «قدس الله سره العزيز»، مشايخه، أقرانه، تلامذته، أقواله، كتبه ورسائله. إعداد وتحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي. تراث التستري الصوفي، دراسة وتحقيق د. محمد كمال إبراهيم جعفر. شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، تأليف عبد الرحمن بدوي. ومن القدماء «أخبار الحلاج» جمع علي بن أنجب الساعي (674هـ)، شطحات الصوفية (البسطامي ت 261هـ) تأليف عبد الرحمن =

أ ـ الشطحات[1]

ومن علامات التحول من المرحلة الخلقية إلى المرحلة النفسية الشطحات. والشطحة عبارة تعني بظاهرها غير ما توحي بباطنها. ظاهرها مخالف للفقه، وباطنها متفق مع التجربة الروحية. وهي أيضاً من علامات التحول من المرحلة النفسية إلى المرحلة الفلسفية نظراً لما تتضمنه من معاني وتصورات مركزة وحادة حول الله والإنسان والعالم قبل أن تتحول إلى خطاب فلسفي برهاني عند السهروردي وابن عربي وابن سبعين. والشطح كلام يبدو ظاهره شنيعاً ولكن باطنه صحيحاً مستقيماً[2]. هي عبارة مستغربة في التعبير من وجد فياض هاج بشدة وغلبه هياجه. يعني لغوياً الحركة في مقابل الكلام الذي يتفق ظاهره مع باطنه الساكن[3]. والحركة ليست في الكلام بل في النفس والذهن والعقل والروح والقلب والفؤاد. الحركة في الداخل وليست في الخارج. وهو معنى عبارة النفري الشهيرة «إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة». ولا تأتي الشناعة من الشطح ولا من الصوفي بل من أهل الظاهر وأعداء الصوفية والأولياء، غيرة منهم، وحسدا لهم، وتقربا إلى السلطان، ودفاعاً عن مناصبهم المزورة كما وصف الكندي «رجال الدين» الذين يعادون الفلسفة. وأقل ما يوجد لأهل الكمال الشطح لأنه تمكن من المعنى. يقع في البداية من أجل الوصول إلى الكمال في النهاية فتكون بدايته نهايات الإرادات. وتعني بداية الغايات والكمال والنهايات[4]. ومعظم الشطحات أقوال ملغزة تشد الانتباه وتصدم العامة والفقهاء. والبعض منها حكايات طويلة يصعب سماعها وحفظها وآداؤها طبقاً لشروط الرواية. هي أقرب إلى الحكايات

= بدوي ويتضمن «النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي من علماء القرن العاشر، شطحات الصوفية ص58-185، «المسلك الجلي في حكم شطح الولي» للنابلسي (1143هـ)، السابق ص189-199.

(1) الصورة الأولى للشطحات عند إبراهيم بن أدهم ورابعة العدوية. وأول من عبر عنها البسطامي (261هـ)، والتستري (319هـ)، ثم الحلاج والشبلي. وصورها الأخيرة عند الجيلاني والرفاعي وابن عربي.

(2) «كتاب تفسير الشطحات والكلمات التي ظاهرها متشنع وباطنها صحيح مستقيم»، اللمع ص453-455.

(3) «باب في معنى الشطح والرد على من أنكر ذلك برأيه»، السابق ص453-454.

(4) السابق ص458.

الرمزية[1]. الشطحات القصيرة تهتم بالتجربة المباشرة والشطحات الطويلة تعتمد على الاستدلال[2].

هي عبارات تدل على التوحد بالله أي إثبات الذات[3]. وتعني رمزا التوحيد بين الذات الإنسانية والذات الإلهية، بين قيس وليلى[4]. ويشعر الصوفي أنه هو الله الجدير بالعبادة[5]. ويتوحد مع الله[6].

والشطحات نوعان. شطحات أقوال وشطحات أفعال. شطحات الأقوال هي الأقوال التي يدل ظاهرها على غير باطنها. ظاهرها كفر صراح، وباطنها إيمان عميق بالتوحيد بين الخالق والمخلوق. وشطحات الأفعال هي كرامات الأولياء، الأفعال الخارقة للعادة والتي تبدو كالمعجزات. وقد تعبر الشطحة عن التسليم بالأمر الواقع مثل ضرب اللصوص على أبواب السلاطين[7].

وللشطحات أشكالها الأدبية مثل أقوال الأنبياء وأمثالهم ورموزهم تتميز بالتركيز الشديد، وبالتكرار عوداً على بدأ، وبالقلب والمبادلة. وهو موضوع دراسة مستقلة[8]. ونظراً لبنية الشطحة اللغوية يمكن التنبؤ بالشطرة الثانية منها. وتكرار الشطحات يدل على أنها بنية نفسية تتكرر وليس فقط تكرر الروايات وتعدد المصادر. ولا يدل وجود بعض الأقوال بالفارسية أن الشطحات خاصة والتصوف عامة ذو أصول فارسية. كما لا يدل الأصل المجوسي للبسطامي على أن التصوف عامة والشطحات خاصة فارسية الأصل[9].

---

(1) شطحات ص97-98، 107، 125-127، 161-163، 175-178.

(2) السابق ص106-107.

(3) مثل «سبحاني، سبحاني، أنا ربي الأعلي»، شطحات ص89، «سبحاني، سبحاني، ما أعظم شأني»، السابق ص186.

(4) «أنا من ليلى، ومن ليلى أنا»، السابق ص89.

(5) «إني أنا لا إله إلا أنا فاعبدون»، السابق ص157.

(6) «غبت عن الله ثلاثين سنة، وكانت غيبتي عنه ذكري إياه، فلما حُبست عنه وجدته في كل حال كأنه أنا»، السابق ص157.

(7) «إنما يضرب اللصوص على أبواب السلاطين»، شطحات ص73.

(8) انظر دراستنا: تاريخ الأشكال الأدبية، دراسات فلسفية، القاهرة 1987ص487-522.

(9) السابق ص68/ 139.

ولا يحتاج الشطح إلى إثبات من حكاية موسى والخضر. إذ تثبت الحكاية فقط الفرق بين الظاهر والباطن في الأفعال وليس الشطح في الأقوال. كما لا يحتاج إلى أدلة من الكتاب والسنة على وجوده إلا على سبيل الحجاج ضد الخصوم، ورد الحجة بالحجة مما يوقع في ضرب الكتاب بعضه بالبعض. ولا يحتاج كذلك إلى الاعتماد على أقوال الصحابة والتابعين والآثار المنقولة عنهم لأن الخصوم يختارون وينتقون آثاراً أخرى مضادة. وفي التاريخ رصيد كامل لكل الاتجاهات مثل الكتاب والسنة. والكل إلى رسول منتسب.

1 ـ **شطحات أبي يزيد (261هـ)**: والشطحات المروية عن البسطامي كثيرة[1]. وكلها روايات شفاهية دون التحقق من صدقها كما هو الحال في علم الحديث. وقد يكون تكرار بعضها عند أكثر من راوٍ نوعاً من التواتر. وقد تم تأليفها بناء على سؤال لمعرفة مناقب الشيخ[2]. ولها سند ومتن مثل الحديث. وقد يتدخل الخيال في الروايات نظراً لأنها لم تخضع لمناهج النقد التاريخي خاصة إذا كانت حكاية خيالية أو رواية أسطورية[3]. ليست كل الأقوال شطحات بل منها ما هي أقوال خلقية شبيهة بالمرحلة الخلقية عند المحاسبي والترمذي والخراز.

ويمكن رد ذلك إلى حديث الرسول عندما كان يقول قبل الصلاة «وقفت بين يدي الجبار». وأقوال الشعراء تشهد على ذلك. و «التوحيد بين ذات الله وذات الإنسان» هو معنى الحديث القدسي الشهير «مازال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه. فإن أحببته كنت عينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها». وتدل هذه الشطحة على مدى القرب بين الإنسان والله، وإعجاب الله بالإنسان، ورغبة الخلق في رؤية الإنسان وليس الله، وموافقة

---

(1) السّهلجي: النور من كلمات أبي طيفور، عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية ص58-187، مرآة الزمان لسبط بن الجوزي، السابق ص202-215، نفحات الأنس من حضرة القدس لعبد الرحمن الجامي، السابق ص216-217، قصة أبي يزيد البسطامي مع الراهب، السابق ص218-222، طبقات المشايخ للسلمي، السابق ص223-226.

(2) السابق ص59.

(3) رفع الله أبا يزيد مرة وقال له «إن خلقي يحبون أن يروك» فرد أبو يزيد «زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وأرفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك»، اللمع ص461-463.

الرب على ذلك، ورفع الإنسان إلى أعلى حتى يراه الخلق. ويرفض الإنسان أن يكون موضوعاً للرؤية إلا إذا زينه الله بوحدانيته، وألبسه أنيته، ورفعه إلى أحديته. فإذا رآه الخلق كأنهم رأوا الله. ومن ثم يرى الخلق الله ولا يرون الإنسان. الله يريد الإنسان، والإنسان يريد الله موضوعاً للرؤية. كل يؤثر الآخر على نفسه.

وإذا توحد الإنسان مع الله فإنه يشعر أنه قد تخفف من ثقل الجسم، واستبدل بجسمه الأحدية، استبدل الكم بالكيف، والبدن بالروح. فأصبح طائراً جناحاه من الديمومية، وهي صفة الأحدية. وظل الطائر يطير عشر سنين فهي هواء قدره مائة ألف مرة من هواء الدنيا أي في الفضاء الفسيح حيث لا جاذبية تمنع من الطير بسرعة أسرع من الصوت وربما أسرع من الضوء إلى أن وصل الطير ميدان الأزلية أي الخلود فرأى شجرة الأحدية وهي غاية المطاف[1]. وليس المقصود بتحديد المسافة الكم بل تصور عظمة الكيف. ويعني الطيران ليس الانتقال الجسدي بل الانتقال الروحي من فرح اللقاء. وهي تجربة إنسانية في حالة التوتر القصوي يشعر الإنسان بخفة البدن، وتنعكس الجاذبية إلى الأرض إلى الجاذبية إلى السماء، مثل تجربة الإسراء والمعراج. وفي القرآن آية تصور الطير في العنق صورة للمسئولية[2].

وتتكرر صورة الطير والرحلة وملذتها في الميادين مثل ميدان الليسية لأنها بلا كم. وما زال طول الرحلة يتحدد بالسنة الضوئية حتى الخلاء المطلق وهو الضياع في الفضاء اللانهائي وهو التوحيد حتى يغيب الإنسان عن نفسه ويفنى[3]. فصورة

---

(1) «أول ما صرت إلى وحدانيته. فصرت طير جسده من الأحدية، وجناحاه من الديمومية. فلم أزل أطير في هواء الكيفية عشر سنين حتى صرت إلى هواء مثل ذلك مائة ألف مرة. فلم أزل أطير إلى أن صرت في ميدان الأزلية فرأيت فيها شجرة الأحدية»، اللمع ص464-467.

(2) ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ وهو معنى قول الشاعر:

رب يوم كأنهم يوم بانوا ... من دموع الفراق يوم مطير

لو تراني رأيتهم يوم قالوا ... جسدا واقفا وقلبا يطير

السابق، ص465

(3) «أشرف على ميدان الليسية. فمازلت أطير فيه عشر سنين حتى صرت من ليس في ليس بليس. ثم أشرفت على التضييع، وهو ميدان التوحيد. فلم أزل أطير بليس في التضييع حتى ضعت في الضياع ضياعاً، وضعت فضعت عن التضييع بليس في ليس في ضياعة التضييع. ثم أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف، وغيبوبة العارف عن الخلق»، اللمع ص468-471.

الطير مألوفة في الكتابات الصوفية، في الشطحات أو في الرسائل. فقد كتب كل من ابن سينا والغزالي رسالة في الطير. ولا يوجد تأويل واحد في الشطحات كما هو الحال في النصوص النثرية أو الشعرية المركزة. والصورة قرآنية(1).

وتختلف الشطحات طولاً وقصراً، حكاية أو عبارة. وتدل العبارة القصيرة على شدة الوجد. وتستعمل الشطحة أحياناً اسماً من أسماء الله، وتنسبه إلى الله مثل «سبوح» و «سبحان»(2). وبعد التوحيد بين الاثنين تصبح الأسماء واحدة. وهي لا تنتسب إلى ما قال فرعون ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ لأن فرعون لم يتوحد بالله بالتجربة الصوفية ولكن بدعاء القوة. تخرج هذه الشطحة من شدة الفنا عن الذات والبقاء بالله. وإذا ضرب الصوفي خيمته عند العرش فذلك لدلالة قربه من صاحب العرش. والعرش نفسه صورة لله. والخيمة بجواره صورة للإنسان مازال بها البعد دون القرب الذي يتجلى في الجلوس على العرش مع الله، ليس في تجاور بل في تماهي كامل. وهو غير ما قاله اليهود عن عزير ابن الله أو أنهم أبناء الله وأحباؤه لأن الأبوة والنبوة اثنينية. ولم تكن هناك محبة متبادلة بين الله واليهود.

2 ـ شطحات الحلاج (309هـ): ومن أصحاب الشطحات الحسين بن منصور الحلاج الذي يبلغ من الشهرة في تاريخ التصوف عند الصوفية ودارسي التصوف مبلغاً لا يعادله إلا ابن عربي، مؤلفاته متناثرة. جمعت أخيراً في أعماله الكاملة(3). بالإضافة إلى الروايات عنه وأشهرها «أخبار الحلاج»(4). والشطحة ضيق العبارة واشتداد الوجد، وليس فقط ضيق العبارة واتساع الرؤية كما عرفها النفّري. مثال ذلك بصق الحلاج على النار حتى تصير ريحاناً على أهلها، وقدرته على التكلم بمثل هذا القرآن(5).

---

(1) ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾.

(2) «سبحاني سبحاني»، اللمع ص472-477.

(3) الحلاج، الأعمال الكاملة (التفسير، الطواسين، بستان المعرفة، نصوص الولاية، المرويات، الديوان، إعداد قاسم محمد عباس، رياض الريس للكتب والنشر، ط1 بيروت 2002).

(4) أخبار الحلاج (وهو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج)، تقديم وتعليق وتصحيح عبد الحفيظ بن محمد مدني هاشم، مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت). وهي رواية علي بن أنجب السلمي (ت674هـ). وبعضها ذكر في «الولاية»، الأعمال الكاملة ص221-254.

(5) «لولا أن الله تعالي قال ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ «لكنت أبصق في =

الشطحة نظرية أو عملية، قولية أو فعلية، تفسير الآية القرآنية أو الحديث النبوي عن طريق التجربة النفسية. ففي لحظة الصلب يقرأ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ . وفي وقت إنزاله من الجذع لضرب عنقه قرأ ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[1]. وقبل الصلب أنشد بأن نديمه لا يظلم. يدعوه للشراب كضيف. وإذا دارت الرؤوس دعا النطع والسيف[2]. وفي الشطحات القولية ينادي على من ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، وآيات أخرى عن التوحيد الشامل أو الحروف مثل ﴿حم عسق﴾ وتعبر التجربة النفسية بالشطحة وبالشعر كما تعبر بالآية[3] لقد أباح الله للناس قتل الحلاج. فالقتل أو حقن الدماء يعني خارج الصلاة والصوم وقراءة القرآن. وهو مصير الصوفي. فليقتله الناس ليؤجروا ويستريح. فليس للمسلمين هم إلا قتله[4]. قتل النفس هو ما أراده الحلاج وهو من الواجبات.

= النار حتى تصير ريحانا على أهلها». يمكنني أن أتكلم بمثل هذا القرآن»، الولاية ص235.

(1) ومثل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ * وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ * وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾، ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾.
المجموع 16آية، السابق ص ص10-11/ 22/ 24/ 33/ 37/ 39-40/ 46/ 48/ 50-51/ 55.

(2)
نديمي غير منسوب إلى شيء من الحيف
دعاني ثم حياني كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح مع التنين في الصيف

السابق، ص23

«ثم ضرب عنقه ولف في بارية وصب عليه النفط وأحرق وحمل رماده على رأس منارة لتنسفه الريح»، السابق ص24.

(3) مجموع الأشعار (25). أكبرها ثمانية أبيات، وأصغرها بيت واحد.

(4) «اعلموا أن الله أباح لكم دمي فاقتلوني... والمعنى الذي به تحقن الدماء خارج عن الصلاة والصوم وقراءة القرآن. فاقتلوني تؤجروا وأستريح... ليس في الدنيا للمسلمين شغل أهم من قتلي...»، أخبار ص42.

لذلك إذا تعصب الناس يؤجرون[1]. ومن تعصب لله يؤجر على ذلك[2]. ويستغيث الحلاج بأهل الإسلام لأنه لا يترك إلى نفسه فيأنس بها أو تؤخذ منه فيستريح منها. وهو دلال لا يطيقه[3]. وفي رسالة وداع إلى صاحبه يكتب الحلاج من الغريب المفرد إلى الشفيق المجد، يناجيه، ويثبت همته، ويكشف بالمباشرة، ويلطف بالمجاورة، ويتلذذ بالقرب، ويتزين بالأنس. يتشقى ويترقى ويتحقق وينصرف. ويتفكر ويخاطب ويراقب ويتجلى. «وتتحقق بعد أن تمزق. وتمزق بعد أن تزندق»[4]. وبعد قطع يدي الحلاج ورجليه إيذاء له في الله والله يتودد لمن يؤذيه[5].

والبعض يشهد على الحلاج بالكفر، والبعض الآخر بالولاية. والشهادة بالكفر أفضل. والتعصب للدين أفضل من حسن الظن[6]. ومن ثم لا يناظر الحلاج خصومه. ويعترف لهم مسبقاً بأنهم على حق وهو على باطل[7]. والشهود زور. شهادة الحاضر زور، وشهادة الغائب حق[8]. والحلاج شهيد يقتل لأنه يقول

(1) «القصد قتل هذه الملعونة... ولكني أعزيهم على الحق لأن عندي قتل هذه من الواجبات. وهم إذا تعصبوا لدينهم يؤجرون»، السابق ص46، «الخلق يشهدون بكفري، ويسعون إلى قتلي. وهم بذلك معتدون وبكل ما يفعلون بي مأجورون»، أخبار ص17، الولاية ص237.

(2) السابق ص50.

(3) الولاية ص263.

(4) «وفي غد يكون العرس فانتقبوا. وعند الصباح يكون الجمع فتأهبوا. تناولت صفات الصفات. ودنا الأجل للميقات. وفي غد تسفر سافرة المكتوم، وتبرز مخبئات الصدور ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾»، السابق ص263-264.

(5) «إلهي أصبحت في دار الرغائب. أنظر إلى العجائب. إلهي إنك تتودد إلى من يؤذيك فكيف لا تتودد إلى من يؤذى فيك»، أخبار ص26. الولاية ص250.

(6) «إن بعض الناس يشهدون عليّ بالكفر. وبعضهم يشهدون لي بالولاية. والذين يشهدون عليّ بالكفر أحب إليّ وإلى الله من الذين يقرون بالولاية من حسن ظنهم بي. والذين يشهدون عليّ بالكفر يشهدون تعصباً لدينهم. ومن تعصب لدينه أحب إلى الله ممّن أحسن الظن بأحد الولاية» ص250-251.

(7) «تريدون مناظرتي، على ماذا أناظر؟ أنا أعرف أنكم على حق وأنا على باطل»، السابق ص251.

(8) «ومن حضر بطلت شهادته. ومن غاب قبلت شهادته»، السابق ص (5).

ربي الله. وهو على مذهب ربه حنيفي عن أمة محمد. تأول عليه الخصوم. اعتقاده الإسلام، ومذهبه السنة، ويتبع الصحابة[1].

والوجد هو الأساس النفسي للشطحات. هو شدة الانفعال وراء غرابة العبارة. هو مشاهدة الحق في كل وقت. والمشاهدة على الدوام توجب الحرقة لأن الصوفي يذوب بالمشاهدة ويحترق. الوجد لهيب ينشأ في الأسراح شوقاً. فتضرب الجوارح هرباً وحزناً من ذلك الوارد ويتعثر اللسان. الوجد وقتي زائل في حين أن المعرفة دائمة. هو قوة تذيب الأرض والجبال. تحرق النار وتهدم الجنة يوم القيامة. في الوجد تستنطق الألسنة ولكن تحت النطق ما يورد إلى التهلكة. وأنفس متعبة مستهلكة لا تقوى على السيطرة على الألسنة والأقوال. فتنطق بالشطحات. وصيحة تدل على الجهل به. ومن أحب حقيقة فإنه لا يحده، ولو طارت شرارة منه تحرق مالكاً وناره[2]. الوجد بلاء قد يؤدي بصاحبه إلى الشهادة. هو مصيدة وهوة تحتاج إلى غوث. ومهما قُطع صاحب الوجد بالبلاء إرباً إرباً فإنه يتلذذ بذلك ويزداد حباً. ويستغيث بالناس من الله الذي خطف ذاته ولم يردها إليه. وهو لا يطيق حضرته، ويخشى الهجران، فيكون محروماً منه، غائباً عن نفسه. وما أقسى الغياب بعد الحضور، والهجر بعد الوصل. يطلب الواجد أن يقتله الناس حتى يؤجروا ويستريح وكأن ليس لدى المسلمين ما يشغلهم إلا قتله. وقتل هذه النفس التي شطحت من الواجب على الخلق تعصباً للدين فيؤجرون عليه. وقد سبق لإبراهيم أن حرق بالنار. والواجد على أعتابه بالصلب والقتل[3].

---

(1) «أتقتلون رجلا يقول: ربي الله»، «أنا على مذهب ربي»، «أنا حنيفي أقل حنيفية من أمة محمد». ظهري حمى، ودمي حرام، وما يحل لكم أن تتأولوا عليّ بما يبيحه. واعتقادي الإسلام، ومذهبي السنة، وتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحه والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح. ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين. فالله الله في دمي»، السابق ص251.

(2) الولاية ص253-254.

(3) «لو قطعتني بالبلاد إرباً إرباً ما ازددت إلا حباً حباً»، «أيها الناس أغيثوني عن الله. فإنه اختطفني مني. وليس يردني عليّ. ولا أطيق مراعاة تلك الحضرة. وأخاف الهجران فأكون غائباً محروماً. والويل لمن يغيّب بعد الحضور. ويهجر بعد الوصل»، «أيها الناس اسمعوا: إن الله أباح لكم دمي. فاقتلوني اقتلوني، تؤجروا وأسترح. ليس في الدنيا للمسلمين شغل أهم من قتلي». «كيف أنت يا إبراهيم حين تراني وقد صُلبت وقُتلت وأحرقت، =

ويظهر عند الحلاج التراكم الصوفي بالإحالة إلى الجنيد. فليس للجنيد إلا الشيخوخة. ومنزلة الرجال تُعطى ولا تتعاطى. أما داود الظاهري فكان فقيهاً ينكر التصوف. ومحمد بن الخفيف تعصب لله وسيؤجر على ذلك. وقال الجنيد إنه كذب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾. وأبو يزيد البسطامي مسكين أيضاً مع بدء النطق. فقد نطق الحق على لسانه. شهد المحجوب، وانطوى العارف. فلم يسمع ما نطق به لأنه من الحق سمع. ومن سمع الحق بالحق لا يظهر منه الإنكار ولا التعجب ولا الاستنكار[1].

3 ـ **شطحات الشبلي (334هـ)**: وللشبلي أيضاً شطحاته[2]. فالصوفي نظراً لدرجته في الوصول يشعر أنه زعيم للناس وقائد للركب، وأنه مع الناس حيثما كانوا مثل الله، وأنهم تحت رعايته مثل الله. الصوفي قطب أو بدل. يدور الكون حوله. وهو بديل عن الله. وفي نفس الوقت يشعر الصوفي بالذل. فهو المتناهي في الكبر، المتناهي في الصغر في آن واحد. هو العالم الأكبر والعالم الأصغر بتعبير إخوان الصفا. وفي الحديث مضمون هذه الشطحات عندما يقترب الرسول من الله ويكون زعيما للبشر جميعاً وليس فقط لأمته[3]. وفي نفس الوقت جعل الرسول نفسه أقل من الأنبياء. ما هو إلا ابن امرأة كانت تأكل القديد[4]. وتبين شطحة أخرى قدرة الصوفي المطلقة على نيل الأقصى فكيف يطلب الأدنى؟[5]. ويتفاوت الصوفية فيما بينهم في درجة الوصول وفي العلو. فلو كان أبو يزيد مع الشبلي لأسلم على يد أحد صبيانه. فأبو يزيد هو المريد والشبلي هو الشيخ[6].

= وذلك أسعد يوم من أيام عمري جميعه»، الولاية ص253-254.

(1) الولاية ص261-262.

(2) اللمع ص478-491.

(3) «مُرّوا أنا معكم حيث ما كنتم. أنتم في رعايتي وفي كلاءتي»، «لو عرضتُ ذلي على ذل اليهود والنصارى لكان ذلي أذل من ذلهم»، السابق ص478-480.

(4) حديث «لي وقت لا يسعني شيء غير الله. وأنا سيد ولد آدم ولا فخر»، «لا تفضلوني على يونس بن متى عليه السلام». «أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد».

(5) «إن نفسي هذه تطلب مني كسرة خبز. ولو التفت سِرّي إلى العرش والكرسي لاحترق»، السابق ص479.

(6) «لو كان أبو يزيد رحمة الله عندنا لأسلم على يد بعض صبياننا»، السابق ص480.

وبعض الشطحات تصوير فني خالص مثل أمر الله تعالى الأرض أن تبتلع الشبلي إن كان مازال فيه فضل لذكر جبريل وميكائيل. وتقال نفس الشطحة بطريقة أخرى دون تصوير فني بأمر الله الأرض بالابتلاع[1]. والشطحة لها رصيدها في الحديث[2]. وتكثر صور جبريل في الخيال الشعبي. له سبعمائة لغة، وسبعمائة جناح. منها جناحان إذا نشر واحد غطى المشرق، وإذا نشر الآخر غطى المغرب. ملك تغيب الدنيا بين جناحيه وسيد الأفق. وكيف كان يهبط في منزل الوحي عند خديجة أو عائشة؟ كيف يتحول الكبير جداً الذي بحجم الكون كله إلى أن يهبط في غرفة؟

وقد تعني الشطحة العالم في الإنسان وليس الإنسان في العالم، والمكان في الزمان، وليس الزمان في المكان. فالاتجاهات الأربعة كلها شعرة من خنصر الصوفي المتحد بالله[3]. وليس عند الصوفي فقط اللحظة الحاضرة بل الزمان كله الماضي والمستقبل. وقته ليس له طرفان. هو كل الوقت. وهو محق. فلم يعد فيه بقية لغيره. وإن كان فمصيرها النار. ولو اعتقد أن النار تحرق منه شعرة لكان مشركاً لأنه جعل شيئاً غير الله سبباً. وعذاب الصوفي إذا قطع الله معه وليس إذا قذف به في النار. ولله عباد لو أنهم بصقوا على جهنم لأطفأوها[4]. وللشطحة رصيد في القرآن والسنة والشعر[5].

---

(1) «أمر الله تعالى الأرض أن تبتلعني أن كان فيّ فضل منذ شهر أو شهرين لذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام»، «إن مر بخاطرك ذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام أشركت»، اللمع ص481-482.

(2) «رأيت جبريل عليه السلام مثل الحلس البالي فعلمت به فضل علمه وخشيته علي».

(3) «يا قوم أمرُّ إلى ما لا وراء فلا أرى إلا وراء. وأمر يميناً وشمالاً إلى ما لا وراء فلا أرى إلا وراء. ثم أرجع فأرى هذا كله في شعرة من خنصري»، اللمع ص486-491. «ألف عام ماضية في ألف عام واردة، هو ذا الوقت، ولا تغرنكم الأشباح»، «أنتم أوقاتكم مقطوعة، ووقتي ليس له طرفان»، «أنا الوقت، وقتي عزيز، وليس في الوقت غيري. وأنا محق». «اللهم أن كنت تعلم أن فيّ بقية لغيرك فاحرقني بنارك، لا إله إلا أنت»، «لو خطر ببالي أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق شعرة لكنت مشركاً»، «ليتني أعمل بلظى وسقر عندي أن لظى وسقر فيها تسكن».

(4) «تقول جهنم يوم القيامة للمؤمن: جز يا مؤمن. فقط أطفأ نورك لهيبي».

(5) مثل: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾.

ولما كانت الشطحات في الأفعال وليست فقط في الأقوال، وبالتالي تتحد مع الكرامات[1]. فكان يحرق ثيابه الثمينة في النار، وطعامه في النار، ويفرق أمواله على الناس إلا عياله وهو ما يخالف الشريعة في البداية بالأقربين. وتغذي الإسرائيليات هذه الحكايات البطولية عن الأنبياء. والحديث رصيد لها[2].

4 ـ شطحات باقي الصوفية: ليس أصحاب الشطحات فقط هم كبار الصوفية كالبسطامي والحلاج ولكن أيضاً لغيرهم كأبي الحسين النوري وأبي حمزة الصوفي[3]. فالنوري يعشق الله، والله يعشقه[4]. وله أصل في الكتاب. والمؤذن قد يذكر الله وهو غافل ويأخذ أجراً على ذلك. ولولاه ما ذكر الله. وكل شيء يسبح بحمد الله دون أن يفقه الإنسان تسبيحه، حتى نبح الكلاب. والقرآن رصيد في ذلك. وإذا كان الخليفة في بيت الله، فالصوفي مع الله في كل ساعة. ولذلك أيضاً رصيد في الكتاب. ويرفض الصوفي أن يأخذ ثمن بيع عقار حتى لا ينخدع بعيدا عن الله. وكان أبو حمزة الصوفي إذا سمع صوتاً لهبوب الرياح أو خرير الماء وصياح الطيور كان يصيح «لبيك» لأن الله حال في كل شيء. والأمن إذا كان السبع على اليمين، والمسورة(المسندة) على اليسار لا يبالي الصوفي على أيهما يتكأ[5]. وذكر عن الواسطي أيضاً بعض الشطحات[6]. والذكر افتراء إذا قرن بالاستحقاق. فالله لا يجب عليه شيء. وقد يكون الذكر باللسان وليس بالقلب.

---

(1) «في معني أحوال كانوا ينكرون بها على الشبلي»، اللمع ص483-485.

(2) مثل «الدنيا ملعون ما فيها»، «لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة من ماء».

(3) «باب في ذكر أبي الحسين النوري رحمه الله، وما شهدوا عليه بالكفر عند الخليفة وغير ذلك»، اللمع ص492-494».

(4) «أنا أعشق الله وهو يعشقني»، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. وسمع الآذان فقال. «طعنه وسئم الموت». وسمع نباح الكلب فقال «لبيك وسعديك» ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، «حبيبي تريد أن تخدعني منك بمثل هذا».

(5) «أعرف رجلاً لو كان على يمينه مسورة وعلى يساره سبع لم يبال على أيهما يتكأ»، اللمع ص495-496.

(6) «من ذكر افترى، ومن صبر اجترى، ومن شكر انبرى»، السابق ص506-515.

فالنفاق نوع من الكذب[1]. وقد يكون الذكر لله مع شيء آخر وهو مشرك. وفي الكتاب ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [2].والصبر في البلوى فضيلة ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ . يدعو إلى الدعاء. والذنب للتذلل أفضل من الطاعة للتدلل وأعلى درجة التوحيد هو التفريد، عدم ملاحظة الحبيب أو الخليل دون ملاحظة الحق[3]. ولذلك رصيد في الحديث[4]. وملاحظة النفس وإعطاؤها الأولوية التي ترتبط بالحديث[5].

وقد رمي جماعة من المشايخ أصحاب الشطحات بالكفر[6]. وهم نوعان: الأول لم يفهموا معاني الكلام ودون جهد عقلي أو تأويل ديني. والثاني علموا مقاصدهم ومعانيهم ولكنه لم يصبر معهم وأثر الدنيا مطلب الرياسة فعاداهم دفاعاً عن النفس[7]. وممن كانوا موضع اتهام ذو النون المصري. وطلب من الله أخذ متهميه إن كانوا كاذبين. أما إن كانوا صادقين فإنّه لا يدعو على خلق الله أبداً. ومنهم سمنون ولقبه «المحب»، وأبو سعيد الخراز[8]. كما طلب سهل بن عبد الله أن تكون التوبة فريضة على العبد مع كل نفس. فكفرته العامة. وهي مبالغة لبيان أهمية أداء الفروض[9]. وقد اتهم عامر بن قيس لقوله إنه خير من إبراهيم وإنه

---

(1) «أخوف ما أخاف عليكم منافق عليم اللسان».

(2) وفي الحديث «والذي نفس محمد بيده لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى أكون أحب إليه من نفسه ومن ماله».

(3) وهو قول الواسطي «إياك أن تلاحظ حبيباً أو كليماً أو خليلاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا»، اللمع ص511.

(4) «أعبد الله كأنك تراه».

(5) «أنا أول من تنشق عنه الأرض والأنبياء تحت لوائي. والجنة حرام على كل أحد حتى أدخلها».

(6) «باب ذكر جملة المشايخ الذين رموهم بالكفر»، اللمع ص497-504.

(7) ومنهم أبو بكر علي بن الحسن بن ياز دانيار، السابق ص50-55.

(8) وذلك لقوله في كتاب السر «عبد رجع إلى الله وتعلق بالذكر. وذكر في قرب الله وطالع ما أذن له. من التعظيم لله وفي نفسه وما سوى الله. فلو قلت له من أين أنت وأين تريد؟ لم يكن له جواب غير قول: الله»، السابق ص499.

(9) كما تم أيضاً تكفير عبد الله الحسين بن مكي الصبيحي، وأبو العباس أحمد بن عطاء، والجنيد الملقب بطاووس العلماء. وأول من امتحن عامر بن قيس ولكن معاوية أكرمه.

يحرم ما أحل الله. وهو نوع من الثقة بالنفس، وبيان أن الحلال والحرام ظاهر، وأن الباطن هو القرب والبعد. ولذلك رصيد في الحديث[1]. والمطلوب الصبر على البلاء لأن «الصبر مفتاح الفرج»[2]. ويذكر الطوسي نماذج من شطحات الصوفية اعتماداً على تفسير الجنيد بالإضافة إلى تفسيره للتخفيف من وقعها، وبيان صحة معانيها اعتماداً على القرآن والحديث والشعر العربي والتجربة الإنسانية [3].

ب ـ أعمال الحلاج (309هـ)

«نصوص الولاية»[4] ومع أن العنوان يتعلق بالولاية أي بالوعي التاريخي المغترب إلا أن مضمونه في المصطلحات وألفاظ الصوفية[5]. وفي رسائله يذكر أيضاً بعض ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم[6]. وكذلك يذكر بعضها في متفرقات من كلامه[7]. ويعتمد على الآيات والأحاديث دون الأشعار[8]. ويظهر لفظ التصوف نفسه مما يدل على بداية تحوله إلى علم، الفرح الصوفي والدلال الصوفي. ومن أعلام الصوفية الجنيد، والبسطامي. وتشمل الألفاظ الاسم والحقيقة من أجل الانتقال من اللغة إلى الوجود، الحروف، العبارة، النقطة، الكلمة، الإشارة.

---

(1) «نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثل. ويبتلى الرجل على حسب دينه. فإن كان في دينه صلابة فيكون بلاؤه أشد».

(2) لذلك قال علي بن أبي طالب:

ما أحسن الصبر في مواطنه ... والصبر في كل موطن حسن

حسبك من حسنه عواقبه ... عاقبة الصبر ما له ثمن

السابق ص501.

(3) اللمع ص459-460، يذكر الطوسي في «اللمع» أربع شطحات لأبي يزيد (ص461-477) وأربعاً أخرى للشبلي (ص478-191)، وواحدة لأبي الحسين النوري (ص492-494)، وواحدة لأبي حمزة الصوفي (ص495-496)، «شرح ذلك يطول إن استقصيت. وفيما ذكرت كفاية»، السابق ص463 وللنوري مثل ذلك كثير. وفيما ذكرنا كفاية، السابق ص494. «ولكن تذكر من ذلك طرفاً على الاقتصار والإيجاز»، السابق ص497 و «وفرت الاختصار حتى يقاس بذلك ما لم نذكره»، السابق ص515.

(4) الأعمال الكاملة، دار الحكمة، لندن 2005م- ص221-265.

(5) وعددها (47)، الحلاج، الأعمال الكاملة ص221-232.

(6) السابق ص 233-254.

(7) السابق ص 257-265.

(8) الآيات (17)، الأحاديث (3).

وتظهر بعض ألفاظ الفضائل مثل الحياء، وبعض ألفاظ المقامات أو ما يشابهها مثل التفويض، والتوكل، الزهد، الشكر، العبودية، المحبة والعشق والشوق، ومن الأحوال: الأنس، الجمع، الخوف، الفناء، البقاء، الوجد، ومن مصطلحات الطريق: البلاء، الذكر، السماع، المجاهدة، المريد، المراقبة، المناجيات، النفس، الوقت، الهمة، العرف والمزاج، التحقق، الطاعة، العبادة[1]. ومن مصطلحات المعرفة: التجلي، الحجاب، الخاطر، الشطح، طريق الحقيقة، الظاهر والباطن، العارف والصوفي، العلم، الفراسة، المعرفة، الحكمة الإلهية، ومن مصطلحات الكلام: التنزيه والتوحيد، الجبر والاختيار، الحق والخلق، الكفر والإيمان، الوحدة والكثرة، القدم والحدوث، الاتصال، وحدة الأديان، الذات والصفات، البداية والنهاية، الدواعي، العمل، الإنسان والعالم، الرحمة الإلهية.

جـ - «خواص الحروف وحقائقها وأصولها» لابن مسرّة (319هـ)[2]: ومن العناصر المكونة للوعي التاريخي الحروف والكلمات والشطحات أي الوعي باللغة. فاللغة حامل للتاريخ من خلال الروايات الشفاهية والتدوين. والتركيز على أوائل السور يضع الرسالة في علم التفسير[3]. ويعتمد على الآيات أكثر من الأحاديث[4]. ومن الأعلام يذكر التستري[5]. ويرفض الوافد. فالفلاسفة هم قدماء الأمم الضالة. وهم غير الحكماء وهم فلاسفة المسلمين[6]. والرسالة لصغرها ليس لها أبواب أو فصول. إنما تشمل عدة موضوعات مثل: الحروف على الجملة، مبدأ كل حرف منها. الألف دليل على الوحدانية[7]. وتتألف الحروف ويصبح لها معنى باطن، وهي الحروف في أوائل السور وترتيبها[8].

---

(1) عنوانها «الصيهور في نقض الدهور»، نصوص الولاية، الأعمال الكاملة للحلاج ص264-265.

(2) من التراث الفلسفي لابن مسرّة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1982-1402 هـ، ص75-115.

(3) «ونحن نشير إلى ما ذهبوا إليه في ذلك من الكلام في مبادئ السور المتقدمة الذكر. ولا تخرج عن مرادهم. ولا نشذ عن مذهبهم. وإنما غرضنا في ذلك تقريب اللفظ وتبيين المعنى وترتيب الحروف ونظمها»، خواص الحروف، من التراث الفلسفي لابن مسرّة ص82.

(4) الآيات (39)، الأحاديث (2).

(5) التستري، خواص الحروف، من التراث الفلسفي لابن مسرّة ص82/ 102/ 105.

(6) السابق ص80.

(7) ثم تذكر الهاء والهمزة والواو والياء واللام والميم.

(8) مثل: الم، المص، الر، كهيعص، طسم، طس، حم، عسق، ق.

كما يعتمد «خواص الحروف» على الحجج النقلية وليس فقط على التحليل النظري[1]. ويبدأ التراكم الفلسفي في الظهور خاصة الفلسفة من قدماء الأمم الضالة، والفلاسفة[2]. كما يظهر التراكم الصوفي خاصة التستري[3]. تعتمد على جمع المعلومات دون الإشارة إلى مصادرها أو أصحابها. ويتكرر الكثير منها طبقاً لتعدد النقل.

الله واحد. ويمكن تفصيله في ثلاث قضايا من جهة الخلق: علم الربوبية بدلالتها وشواهدها ويقينها، وعلم النبوة ببرهانها وآياتها وقبولها، وعلم المحنة بشرائعها ووعدها ووعيدها. أي الله، والنبوة، والمعاد وهي عقائد المتكلمين الفعلية والسمعية، الإلهية والنبوية.

وتنقسم هذه العلوم الثلاثة إلى مائة فصل أي مائة درجة طبقاً لعدد أسماء الله الحسنى. وهي في نفس الوقت درجات الارتقاء إلى الجنة وإحصاؤها. هو علم النبي طبقاً لمعاني لفظ إحصاء في القرآن وكنوع من التفسير الموضوعي. وهو رأي نصي لا برهان عقلي عليه.

وللأسماء مراتب في نفسها ودرجات في ذواتها، انفصال واتصال، وعموم وخصوص في شرفها في المخلوقات. أعمها البسملة، أول مراتب العلم. ترتبط إذن خواص الحروف بعلم التفسير. وفي البسملة الله أول اسم مضمر. ومن الألوهية تُعرف باقي الأسماء. من الرحمن تخرج صفاته. ومن الرحيم تظهر رتبها. والحمدلة بيان لمجمل تحتوي اثنتى عشر اسماً. وعلم الذات والصفات ليس علماً مخفياً بل هو علم خاص بين الإنسان وربه. إنما القضية في معاني الحروف في أوائل السور مثل: الم، المص، كهيعص. اختلف العلماء في تأويلها طبقاً لتعدد الأفهام بين الخاص والعامة لأن الوحي أتي لكل الناس. يعرضها ابن مسرّة ناقلاً علم الآخرين احتراماً لسنة القدماء[4].

والحروف بوجه عام في أوائل السور أصل الأشياء، مصدر علم الله. خرج

---

(1) الآيات (39)، الأحاديث (2).

(2) خواص الحروف، ص80/ 96.

(3) السابق ص82/ 102/ 105.

(4) السابق ص76-82.

منها الأنبياء. وهو رأي التستري. ثمانية وعشرون حرفاً، نصفها ظاهرة، ونصفها باطنة. الباطنة مذكورة في أوائل السور. سرها لدى الرسول. من عرفها عرف معنى النبوة. وقد تكون على عدد منازل القمر، أيضاً نصفها ظاهر ونصفها باطن[1].

لها أسرار غامضة وحكمة عالية تظهر بعد أربعة عشر يوماً وتكتمل بعد أربعة عشر يوماً أخرى على عدد منازل القمر في حالة استفادة النفس بنور العقل وحصوله على العلم. النفس الناطقة كالقمر، والعقل كالشمس. وتستمد النفس الناطقة العلم من العقل كما يستمد القمر نوره من الشمس. ويعبر الإنسان بثمانية وعشرين حرفاً. فالعالم الصغير جزء من العالم الكبير كما هو الحال عند إخوان الصفا. ومع اعتبار القمر مع الشمس تظهر النفخة في الصور وبعث الأنفس كما خلقت أول مرة[2].

وترتيبها النون آخر آيات الكتاب[3]. ثم القاف النفس الطبيعية المنبعثة من النفس الكبرى الفلكية نحو الأرض[4]. ثم تأتي المملكة الروحانية. «نون» للنوارنيين يتنزلون بالذكر والذهن، العقل الكلي، النفس الكبرى، ومنه خرج الملائكة والجن والأنس. نزلت على أربعة أنبياء، إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، إبراهيم فوق، وعيسى وسط، ومحمد أعلى.

---

(1) السابق ص82-84.

(2) السابق ص90.

(3) وذلك لأن الروح الحامل للأرض مكانها، الحامل لجميع الأجسام والنسيم المحيط بالأرض منه ظاهراً وباطناً. ويستمد من الحيوان نفسه، معتدل الطبائع، مضغوط بحمل الأرض. إذا ضعف حدث الزلزال. هو الحوت، صورته على شكل حرث، موضع الماء والطين أسفل سافلين، نهاية الكون، منفصلاً الحركة، حاملاً لجسمين ثقيلين الماء والأرض ولجثث الحيوانات.

(4) وهي متعلقة بالنسيم الحامل للأرض. النفس الجميلة مصدر كل شيء متنفس في الأرض، مثال الجسم. هو القدر والمثال، تحت فلك القمر إلى الأرض، جسم وروح ونفس، الجسم الأرض، والروح الهواء المحيط، والنفس القوة السارية. ثم الحواميم السبع، مثال القلب، الحاء الحق والكلمة، و «الميم» الملك، الروح الحامل لجسم السموات والأرض. و «الصاد» الروح المخصوص في جسم العالم، مستمد من الروح المحيط بجسم العالم، ما ينفخ فيه اسرافيل. و «يسن» كتابة عن الملائكة الأربعة، حملة الكرسي، نهاية المملكة الفلكية.

و «كهيعص» آخر رتبة، وهي خمسة مقامات الأدنى «الر» منبع الحركة وفوقها الصاد، الأعظم المحيط بالكل، وفوقها اللام، اللوح الأول والمثال المجرد، وفوقها الميم المشيئة الكبرى، وفوقها الألف إرادة الله[1].

وأول الحروف ولآخرها الألف، محيطة ومفصلة لغيرها مثل الله. هي أساس الأشياء، مثال التكوين، ومخرج العدل والقضاء الأول. وهي كالواحد من العدد. هي أول دليل على التوحيد متصلة باللام. وكلاهما أول الأسماء الحسنى. والواحد لا يضرب في نفسه لأن حصيلته واحد. الواحد هو المفرد وليس المثنى أو الجمع[2].

وتأتي بعد الألف خمسة حروف أخرى: الهاء والهمزة والألف والواو والياء. ولها ظاهر وباطن. تكشف أسرار الحكمة، وأحكام الصنعة، الهاء إشارة إلى الذات، خارجة من الصدر. تليها الهمزة إشارة إلى الأزلية. فلا شيء أقرب إلى الذات من الإرادة دون أن تكون حالة فيها. فإذا نطقت بالهمزة، وأخذت مخرج العدل وهو الوسط خرجت الألف مثال التكوين[3].

واللام تشبه الألف في شكلها. وتكون معها أداة التعريف. هي لوح الله وعلمه، والميم مشيئته، ملكان وملكوته. هي المكان لكل شيء وصيرورته. فيها ظهرت صور الأشياء واكتملت. والراء تفصيل الحركات، القوة الحسية وراء الحركة، وتفصيل ما في الغيب. هي جوهر الزمان. وهي رحمة لأنها من الصفات المحيطة.

والكاف والنون ﴿كن﴾، الأمر الذي ظهرت به جميع الأشياء. والهاء الهباء أي الحروف التي منها تألفت الأشياء، واقعة تحت الكن والباء. وهي جبريل أو الروح

---

(1) السابق ص107-110.

(2) السابق ص84-87.

(3) وللألف ثلاث مراتب: نفس ناطقة ونفس نباتية ونفس حيوانية كما يقول الفلاسفة. الهمزة العقل والإرادة. والألف النفس الناطقة، والواو النفس الحيوانية. والباء النفس النباتية. الألف قائمة، والباء ساجدة، والواو منحنية. وهي في الخلق أيضاً. الحيوان صاحب النفس الناطقة منتصب القامة مثل الألف. وصاحب النفس الحيوانية فقط راكع منحنٍ مثل الواو. وصاحب النفس النباتية ساجد. والواو من أول المخارج،والباء منخفضة عنها، والألف مخرجها من الغيب. وبين كل حرف وحرف مخارج وحروف.

أو العين أو العلم. والطاء الطين الذي خلق منه آدم. والفطرة في طور سيناء، عندما أظهر الله أمره على موسى والنبيين. والسين في سورة يس، كناية عن إسرافيل. والماء الحق الذي خلقت به السموات والأرض، والقاف قدر الله وقلمه الذي به كتب الأشياء. وتكررت هذه الحروف الباطنة الأربعة عشر في أوائل السور[1].

و«الم» هو الاسم الأعظم، تشير الألف إلى ذات الله. واللام الغيب الأول المكنون. والميم الاسم الثابت إشارة إلى الملائكة أعظم الخلق[2]. وتعني «المص» أن اسم الله الأعظم له أربع صفات. يشير كل حرف إلى صفة. الألف الله وهي دليل عليه وحجاب له. الألف الأنا، واللام الله، والميم الملك، والص النعمة والخلق والصنع[3].

---

(1) السابق ص89-90.

(2) فالأشياء ظاهر وباطن، والعلم محيط بهما. المكنون الكلام، والظاهر جسم الكل، النفس الكبرى، الملك. كمال معرفته بهذه الحروف الثلاثة. وكمال معرفة الإنسان أيضاً في ثلاثة: النفس المحتجبة في الجسم والروح. بالنفس هو ما هو. وبالروح يصير فعلاً مكتملاً متصلاً بالأشياء. وكذلك ذات الله بائنة عن الأشياء احتجبت بحجابين من جهة خلقه وتجلت بخلقه. وسطاً بين الخالق والمخلوق. ومنها ظهر الأمر، الروح وهو الغيب، والجسم وهو الشهادة، قوة الأشياء المحسوسة. لذلك وصف بالرحمن الرحيم. وقد يكون معنى «الم» الألف الأنا واللام الله والميم الملك، وقد تكون الألف إرادة الله، أول الأشياء، والميم مشيئته الجامعة للخير والشر والحسن والقبيح، والحسي والروحاني. الإرادة حق لحصن ونور خالص، وحكمة بالغة. فلما أحكم المشيئة بالإرادة قام بينهما اللوح المحفوظ وبه كل المقادير والأسرار. فالكتاب ثلاثة: الإرادة والمشيئة والعلم. وقد يكون معنى «الم» منزل من الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم. الألف الله، والميم محمد، واللام وسط بينهما وهو جبريل.

(3) والصفات الثلاث الأخيرة ظاهرة للعيان. وهي صفات الإنسان، الصنعة لأصحاب المهن، والملوك فوقهم، والنبوة هم العلماء والحكماء. وهي أيضاً مراتب النبات والحيوان والإنسان. فالنفس النباتية تحفظ الجسم وتصوره وتنميه. فهي قوة صانعة. والنفس الحيوانية ملك متسلط يحكم كما يشاء. والنفس الإنسانية هي العقل مثل الآلة يصرف الحيوان ويسوسه. وهو مثل تحليل الفلاسفة لقوى النفس وتقسيم الموجودات أربع مراتب، ذات الله المباينة للأشياء، العقل الكلي، المثال المجرد من الهيولى، الجامع للفضائل الإلهية، ثم النفس الكبرى المستغرقة في الهيولى أي الجسم الحاملة لجثة العالم، وبها قام الملك وسخرت الأفلاك، والجامعة للملك والسياسة. ثم النفس دون الطبيعية المستغرقة في الجسم الجرمي والصانعة له والمصورة لجميع الصناعات .وهي موجودة في الإنسان. =

وفي «الر» الألف إشارة إلى الله، واللام إحالة إلى ذاته، كناية عن الرحمة، مثال خلق الخلق. والراء لتفصيل ما في اللوح بالقوة ثم تحويله إلى فعل بقوة الراء. وهي جوهر الزمان. الألف واللام آيات الكتاب المحكمة، والراء للتفعيل. وبالحركة تفردت الأشياء وإلا كانت كلا واحداً. وقد يكون معنى «الر» الله الرحمن[1].

و«كهيعص» خمسة حروف تأتي بعد «الر» و «المر»، وتعني الكاف «كن»، علة الكون. والإرادة والتدبر والعلم تسبق الكلام. وكل شيء في الغيب مكتوب. والهاء هباء. وكلا الحرفين نُطق بها قبل الخلق. ومنهما تألفت الأمور الباطنية وهي قوى مفردة نفسية. لذلك صارت للقوة الناطقة في مرتبة أعلى من الحروف[2].

وربما يكون معنى «كهيعص» كلام يوجبه عالم صادق. والحروف صفات لازمة للكلام. والكلام النافع هو الهادي الذي ينطق به من علم، ويتحرى به الصدق. والكذب أضداد هذه الحروف[3].

و«طه» كناية عن الطور، وربما عن «طوى»، وربما «الطين»، فالدلالة هنا هو صوت الحرف[4]. وتعني «طسم» و «طس» طور سيناء تعظيماً له لأنه موضع كلام

= يحكم ويدير بالروح الإلهي حتى يظهر المثال في العقل. ثم يحرك المثال النفس الحيوانية المؤثرة في الجسم والطبيعة حكمة الله في الأشياء المصورة لها. والقرآن هو هذه الأربعة. فالصاد من الصادق والصدوق.

(1) وأمثلة كل شيء في العالم في أم الكتاب، لا تبديل ولا انتقال. خلق العالم في ستة أيام في أوائل السور الست، مدة ظهور ما في اللوح المحفوظ، مثال الخليقة. معنى سورة «هود» هو الذات واللام العرش، والراء اللوح. وفي سورة يونس تشير «الر» إلى اليوم الأول، وهو اليوم الثاني في «هود». و «الر» الثالثة في يوسف، والرابعة في الرعد، والخامسة في «إبراهيم»، والسادسة في «الحجر». ستة حروف على ستة أيام. لذلك تقطعت الحركة والزمان في العالم على ستة أيام. واليوم السابع يوم السكون التام الذي سبت فيه اليهود أي سكنت. وهو يوم الاستواء على العرش، السابق، ص98-100.

(2) ثم تعبر الحروف عن المعاني. الياء الروح، والعين العلم. المعنى الباطن الذي دل عليه الكلام. والصاد مكان الأثر. العقل مؤلف من اللوح والقلم. وهو في المرتبة الأولى. والنفس في المرحلة الثانية.وتأليفها من «كن»، و«الصاد» و «الكن» في كنان. والنفوس كلها مرتبطة بالروح، الحامل لجميع الأجسام. والأمر قوة ناطقة، حروف مؤلفة، وروح محصورة وعلم يدُل عليه.

(3) السابق ص101.

(4) وعند التستري خلقت كل الأشياء من الكاف والنون، والصاد كان الخلق. والأصول =

الله. فالطاء الطور، السين سيناء، والميم موسى، وقد يكون معناه الطاء الطين، والسين السموات، وقد يكون الطواسين وطه حروفاً أربعة إشارة إلى أربعة أبناء، إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد[1].

وفي «حم» تعني الحاء الحق، ومنه خلقت السموات والأرض سبعاً. والميم الملك. وهو إسقاط من الأرض على السماء وتشبيه الإلهيات بالإنسانيات[2].

«القاف» القدر، حرف من حروف القلم كما قال التستري، والقلم من ثلاثة حروف. القاف المقدرة، واللام العدل، والميم المشيئة[3]. ولماذا لا تكون القاف القوة، والميم المقاومة في لفظ المقاومة؟.

= التي منها خرج الخلق الهواء (العمى)، وهو الهبا والريح والجو، والماء، والنار (النور والظلمة)، والطين. وهي العناصر الأربعة عند الفلاسفة. وهناك أربعة أخرى علوية: القلم واللوح والكن والصاد. أقسم الله بحروفها. القاف من حرف القلم، والميم والحاء من حروف اللوح، والكاف والنون من حروف «كن»، والصاد من الصادق، والهاء من الهواء، والراء من الريح. وحدث عن ذلك العرش والكرسي والجنة والنار والسموات السبع والأرض والبحار والملائكة والجن والإنس والحيوان والنبات، السابق ص102.

(1) السابق ص103.

(2) «وقد نجد ذلك ظاهراً في الممالك والرتب وجميع الأشياء المحسوسة. فإن الملك يقوم بهاتين الصفتين، أعني أن يكون الملك قاهراً عدلاً مستعملاً للحق والعمل وحيث لا قدرة به ولا استطاعة فسد ملكه، وأهلك رعيته. كما أنه لو كان ذا قوة واستطاعة ولم يكن له عدل ولا حق أفسد ملكه، وأتلف حاشيته. وكذلك الإنسان جعل الله فيه هاتين القوتين ليكون صلاحاً له في حياته وبعد مماته. فجعل فيه من قوة ملكه ما يقدر به ملك جسمه وعقله وضبط أعضائه. وهو الروح الحيواني الحامل لجسمه. وجعل فيه من الحق وهو النور. هو الروح الذي نفخ في آدم»، السابق ص104. فالملك في الجمع أو في الإنسان متصفان بالحق والملك وهي الروح الحيواني الحامل للجسم، والحادي للحق. هو الروح الذي نفخ في آدم، قوله «كن». بهذه الروح دبر الإنسان المعاش، ونهى نفسه عن القبيح، وأنار الحق قلبه، وعمل به وساس الأمور. ولو عدم النور لكان كالبهائم ولو عدم الروح لكان كالحجر الصلب. والعين والسين العلم، السابق والكاف القدر النافذ، السابق ص104 - 105.

(3) فبالقلم تظهر قدرة الله ومشيئته وعدله وهو اللوح. والقدر قدران: قدر سابق مجمل في اللوح المحفوظ، وقدر مؤجل من الأول. الأول ساكن، والثاني متحرك. والحروف «حم» و «عسق» تشير إلى القدر السابق. الأول يجوز فيه الدعاء وتُرجي الإجابة وفيه استثناء والثاني لا يجوز. الأول في «كهيعص» والثاني في «عسق». وهما علما الغيب والشهادة. =

هل هناك نماذج من الحضارات المجاورة لعلم الحروف؟ في الإسرائيليات وعند اليونان، وفي الديانات الشرقية؟ فشعوب الشرق جمعت بين التجريد، منطق الهند وحسابها، وبين اللغة والنص والكتب المقدسة، البوذية والكونفوشيوسية وكتاب الموتى وقوانين حمورابي[1].

د ـ **أقوال التستري (319هـ)**[2]: ويمثل التستري أيضاً المرحلة الأخلاقية وهي في طريقها إلى المرحلة النفسية. لم يترك أعمالاً ذات أبواب وفصول ولكنه ترك «كلاما» مقسماً إلى خمسة أجزاء ليس لها عناوين. تتضمن جمعاً من المقامات والأحوال والموضوعات الصوفية الأخرى. وقبل بعضها لفظ «باب» بمعنى موضوع وليس قسماً من عمل له بناؤه الداخلي[3]. وتتكرر بعض الموضوعات مثل النهي، والشكر، والتوبة. البعض منها لفظ واحد، وهو الأغلب، والبعض الآخر لفظان متشابهان وليسا متضادين لعدم استقرار المصطلحات بعد وهو الأقل مثل: المداراة والمهادنة، الشكر والطاعة. والبعض الآخر متضاد مثل الأمر والنهي. وهي أقوال لا أحوال، عبارات وليست حكايات، خالية من شطحات المرحلة النفسية. ولا

= وتكرار الميم لأن الملك في كل شيء، قوة محيطة بالأشياء. تتكرر خمسة عشرة مرة، أربعة ملائكة يحملون العرش، وأربعة يحملون الكرسي، وسبعة يحملون السموات والأرض السبع، السابق ص105-107.

(1) يسمى في تاريخ الأديان: علم الأعداد Numerics.

(2) مكتبة الشباب، القاهرة (د.ت)جـ2.

(3) يضم كلام «سهل التستري» خمسة أجزاء. الأول (2ص)، والثاني (32ص) بلا أبواب، والثالث (38ص). يشمل اثني عشر موضوعاً: الوسوسة، المحاسبة، الطمأنينة، المخلص، المداراة والمداهنة، الحلال، الكسب، الشبه والمكروه، الطمع، الصمت، الأخلاق. والرابع (36ص) يضم ستة موضوعات: المبتدئ، الرياء، الخصوصية، الشكر، النهي. والخامس وهو أكبر الأجزاء (145ص) يحتوي على ثلاثين موضوعاً: التوبة، علم السر، التكلف لما لا يعني، الطهارة، المشاهدة، الدعوى، الأمر والنهي، الشفقة، قصر الأمل، العجب، الرضا، المال، الإيمان بالقدر، الخشوع، الخشية، الكسب، اليقين، التجلي، الحول والقوة، الشكر والطاعة، القلب، الصبر، الطبع العزم، النوم، التقوى، التسوية، الثواب، التوبة، وأخيراً «الشرح والبيان لما أشكل من كلام سهل». تراث التستري الصوفي، دراسة وتحقيق، الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر جـ2، مكتبة الشباب (د.ت). الجزء الأول دراسة، والثالث يشمل بقية تراث الفلسفي ولكن الأجل لم يمهل الصديق العزيز والزميل الفاضل لإنجازه. والأمل في طلابه لإكمال مشروعه.

يوجد نسق خاص ينظم الموضوعات أو ترابط بينها. فظلت متناثرة. وكثير منها موجه نحو القارئ في صيغة المخاطب، الهدف منها عملي وليس نظرياً، السلوك وليس المعرفة.

ويمكن تصنيف الموضوعات إلى سلب وإيجاب، السلب الرذائل، والإيجاب الفضائل، والإيجاب أكثر من السلب. السلب هي انفعالات النفس وأهواؤها مثل: الوسوسة، المداراة والمهادنة، الشبه والمكروه، الطمع، الرياء، النهي، العجب... الخ. والإيجاب مثل: المحاسبة، الطمأنينة، الحلال، الصمت، الشكر، التوبة، الطهارة، الشفقة، قصر الأمل، الرضا، الإيمان بالقدر، الخشوع، الخشية، اليقين، التجلي، الحول والقوة، الشكر، الطاعة، الصبر، التقوى... الخ. والتصوف الخلقي هنا يعني التحول من السلب إلى الإيجاب، ومن الرذائل إلى الفضائل.

وتتداخل الموضوعات فيما بينها وتتشعب. ويضم موضوع واحد مثل الشكر عدة موضوعات أخرى مثل العلم[1]. وفي آخر الجزء الثاني «الشرح والبيان لما أشكل من كلام سهل» وهي مقتطفات من أقوال سهل(187 قولاً)، شرح عبد الرحمن[2].

وكعادة المؤلفات الصوفية في المرحلة الخلقية يعتمد كلام التستري على عدد كبير من الشواهد النقلية، والآيات أكثر من الأحاديث[3]. والأقوال مجرد تجميع بلا سند. وليست إجابة على سؤال أحد المريدين كما هو الحال في معظم المؤلفات الصوفية في المرحلة الخلقية تقليدا للفتاوى الفقهية. وأول الكلام مقطوع[4]. وأحياناً قليلة يكون القول إجابة على سؤال[5]. والأسلوب سهل يخلو من التعقيدات اللفظية والإشارات والرموز. والخطاب أقرب إلى الوعظ والإرشاد والوصايا، وهو الخطاب

---

(1) التستري ص247-158.

(2) السابق ص319-383.

(3) الآيات (180)، الأحاديث (50).

(4) التستري ص67.

(5) أبو محمد سهل بن عبد الله التستري: تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي الحلبي وأخواه بكري وعيسى بمصر (د.ت).

الشائع في التصوف الأخلاقي. وبعضه في صيغة نصائح.

أما عمله الأخر «تفسير القرآن العظيم» فإنه يدخل في علوم التفسير مثل «لطائف الإشارات» للقشيري وتفسير ابن عربي[1]. وتتخلله بعض الألفاظ الفارسية مثل «دوست» أي صديق. ولا يعني ذلك بالضرورة الأثر الفارسي بل استعمال الألفاظ الشائعة كما يحدث الآن من استعمال بعض الألفاظ الأجنبية في الحلقة العربية المعاصرة خاصة في الخطاب الشفاهي[2]. ويذكر التستري قول مضر القارئ، من أصحاب عبد الواحد بن يزيد أنه إذا عرفت الشمائل والمجيئة والذهاب عُرف. فالمعرفة بالصفات والتجليات[3]. ويشير الصوفية إلى بعضهم البعض، تفسيراً وتأويلاً أو قراءة وإكمالاً. فإذا دعا أويس القرني ألا يؤاخذ بكل كبد جائع وبدن عار بفضل قوة يزيد التستري بفضل عقل وعلم وليس القوة[4].

وتدخل الإسرائيليات في الأقوال المروية عن الأنبياء والتي ليس لها أصل في الكتاب أو السنة، والوحي الذي أعطاه الله إلى عيسى وموسى وداود والذي تزخر به الأحاديث القدسية ورسائل إخوان الصفا[5]. وقد أنعم الله على بني إسرائيل طعام البرسيم ثم يصير شعيراً ثم حشيشاً، يخرجون من المدن إلى القرى، ومن القرى إلى الجبال. والمؤمن منهم يصبر على ذلك ويُحرم من هذه النعم[6]. وتصريف الهمم في الله كما طلب الله لداود أن يراه في قلبه كهم، ويجعله ذخراً لمعاده، ولا يوالي غيره حتى لا يغفله. ولم يرفع سليمان بن داود عينه من السماء تخشعاً، وكان يلبس الشعر. ومن ثم هو إمام الصوفية[7]. وسليمان أيضاً هو الذي

(1) السابق ص68/ 71/ 77/ 80/ 88/ 89/ 94/ 96/ 102/ 105-108/ 112/ 118/ 119/ 123-124/ 131/ 133/ 141-145/ 147/ 151-153/ 159-160/ 163/ 165/ 172-175/ 177/ 179/ 181/ 188/ 194/ 213-215/ 218/ 220-221/ 223-224/ 228/ 229/ 230/ 233-236/ 238/ 244-245/ 248-249/ 251/ 253/ 255-256/ 259/ 262/ 263.

(2) السابق ص69.

(3) التستري ص219.

(4) السابق ص222.

(5) التستري ص97/ 203/ 235.

(6) السابق ص239/ 269.

(7) السابق ص296.

أحب سبأ. وأبوه داود هو الذي قتل ضابط حرسه وتزوج امرأته. كان سليمان يعيش في قصر، ملكاً للملوك. ولا يوجد شيء في قلب الصوفي طمعاً في نيل شيء في الدنيا أو أسفا على فقده وإلا شارك اليهود والنصارى. فأهل الكتاب متجهون إلى الدنيا أكثر من اتجاههم إلى الآخرة[1]. ومن يجعل في قلبه هم الدراهم يكن مثل اليهودي[2]. وتدخل الإسرائيليات في أساطير الخلق وفي حوار الله مع الأنبياء، داود وموسى[3]. ولا تشمل الإسرائيليات فقط المصادر من العهد القديم بل أيضاً من العهد الجديد مثل وحي الله لعيسى بأن ما زال لديه صحارى من المعارف لم يقطعها بعد[4].

هـ ـ **أعمال النفري (354هـ)**: والكتابات الصوفية أنواع أدبية مختلفة أهمها: الشطحات، والمواقف، والمخاطبات، والإشارات، والنصوص، والفتوحات، والدواوين الشعرية، والطبقات... الخ. ومعظمها أسماء مؤلفات. كل منها يعبر عن حالة نفسية. هناك علاقة بين الفكر واللغة. الفكر يفرض لغته طبقا لعبارة النفري الشهيرة «إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة». والعناوين يشوبها نوع من الجمال. توحي بأشياء إبداعية جديدة على عكس عناوين علم أصول الدين وعلوم الحكمة وعلم أصول الفقه. التصوف بهذا المعنى جزء من تاريخ الأدب العربي وألصق به من علم أصول الدين، وعلم أصول الفقه وعلوم الحكمة. هو جزء من الأدب الرومانسي العربي. وهو الذي يعبر عن أصالة الروح العربية وليس علوم الحكمة التي اعتمدت على العقل أسوة باليونان الذي أوقف الإبداع الروحي العربي الأصيل[5]. وهي أشكال أدبية جديدة لم توجد من قبل في باقي العلوم النقلية العقلية. لذلك هي أقرب إلى الشكل منها إلى المضمون، من الصياغة الأدبية منها إلى المضمون الفكري. لذلك لا تُحَلل الأقوال وتصنف في معاني أو موضوعات.

---

(1) السابق ص298.

(2) التستري ص310.

(3) السابق ص200.

(4) السابق ص349.

(5) هذا ما يقوله شايدر في «روح الحضارة العربية» ويعرضه ويتبناه عبد الرحمن بدوي في ترجمته للكتاب حتى تظل العقلانية إبداع الغرب الأصيل منذ اليونان القديم حتى الغرب الحديث.

والنثر الرمزي في «المواقف» و «المخاطبات» و «الإشارات» و «الشطحات» وسط بين الشعر والشطح. النثر الرمزي هو النثر الإيقاعي الموسيقي المقفى كالشعر وإن لم يكن موزوناً طبقاً للبحور. وهو النثر الذي فضله القرآن كأسلوب في التعبير. ليس به تركيز الشطح ولا صور الشعر. هو أقرب إلى المواجيد. والانفعالات، والعواطف الروحية. وتظهر الصور الرمزية مثل البحر والسفينة والألواح والمخاطرة والفرق[1]. ووظيفة الرمز الإبحار والإقناع من أجل الفعل[2]. وأحياناً يكون الأسلوب ركيكاً. وتسود العبارة الرتابة والتكرار في قضايا تقريرية وأحكام قطعية تخلو من البرهان.

1 ـ المواقف: «المواقف» و «المخاطبات» شكلان أدبيان، ارتبط أحدهما بالآخر. فماذا تعني «المواقف»؟ هل هي مواقف نفسية أي تجارب روحية وانفعالات ذاتية خالصة؟ هل هي مواقف أخلاقية اجتماعية وسياسية غير مباشرة، فلا توجد تجربة ذاتية إلا في مواقف موضوعية، خاصة أن التصوف كله موقف من الحياة ورد فعل على الانكباب على الدنيا والتكالب عليها؟ هل هو موقف وجودي يجمع بين الموقفين السابقين، تعبيراً عن الوجود الإنساني، وتحولاً من المعرفة في الموقف النفسي إلى الوجود في الموقف الوجودي؟ هل هو موقف بمعنى «التوقف عن الحكم» وعدم إصدار حكم على الموضوعات المتعالية مثل «الله» أو الطبيعة مثل العالم؟

ومن هو صاحب الموقف؟ هل هو الإنسان، فالإنسان في موقف، والإنسان في العالم أم أن الله هو الذي يضع الإنسان فيه؟ الغالب هو الله نظراً لتكرار فعل «أوقفني»، في أول كل موقف، ليس الموقف كلمة بل أمر بلفظ مفرد أو مزدوج. وهو موقف طبيعي جغرافي كوني مثل البحر والنور والليل بحيث تصعب التفرقة بين الله والطبيعة[3].

---

(1) محمد بن عبد الجبار النفري: المواقف والمخاطبات، تحقيق أرثر أربري، تقديم وتعليق د. عبد القادر محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985. ص71.

(2) «إن لم ينعقد الحياء بهذا الرمز لم ينعقد أبداً»، السابق ص140.

(3) موقف البحر، المواقف ص71، موقف بحر ص133، موقف نور ص134، الليل ص167-168.

وقد خصص النفري ضمن «المواقف» موقفاً لمعنى الوقفة[1]. وهو من أطول المواقف كماً. وتعني الوقفة المنظور الإلهي، الوقوف مع الله، الرؤية الإلهية مما يدل على أن صاحب الموقف هو الله. وهو ما يعادل «أحكام الوضع» في علم الأصول أي الأفعال في الواقع من وجهة نظر الله[2]. وهو موقف علمي إدراكي[3]. وكل واقف عارف وليس كل عارف واقف نظراً لتعدد مصادر المعرفة. ويموت جسم الواقف ولا يموت قلبه. ويقوم الصبر على كل شيء إلا على الوقفة التي تقوم عليه. الوقفة بلاء. تنتهي بالائتلاف أو الاختلاف. وهي لا تتعلق بسبب ولا يتعلق بها سبب. لا علة ولا معلولاً. الواقف فرد والعارف مزدوج لأن الأول إلهام، والثاني تعلم. الوقفة تورث العلم والعمل، والمعرفة تورث العلم وحده. لا يرى الحقيقة إلا الواقف. والعالم يخبر عن العلم. والعالم يخبر عن المعرفة. والواقف يخبر عن الله. يخبر العالم عن الأمر والنهي، والعارف عن حق الله. والمواقف عن الله هي علم اليقين، حقِ اليقين عين اليقين. العلم حجاب، والمعرفة خطاب. الوقفة حضرة، والمعرفة منتهى ما يقال والوقفة وراء ما يقال. العارف ذو قلب، والواقف ذو رب. المعرفة نور الكون، والوقفة نار الكون. المعرفة تري الله وغيره، والوقفة تري الله وحده. الأخبار للعارف، ووجه الله للواقف.

وهناك موقف خاص باسم «معرفة المعارف»[4]. وهو الجهل المتيقن بالله. وتعادل الظاهر في مقابل الباطن، الرؤية القلب، والعقل للسر. تؤدي إلى العلم وتوجه نحو الكون، تقرّب إلى الله بالدليل والحجة. لها عينان: عين العلم وعين الحكم تتحول إلى بصر ومشاهدة. العلم وحده خال من الحقيقة، في القول لا في

---

(1) موقف الواقفة، المواقف ص73-81.

(2) من النص إلى الواقع جـ2 بنية النص ص 533-560.

(3) «من لم يقفُ رأي العلوم ولم ير العلم فاحتجب باليقظة كما يحتجب بالغفلة»، «الوقفة روح المعرفة، والمعرفة روح العلم، والعلم روح الحيا... كل واقف عارف وما كل عارف واقف... للوقفة علم ما هو الوقفة، وللمعرفة علم ما هو المعرفة... الوقفة عمود المعرفة، والمعرفة عمود العلم... العلم لا يهدي إلى المعرفة، والمعرفة لا تهدي إلى الوقفة...»، السابق ص76-81.

(4) السابق ص83-87.

القلب. لا تعرف العارف ولا تعلن العلوم[1]. ويؤكد «موقف الدلالة» على الجانب المعرفي. فالمعرفة بلاء الخلق. وهي مشوبة بالجهل كما أن الجهل مشوب بالمعرفة. وأدناها ما يبدو[2].

ويعني ما وراء الموقف فلسفة أو ميتافيزيقا الموقف. فالموقف ليس فقط موقفا إنسانياً معرفياً وضعه الله فيه بل الكون موقف، كله أو أجزاؤه. والوسوسة موقف. وتشمل الخاطر والعلم والمعرفة وكل ما يختلج في الصدر، والجهل، والتراب والإنسان فوقه، ونفي السوي وإثبات الواحد[3]. وتسمي المواقف أيضاً «المراتب»[4].

والموقف اختيار من اختيارات ثلاثة: صاحب الموقف أو الموقف أو هيئة الوقف[5]. صاحب الموقف هو الموقف وإرادته. والموقف إرادة الإنسان. وهيئة الموقف عبادة النفس. الوقفة وصف من أوصاف الوقار، والوقار من البهاء، والبهاء من الغنى، والغنى من الكبرياء، والكبرياء من الصمود، والصمود من العزة، والعزة من الوحدانية، والوحدانية من الذاتية. الوقفة خروج الهم من الحرف، ما ائتلف منه وما افترق. فالموقف مرتبط بالصفات والحروف والأسماء والكلمات. فالخروج من الحروف خروج من الأسماء، ثم من المسميات ثم مما يبدو، فيتم السمع، وتتم الإجابة. ولا تُجاز الأوصاف والأسماء لله، ولكن تجاز إلى الإنسان. ولا مجاز في الاثنين ولا حجاب[6].

الإقبال على الدنيا غضب، وعلى الآخرة حجاب، وعلى العلوم حبس، وعلى المعارف عبس، والسكون على العبث حبس، والسكون على الحبس حجاب، والسكون على الحجاب غضب. معارف كل شيء توجد به. وأسماؤه

---

(1) «موقف الدلالة»، السابق ص129-132.

(2) وهو موقف كانط.

(3) «موقف وراء المواقف»، السابق ص126-129.

(4) «موقف المراتب»، السابق ص148-149.

(5) موقف التقرير، السابق ص102-103.

(6) «إن لم تجز ذكري وأوصافي ومحامدي وأسمائي رجعت عن ذكري إلى أذكارك ومن وصفي إلى أوصافك... الواقف لا يعرف المجاز. وإذا لم يكن بيني وبينك مجاز لم يكن بيني وبينك حجاب»، السابق ص102.

من معارفه. وإذا سقطت معارف الشيء سقط الوجد به. لكل شيء اسم، ولكل اسم أسماء. تتفرق الأسماء من الاسم، والاسم عن المعنى.

والمواقف تعبر عن المقامات والأحوال بالجملة دون تفصيل لها كما هو الحال عند باقي الصوفية. هي أقرب إلى المواجيد الخام، الانبثاقات الروحية[1]. وهو أسلوب شخصي، بضمير المتكلم المفرد مما يدل على أنها تجارب روحية ذاتية. تخلو من الحجج النقلية، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين والمأثورات الشعبية التي تمتلأ بها رسائل «إخوان الصفا». وأحياناً تظهر بعض الآيات في استعمال حر داخل الأسلوب وفي بنية الوصف[2].

كما تخلو المواقف والمخاطبات «من الإحالات إلى أسماء الأعلام»، صوفية أو علماء أو إلى أسماء أماكن ومناطق وبلدان. هي تجارب روحية خالصة تعبر عن أحوال نفسية. ولا يستشهد بأشعار كما هو الحال في بعض الكتابات الصوفية الأخرى بل وفي كل العلوم العقلية النقلية أو النقلية أو حتى العقلية الخالصة. وتبدأ الفقرات بفعل «قال» ويذكر قول غير مباشر لا يسند إلى أحد. إنما هو تعبير عن تجربة ذاتية. وأحياناً يكون القائل متخيلاً، ظواهر الطبيعة مثل «الأنوار» البحر أو طوائف أهل السموات والأرض كما هو الحال عند الحلاج في «الروايات والأحاديث»، وأحياناً أرواح العارفين[3]. والغالب أن القائل هو «الله» دون ذكره.

وكل موقف له «عنوان». وهي ليست عناوين المقامات والأحوال المعروفة عند الصوفية السابقين. وليس لها نسق محدد. ولا يمكن تجميعها طبقاً لنسق مفترض طبقاً لمنطق التشابه والاختلاف بين الألفاظ. ولا يمكن تصنيفها بين الإيجاب والسلب.

ومع ذلك بها قدرة فائقة على التنظير. وعددها ثمان وسبعون موقفاً. ونظراً لصعوبة إعادة تصنيفها طبقاً للموضوع لتباعد الموضوعات إلا أنه يمكن ذلك عن طريق الشكل بين اللفظ المفرد واللفظ المركب بالإضافة أو الصفة أو العطف أو

---

(1) المواقف ص66-205.

(2) مثل﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾، السابق ص186-187.

(3) السابق ص66/ 71.

الظرف، والجملة المفيدة في صيغة المتكلم أو المخاطب أو الغائب[1]. وتختلف المواقف من حيث الكم بين الطول والقصر[2]. وبعض الصيغ إخبارية تقريرية وبعضها أمرية إلزامية[3]. وبعضها تساؤلية[4].

ولا يلتزم الموضوع بعنوان الموقف بل يخرج عنه. العنوان هو مجرد الموضوع الغالب ولكن ليس الوحيد. وتأتي المقامات والأحوال من خلال المواقف ودون أن تكون عنواناً لها وقد تكرر بعض العناوين مثل «الصفح والكرم» و «الصفح الجميل»[5].

«في المواقف» تتحول اللغة إلى حروف وألفاظ وعبارات دالة بجرس اللغة وموسيقى النظم، أقل من الشطحات من الناحية النظرية ومن الشعر من الناحية الجمالية. العالم وجدان وعاطفة. المواقف مجرد تحليلات نفسية وأدبية فلا فرق في التصوف بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية أو التجربة الفنية. تجمع بين المناجاة والشطحات مثل الإشارات الإلهية لأبي حيان. يتصدرها فعل القول دون معرفة من القائل. وهي أقرب إلى الألفاظ ومصطلحات الصوفية دون تعريف للحدود بل لإثارة الأذهان. ونادراً ما تكون من المقامات أو الأحوال، من الرذائل أو الفضائل، من الطريق ومتطلباته، من بدايته ونهايته مثل القرب، ولكنها أقرب إلى علم الكلام الأدبي العام[6]. وهي مواقف لله أكثر منها مواقف للإنسان. تدور

---

(1) الألفاظ المفردة (43)، الألفاظ المركبة (19)، الجمل الفيدة (16)، المتكلم: قد جاء وقتي (70-71)، أنا منتهى إغرائي (ص111-113)، كدت لا أواخذه. المخاطب: أنت معنى الكون (ص69-70)، لا تفارق اسمي (ص109-111)، ادعني ولا تسألني (ص118)، اسمع عهد ولايتك (ص123-126)، من أنت ومن أنا؟ (ص135-136).

(2) أطولها ثمان صفحات، وأصغرها نصف صفحة.

(3) الإخبارية مثل: مواقف لا تطرف (ص107-108)، موقف لي إغراء (ص114-115)، استوى الكشف والحجاب (ص118-119)، هو ذا تنصرف (ص133-134)، موقف بين يديه (ص151-157) (ص113-114). الأمرية مثل: لا تفارق اسمي (ص109-111)، ادعني ولا تسألني (ص118)، اسمع عهد ولايتك (ص123-126).

(4) التساؤلية مثل: ما تصنع بالمسألة؟ (ص115-116)، من أنت ومن أنا؟ (ص135-136).

(5) العهد ص145-147، عهده 164-166، الصفح والكرم، المواقف ص185، الصفح الجميل ص191-194.

(6) وذلك في مصطلحات مثل العز والعزة، الكبرياء والرحمانية، الأمر والموت، =

حول الإنسان بين قطبين: الله والعالم. والثلاثة على التبادل.

2 ـ **«المخاطبات»**[1]: وهي من نفس الشكل الأدبي في «المواقف». والمخاطبة أقصر من الموقف وأقل كماً، وأقرب إلى المناجاة، مناجاة الله أم مناجاة العالم. الله أيضاً هو الذي يخاطب وليس الإنسان، وكأنها مخاطبة الحاكم. والبعد والقرب من الله وليس من الناس. يخاطب الله الإنسان بلفظ يا «عبد» وليس يا «حر»، تضم سبعاً وخمسين مخاطبة بلا عنوان باستثناء المخاطبة الأخيرة «مخاطبة وبشارة وإيذان الوقت»[2]. لا تعتمد على الأدلة النقلية أو العقلية بل هي مجرد انفعالات أدبية صوفية والتعبير عنها بإشارات رمزية.

هي نوع من المناجاة[3]. وهي أصغر من «المواقف» كماً[4]. من حيث العدد والمساحة. وهي بلا عناوين، مجرد أرقام متتالية تبلغ سبعاً وخمسين، باستثناء عنوانين[5]. هي مخاطبات معرفية مثل «المواقف»، وتخلو أيضاً من الشواهد النقلية والشعرية وأسماء الأعلام. والله هو الذي يخاطِب والإنسان هو الذي يُخاطَب. وليتوجه الله بالخطاب إلى الإنسان بلفظ «يا عبد» التي تبدأ بها كل مخاطبة بل ويتكرر أكثر من مرة داخل المخاطبة وتكرر النداء «يا عبده» أكثر من ستمائة مرة[6].

وإذا كانت المواقف قد كانت بصيغة ضمير الفرد ومرة «يا عبد عبدي»، فإن المخاطبات بضمير المفرد المخاطب[7]. ويخاطب الله العبد لإعطائه الوصايا أو

= النور والعظمة، الوحدانية والعبدانية. ومنها ما يخص المعرفة مثل البصيرة، الفقه وقلب العين، الحجاب والنور، قلوب العارفين، الرؤية، حق المعرفة، الكشف والبهوت، الإدراك والحرف. ومنها ما يتعلق بالسلوك القويم مثل الصفح الجميل، الأدب، الرفق، آداب الأولياء، الصفح والكرم، والعهد.

(1) الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985م، ص206-281.

(2) السابق ص238-239/ 277-281.

(3) السابق ص206-281.

(4) المواقف 140ص، المخاطبات 76ص.

(5) مخاطبة 20 «مقام رد موهبة الكيل»، مخاطبات ص238. مخاطبة 57، «مخاطبة وبشارة وإيذان الوقت»، السابق ص277.

(6) «يا عبد» 653 مرة.

(7) المخاطبات ص218/ 221.

لإخباره عن ذاته. وفي المخاطبة الأخيرة يخاطب الله الطبيعة، الليل والنهار والشمس والأرض. والصبر هو صبر من الله خلقه مثل الناموس. ومن خلاله يتكشف. يوقظ النائم للتبشير بها[1]. والحضور الإلهي طاغ على الحضور الإنساني. فالله هو الذي يتكلم ويبين مآثره على الإنسان. الله هو المبادر وهو صاحب النعم. هو الوصي والإنسان هو الموصى عليه. ليس الهدف هو خلق «الإنسان الكامل» كما سيحدث فيما بعد عن ابن عربي والجيلي بل خلق الله الكامل.

ويصعب تصنيف المخاطبات في نسق من الموضوعات لأنه لا جامع بينها. وبالرغم من أن كل مخاطبة لها موضوع، بالرغم من غياب العنوان، إلا أنها لا تلتزم به. وتتداخل موضوعات أخرى كما هو الحال في «المواقف». وآخر مخاطبة في صياغة «المواقف»، «أوقفني وقال لي. . .»[2]. وتتكرر الموضوعات من خلال المخاطبات. فالمخاطبة دفعة روحية تحتوي على أكثر من موضوع يتكرر في المخاطبات الأخرى. الماء واحد ولكن القطرات متقطعة. لذلك يحال إلى الموضوع بصرف النظر عن رقم المخاطبة. والنداءات قصيرة، مجرد أوامر بلا برهان. والمخاطبات أيضاً على وعي بالرمز[3].

و«المخاطبات» أكثر إغراقاً في الوجدانية من «المواقف»، وأكثر دلالة على التصوف النفسي، لذلك يصعب إيجاد تعريفات للمقامات والأحوال أو لباقي المصطلحات الصوفية، ومازالت ثقافة الموت هي الثقافة السائدة في«المخاطبات»[4]. ولا يوجد ذكر للحقيقة المحمدية.

3 ـ **«النطق والصمت»**[5]: ويضم ستة كتابات صغيرة عن المحبة، وشذرات، وخواطر، ومناجيات، وأضابير[6]. تجمع بين النثر الفني والشعر. وكلاهما نظم.

---

(1) مخاطبة وبشارة وإيذان وقت، السابق ص277-281.

(2) المخاطبات ص277.

(3) «يا عبد رمزت الرموز فانتهت إلي. وأخصمت الفواصح فانتهت إلي»، السابق ص247.

(4) «يا عبد قف بين يدي في الدنيا وحدك أسكنك في قبرك وحدك، وأخرجك منه إليّ وحدك، وقفت بين يدي في القيامة وحدك»، السابق ص208.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ ص125-135.

(6) من خصائص كلامه الغريب في المحبة ص129-135 (7ص) 10 الشذرات ص139-152 (4ص). الخواطر وأحكامها ص155-159 (5ص). المناجيات ص163-170 (8ص). =

تتنوع الأشكال الأدبية وكأنها هي المقصود من التأليف. ويدل العنوان على تقابل بين النطق والصمت. فالنطق ليس صمتاً. والصمت ليس نطقاً. هو اشتباه وحيرة بين الصمت والنطق بالنسبة للعلوم الكشفية. موضوعاتها إشارات وصور مثل مخاطبة فتاة، الجواب دون سؤال، بيّنة، تحية حبية[1]. لا تعتمد الرسالة على أية أدلة نقلية، قرآن أو حديث أو شعر، ولا على أدلة عقلية برهانية. هي مجرد انفعالات ومواجيد. الغاية منها التعبير وليس الإيصال مثل «الإشارات الإلهية» لأبي حيان. أما «الشذرات» فتتراوح بين الشكل الأدبي مثل: فصل، مسألة، زيادة، قال، من كلامه، وبين الموضوع الصوفي، الرذائل مثل الحسد، والفضائل في التصوف الخلقي، والمقامات مثل الصبر والأحوال مثل الخوف والوجد في التصوف النفسي، والمعرفة والوجود واليقين والوحدانية في التصوف النظري، والبكاء والخلوة والصحبة، والسفر والطريق والعمود في التصوف العملي[2]. ومن الأدلة النقلية لا تظهر إلا آتيان في النهاية[3]. وتتكرر البسملة أربع مرات. أما باب الخواطر وأحكامها فإنها من نوع معارف النفس مثل الخلجات والوساوس في أنواع المعارف الصوفية. وهي نوع من أيضاً من المواجيد الصوفية كما يدل عليها العنوان الفرعي «مقالة في القلب عالية الحكم»[4]. تخلو من أية أدلة نقلية أو شعرية أو عقلية. وتكشف عن درجة عالية من التنظير. و«المناجيات» مجرد مواجيد وابتهالات وتاريخ ذاتي[5]. تبدأ كل مناجاة إما بلفظ «إلهي» أو بلفظ «اللهم»[6]. وتشير بعض المناجيات إلى زمانها ومكانها[7]. وأشكالها الأدبية تتراوح بين الدعاء

= من الجزء الأول من مجموع الأضابير ص171-174 (4ص). الديوان ص177-196 (20ص) وهو أكبر الأقسام.

(1) مخاطبة فتاة ص129. الجواب دون سؤال ص130-133. بينة ص 133-134. تحية حبية ص134-135.

(2) يبدو التناقض في موضوع السفر في جمادى الآخرة عام 358هـ والمؤلف توفي عام354هـ، النطق والصمت ص143/ 146-147.

(3) السابق ص152.

(4) السابق ص157.

(5) تاريخ ذاتي Autobiography.

(6) إلهي (42)، اللهم (40).

(7) الزمان مثل «يوم التروية في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة»، والمكان مثل «مناجاة =

والمناجاة[1]. ودعاءان يبدآن بالبسملة. ويتبعهما «الجزء الأول من مجموع الأضابير». يبدأ بالبسملة وبعنوان فرعي «صاحب كل شئ، والقائم على كل شئ»[2]. أما «الديوان» وهو أكبر الأقسام فإنه موضوع للدراسات الأدبية. تتكرر فيه لازمة واحدة «ولذكر اللهُ أكبر»[3]. وعبارة واحدة أخرى «ترمية دفتر»[4].

و ـ **«الإشارات الإلهية» للتوحيدي (403هـ)**[5]: وبالرغم من أنها تالية في الزمان لأول كتاب في الطبقات يعبر عن الوعي التاريخي الموضوعي وهو «اللمع» للطوسي(378هـ) إلا أنه سابق على أول كتاب في الوعي التاريخي الخالص وهو «حلية الأولياء» لأبي نعيم الاصفهاني(430هـ)[6]. وهو من نفس نوع «المواقف والمخاطبات» و «النطق والصمت» للنفري، استعمال اللغة للتعبير عن المواجيد الصوفية في أشكال أدبية جديدة مثل «الإشارات». وهو ما يميز التصوف النفسي والشطحات كشكل أدبي آخر. وتجمع بين أشكال أدبية أخرى عديدة مثل المواعظ والوصايا والأدعية والمناجاة. وهو ما يدل عليه العنوان الأكبر «الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية»[7]. وتعتمد أساساً على الشعر أكثر من القرآن مع غياب الحديث بالرغم من أنه من جوامع الكلم[8]. والشعر من أبي حيان ومن غيره[9]. وتظهر لازمة مثل «يا ذا الجلال والإكرام»[10]. كما تتكرر أشكال فعل القول[11].

= بالنيل يوم الأحد لاثنين وعشرين خلت من جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة»، النطق والصمت ص163-164.

(1) الدعاء (4)، المناجاة (3).

(2) النطق والصمت ص171.

(3) عدد المرات (45).

(4) النطق والصمت ص190.

(5) مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة1950.

(6) سبقه كتاب «الأربعين في شيوخ الصوفية» للماليني (412هـ).

(7) هو الجزء الأول فقط من الكتاب.

(8) الأشعار (79)، الآيات (31).

(9) من نظم أبي حيان (45)، من نظم غيره (34).

(10) عدد المرات (30)، ومرة واحدة في صيغة أطول بإضافة «إنك رؤوف بالعباد».

(11) قول القائل، قولهم، حين قال، وقد قيل، قال من قال، قال، أما سمعت القائل حين قال، قولك، يقول. . . إلخ.

والقائل مجهول أو على أقصى تقدير بعض العارفين. والعناوين الجانبية الغازية. فليس المقصود منها المضمون بل الإيماء والإشارة[1]. وكل مجموعة من الفقرات لها رقم من الأبجدية المزدوجة. ويتوجه الخطاب إلى السامع أو القارئ بحرف النداء مثل «أيها السامع» أو «أيها الصديق» أو بدونها مثل «أحبائي، الله، السيد، سيدي، حبيبي، جامع المال، الصاحب، السائل، المشوق، المستأنس، جمعاً أو مفرداً[2]. أما المناجاة فتبدأ بعدة كلمات مثل «يا هذا»، «اللهم»، «إلهنا»[3].

وكما يتعرض الصوفية للفلسفة وعلومها كما كتب السهروردي «حكمة الإشراق» في المنطق كذلك يتعرض الفلاسفة للتصوف كما كتب التوحيدي «الإشارات الإلهية». وهي نوع أدبي يجمع بين «المواقف» و«المخاطبات». هي أقرب إلى «المناجاة»، إشارات يعطيها العبد إلى الرب يبثه همومه وشكواه مثل «اعترافات» أوغسطين[4]. تشمل أدعية وابتهالات. وتتكرر على نفس النمط حتى يمل القارئ ولا يمل المؤلف. وتزداد في آخر الكتاب بالمُنادى «اللهم» مع زيادة الآيات القرآنية[5]. والعنوان الكامل «الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية»، «الإشارات الإلهية» المعاني والدلالات، و«الأنفاس الروحانية» التجارب الذاتية. ويبدو أن الجزء الأول هو الموجود فقط. في حين فقد الجزء الثاني[6]. تخلو من القسمة إلى أبواب وفصول. هي قطع مرتبة طبقاً للأبجدية المزدوجة لكثرتها. ومع

---

(1) مثل: ميمون الابتداء مبارك الانتهاء، الإشارات ص1-87. أركان المعرفة من الإشارات الإلهية (ص87-95). ذم التفضيل بالغاشية والحاشية من الإشارات الإلهية (ص95-214). استعلام الفطانة من الإشارات الإلهية (ص 214-410).

(2) أيها السامع (10)، أحبائي (4)، أيها السائل، يا قوم، أيها الإنسان (3). أيها السيد، أيها الأجنبي، الصديق المخالف، يا جامع المال، أيها الصديق، أيها المبتدع بالقدرة الإلهية، أيها الصاحب الفادي، يا لسان الوقت، أيها المشوق للجمع، أيها الحيران في سمعه، المستأنس بالوحشة، الجوهر الشريف، أيها المغرور، يا صاحبي، أيها الهائم، أيها الشيخ، الصاحب المدلل، الصاحب المحاور، أيها السامع بالأذن، أيها الصديق المشفق، أيها الرفيق المؤانس، أيها القائل البائح، يا رفيقي.

(3) يا هذا (191)، اللهم (82)، إلهنا (38)، سيدي (3)، بالله سيدي (2)، إلهي، يا مولانا (1).

(4) «أيها السامع! هذه مناجاتي لربي...»، الإشارات ص290.

(5) السابق ص340-354.

(6) «تمت المجلدة الأولى من الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية...، ويتلوه المجلدة الثانية وهي الرسالة الخامسة والخمسون»، إشارات ص410.

ذلك تتخللها أربعة عناوين غير متساوية من حيث الكم[1]. أصغرها الثاني وأكبرها الرابع. وبعض الفقرات المرقمة أشبه برسائل موجهة[2]. وهي أطول من «المواقف» و «المخاطبات»، وأكثر إفاضة واتصالاً وأقل ألغازاً وأكثر وضوحاً.

ويكثر الاستشهاد بالآيات القرآنية وبأبيات الشعر[3]. وتغيب الشواهد من الأحاديث النبوية. بل يتجاوز الشعر القرآن. فالشعر عبقرية العرب والقرآن رؤيتهم للعالم. والشعر المذكور أقل تأثراً من الشعر الصوفي للحلاج أو ابن الفارض أو ابن عربي لأنه مجرد استشهاد على النثر. ولا يعبر عن مضمون فلسفي مستقل[4]. وغالبا من تأليفه[5]. ويستعمل القرآن والحديث الحر أحياناً كجزء من أساليب البلاغة «وضربنا لكم من الأمثال»[6]. ولا يذكر من أسماء الأعلام والأماكن شيء إلا من الحكيم[7]. ويذكر السيد المسيح ويقتبس من أقواله[8]. فالتصوف هو

---

(1) وهي: أ- ميمون الابتداء، مبارك الانتهاء، الإشارات ص1 (86ص). ب- أركان المعرفة من الإشارات الإلهية، السابق ص87 (8ص). جـ- ذم التفضيل بالغاشية والحاشية من الإشارات الإلهية، السابق ص95 (119ص). د- استعلام الفطانة من الإشارات الإلهية، السابق ص214 (197ص).

(2) ومجموعها 12 رسالة، «فصل كتابك... تسألني فيه عن حالي...»، الإشارات «كتب الحكيم...»، السابق ص25. «إذا قرأ كتابي فتفضلوا على «بجوابي»»، السابق ص29 (17ص)، «كتبت اليك في أواخر شهر رمضان ومستقبل العيد...»، السابق ص239.

(3) الآيات القرآنية (36)، الأبيات الشعرية (72).

(4) من تأليفه (45)، ومن غيره (34) في صيغة السؤال الأول (5)، قول القائل الآخر (4)، قولك، وقد قيل (3). أما سمعت القائل من قال، قال (2)، صدق الحكيم المتقدم، يقول الأول، قولهم بعض العارفين، حين قال، قال من قال، ينشد قولك (1).

(5) مثل «وهو أقرب إلينا من حبل الوريد»، الإشارات ص19.

(6) ومثل «لأن يد الله معكم، وليس فوق يد الله يد»، السابق ص30. «فاقض ما أنت قاض. إنما تقضي هذه الحياة الدنيا»، السابق ص37. «يا حسرتي على ما فرّطت في جنب الله»، السابق ص41. «وليس له واقع، والعجب واقع، واقع وليس له واقع»، السابق ص105. «قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون»، السابق ص162. «ضاقت عليهم الأرض بما رحبت»، السابق ص276. «السابق ص276». «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»، السابق ص281. «كل هذا لمن له الخلق والأمر»، السابق ص343. ومن الحديث «هناك تنال ما لا أذن سمعت، ولا عين رأت، ولا خطر على قلب بشر»، السابق ص332.

(7) باستثناء «أرض بن ربيعة»، الإشارات ص44، الحكيم (3مرات).

(8) السابق ص180.

الجامع بين الأديان والقاسم المشترك بينها. وهي رمز وإشارة وعبارة[1]. ويستعمل أيضاً آيات حرة من الأنجيل[2]. ومن الصوفية السابقين لا يذكر إلا أبو حنيفة الصوفي[3].

كما يذكر الحكماء مما يدل على أن التوحيدي ينتسب إليهم[4]. ونظراً لأهمية النص كمادة أولى لخصه اللاحقون وشرحوه[5]. ويبدو أن هناك اقتباسات في «الإشارات» تنتهي بالحرفين أ هـ اختصاراً لكلمة «انتهى»[6]. وربما هي من الناسخ. وتنتهي كثير من الفقرات بلازمة نمطية هي «يا ذا الجلال والإكرام» ومرة واحدة يضاف إلى اللازمة «إنك رؤوف بالعباد»[7].

1 ـ **الأسلوب والأسلوبية**: وأسلوب الكتاب أقرب إلى موسيقي النثر وإيقاع الشعر والتشابه والتضاد. فرضته طبيعة التجارب الذاتية دون أثر مباشر من الكتب المقدسة خاصة مزامير داود أو الأناجيل[8]. به كثير من المحسنات البديعية تصل إلى درجة التكلف فيصبح الأسلوب غاية في ذاته وليس أداة للتعبير والتأثير، وقد كانت الكتب المقدسة جزءاً من الأدب العربي بعد عصر الترجمة. والتوحيدي على وعي بأن كتابه في صناعة اللغة[9]. ويعجب الإنسان كيف يمتلك كاتب ناصية اللغة وصياغة العبارات إلى هذا الحد الأقصى في الاسترسال بالرغم من نفاد القلم

(1) مثل «بلا قذى من قاذ»، السابق ص253.

(2) قال عيسى بن مريم عليه السلام، وهو روح الله للحواريين «إنكم لن تدركوا ملكوت السموات إلا بعد أن تتركوا نساءكم أيامى وأولادكم يتامى»، الإشارات ص 180.

(3) السابق ص172.

(4) الحكماء (3).

(5) وذلك مثل: عبد القادر بن محمد بن بدر المقدسي الشافعي (934هـ)، بدوي ص كه-ن.

(6) وقد وردت أ هـ حوالي 36 مرة.

(7) وردت اللازمة حوالي 30 مرة.

(8) بدوي ص لر-ن.

(9) «إنك إن عرفت هذه اللغة، واستخرجت حالك من هذا الديوان وحصلت ما لك وعليك بهذا الحساب أوشك أن تكون من المجذوبين إلى حظوظهم والراسخين في علمهم، والخالدين في نعمتهم. وإن كنت عن هذه الكنايات عمِيًّا، وعن هذه الإشارات أعجمياً، طاحت به الطوائح. وناحت عليه النوائح. ولم توجد في زمرة الغوادي والروائح. . .» الإشارات ص3.

وانعقاد اللسان وانقطاع الفيض[1]. وتخلو «الإشارات» من التصورات والحدود كما هو الحال في كتب المؤرخين من نفس العصر: الطوسي، وأبو طالب المكي، والسلمي، وأبو نعيم الأصفهاني. كان التوحيدي على وعي بأسلوبه الإشاري الذي تحول بعد ذلك إلى منهج في التفسير في «لطائف الإشارات» للقشيري[2].

والأسلوب مملوء بالاستعارات والكنايات والتشبيهات والتمثيلات. وكلها أنواع أدبية مختلفة من اللغة الرمزية[3]. ولا يفهم الرمز إلا بأمر من الله أي بالكشف والإلهام. وهي متنوعة الأساليب بين الإشارة والكتابة والتسمية والمحاجاة بل والصدق والكذب[4]. ولا إشارة ولا عبارة إلا على وجه الاستعارة والإشارة، قبل أن تفنى العبارة وتزول الإشارة[5]. وفي نفس الوقت يطلب تجنب الأمثال لأنها مشغلة[6]. ويبلغ الإبداع النثري مداه في العبارة المسرحية اليونانية أو الشكسبيرية

---

(1) «اللهم إن القلم قد تضّرم في نعت قصتنا معك، واللسان قد طُفئ في تشقيق اللفظ بذلك. وفيض الوهم قد طفح على أصبار القلب»، السابق ص190.

(2) «وهذه إشارات لا توف من أذهانكم، ولا تفوت فطنكم. فلهذا تلبست بها استعطافاً لكم. وتكثرت بذكرها تقرباً إليكم. فلا تخيبوا رجائي فيكم...»، السابق ص30-31 «إن كنيت عنه سبق التصريح به. وإن صرحت به غلبت الكناية عليه. وإن عبّرت عن صفاته كدرت العبارة وإن أشرت إلى ذاته اضمحلت الإشارة»، السابق ص36.

(3) «خذ من التصريح ما يكون بياناً لك في التعريض. وحصّل من التعريض ما يكون زيادة لك في التصريح. واستيقن أنه لا صرف ولا كلمة، ولا سمة ولا علامة، ولا اسم ولا رسم، ولا ألف ولا ياء إلا وفي مضمونه آية. تدل على سر مطوي، وعلانية منشورة، وقدرة بادية، وحكمة محبورة، وإلهية لائقة، وعبودية شائعة، وخافية مشوقة، وبادية معوقة... وهذه الإشارة وإن كانت محدثة للناس في النفس الضعيفة فإنها مبشرة بعظم الحال في الغاية المنيفة»، الإشارات ص4-5. «وأمر بإضعاف ذلك بأسرار لطيفة ومعان شريفة إما معرّضاً أو مصرحاً وإما مبعداً وإما مقرباً»، السابق ص78. «فليس لمخلوق أن يلم بحافات هذا الحديث رمزاً أو نبأ أو غمزاً أو همساً إلا بعد أن يأذن الله تعالى لمن يشاء ويرضى»، السابق ص340».

(4) «وأشرت وكنيت، وسميت وكتبت، وما حجبت ولا حججت. وبقيت واشتريت، ومحوت وأثبت، وجمعت وفرّقت، ونصحت وغششت، ومحضت ومقفت، وعسرت وسهلت، وصدقت وكذبت»، السابق ص107.

(5) السابق ص205-206/ 318.

(6) «لقد صرفت لك القول في فنون من العبارة على ضروب من الإشارة»، السابق ص 287.

عندما يخاطب البطل الظواهر النفسية أو الطبيعية [1].

وتؤدي فنون الإشارة إلى غايات الحقيقة، بصنوف العبارة عن الأركان الوثيقة، دالة على الآيات الأنيقة[2]. والإشارة أخلص، والعبارة ألخص[3]. الإشارة مدفونة في العبارة، والإيحاء في الإيماء، والإيماء في الأنباء، والأنباء في الإغراء، والإغراء في الإسراء، والإسراء في الإبقاء، والإبقاء في الإبراء، والإبراء في الإشقاء، والإشقاء في الإغفاء، والإغفاء في الإلقاء[4]. وهي عشر مراحل حتى يمكن فهم الإشارة. وشرحها أصعب منها[5]. والعبارة قد تخون منطقها في استخدامها على غير المعتقد، وسقوطها دون الغرض المعتمد[6]. الإشارة تعبر عن الحقيقة[7]. والعبارة عن الأركان الوثيقة، صاغتها الآيات الأنيقة، جامعة الآثار الرشيقة كلها[8].

والمعنى زينة اللفظ، والصدق حسن المعنى. والصدق في الأخلاق والمعرفة

---

(1) «يا حلائل النجوى احرمي. يا بوازغ القلب اسلمي. يا نيران البحر توقدي. يا مضاجع البلوى تمهدي. يا غاية المنى تباعدي. يا مقادير الدهر تراقدي. يا حلاوة الهوى أمري. يا عاذلتي على جنوني أهدئي عني وقري. يا مناهل العيش تكدري. يا معارف الغيب تنكري. يا حسرات القلب تحرّقي. يا أستار الضمير تهتكي. يا معالم الأنس بيدي. يا عُقب الهوى زيدي ثم زيدي. يا مصائب الدنيا اقصديني وانزلي بي. يا عجائب الدهر والأيام تعجّبي مني»، السابق ص70.

(2) السابق ص47.

(3) السابق ص489.

(4) السابق ص59.

(5) «فإنه ليس يخفي عليك من هذه العبارات إلا ما تجده في باب الإشارات»، السابق ص127.

(6) السابق ص159.

(7) «أما ترى أن فنون الإشارة إلى غايات الحقيقة بصنوف العبارة عن الأركان الوثيقة دالة على الآيات الأنيقة، جامعة الآثار الرشيقة؟

الآية الأنيقة	الآثار الرشيقة
العبارة	الأركان الوثيقة
الإشارة	الحقيقة

(8) «حالُ كلما سلطت عليها العبارة وأرسلت إليها الإشارات حلّت عن هذه وزلت عن حالة»، السابق ص339.

معا[1]. وقد تصبح اللغة رطانة، بلا فحوى. لا تقبل ولا ترفض إلا بالتقوى أي بالقصد. طالت العبارة في وصف الدنيا والإشارة وردت في الخبر عن أصحاب البلوى. قد يصبح القول بلا شرح، والسمع بلا فتح. ولا يبقى إلا التنفس عند الاختناق، والغباء في حالة استغلاق الفهم، وتغيير الوجه من الحجاز إلى العراق، ليس من أصل أهل الأثر إلى أهل الرأي بل من أهل الخبر إلى أهل الذوق. لم يبق أيضاً إلا تغيير التصور للألوهية، من الكينونة إلى الصيرورة من ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ إلى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[2].

وتبدأ الفقرات بحرف النداء «يا» والمنادى. أكثرها شيوعاً «يا هذا» إشارة إما لله وإما للآخر غير المتعين[3]. ثم «اللهم» ثم «إلهنا». ثم يأتي منادون آخرون مثل «أيها السامع» وهي أكثر شيوعاً من «أحبائي»، «سيدي»، «بالله سيدي». ثم يتنوع المنادون بالعشرات[4]. وقد يأتي المنادى داخل الفقرات وإن كان الشائع في أولها. البعض منها المنادى موصوفاً[5]. والبعض الآخر دون وصف[6]. وقد يكون مفرداً

---

(1) «زينة اللفظ في المعنى. وحسن المعنى في الصدق. والصدق ينقسم على صالح القول المؤدب والفعل المهذب»، السابق ص400».

(2) «اسمع رطانة أخرى، ولغة ليس فيها فحوى. وكن من قبولك لها ونبوّك عنها بيّن التقوى. فإن العبارة قد طالت في وصف الدنيا. والإشارة قد توالت في الخبر من أصحاب البلوى. وهذا كله لما أقوله وتسمعه عني، قولي لا شرح له. وسمعك لا فتح معه، لكن لابد من التنفس عند تضايق الخناق. ولا بد من التغابي عند تفاقم الإغلاق. ولابد من الانحجاز عند تعذر الإنجاد أو الإعراق. نعم حبيبي. كنت ثم تكونت. ثم بنت وتبينت»، السابق ص374-375.

(3) وهو ما يعادل في اللغات الأجنبية Dass mann, man, on.

(4) يا هذا (191)، اللهم (82)، إلهنا (38).

(5) «أحبائي (4)، سيدي، أيها الإنسان (3)، بالله يا سيدي، أيها السائل يا قوم إلهي (2)».

(6) مثل: الصديق المخالف، أيها المبتدع بالقدرة الإلهية، أيها الصاحب المنادى، أيها المجتمع المقدس، أيها المسترق للسمع، أيها الحيران في سمعه، أيها المستأنس بالوحشة، أيها الجوهر الشريف، أيها الصاحب المدلل، أيها الصاحب المجاور، أيها السامع بالأذن، أيها القائل البائع، أيها الرفيق المؤانس، أيها الصديق المشفق، يا جامع المال، يا لسان الوقت، يا قارع باب الله (1)، حبيبي، أيها السيد، أيها الأجنبي، يا صاحبي، أيها المغرور، أيها الهائم، أيها الشيخ، يا رفيقي، يا سادتي، أيها الصديق (1)، أيها الأجنبي.

أو جمعاً. وقد يكون الوصف بالإضافة أو بالصفة. وقد يطول وصف المنادى بأوصاف متتالية. والمحك هو الوصف الأول. وفيها روح رسائل إخوان الصفا بالرغم من مرور قرن من الزمان.

ونظراً لأهمية الفعل «أفدي» فإنه يتكرر مع تكرر المفعول. فالصوفي يفدي الفنون والعيون والنفوس والألسن والقلوب والأقدام والأيادي والأرواح والنعم والعقول والأحاديث والخواطر[1]. وبعد كل مرة يتكرر فيها الفعل يتلوه القسم «والله». وقد يتكرر المبتدأ ويتغير الخبر. يتكرر الشوق ويتغير المشوق إليه، المشتاقون إلى الله، والمحبون فيه، والعارفون له والأغنياء به[2]. ومما يدل على أن «الإشارات» أسلوب أكثر منها مضمون. وبتعبير المعاصرين «أسلوبية» أكثر منها «سيمانطيقية» استعمال أسلوب التضاد في الأحوال والإحراج لعدم التعامل بالمثل[3].

---

(1) «أهدي والله هذه الفنون المستخرجة من هذا المعنى المصون. أفدي والله عيناً باتت تدمع من خشية الله. بل أفدي والله نفساً ظلت خاضعة مهيبة هيبة لله. بل أفدي والله لساناً تلجلج بالاعتذار إلى الله. بل أفدي والله قلباً ما يزال خافقاً من ضياء الله. بل أفدي والله يداً كفت بناتها عن تناول ما لم يبحه الله. بل أفدي والله روحاً تهالكت وجداً على أولياء الله. بل أفدي والله نعمة أديت بها حقوق الله. بل أفدي والله عقلاً اشتاق إلى موعود الله. بل أفدي والله كيداً أوثر على الراحة لوجه الله. بل أفدي والله الحديث عن الله والحياة مع الله. بل أفدي والله خاطراً يسنح مبشراً بذكر الله»، السابق ص115-116.

(2) وأشوقًا إلى قوم تلهبت أكبادهم شوقاً إلى الله، وأشوقاً إلى قوم فارقتهم أرواحهم وجدا بالله، وأشواقاً إلى قوم تبلغوا بالحبو والزحف إلى الله. وأشوقاً إلى قوم امتلأت قلوبهم بمعرفة الله. وأشوقاً إلى قوم طلبوا الراحة بالتعب حباً لله، وأشوقاً إلى قوم طلّقوا الدنيا وزهرتها غنى بالله. وأشوقاً إلى قوم باينوا الكون وما فيه استقلالاً بالله. وأشوقاً إلى قوم صافحت أرواحهم يد الله. وأشوقاً إلى قوم سبقت لهم الحسنى من الله. وأشوقاً إلى قوم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت نزاعاً إلى الله. وأشوقاً إلى قوم راحوا إلى مصدر ليس فيها غير الله. وأشوقاً إلى قوم قالوا لله، وسكنوا لله، وتحركوا إلى الله، وسكنوا مع الله»، الإشارات ص276.

(3) وذلك مثل «أنت في مناط الربوبية فلا تهبط إلى قاع العبودية. صانوك فلا تتبدل. أغروك فلا تذل. أعلوك فلا تسفل. غسلوك فلا تتوسخ. نقّوك فلا تتلطخ. يسروك فلا تتعسر. قربوك فلا تتباعد. أحبوك فلا تتبغض. جدوا بك فلا تكسل. استخدموك فلا تتكل. أعتقوك فلا تتعبد. أقالوك فلا تتعثر. دعوك فلا تتأخر. نسبوك فلا تجحد. جبروك فلا تتكسر. أنبتوك فلا تذو. حسنوك فلا تقبح. حلوْك فلا تسمج. علموك فلا تجهل. =

والتساؤل أسلوب قرآني. إذ تبدأ كثير من الآيات بلفظ «ويسألونك». والأسئلة تتعلق بحياة الناس ومشاكلهم: المحيض، الأنفال، الخمر، الأهلة، العفو...الخ[1].

ويستعمل الله عدة وسائل أو «محايل» للإقناع وكلها إيهامات وإيحاءات[2]. والهوية الإلهية، أن الله هو إشارة نفسية لا تنقسم ولكن بالتئام الإشارة العقلية. وكلاهما دليلان نفسيان ومسالك العقل نحو الغاية، وطرق الوهم نحو الأبعد. وأشكال اللفظ المزخرف نحو المطلب الأشرف، والإرادة المتلظية نحو الخبر المطلق، والمنية نحو الواحد الأحد. والإشارات الإلهية في عبارات إنسانية[3].

= نوهوا بك فلا تخمُل. قوموك فلا تضعف. لطفوك فلا تكشُف. أسّروك فلا تنكشف. انتظروك فلا تتوقف. أمنوك فلا تتخوف. قوّموك فلا تتعفف. ندوْك فلا تنشف»، السابق ص2-3.

(1) وصيغة التساؤل: «ألا قارع لباب الله؟...»، والسؤال عند الصوفي عن القارع لباب الله، والقاصد إليه، والراغب فيما عنده، والخائف من نواهيه، والمناجي له، والباذل روحه في سبيله، والناظر إلى نفسه معه، والعالم بسره، والمحاسب لنفسه، والمتوجه إلى ما عنده، والمسرور بتوحيده، النادم على ما فرط منه، والمشير بالحقيقة إليه، والمعظّم لشعائره والمقتدي بسفرائه، والمتنزه في روضته، والسابح في غديره، والواثق به، والطامع في وعده، والخائف من وعيده، والراحم لعباده، والعامر لبلاده، والمنتحي لفنائه، والناشر لكلمته، والداعي إليه، والمجيب له، والشفيع لعبده، والمشفق من خيانته، والذاكر له، والعابد المخلص له، والشاكر لنعمته، والصابر على بلواه، والمصفي لعتابه، والمشتاق إلى رضوانه، والمنافس في طاعته، والمتحول عن المخالفة، والراضي بقضائه، والمحدّث عنه، والدال على قدرته والباسط الرجاء في عفوه، السابق ص95.

(2) وهي عشر: التزهيد في الدنيا الخادعة، والترغيب في نعيم الله، التحذير من آفات الأعمال والعلم والأحوال وفساد الزمان، التمني والأمل في المستقبل، التخويف من المجهول، التلويح بأسرار المحبة وبحر المعرفة، بيان اللفظ ونقله من العام إلى الخاص، إجمال اللفظ لشحذ البيان، الاستيفاء حتى عدم البقاء، والاستيفاء حتى عدم السقي.

عيب ابن آدم ما علمت كثير ... ومجيؤه وذهابه تغرير
يا ساكن الدنيا الم تر زهرة الـ ... دنيا على الأيام كيف تصير؟
بل ما بدا لك أن تنال من الغنى ... إن أنت لم تقنع فأنت فقير
يا جامع المال الكثير لغيره ... إن الصغير من العيوب كبير

الإشارات ص196

(3) السابق ص188. =

ولم يتعود الناس بعد على العبادات الإنسية. فهم في حاجة إلى إلف طويل وتعود الطباع[1]. ويمكن ذلك عن طريق الموقف الأخلاقي للمفسر، خلوص النية من الشوائب وتنقية الطوية من الأهواء. والخطورة أن تتوحد الإشارات وتختلف العبارات بسبب الروع[2]. والخطورة أيضاً من منافق عليم اللسان على ما نطقت به النبوة في وصف إنسان بعد إنسان. فالوحي رؤية إنسانية وقصد إنساني[3]. وإن لم يفهم ذلك في الماضي فإنه لا يفهمه في المستقبل.

2 ـ التضاد والأضداد: ومن دوافع تكرار الأمثلة تصوير عدم الربط بين العلة والمعلول أو بين القصد والفعل، بين النية وتحقيقها[4]. وقد تكون الثنائيات

=

الطريق	الغاية
المنية المحلوم	الواحد الأحد
الإرادة المتلظية	الخير المطلق
اللفظ المزخرف	المطلوب الأشرف
الوهم السانح	المرام الأبعد
العقل المنير	الغاية
النفس النازعة	الأمور البازغة
الإشارة النقلية	الإشارة العقلية

(1) «لأنها إشارات إلهية وعبارات إنسية. إلا أن العبادات الأنسية ليست مألوفة بالاستعمال الجاري، وأنت محتاج إلى أن ألف في الأول بطول السماع، ثم تتصعد من ذلك إلى الإشارات الإلهية ببسط الذراع ورحب الباع ولطف الطباع»، السابق ص224.

(2) «اللهم ارحم روعتنا في أطراف هذه الإشارات من اختلاف هذه العبارات»، السابق ص228.

(3) «ما أخوفني أنك منافق عليم اللسان على ما نطق به ديوان النبوة في وصف إنسان. وإن لم تكن ذاك في الماضي فلا تكن أيضاً في الآتي»، السابق ص231.

(4) «ليس كل من رقد حلم بما يريد. ولا كل من مد يده نال ما يطلب. ولا كل من ادّعى سلّم له دعواه. ولا كل من دعا أجيب. ولا كل من قرع دخل. ولا كل من استرق السمع سلم. ولا كل من استعفي أُعفي. ولا كل من قال بدا لي تُرك. ولا كل من استرحم رُحم. ولا كل من تعرّض استخدم. ولا كل من وصل وُد. ولا كل من بعد عُدم، ولا كل من سأل حُرم. ولا كل من ألحف أعطي. ولا كل من بكى أرضي، ولا كل من خطب زُوج. ولا كل من ملك تُوج. ولا كل من رجا أدرك. ولا كل من منع خاب. ولا كل من قدم نقد أكرم. ولا كل من أخر فقد أهين. ولا كل من سبح غرق. ولا كل من خُوف =

لضرورة الربط بين بينهما، بين النداء والاستجابة، بين السؤال والجواب[1]. الصياغة اللغوية عدم الربط والأمتية الربط. يذكر الإنسان الله فينساه. ويشير إليه فيبتعد عنه. ويعترف به فيحيره. ويتوجه إليه فيتبعه. ويتولى عنه فيدعوه. ويتوكل عليه فيوكله إلى نفسه. ويفكر فيه فيضله. وينتسب إليه فينفيه. ويطيعه فيبتليه. وينقبض عنه فيبسطه. وينبسط معه فيقبضه[2]. فالعجب عدم امتلاك السوانح وإدراك الغايات[3]. والطلب اتساق النتائج مع المقدمات، واتفاق المعلول مع العلة[4].

ويتم تكرار الصور عن طريق الأضداد[5]. ويتكرر نفس الأسلوب في النفي وفي الاستثناء. ونظرا للرغبة في التكرار إلى الحد الأقصي تغرب الألفاظ. ويستعمل غير المتداول منها، وقد تكون الثنائيات متضادة يرد أحد طرفيها إلى

= فرق. ولا كل من أومن اطمئن. ولا كل من رُبيّ ارجحن. ولا كل من توسّل قبل. ولا كل من التمس نوّل»، السابق ص21.

(1) «يعاتبك فلا تُعتب، ويدعوك فلا تجيب. وينعم عليك فلا تشكر. ويبتليك فلا تصبر. ويُحضرك قدرته فلا تبصر»، الإشارات ص33.

(2) «الصفا، إن ذكرناك أنسيتنا، وإن أشرنا إليك أبعدتنا، وإن اعترفنا بك حيّرتنا، وإن جحدناك أحرقتنا، وأن توجهنا إليك أتعبتنا، وإن ولينا عنك دعوتنا، وإن تركناك أزعجتنا، وإن توكلنا عليك أكلفتنا، وإن فكرنا فيك أضللتنا، وإن انتسبنا إليك نفيتنا، وإن أطعناك ابتليتنا، وإن عصيناك عذبتنا، وإن انقبضنا عنك بسطتنا، وإن انبسطنا معك طردتنا»، السابق ص193.

(3) «فالسوانح فيك لا تملك، والغايات منك لا تدرك، والحنين إليك لا يسكن، والسلو عنك لا يمكن»، السابق ص193.

(4) «فارحمنا في بلوانا بك، واعطف علينا في صبرنا معك، والطف بنا لانقطاعنا اليك، وعاملنا بالكرم الذي أمرتنا باستعماله بين خلقك»، وأصرف عنا كل صارف عن بابك. وأجل نواظرنا فيما برز بقدرتك، وخواطرنا فيما بطن من حكمتك. وإذا دعوناك فأحببنا. وإذا دعونا إليك فأعنا. وإذا استخرناك فأخيرنا. وإذا أعطيتنا فهنئنا. وإذا حرمتنا فصبّرنا. وإذا أذنت لنا فأوصلنا. وإذا أطعمتنا فصلنا. وإذا كدتنا فأرحنا»، السابق ص193

(5) «لا سر إلا وهو متهم.ولا قائل إلا وهو متوهم. ولا سامع إلا وهو كظيم. ولا عامل إلا وهو مُليم، ولا قلب إلا وهو سقيم. ولا لائم إلا وهو ملوم. ولا واجد إلا وهو عديم. ولا غني إلا وهو فقير، ولا عظيم إلا وهو صغير. ولا كثير إلا وهو قليل. ولا صحيح إلا وهو عليل، ولا قريب إلا وهو بعيد، ولا هيّن إلا وهو شديد، ولا عالم إلا وهو جاهل. ولا عاقل إلا وهو ذاهل. ولا آمن إلا وهو واهل. ولا ريان إلا وهو ناهل، ولا مصرور إلا وهو باهل»، الإشارات ص22-23.

الآخر. فالداء دواء، والعلة طبيب، والبلاء نعيم، والفناء حبيب. هو الأول والآخر، الغائب والحاضر، المفرق والجامع، الضار والنافع، المقرب والمبعد، الفائق والراتق[1]. وهو نفس التصور القرآني: الرافع الخافض، المعز المذل، القابض الباسط، المبدئ المعيد، المحيي المميت، المقدم المؤخر، الظاهر الباطن، المنتقم العفو[2]. والإنسان له أحوال في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه، وغضبه ورضاه، وأخذه وعطائه، ووحدته ولقائه، وحرصه وعفافه، وقبضته وبسطه، وعلمه وجهله، وريائه وإخلاصه[3]. وتتوالى الأضداد كدليل على المأساة التي تشمل الضدين: الضيعة والتحفظ، الرقدة واليقظة، الفرق والجمع... الخ[4]. وفي نفس الوقت يتم التحذير من الأضداد لأنها مفسدة بالرغم من استعمالها في الأسلوب[5]. ويتحول الضد إلى الضد، من اليأس إلى الرجاء، ومن

---

(1) «فدائي من ورائي، وعلتي من طبيبي، وبلائي من نعيمي، وفنائي من حبيبي»، الإشارات ص53.

(2) السابق ص60–61/ 77.

(3) «فاجتهد أن تتصفح عالم ربك المجيد فتصرف منه ما بطن وما ظهر، وما أعلن وما استتر، وما جل وما دق، وما فعل وما انفعل، وما نطق وما صمت، وما ضر وما نفع، وما دب وما مشى، وما انتصب وما انتكس، وما ضاق وما اتسع، وما استدار وما استقام، وما اختلف وما ائتلف، وما صعد وما هبط، ... وما حسن وما قبح، وما أنس وما نفر، وما عاد وما فر، وما انتظم وما التأم، وما خصب وما أجدب، وما أعوج وما اعتدل، وما أراد وما كره، وما خرب وما بعد، وما بلي وما بقي، وما سعد وما شقي، وما نزل وما رقي، وما اختلط وما استقل، وما احتاج وما استغنى، وما نمى وما نقص، وما طار وما سبح، وما حاق وما بطل، وما صفا وما كدر، وما رطب وما يبس، وما زان وما شان، وما كان وما يكون، وما لم يكن ولا يكون»، السابق ص99–100». لأنك أولنا وأخرنا، وغائبنا وحاضرنا، ومالكنا وناصرنا، وباطننا وظاهرنا، وطالعنا وغاربنا»، السابق ص151.

(4) «أما ترى ضيعتي في تحفظي؟ أما ترى رقدتي في تيقظي؟ أما ترى تفرقي في تجمعي؟ أما ترى غصتي في إساغتي؟ أما ترى دعائي لغيري مع قلة إجابتي؟ أما ترى ضلالي في اهتدائي؟ أما ترى رشدي في غيبي؟ أما ترى عيي في بلاغتي؟ أما ترى ضعفي في قوتي؟ أما ترى عجزي في قدرتي؟ أما ترى غيبي في حضوري؟ أما ترى كموني في ظهوري؟ أما ترى ضعفي في شرفي؟ أما ترى سخافتي في زماني؟ أما ترى غشي في نصيحتي؟ أما ترى عنائي في راحتي؟ أما ترى دائي في دوائي؟ ألا ترى بلائي في موالاتي؟»، السابق ص104.

(5) «السابق، ص318 «إن وصالهم خرم، وحبهم بغض، وبرهم جفاء، وعطفهم صدود، ومسالمتهم حرب، وإقبالهم كرب، ونوالهم حرب، والفكر فيهم عطب»، السابق ص318.

الخوف إلى الأمن، ومن السهو إلى الذكر، ومن الرقدة إلى اليقظة، ومن الضعة إلى التشريف، ومن الظمأ إلى الري، ومن الانطفاء إلى الوقد، ومن الشرود إلى التآلف، ومن البعد إلى القرب، ومن الانقطاع إلى الوصل[1]. وتحول الأضداد لا يحدث في حالات النفس فقط بل في حالات الطبيعة. فيصبح الخشن ناعماً، والمعدوم موجوداً، والبعيد قريباً، والنازل صاعداً، والمختلف مؤتلفاً، والكثير واحداً، الغائب مشاهداً، والصادر وارداً[2]. ومن أزمة العصر تحول الضد إلى الضد، الدواء داء، والأسو جراحاً، والعطا سلباً... الخ. بحيث ينتهي التضاد، ويتحول طرف إلى آخر[3].

وتتحول ثنائيات الأحوال إلى ثنائيات الطبيعة. والطبيعة مصير تخضع لقانونها[4]. فالمسكن يخرب، والماء ينضب، والقاع يبور، والماء يغور، والحي يموت، والمطلوب يفوت، والباب يرتج، واللسان يتلجلج، والقول يتبهرج، والمرعى يسيب. وقد تكون الثنائيات تأكيدا على مسار طبيعي، إسراع مذنب، وإقلاع مصر، واستبانة ضال، وتقوم زائغ، واعتدال رائغ، واهتداء تائه، ولين قاسي، وتذكر ناسي، وتواضع مستكبر، وانتباه نائم تحقيقاً للعدل في الكون

(1) «فقلب إلهنا رجاءنا على يأسنا، وغيّب خوفنا في إيتاء أمننا. واهتف بنا إذا سهونا. وأيقظنا إذا رقدنا. وادعنا إذا أخرنا. وارؤف بنا إذا ضعفنا. وشرفنا إذا اتّضعنا. وارونا إذا ظمأنا. وأوقدنا إذا طفأنا. وأطببنا إذا خبثنا. وتألفنا إذا شردنا. وتكرم علينا إذا لؤمنا. وذكرّنا إذا نسينا. ولطّفنا إذا كثفنا. وفي الجملة قربنا منك إذا بعدنا عنك. وصلنا بك إذا انقطعنا عنك»، السابق ص217-218.

(2) «وصار الخشن ناعماً، واليابس لدناً، والقفا وجهاً، والمعدوم موجوداً، والبعيد قريباً، والنازل صاعداً، والمختلف مؤتلفاً، والكثير واحداً، والغائب شاهداً، والصادر وارداً، والذام حامداً، واللاهب خامداً»، الإشارات ص53-54.

(3) «صار الدواء داء، والأسو جراحاً، والعطاء سلباً، والبلاغة عياً، والرشاد غيباً، والنشر طياً، والقبول رداً، والوصال صداً، والتمام نقصاناً، والرجحان وكساً، والتوجه استدباراً، والتبسم استعباراً، والربح خسراناً، والزيادة نقصاناً، والرضا سخطاً، والأمر فُرطاً، والمستقيم محالاً، والثابت حراكاً، والطاعة ذنباً، والإجابة قلباً، السابق ص206».

(4) ولم يبق لأهله مسكن إلا خرب، ولا ماء تيمن إلا نضب، ولا متاع إلا بار، ولا تمد إلا غار، ولا حي إلا مات، ولا مطلوب إلا فات، ولا باب إلا أرتج، ولا لسان إلا لجلج، ولا قول إلا بُهرج، ولا مرعى إلا أمرج»، السابق ص49.

والميزان في السلوك[1]. وقد تكون الثنائيات الربط الضروري بين الفاعل والفعل، والواهب والهبة، والمعطي والعطاء[2]. وقد تدل الثنائيات على أن المبادرة من الإنسان، والله قابلها بالضرورة[3]. إذا قرع الباب ولج، ومن طلب المكافأة أخذ، ومن ذاق استحلى، ومن اشتاق استخلى[4].

3 ـ التجارب الذاتية (الشكوى، الغربة، التشاؤم، فساد العصر): الابتهالات والدعوات والمناجاة كلها أشكال تعبر عن الأزمات النفسية التي تحاول أن تجد حلولاً سريعة لها في التعبيرات الأدبية المباشرة دون المرور بجذورها في الواقع وتحليلها كأزمات نفسية اجتماعية. وتظهر في لحظات الضعف وقلة الحيلة. وهي الأزمات التي منها نشأ التصوف. ومكانها في الأدب أو علم النفس أو علم الاجتماع. فالله مفرج الهموم، ومجيب الدعاء، ومطعم الجائع، ومحرر القاهر، وناصر المظلوم، ومعين المحتاج. والمثال يفرض وجوده، والتوتر يخلق موضوعه. الله هو مجموع الحاجات البشرية. يروي العاطش، ويقوي الضعيف، ويسوي المعوج، ويأوي الضجر، ويداوي العليل، ويصفي الكدر، وينقي الدنس، ويصلح الفاسد، ويعرّف المنكر، ويعلّم الجاهل، ويسهل المتعسر، ويغني

(1) ألا ليسرع مذنب. ويقلع مصر. ويستبين ضال. ويتقوم زائغ. ويعتدل رائغ. ويهتدي تائه. ويلين قاس. ويتذكر ناس. ويتواضع مستكبر. وينتبه نائم. ويصحو منتش، ويصفو سر. ويطيب قول. ويظهر عمل. ويقصر أمل. ويتجدد شمل. وينفع عدل»، السابق ص35.

(2) «وانظر بأي فضل خصك؟ ومن أي حال خلصك؟ وإلى أي درجة رقاك؟ وبأي رتبة حلاك؟ وإلى أي كهف آواك؟ وبأي سر ناجاك؟ وبأي غيب ناغاك؟ ومن أي شر وقاك؟ ولأي غاية بقاك؟ وبأي تاج توَّجك؟ وإلى أي حظ هيجك؟ وأي ملك قيدك؟ وأي مشرب صفا لك؟ وبأي لطف حاشك؟ وبأي سكّر جاشك؟ وبأي صنع أزال استيحاشك؟ وبأي صرعة انتاشك؟ ولأي أمر أعاشك»، السابق ص35-36.

(3) «وإن التفت إلى نصيبك من الله أقبل الله عليك. وإن حاسبت نفسك لله أغض الله عنك. وإن وهبت نفسك لله حفظها الله لك. وإن تواضعت لله رفع الله قدرك. وإن جنحت للسّلم تقبل الله منك. وإن لذت بالله عطف الله عليك. وإن شكوت ما بك سمع الله شكواك. وإن ادعيته صادقاً أو كاذباً لم يفضحك في دعواك»، السابق ص37.

(4) «من قرع باب الله ولج، ومن طلب ما عند الله اذّلج. ومن توجه إلى الله استسلم. ومن طلب المكانة العليَّة عند الله استعصم. ومن ذاق ما لدى الله استحلاه. ومن اشتاق إلى ما وعد به استخلاه»، السابق ص328.

الفقير[1]. وهو نفس تصور وصايا لقمان لابنه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. وأوصاف الله كلها ذات علاقة بالتجارب الإنسانية مما يدل على أنها تعبير عن آمال وإحباطات البشر، أفراحهم وأحزانهم[2]. والله هو الذي يمحو البلاء، ويسدد الخطى، وينعش النكبى، ويقوي الضعيف، ويؤنس المستوحش، ويقرب البعيد، ويقبل التوبة[3].

وتعتمد «الإشارات» على تجارب ذاتية. وهي أقرب إلى السيرة الذاتية في «المعية» الزمانية، وليس في التوالي الزماني[4]. وقد كتب الغزالي «المنقذ من الضلال» لنفس الغاية. وجوهر الشكوى والمرارة[5]. وربما كانت حياته كذلك.

---

(1) إذا عطشنا فرونا، وإذا ضعفنا فقونا، وإذا أعوجنا فسونا. وإذا ضجرنا فآونا. وإذا اعتللنا فداونا. وإذا كدرنا فصفّنا. وإذا دنسنا فنقّنا. وإذا أفسدنا فاستصلحنا. وإذا أنكرناك فعرفنا. وإذا جهلناك فعلمنا. وإذا تعسرنا عليك فسهلنا. وإذا افتقرنا فأغننا. وإذا بِنّا منك فصلنا بك، وإذا التوينا عليك فقومنا»، السابق ص63-64. وهي ابتهالات تشبه ابتهالات القديس انسليم في «الإيمان باحثا عن العقل»، نماذج من الفلسفة المسيحية، الأنجلو المصرية، القاهرة ص101-206.

(2) «يا حافظ الأسرار، ويا مسبل الأستار، ويا واهب الأعمار، ويا منشي الأخبار، ويا مولج الليل في النهار، ويا مصافي الأخبار، ويا مداري الأشرار، ويا منقذ الأبرار من النار والعار...»، السابق ص1.

(3) «قد بلينا فجدِّدنا. وتلّينا فسدّدنا، ونكبنا فانعشنا، وانجردنا فارمشنا، وتعسرنا فسهلنا، وتعقدنا فحللنا، ونكرنا فعرّفنا، وجهلنا فعلّمنا وقلقنا فسكنا، واستوحشنا فآنسنا، وبعدنا فقربنا، وتبنا فاقبلنا، وبدّنا فكوّنا، وضعفنا فقوّنا، وزهدنا فرغّبنا، ورغبنا فزهدنا، وسلونا فشوقنا، وأحببنا فعزنا، وضللنا فاهدنا، وعُطلنا فحلّنا، وأغفلنا فسمنا، وخذلنا فأنصرنا، وهبطنا فرقّنا، ووقعنا فخلصنا، وعصينا فارحمنا، وبُذلنا فصنا، وزوغنا فقوّمنا، وأعوجنا فسونا. ورقدنا فأيقظنا، وسألنا فاعطنا، وقصّرنا فاحتملنا»، السابق ص150.

(4) المعية الزمانية Synchronism، التوالي الزماني Diachronism.

(5) «أما حالي فسيئة جداً كيفما قلبتها لأن الدنيا لم تؤاتني لأكون من الخائضين فيها. والآخرة لم تغلب عليّ فأكون من العاملين لها. وأما ظاهري وباطني فما أشد اشتباههما لأني في أحدهما متلطخ تلطخاً لا يقربني من أجله أحد. وفي الآخر متبذخ تبذخاً لا يُهتدى فيه إلى رشد. وأما سري وعلانيتي فممقوتان بعين الحق لخلوهما من علامات الصدق، ودنوهما من عوائق الرق. وأما سكوني وحركتي فآفتان محيطتان بي لأني لا أجد في أحدهما حلاوة النجوى. ولا أعري في الآخر من مرارة الشكوى. وأما انتباهي ورقدتي فما أفرق بينها إلا بالأسر الجاري على العادة. ولا أجمع بينهما إلا بالوهم دون الإرادة. وأما قراري =

غريبا لا يخالط إلا الغرباء والأدنياء والأردياء[1]. فهو الابن الضال يعود من جديد.

وإن نبت بك أوطان نشأت بها فارحل، فكل بلاد الله أوطان حرق كتبه وغسلها بالماء في آخر عمره كراهية لنفسه وللعالم[2]. فالعلم يراد به العمل وليس غاية في ذاته. لم يدرك قيمته أحد. وترصدها العيارون والشطار. وقد قام بذلك كثيرون غيره[3].

وتتمثل أزمة العصر في الغرور دون اعتبار بالماضي، وعدم التعلم من دروس التاريخ[4]. روح العصر العصيان وعدم الاعتبار، وعدم الاستجابة للنداء بالرغم من النذر. خدعت الشهوات الناس وملكتهم، وغرتهم الأماني فأهلكتهم. وسباهم الشيطان من أوطانهم فباعهم في أرض الأعداء بثمن بخس. فخسروا وربح. وبقوا في بلاد الغربة حيارى أذلاء. كما تتمثل أزمة العصر في أكل الحرام، وحمل الآثام، وسيادة السفلة[5]. عاد الإسلام فيه غريباً[6].

= واضطرابي فقد ارتهنني الاضطراب حتى لم يدع فيّ فضلا للقرار. وغالب ظني أني قد علقت به لأنه لا طمع لي في الفكاك، ولا انتظار عندي للانفكاك. وأما يقيني وارتيابي فلي يقين ولكن في درك الشقاء. فحتى يكون يقينه هكذا كيف يكون خبره عن الارتياب؟»، السابق ص18.

(1) الحكم بأنه فارسي الأصل آري الجنس تصنيف عرقي للمؤلفين، بدوي ص ج.

(2) «فهذه بيناتي في محنتي، وآياتي في فتنتي»، السابق ص27».

(3) مثل: أبو عمر بن العلاء اللغوي، داود الطائي، يوسف بن أسباط، أبو سليمان الداراني، سفيان الثوري، أبو سعيد السيرافي، بدوي ص لج.

(4) «أيها المغرور عن تصاريف الأيام ما أغفلك! أما تعتبر بمن كان قبلك؟ ألهاهم الأمل فهم ساهون. وغرتهم الأماني وهم غافلون. واخترمتهم يد المنون وهم يلعبون. واعتورتهم الأيام بكرّ صروفها وهم يمرحون. لقد ناداهم ذو الجلال بالتنبيه لو كانوا يسمعون... أنذرتكم الأيام بعبرها فلم ترتدعوا. وأرتكم الليالي تغلبها بأهلها فلم تنتفعوا. ونادتكم الدنيا بترك السكون إلى لذاتها فلم تستمعوا، خدعتكم الشهوات فملكتكم. وغرتكم الأماني فأهلكتكم. وسباكم الشيطان من أوطانكم فباعكم في أرض أعدائكم بثمن بخس. فخسرتم وربح عليكم. فبقيتم في بلاد الغربة حيارى متلذذين، بلا أنس ولا سلوة... غرقتم في بحار الغرور...»، السابق ص323-324.

(5) «يا أكلة الحرام، وحملة الآثام، وسفلة الأنام، النجاء النجاء، فقد أظلكم علم الانتقام، وفاتكم من الله الخلود في جوار الله والدوام»، السابق ص281.

(6) «فإذا تعاونا على هذه الأحوال الحسنة في هذا الزمان الذي قد عاد الإسلام فيه غريباً كما بدأ غريباً كنا نجوم الأرض وأعلام الخلق»، السابق ص310.

والشكوى أولى التجارب الذاتية. قد تكون من القريب أو البعيد، من النفس وهي أعدى الأعداء في جنب الإنسان[1]. وكثرة الشكوى تزيد البلاء[2]. ولها مظاهر عدة: الفؤاد هائم بكل واد. والخاطر حال من كل حاد وهاد. كل شيء مرد ومعاد. وكل شخص آخر مضاد ومعاد. ولا يملك الإنسان إلا الحسرة والدموع والزفرات. الكبد مشتعل محترق على المناظر والهيئات. واليقظة على ما يجري من رسوم وعادات. والأحلام عارية من أي تحقق، والنفس رهينة بالسيئات، مفتونة بالسوانح والخاطرات، مغبونة عن الحسنات والصالحات. الجهات منسدة، والوجوه مسودة. كل قول زور وبهتان. وكل إشارة بوْر وعدوان. وكل سكوت سهو ونسيان. القول مردود. والقائل محسود. والقاصد مطرود. والباذل مجهود. والسائل محدود. والزمن متنكر. والصديق متغير. والعدو متنمر. والجار متنفر. والعامل مستنفر[3]. الشكوى إلى الواحد الصمد وليس إلى غيره شكوى أو من دونه فرج[4].

ويتبع الشكوى الاستعطاف. فالشيخ تحكمت فيه البلوى وأصبح بين الحياة والموت. يحتاج إلى نائحة تبكي عليه[5]. يعتمد التوحيدي على تجاربه الذاتية، الإحباط واليأس، الشكوى والضجر[6]. أعلى المحن الكون كله، وأدناها طلب

---

(1) قلبي إلى ما ضرني داع يكثر أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي
السابق، ص283
هذا فؤادي وطرفي قد سببا لي حتفي
فكيف أحذر يا قوم من فؤادي وطرفي
السابق، ص283.

(2) «فإن من ألف الشكوى يُغِذُّ من البلوى على البلوى»، السابق ص314.

(3) السابق ص214-215.

(4) «أشكوك إلى الله الواحد الصمد. فالويل لمن رفع بثه إلى غير الله. ويئس بجهله مما عند الله. وظن أن له فرجا لا بالله»، السابق ص391.

(5) «فاعطف على شيخ قد تحكم فيه البلوى. وأقام بين الحياة والردى. لا يذوق أحدهما على تمامه. فيكون في ذلك روحه ونعيمه أو ما يحزن عليه صديقه وحميمه»، السابق ص75.

(6) وسآخذ في حديثي وما يختص بشأني وينتمي إليه أمري. وأعلمك أني في حساب لا ينتهي، وعتاب لا ينقضي لأني ألوح كالبرق المنتشر، فلا أضيء ولا أستضيء. أتوارى في الظلام كالمستتر فلا أُغني ولا أَغنى. وقد عرفت آفتي، ووقفت على علتي، =

المحال، والتعلل بالفاني، والانخداع بالعارض، والإعراض عن النفيس، وتوهم الكمال في النفس وهي ناقصة، والجرأة على الدعوى مع نقض البرهان، وتبعثر القول ونقص الفعل، وإطالة الهذيان بلا تحذير. والإنصات ضياع. وإن عجز السلطان عن تحقيق الشكوى والاستجابة لها توجه الشكوى إلى الله كما هو الحال في المثل الشعبي «الشكوى لغير الله مذلة»[1]. ويمكن تجاوز الشكوى رغبة في الخير، وتجنباً للشر. ولماذا أشغل الوقت بوصف الزمان وظروفه ودوافعه؟ هناك ما هو أولى بالوقت وأجدى. ليست الشكوى من المروءة ولا من عزة النفس[2]. فهل الأولى الإعداد للمعاد هروباً من الدنيا أم الدخول في تحدياتها وتغيير الواقع حتى لا تستمر الأزمات؟.

والتجربة الحياتية الثانية التي يعيشها صوفي مثل التوحيدي هي تجربة «الغربة» التي يخصص لها إحدى رسائله[3]. وهي إجابة على سؤال عن الغريب ومحنته، والغربة وعجائبها. فقد نشأ التصوف من الغربة عن العالم، ويؤيد ذلك حديث «جاء الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ. فطوبى للغرباء»، بالرغم من رفض بعض الجماعات الإسلامية هذا التأويل، وجعل الإسلام أيضاً عائداً ناهضاً منتشراً كما تكشف عن ذلك الصحوة الإسلامية الراهنة. الغربة ظاهرة سلبية وليست

= وفطنت بمحنتي وهي أشياء: فأعلاها وأعداها الكون لأنه محط البلاء، ومغار الحدثان، ومجلب الصروف، وفرض الغير، وعمق الكد، وأول الغيظ، وثاني الأفكار، وثالث المحو. فأما أدناها وأدباها فطلبي للمحال، وتعللي بالفاني، وانخداعي بالعارض، وإعراضي عن النفيس، وندائي على نفسي باسم التمام وأنا عين النقصان، وجرأتي على الدعوى بفقد البرهان، وتشردي في القول مع ضعفي وتقصيري في الفعل، وإطالتي الهذيان على غير وزن ولا تحذير»، السابق ص199-200.

(1) «إلى الله تشكو ما أحل بنا منا. فقد والله ظلت البلوي، واشتدت النجوى، وقلت الدعوى. فإنه أولى من شُكي إليه، وأحق من تُكل عليه»، السابق ص268.

(2) «إن تكلفتُ لك وصفي ووصف زماني وزمانك، وما قد دفعنا إليه في شأني وشأنك كان ذلك شاغلاً للوقت عما هو أولى به، وأعود إلينا بالجدوى منه. فتعالَ حتى لا نشتكي ولا نتألم، ونهب أنفسنا لبلايا غير هذه. فمن قليل تنتقل إلى ما تعلم وأعلم. فليس بين المروءة أن نشكو صديقاً إذا قصّر. ولا من عزة النفس أن تجزع من عدو وإن بالغ. وما فقر أيام، وبؤس ساعات، وتغير إخوان ثقات وغير ثقات حتى يصح هذا الصحيح، وننعى زماننا بالأسى على ما فات»، الإشارات ص219.

(3) رسالة (يا)، السابق ص78-86.

إيجابية كما هو الحال في «الاغتراب» في الفلسفة الوجودية المعاصرة. فالغريب أينما حطت ركائبه ذليل. يد الغريب قصيرة، ولسانه ذليل[1]. لا تسقط دموعه من الغربة والبعد في المكان بل لأنه غريب غريب مهما حاول الألفة مع الناس[2]. والاغتراب من الوطن المكاني إلى الوطن الزماني، ومن الوطن المادي إلى الوطن الروحي ليس اغتراباً بل عوداً إلى الموقف الأصيل[3]. مع أن الغربة أي السقوط بين «الأنا» و «النحن» أصل الإبداع الفني والأدبي والفلسفي.

والوطن ما يسكن فيه الإنسان ويهنأ باله. وبه الأهل والبنون والأصدقاء والقدماء. ليس الوطن الطارد لأهله. العازل لهم فيحملون الهموم والأحزان. لذلك لا يهنئون بالعيد: عيد بأية حال عدت يا عيد؟ فكيف يكون الصبر في عيده محزوناً؟ العيد بلاء وشقاء. وهو فريد ووحيد[4]. ليست الغربة عن الوطن كمكان ولكن عن الناس. فالوطن هم الأهل مهما استوطن خارجه. ينطق حزناً ويسكت حيراناً. ويقترب خاضعاً ويظهر ذليلاً. وإن توارى عليلاً. وإن طلب يائساً. وإن أمسك مبتلياً. وإن أصبح تحول لونه. وإن أسر انتهب سره. وإن قال هياباً، وإن سكت خائباً. أكله الخمول، ومصه الذبول، وحالفه النحول، ويتمنى الحديث مع الناس[5]. ليس الغريب من جفاه الحبيب بل من واصله وتغافل عنه الرقيب، هو

---

(1) إن الغريب بحيث ما ... حطّت ركائبه ذليل
ويد الغريب قصيرة ... ولسانه أبدا كليل
السابق، ص79.

(2) وما جزعاً من خشية البين أخضلت ... دموعي، ولكن الغريب غريب
السابق، ص79.

(3) «اغترب عن وطنك المألوف بالعزم الصحيح إلى وطنك بالتحقيق»، السابق ص237.

(4) ليهنأ العيد، من له وطن ... يأوي إليه، ومن له سكن
ومن له الأهل والبنون ومن ... بلاده منه منزل تمن
لا المفردين المطردين ومن ... يعتاده الهم فيه والحزن
وقد قطعت حداداً لا ألبسه ... في هذا العيد الذي أقبل عليّ بالحد
السابق، ص239.
قالوا سررت بيوم العيد؟ قلت لهم ... ولا علمتُ به، والواحد الصمد
لما تيقنت أني لا أعاينكم ... غضضت طرفي فلم أنظر إلى أحد
السابق، ص240.

(5) السابق ص79–80.

غريب حتى ولو جلس معه الندماء، ونودي من قريب. هو من في غربته غريب، ليس له نسيب، ولا من الحق نصيب[1]. الغريب من غربت شمس جماله. واغترب عن أحبائه وعذاله. وأغرب في أقواله وأفعاله. وغرب في إقباله وادباره. الغريب من كان في محنة بعد محنة، وفتنة بعد فتنة. يحضر غائباً، ويغيب حاضراً. لا يعرفه الناس[2]. الغريب داخل الوطن. ولم يبرح مسقط رأسه[3].

الغريب يهجره الناس ويزجروه إذا ذكر الحق. يكذبون مصادره ويعذبونه لطهارته ورفض رشاويهم. لا يزوره أحد. يطول سفره دون مقام ويستمر بلاؤه دون ذنب. ويشتد ضرره ويعظم عناؤه. لا يسمعون قوله. ولا يلتفون حوله. يحرقه الأسى والأسف. لا يوسع له أحد إذا قبل. وإذا غاب لا يُسأل عنه. وإذا سأل لا يعطي. وإن سكت لا يبدأ بالكلام. وإذا مرض لا يعوده أحد. وإن زار أحداً رفض. وإذا استأذن لم يأذن له الحاجب. إذا نادى لا يجيبه أحد. وإذا هَادى لا يُحب. الغريب كله حرقة، وبعضه فرقة. ليله أسف، ونهاره لهف، غذاؤه حزن، وعشاؤه سجن، وآراؤه ظنون. الغريب من يضطهده الناس ويستوحشون منه. هو الصوفي الذي يلبس الخرقة. هو من يخبر عن أنباء الغيب. يذكر الله متوكلا عليه[4]. الغريب هو من يعيش عالماً آخر لا يعيشه الناس. وهو معنى الآخرة. وقد يغترب المرء من غير حاجة ولا فاقة بل قد يكون حكماً عليه من الناس حتى ولو كان غنياً[5].

والتشاؤم تجربة حياتية ثالثة ومن أسباب عدم ثبات شيء: تولية ثم عزل،

---

(1) «وقد قيل: الغريب من جفاه الحبيب. وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب بل الغريب من تغافل عنه الرقيب. بل الغريب من حاباه الشريب. بل الغريب من نودي من قريب. بل الغريب هو من في غربته غريب. بل الغريب من ليس له نسيب. بل الغريب من ليس له من الحق نصيب»، السابق ص80.

(2) بم التعلل؟ لا أهل، ولا زمن ... ولا نديم، ولا كأس، ولا سكن
السابق، ص81.

(3) «وأغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه. وأبعد البعداء من كان بعيداً في محل قربه»، السابق ص81.

(4) السابق ص82-82.

(5) وإن اغتراب المرء من غير حاجة ... ولا فاقة يسمو بها لعجيب
وحسب امرئ ذلاً وإن أدرك الغنى ... ونال ثراء أن يقال غريب

وجهاد دون نجاح، ونجاح دون جهاد[1]. لا دواء للعلة، ولا سبيل إلا اليأس والقنوط[2]. الفؤاد سقيم، والخاطر عقيم. والبلاء شامل، والعناء حاصل. والصديق عدو، والألفة نفور، واليقظة نوم[3]. الضلوع مملوءة بالأسى والحزن. والأرواح ذائبة بالحسرة واليأس. السلم حرب، والروح كرب، والمستقيم معوج، والوقت كدر، والزمان غبر، والراجي قانط، والصاعد هابط.

ويترك ولاة الأمور، فلا أمل في التغير. ولم يبق إلا الثقة بالزمان. فربما يرحم الإنسان من يغبط. ويعجب بسوء الأثر ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]. ومن ضمن مآسي الوجود الاحتراق من أجل إنارة الطريق للآخرين[5].

---

(1) لكل ولاية لا شك عزل وأمر الناس عقد ثُمَّ حل
السابق ص406.
وطالب حاصد ما ليس يدركه ومُدرك ما تمنى غير مجتهد
ولرب مدخر ما ليس آكله ومستعد ليوم ليس في العدد
السابق، ص407.

(2) «وأين الدواء، والعلة هذا عضالها؟ اليأس، اليأس، القنوط، القنوط، الويل، الويل»، السابق ص157.

(3) «كيف أتكلم والفؤاد سقيم؟ أم كيف أترنم والخاطر عقيم؟ أم كيف أصبر والبلاء شامل؟ أم كيف أجزع والعناء حاصل؟ أم كيف آنس بالصديق والصديق مداج؟ أم كيف أسلو عن الإلف والإلف متاح؟ أم كيف أثق بما نسمع من الخبر وقد كذبني ما حقق بالعيان؟ أم كيف أسكن إلى الانتباه وقد أقلقه المنام؟ أم كيف أستريح إلى المنام وقد لعبت بي الأحلام؟»، السابق ص305. «الضلوع مشوبة بالأسى والحزن، والأكباد متهرية بأنواع الآفات والسقم، والأرواح ذائبة بضروب الحسرة واليأس»، السابق ص306 «فالسلم حرب، والروح في كرب، والمستقيم معوج، والخاطئ على الساحل ملتج، والوقت كدر، والزمان غبِر، والراجي قانط، والصاعد هابط»، السابق ص306.

(4) دع الدهر يجري بمقداره ويقضي عجائب أوطاره
ونم نومة عن ولاة الأمور وثق بالزمان وأدواره
لعلك ترحم ما قد غبطت وتعجب من سوء آثاره
السابق، ص407.

(5) صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق
السابق، ص106.
وهو نفس معنى الأغنية الشهيرة لحسين السيد، وتلحين محمد عبد الوهاب «أنور شمعتي لغيري ونورها كاوية أحضاني».

وتصور التجارب الذاتية أحداث العصر مثل التجارة بالدين[1]. وتخدير الفقراء بالوعود المستقبلية[2]. تحول الدين إلى رسوم وعمت الفحشاء، وفسد العلماء وفشا الجهل وظهر الغي وذكر اسم الله لغوا على الألسنة. فخوت القلوب من الفكر. وفقد الصدق[3]. وتتمثل التجارة بالدين في التجارة بالآخرة وارتهان الدين بالدنيا[4]. الوقت كدر، والأمر عكر، والحال قذر، والقول مكرر، والفعل منكر، والبناء مهتدم[5]. وليس الحل للجور إلى الله والهرب إليه بل تغيير الواقع ومقاومة عيوبه، والدخول في تحدياته.

ويظهر فساد العصر في سلوك الناس، شدة الطمع، سوء الرجاء، دون زهد أو محبة ولا خشوع ولا صدق ولا هداية ولا مشاهدة ولا استيقاظ ولا حسن معاملة. الظاهر أعبث من الباطن، والباطن أخبث من الظاهر. والإشارة أنكد من العبارة، والعبارة أفسد من الإشارة. والكل مستغيث من البعض، والبعض هارب من الكل. الليل يصبح من النهار، والنهار يبدأ من الليل. ثم ادعاء منازل الصادقين وضمائر النبيين، وأسرار الملائكة المقربين، والاعتراض على أفعال رب العالمين. أذل هذا

(1) «حتى أصف لك تصاريف حالي ومتقلب أمري، وجميع ما يدل على سكري وشكواي، وراحتي وبلواي، مقيتاً فيها ومقتدراً عليها، ومطلعاً على غامضها وواضحها، ومميز لثابتها من سانحها...»، السابق ص6. «تسألني فيه عن حالي. وتستنطقني به عن ظاهري وباطني، وعن سري وعلانيتي،وعن سكوني وحركتي، وعن انتباهي ورقدتي، وعن قراري واضطرابي، وعن يقيني وارتيابي، وعن تقاعسي وانتصابي، وعن عللي وأوصابي، وفي الجملة عن جميع أموري وأسبابي. وفهمته بالشرح والتفصيل على ما بي من بلائي وعذابي...»، السابق ص17، «وبقي الاستكمال بكل شارد وإن خفي على أهل العصر»، السابق ص28.

(2) «يا تجار الآخرة أبشروا بالأرواح الفاخرة. يا مساكين الدنيا، ابشروا عند المولى بالغنى والمنى...»، السابق ص44.

(3) «أخَلقَ الدين، وعمت الفحشاء، وأفسد العلماء، وفشا الجهل، وظهر الغي، وتكاشف الناس، وفقد الصدق، وغلب الجهل، وكثرت الجرأة، وصار ذكر الله لغوا على الألسنة، وقوت القلوب من الفكر بين السيئة والحسنة»، السابق ص146.

(4) «يا تجار الآخرة، أبشروا بالأرواح الفاخرة. لا تمُهر الدنيا دينك فإن من مهر الدنيا دينه رفت إليه بالندم والسقم والألم»، السابق ص250.

(5) «الوقت كدر، والأمر عكر، والحال قذر، والقول مكرر، والفعل منكر، والبناء مهور، والوجه وقح، والخلق رتح، والغفلة غالبة، والأحداث سالبة»، السابق ص148.

الزمان نجم الحق، واجتث أصل الخير. وغار ماء الإيمان، وانمحى رسم الدين، وتناسى الناس العرف، والتقوا على المنكر. وأصبح التعبير تقصيراً. شرف الله الأمة بالأمر والنهي فخافت. وعرض عليها النعيم فأبت[1]. والخطورة في ذلك قلة عدم الرغبة في الإصلاح والتسويف الذي يخالف العقل والشرع. وعاقبة ذلك الويل والثبور[2].

تجربة العصر أيضاً أنه زمن رديء. لا يوجد فيه ما يستحق العناء. فالعلم بلاء، والجهل عناء، والعمل رياء، والعقول داء، والسكوت هباء، والنظر عداء[3]. هي تجربة التشاؤم التي شارك فيها المعري التوحيدي، وهما من نفس العصر. فإذا نظر الإنسان أصاب عينه القذى. ولم يجلب لنفسه سوى الأذى. لا يرحب به أحد. يمضي أشرار الناس حكمهم على الأضعف. ويسيرون في الشر إلى أبعد حد بالرغم من قرب الخير. يقطعون مع من يصلهم. يعتبرون الحلم مهانة عند السخط. ويعلون على من تواضع معهم. يتراءون بالوعظ للهداية. ويشحذون السيوف للفتك بالناس. البعد عنهم سلام، والعزلة عنهم فضيلة. وصحبة الحيوان أفضل من صحبة الإنسان. فالإنسان أسوء جنس خبثاً ومقتاً وأذى[4]. وغاية الدهر

---

(1) السابق ص207-208.

(2) السابق ص213.

(3) السابق ص87. واسمع شجو لبيب كره المقام في هذه الدار التي قد امتلأت بالذئاب (وكما يقول هوبز).

(4)
نظرت فلم يعلق بعيني سوى القذي	وجُلت فلم أجلب لنفسي سوى الأذى
ولم أر وجها مستحقا ل «مرحبا»	ولا وجه أمر مستحقا ل «حبذا»
رأيت شرار الناس يمضون حكمهم	على الجانب الأدنى إلى الشر منفذا
ويسعون فيه نحو أبعد غاية	وإن كان وجه الخير أقرب مأخذا
وواصلتهم حتى سئمت فلم أجد	سوى هجرهم من وصلهم لي منفذا
يعدون عند السخط حلمي مهانة	ويسأمون يوم الحفل عارضتي بذا
ويعلون من أرخى لهم من عنانه	بسوط، ويستخذون للمرء ذي الشذا
فقد ترك الوعظ اللبيب لأنه	إذا هُذ قول البر ظنوه قد هذا
وما يصنع العين السليم بشحذه	إذا لم يجد في جانب السيف مشحذا
فحد نائيا عن سمتهم متحررا	وسر بينهم من شرهم متعوذا
وعش هكذا طول الحياة فربما	سلِمْتَ عن الأشرار إن عشت هكذا
وصل حيوان الأرض لا من ارتدى	على صورة الإنسان منها أو احتذى

إبرام منتقض أو نقض إبرام دون عدل أو قانون[1]. ومع ذلك لا يعاند الدهر إلا من خطر[2].

لا منجيات من العقل أو الشرع أو الوقوف على المقاصد من غير ريب أو شبهة. لم تعد بديهية أو فطرية أو مساعدة على الكمال[3]. والحل الجذري هو صفاء العمل بصحة العلم، وصدق الخبر بتحقق العيان، وفيض الحكمة بطول التجربة، وصدق الذكاء بسلامة الطبع، وجدوى العقل بصحة الفعل، وتحرر العبد بزوال الضرر، ويُملك الإنسان بفخر الإحسان، والتحلي بالخير بعد التعري عن الشر، ووجود القناعة بعدم الحرص، وحصول الكمال بفقد النقص، ومعرفة السعادة بشقاء النحس، والهداية إلى المعروف بمعرفة المنكر، ومعرفة الحق بالتبري عن الخلق، وانتهاء الحرمان من الوجدان. ولن تهدأ النفوس قبل أن تثأر من الزمان[4]. المعرفة بالتجربة حتى لو كانت مسيرة أو قصيدة وهي خبرة إنسانية مثل تجميع الهموم في آن واحد وأثر ذلك على شحذ الطاقة[5].

فإن تبلُ هذا الجنس تبل أشدّها   خبيئة أحقاد وأبلغها أذى

السابق، ص88-89.

(1) هوّن عليك فإن الدهر غايته   إبرام منتقض أو نقض منبرم

(2) «هل عاند الدهر إلا من له خطر؟»، السابق ص405.

(3) «إن الجملة المأخوذة علينا المشوقة بالعقل والشرع إلينا: لوقوف على المقاصد بحقائقها من غير ريب يقدح، ولا شبهة تسنح. وقد سَلِمت هذه الجملة في البديهية واستمرت لكنها خلقت في الرؤية واقشعرت لأن البديهة تشبثت لحكم القول والتسليم للفطرة الحانية إليه، والعادة الثانية إليه، والكمال المرجو منه، والاحتياط الحاكم به». السابق ص200-201.

(4) «لن يصفو العمل حتى يصح العلم. ولن يصدق الخبر حتى يتحقق البيان. ولن تفيض الحكمة حتى تطول التجربة. ولن يحمد الذكاء حتى يسلم الطبع. ولن يجدي القول حتى يتصل الفعل. ولن يُعتبد الحر حتى يُزال عنه الضر. ولن يُملك الإنسان حتى يُفخر بالإحسان. ولن يتحلي بالخير حتى يتعري من الشر. ولن توجد القناعة حتى يُعدم الحرص. ولن يؤلف الكمال حتى يُرفض النقص. ولن يعرف حلو السعادة حتى يذاق مر النحس. ولن يُهتدى إلى المعروف حتى يُضل عن المنكر، ومن يُعرف الحق حتى يتبرأ عن جميع الخلق. ولن تُسكن طرق الحرمان حتى يُتمكن من برد الوجدان. ولن تنقطع سلسلة الهمدان حتى يَدرك الثأر من الزمان»، السابق ص201.

(5) «وهذا واضح عند من له خبرة مسيرة وتجربة قصيرة. أعنى أن الإنسان يعلم بأدنى تماسك يرجع إليه وأقل سبب من التمييز يتعلق به، أن الهم الأكبر إذا كان واحداً تلاحقت به القوى، وساعد على رفده النهى...»، السابق ص246.

ولا يُفهم القرآن بمجرد قواعد النحو والمبادئ العامة للغة وعلوم القرآن، المكي والمدني، المحكم والمتشابه، الظاهر والمؤول، المجمل والمبين، الأمر والنهي، الخاص والعام، العربي والأعجمي في اللفظ. . .الخ بل بالموقف الأخلاقي للمفسر والصدق مع النفس[1].

6 ـ الوعي التاريخي بالآخر

وهو الوعي بآداب الشيخ والمريد، الوعي الجماعي القائم على الوعي المتبادل كموضوع مستقل وليس كباب أو فصل أو كتاب[2]. فالآخر جزء من التاريخ لأنه فرد في جماعة. والتاريخ تاريخ فردي وجماعي. هذا الوعي بالآخر هو الذي سيتضخم في الوعي العملي بعد القرن السابع الهجري ونهاية الوعي النظري، عندما يتحول التصوف من علم إلى طريق، ومن نظر إلى عمل، ومن رؤية إلى طريقة.

أ ـ رسائل المحاسبي (243هـ)

1 ـ **«رسالة في التصوف»**[3]: وفي «رسالة التصوف» يصل المحاسبي إلى

(1) «والعجب أيها العالم الفقيه، والأديب النحوي تتكلم في إعرابه وغريبه، وتأويله وتنزيله، وقصته وشأنه، وكيف ورد، وبأي شيء تعلق، وكيف حكمه فيما خص ودعم، ودل وشمل، وكيف وجهه، وكيف ظاهره وبطنه، ومشتمله ورمزه، وماذا أوله وأخره، وأين صدره وعجزه وكنايته وإفصاحه، وكيف حلاله وحرامه، وبلاغته ونظامه، وغايته ودرجته ومقامه، ومن قرأ بحرف كذا وبحرف كذا ثم لا تجد في شيء مما ذكر شك به ووصفتك فيه ذرة تدل على صفاتك في حالك، وإدراكك ما لك. بل لا تعرف حلاوة حرف منها. ولا تزال موجوداً فيما دعيت إليه أوساطها ونواحيها، فعلمك كله لفظ، وروايتك حفظ، وعملك كله رفض. وتبرعك كله نقض. ودعواك كلها وقاحة. وخُلقك كله وقاحة، وسرك كله خبيث، وسيرك في الباطل حثيث، وجهرك نفاق، وباطنك شقاق، وذكرك حيلة، وسكوتك غيلة. ومعاملتك افتلاس، وأمانيك أدران وأدناس، ووعظك خديعة. وانقطاعك ريح، وبغضك غثاء، وكلك هباء، وعبادتك رياء، وحضورك غيبة، وآخر أمرك غيبة كأنه ليس لك إلى الله أوبة لأنك بنيت أمرك كله على المكر والقيلة وعلى الغش والمكيدة، وعلى الهوى والملومة، وعلى الخاسة والنجاسة، وعلى الجهالة والنذالة، وعلى طلب العاجلة دون الآجلة. . .»، السابق ص39-40.

(2) الرعاية لحقوق الله ص 608-627، رسالة في التصوف، آداب السالكين ص182-186.

(3) المحاسبي، رسالة في التصوف، دار المروة، القاهرة 1996.

ذروة التنظير العقلي والتحليل النفسي فلا يعتمد على أي دليل نقلي من قرآن أو حديث[1]. والموضوع موجود في التنزيل إلا أنه يمكن التعرف عليه بتحليل التجارب النفسية[2]. وموضوعه المراقبة وهو الطريق إلى الاستعانة على النفس وإحراز الدين ونيل الحياء. وهو باب المعرفة[3] وتدل على وعي تاريخي نظري بالتصوف كموضوع أمري وليس كموضوع بحثي. وهي على درجة عالية من التنظير. لا تعتمد على أي دليل نقلي من قرآن أو حديث نبوي أو قدسي أو أي شاهد شعري. بل تعتمد فقط على تحليل التجارب النفسية. وهي رسالة صغيرة تقوم على القسمة[4]. خطابها أخلاقي أمري يصل إلى درجة السذاجة والتربية الوعظية لإصلاح النفس بعد أن صعب إصلاح العالم. البداية بالمعرفة، الجدل بين الله وإبليس، والعمل لله، والنفس أمارة بالسوء[5]. ويحذر من خداع النفس. كما يحذر من خصال عشر أقرب إلى الرذائل منها إلى الفضائل باستثناء العاشرة، وأقرب إلى النواهي منها إلى الأوامر[6].

وتتوالى القسمات لمراتب العباد بين محبوس ومخدوع ومضبوط، وللمخاوف بين العبد والبار والخائف من جهنم. وللناس في الأثرة بين مؤثر قوي ومؤثر محتاج. وفي الذكر باللسان أو باللسان والقلب، وفي الشكر بين طلب الزيادة والرضا وفي الفريضة مع هموم الدنيا أو الخوف أو فساد المحاسبة. وفي وزن البر بين معرفة الفضل أو القطيعة مع الدنيا. وفي عمل الليل والنهار بين غانم سالم للطاعة أو شاحب للمعاصي أو سالب للنوم[7]. وتنتهي الرسالة بآداب

---

(1) المحاسبي: رسالة التصوف ص129-186.

(2) السابق ص129.

(3) السابق ص29.

(4) تسبقه مقدمات طويلة (ص أ-ط/1-128) لغرض الترقية لأساتذة الجامعات.

(5) «ما استعان أحد على نفسه وأحرز دينه بمثل المراقبة. وبه نالوا الحياء من الله تبارك وتعالى. وهي باب المعرفة»، رسالة في التصوف ص119.

(6) وهي الحلف بالله صدقاً وكذباً، الكذب جداً أو هزلاً، خلف الوعد، لعن خلق الله، الدعوة على أحد من الخلق، القطع بالشرك أو التكفير لأحد، النظر والغمز واللمز، الاحتياج إلى أحد، الطمع فيما بأيدي الآدميين، استكمال البر والمعرفة والعز من الله والخلق، السابق ص 156-166.

(7) السابق ص 175-182.

المريدين مثل «الرعاية لحقوق الله»[1].

وتتمثل حقوق الغير في الالتزام بالتقوى. فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمن الناس بوائقه. فالتقوى ليست فقط واجباً ذاتياً بل تتعلق بحقوق الغير. هي أخلاق اجتماعية تتعلق بموضوع وليس فقط نية صالحة[2]. والانشغال بإصلاح النفس قبل إصلاح الآخر بداية العلاقة بين الأنا والآخر[3]. ورعاية حق الجار والمسكين والقريب، والرفق بما ملك اليمين. وبذل النصيحة لله وللمؤمنين والتشاور مع الذين يخشون الله يدل على أن الأبعاد الأربعة للمسترشد متداخلة، الذات والآخر، والعالم والله[4]. ويجوز للإنسان أن يحب

---

(1) السابق ص 182-186.

(2) مثال ذلك ألا يتعرض الإنسان لما لا يعنيه، ولا يتكلف فوق ما لا يكفيه، ولا يأخذ أكثر مما يحتاج إليه، ولا يدع ما وكل إليه حفظه. يرتاح معه الناس وهو في نفسه تعب. آفات الورع حرصه، والفضول بلاء. والاشتغال بإصلاح الحال، ومراعاة هم الذات، السابق ص46.

(3) وذلك يتطلب إقلال الحوائج من الناس، ومخالقتهم بخلق حسن، والحب للناس ما يحبه الإنسان لنفسه، ويكره ما يكرهه لنفسه، ولا تكشف عورات الناس، وحسن الأدب في المخالطة، تأديب الأهل، عدم الغضب للنفس على الناس بل لله على النفس، عدم مكافأة أحد بإساءة، والعفو عمن ظلم، وإعطاء من حرم، ووصل في الله من قطع، وبذل النفس والمال في سبيل الإخوان، والرحمة بالمؤمنين، والإشفاق بالناس بعد أن يسلم الدين، والحذر من المراهنة، ورعاية حقوق المولى في الدين، وتنزيه ذكر الله عن إضافة المكاره، وعدم تعظيم فعل المعروف، أو تحقير صغير من المنكر، السابق ص50-51/ 130/ 135-136/ 138/ 143140-/ 151/ 164-165.

(4) فالنصيحة لله وللمؤمنين وللائمة والعامة في نفس الوقت، والنصيحة علامة على الحب، والمراهنة علامة على الغش، وقبول النصيحة من علامات الأخوة، وأصل الطريق هو الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصدق وتقديم العلم على حظوظ النفس والاستغناء بالله عن جميع خلقه، وبذل الجهد عند المشورة، ومشاورة من يخشون الله، وعدم مصادقة إلا الأتقياء العلماء، وعدم مخالطة إلا العقلاء ذوو البصيرة، والاقتداء بالأئمة السابقين والتعليم للأئمة القادمين، وعدم نشر الحديث عند من لا يريده، وعدم عرض الدين لمن يبغضه، وعدم مخاطبة بالعلم ما يتجاوز العقول، وعدم الحياء بعدم العلم أفضل من القول فيما لا يُعلم، عدم التعرض لبلاء فوق الطاعة، إكرام النفس حين اهانتها، وتنزيه الهمة عند دناءة الأخلاق. عدم مؤاخاة إلا الأمناء، وعدم إبداء الأسرار لكل الناس، وعدم مجاوزة المرء حاله، وعدم الدخول في أمر لم يُدع إليه الإنسان. توقير مجالس =

حب الناس له ليس على طاعة بعينها ولكن على أفعال غير محمودة عندهم، وفي المقابل يجوز إذا اطلع الناس على بعض ذنوب الفرد أن يغتم فالغم طبيعي في البشر، ومعظم النصائح سلبية أكثر منها إيجابية، بالنهي أكثر منها بالأمر[1].

= العلماء، ومعرفة قدر الحكماء، والإعراض عن الجهال، والحلم عن السفهاء، ونصرة الأخ المظلوم، ورد الأخ الظالم، وإعطاء الأخ حقه وعدم مطالبته بحق النفس، وعدم ترك المكافأة والصنائع، والتيسير على الغريم، والرفق بالأرملة واليتيم، وإكرام الصابرين من الفقراء، والرحمة لأهل البلاء من الأغنياء، وعدم حسد أحد على نعمة. وغلق باب الطمع بالاياس، واستفتاح باب الغنى بالقناعة وتنزيه ذكر الله عن إضافة المكاره، وتسفيه حق الناس سم قاتل. وعدم ذكر أحد بغيبه، وعدم الظن بأحد سوء المسألة وفتح باب حسن الظن بسعة التأويل. واعتزال خوف السقوط من أعز الناس خوفاً من مقتهم، والحذر من أخلاق الجاهلين ومجالسة المذنبين ودعاوى المعجبين ورجاء المفترين ويأس القانطين، السابق ص70-71/ 100-101/ 131-133/ 152.

(1) باب ما يجوز للعبد من حبه لمحبة الناس له، السابق ص319-320، باب ما يصح للعبد من غمه عندما يظهر للخلق من ذنوبه، السابق ص321-322، باب في ستر المعاصي عن العباد وإن اطلع الله عليها، السابق ص323، باب ما يستحب فيه الحياء وما يكره فيه، السابق ص324-328، باب من أين ينبغي للعبد أن يكره ذم المسلم له ومن أين لا يكرهه؟، السابق ص329-332، كيف يكون قلب الصادق عند كراهية المنزلة عند المخلوقين وحبه لاحتمال ذكره، السابق ص333- 335، باب استواء الحمد والذم في قلب العبد، والفرق بين حبه لنفسه ولربه عز وجل، السابق ص336-339، باب في الرياء للوالدين ليرضيا وللعلماء ليستفيد به علماً، السابق ص340-341، باب الرجل يحضر القوم يصلون، فتحضره نية للعمل وإن لم يكن يفعل ذلك في خلوة أو يكون فلا يجد إلا البكاء، السابق ص342-349، فصل فيما يتقي به التصنع للمخلوقين في التصنع والحزن، السابق ص350-353، باب ما قالوا في علامة صدق الخاشع لله عز وجل إذا رمقته أيضاً العباد، السابق ص354-358، باب الرجل يكون له صاحبان أحدهما غني والآخر فقير، فيكثر زيارة الغني وبره دون الفقير، كيف السلامة من ذلك له، ومن أين فساده، السابق ص356-357. وذلك مثل: ستر معاصي الإنسان أفضل من كشفها للآخرين بالرغم من إطلاع الله عليها، ويستحب الحياء ويكره في أفعال معينة إلا أن الحياء كله خير وهو غريزة كريمة من الله ولا صلة له بالرياء، ويكره للإنسان ذم المسلمين له. وإن كرهه فلربما لذم الله له أو إشفاقاً عليهم أن يعصوا الله فيه، وقد تكون نفس الصادق سخية عند كراهية المنزلة عند المخلوقين وحبه لاحتمال ذكره، والزهد في حمد الناس له، وقد يستوي الحمد والذم في قلب الإنسان إذا ما قام بواجبه مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يجوز رياء الوالدين بل طلب الرضا والعفو لهما. ولا يجوز رياء العلماء للاستفادة من علمهم بل تقوى الله، وإذا حضر إنسان قوماً يصلون فحضرته نية المشاركة وإن كان في خلوته لا يجد إلا البكاء فإن صلاته تكون صدقاً لأن العمل متواصل بين الناس أو بلغة العصر =

الإخوان ومعرفة النفس[1]. وهي التجربة المشتركة بين الأنا والآخر وقد يبدأ الإنسان بالتوبة ويرجع عنها دون الحرص على التقوى، ومخالفة الهوى والشهوة[2]. ويرجع ذلك إلى ضعف الخوف وقلة الحذر. ويدخل مع الآخرين في علاقة مشتركة وهو يعلم أنه قد يخالفهم بشرط ألا يعصي الله. والأفضل أن تكون التجربة المشتركة مع الأخوة في الله[3]. ويسبق تطهير الذات الأهواء تمسكها بالفضائل لذلك أصبح أحد تعريفات التصوف التخلي عن الأوصاف الدنية وهي الانفعالات والأهواء، والتحلي بالأوصاف السنية وهي المقامات[4].

2 ـ **«رسالة المسترشدين»**[5]: وهي رسالة مبكرة في آداب الشيخ والمريد. وهو الموضوع الطاغي في المرحلة الرابعة للتصوف كتاريخ وهو التصوف العملي والتصوف كطريق وهو الوعي العملي وقبل تكوين الطرق الصوفية. ويتطرق فقط لطريق واحد وهو المسترشد أي المريد. ويعتمد على الحديث قبل القرآن دون الشعر[6]. ويظهر التراكم التاريخي في ذكر أربعة. . . . .

= هو «عمل تواصلي» إلا إذا كان متصنعاً إحراجاً أو تخوفاً، وهو نفس حال المحلوقين أو أصحاب اللحى في التصنع، علامة صدق الخاشع أنه لا يتغير حتى ولو رمقته كل أنظار العباد، ولا يجوز زيارة صديق غني وبره أكثر من زيارة فقير وبره.

(1) الرعاية لحقوق الله ص360-381.

(2) باب في العبد يعزم على التوبة ثم يرجع وما الذي يقويه ويعينه على التقوى ومخالفة الهوى والشهوة، السابق ص360-364.

(3) والناس أربعة رجال: غير معروف أو معروف ولا يصاحب، ومبتدع، وفاسق، ومستور مصاحب. المبتدع والفاسق لا يصاحبان، وغير المعروف لا يصاحب. إنما القضية في الصاحب المشكوك فيه وهو لا يصاحب ويستعان على ترك الإخوان الذين يخشي منهم على سلامة الدين بالاعتناء بالدين بالتفكر فيه والتذكر له. وهو ميراث الورع، باب الرجل يخرج في الحاجة أو يجالس بعض إخوانهم ممن يدعي أخوتهم في الله عز وجل وهو يعلم أنه لا يسلم له دينه منهم، السابق ص365-372.

(4) وذلك يتطلب دفع الحسد بقصر الأمل ونفي الكبر باستبطان الغر، وترك كل فعل يضطر إلى اعتذار ومجانبة كل حال يؤدي إلى التكلف، وصعوبة الدين بالاقتداء، وحفظ الأمانة بطلب العلم، وتحصين العقل بآداب الحلم، والصبر لكل موطن، والخلوة بالذكر، والنعم بالشكر، واعتزال الهوى والاستعانة على قصر الأمل بذكر الموت ومعقلة الحياء، ومعلومة الورع، مشاهدة الثقة، ومن ألف هواه قل أدبه. السابق ص89/ 102/ 104/ 111/ 131.

(5) دار السلام، القاهر طـ5/ 1988م-1409هـ.

(6) الأحاديث (92)، الآيات (86).

أعلام[1]. ويغلب على الفقرات كلها أسلوب الأمر والنهي مثل «اعلم»، «احذر»، «الزم»... الخ في أربع وثلاثين فعل أمر[2]. والأمر وهو الأغلب، وثمانية أفعال نهي وهي الأقل[3]. وتتنوع الأفعال الأمرية بين العلم والفحص من أفعال المعرفة، والمحاسبة والمراقبة والحذر والكتمان من أفعال القلب، والالتزام والعمل والوقوف والمراعاة والاستعمال والطلب والاستعانة والاستجلاب والأداء والتحصيل والتنازل، من أجل الفصل والرضا والتواضع والبذل والإيثار والعفو والرعاية والوقار والنصرة من مجموع الفضائل. وبعض الفقرات إخبارية للعلم وليست أمرية للعمل وهي الأقل. والأسلوب هو أسلوب القول «فإن قال قائل»[4]. وتبدأ الفضائل والمقامات في الظهور مثل الصدق والصبر والقناعة والزهد والأنس والرضا والإخلاص واليقين والخوف والمحبة والمراقبة[5].

7 ـ الوعي التاريخي الرأسي

ويعني الوعي التاريخي المنعرج، الصاعد إلى أعلى ابتداء من التوبة المقام الأول، هروباً من العالم الذي تكالب عليه الناس، وترك الدنيا بمن فيها على من فيها. هو بداية التصوف كطريق إلى الله، والهروب إلى أعلى كما هو الحال في التصوف مثل الهروب إلى النص كما هو الحال في الفقه عند أحمد بن حنبل، كرد فعل على الانغماس في العالم عند الحكام وأصحاب السلطة وعند المتكلمين وجدل العقائد.

أ ـ رسائل المحاسبي (243هـ): واضح حضور المحاسبي خلال مراحل

(1) هم: أبو ذر، داود الطائي، القاسم بن محمد، علي بن أبي طالب.

(2) أعلم (24)، حذر (6)، الزم (3).

(3) الأمر مثل: افحص، حاسب، راقب، قف، راع، استعمل، ارض، كن بالحق متواضعاً، آثر، إعمل، رم، قيد، استعن، احذق، استجلب، اطلب، اكتم، اعف، أدِّ، خالق، وقِّر، أبصر، حصّل، تنازل، ابذل، خذ، اطلب...الخ. والنهي مثل: لا تشك، لا تخالط، لا تصح، لا تموتن، لا تكثر، لا تنشر، لا تذكر، لا تظهرن.

(4) رسالة المسترشدين ص 123.

(5) السابق ص 170-181.

تشكل الوعي التاريخي الأخلاقي، برسائل ست[1]. وهو حاضر ثانياً في الوعي التاريخي المعرفي برسالتين[2]. وهو حاضر ثالثاً في الوعي التاريخي بالآخر برسالتين[3]. وهو حاضر رابعاً في الوعي التاريخي الرأسي برسالتين[4]. وهو حاضر أخيراً في الوعي التاريخي المغترب (الأخروي) برسالتين كذلك[5].

1 ـ «التوبة (بدأ من أناب إلى الله)»[6]: ويدل العنوان الثاني على بداية الاغتراب في الوعي التاريخي، الاتجاه إلى أعلى. والتوبة أول مقام في الطريق الصوفي، من العالم إلى النفس، ومن النفس إلى الله. ويقل الاعتماد على الأدلة النقلية. يحضر القرآن، ويغيب الحديث والشعر[7]. ويزيد التنظير العقلي. ويستعمل أسلوب السؤال والجواب، «قال. . قلت. .»، أسلوب الشيخ والمريد مثل أحكام السؤال والجواب في أصول الفقه، بين المفتي والمستفتي[8]. فالكتاب إجابة على سؤال عن بدأ الإنابة إلى الله؟ والجواب: بمعرفة الله وتهذيب النفس الأمارة بالسوء، والعزم على تأديبها بالوعظ والتركيز، وعزل النفس عن مواطن المعصية وإدمان معاتبتها وتخويفها بالرغم من رفضها مفارقة الشهوات، وعلاجها بالصوم و الجوع والتذكير. وحنينها إلى بعض الشهوات دون بعض يسمح بوضع عقوبات مشروعة للنفس. بداية الهداية وصنع النفس بين الشدة والتخفيف في العقوبة، وتسليم النفس قيادتها إلى الله. وتجاوز خداع النفس إلى الحنين إلى الشرف بين الناس دون توهم فضلها عليهم، والاطمئنان على صدق اعتقاداتها واصطفائها. ودلائل الصدق في التوبة الجد في الطاعة والحزن والخوف وسقوط الكلفة والعلم بطريق التوبة، والرجاء والشكر والخوف، ومعرفة عزة مقام التائبين، ودلائل صدق الشاكرين.

---

(1) هي: 1- المسائل في الزهد 2- فهم الصلاة 3- المسائل في أعمال القلوب والجوارح 4- المكاسب 5- الرعاية لحقوق الله 6- الوصايا.

(2) هما: 1- رسالة العقل 2- كتاب العلم.

(3) هما: 1- رسالة في التصوف 2- رسالة المسترشدين.

(4) هما: 1- التوبة 2- القصد والرجوع إلى الله.

(5) هما: 1- التوهم 2- البعث والنشور.

(6) دار الاعتصام، القاهرة 1977م-1397هـ.

(7) الآيات (3).

(8) من النص إلى الواقع جـ2 بنية النص، الباب الثاني: الوعي النظري ص471-479.

2 ـ **«القصد والرجوع إلى الله»**[1]: وهو نفس موضوع «الإنابة» بداية من التوبة لسلوك الطريق الرأسي صعوداً إلى أعلى، من العالم إلى النفس ارتداداً، ومن النفس إلى الله ارتفاعاً[2]. تعتمد على القرآن أكثر من الحديث لدرجة الضعف. ويكاد يختفي الشعر[3]. كما تعتمد على التحليل العقلي، وتحليل التجارب تأكيداً على العقل العملي، واستعمال أسلوب «قال.. قلت» رداً على سؤال[4]. وتضم الرسالة أربعاً وثلاثين مسألة متنوعة تعود كلها إلى الله. أولها التوبة والفتوة محاسبة النفس ودفع الهوى عن الضمائر والقلوب ومخالفة العدو ودفع نزعاته[5]. ثم يأتي موضوع الزهد وما يفسده وأثره في الحياة، والزهد فيما لدى الناس وما يتبعه من ورع، والابتعاد عن الدنيا، ثم الرذائل مثل الرياء والإعجاب والفرح بالعمل، ثم الفضائل مثل الصدق والإخلاص والحياء، ثم المقامات مثل الشكر والصبر والرضا والمحبة، ثم الأحوال مثل الحزن والخوف، ثم المعرفة على قلوب العارفين والاعتبار والحكمة. وشروط ذلك كله طهارة القلب وحديث النفس ومراقبتها وترك الريب والشبهة.

ب ـ **«كتاب الصدق» لأبي سعيد الخراز (277/ 279هـ)**[6]: وتتحول الأخلاق الصوفية تدريجياً إلى المقامات والأحوال، من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب، ومن الشريعة إلى الطريقة، ومن الخارج إلى الداخل مثل «الطريق إلى الله» أو كتاب «الصدق» لأبي سعيد الخراز (ت299).

ومنهج التأليف هو تجميع الآيات والأحاديث حول موضوع واحد وهو «الصدق» كما هو الحال في التفسير الموضوعي. والآيات أكثر من الأحاديث[7]. ثم تأتي الآثار، أقوال الصحابة والتابعين والزهاد والعباد والصوفية الأوائل. ويضم

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ، ص141-205.
(2) القصد والرجوع إلى الله ص143.
(3) الآيات (37)، الأحاديث (16)، الشعر (1).
(4) القصد والرجوع إلى الله، في بيان العقل وصفته ص162-163.
(5) «فهذه مسائل في المعرفة، وعلم طريق الآخرة، والقصد والرجوع إلى الله تعالى حيث أراد الله»، السابق ص 142.
(6) دار الكتب الحديثة، القاهرة1975.
(7) الآيات (88)، الأحاديث (61).

إليها بعض الخطب وبعض الحكايات التاريخية أو الرمزية.

والصدق هو الخيط الذي يربط باقي الفضائل التي تتحول فيما بعد إلى مقامات وأحوال مثل: الإخلاص، الصبر، الورع، الحلال، الزهد، الخوف، الحياء، المحبة، الرضا، التوكل، الأنس أو في موضوعات عامة مثل معرفة النفس، ومعرفة إبليس.

ونظراً لأن التأليف لم ينتظم بعد في أبواب وفصول فإن تحديد معاني «الصدق» لم يأت في البداية بل بعد الصدق في الإخلاص والصبر. وفي الحديث، المتن أهم من السند. فلا تهم الرواية بقدر الموضوع. وهو ما اعتمد عليه الغزالي في «الإحياء» فيما بعد باستعمال الأحاديث الضعيفة السند ما دام المتن متفقاً مع هواه. ويكتفي بالقول «يروى أن» أو «يروى في الحديث». ولا حرج من استعمال المرويات عن الشياطين[1]. ولا حرج أيضاً من استعمال الإسرائيليات وما روي عن سليمان وداود وعيسى[2]. وقد تُرى حوارات من مظاهر للطبيعة مثل الريح[3]. ويُروى عن جبريل حواراته مع الرسول[4]. وتكثر الأحاديث القدسية تساعد على نسج الخيال. وقد تكثر الشواهد النقلية بدافع البرهان بحجة السلطة خاصة في غياب الحجج العقلية. وتستعمل بعض الحكايات عن سلوك الصحابة والتابعين والزهاد والصوفية الأوائل.

والتأليف بناء على سؤال المؤلف أحد العلماء عن معنى الصدق أشبه بصيغ الفتاوى الشرعية والتي استمرت حتى ابن رشد في «فصل المقال». والإجابة على العموم والخصوص، في الأصول والفروع[5]. وهو سؤال تربوي وليس سؤالاً نظرياً، للمريد وليس للشيخ. إذ لابد أن يعرف المريد ثلاثة أشياء: الإخلاص والصدق والصبر. وهي متداخلة المعاني. فالإخلاص لا يتم إلا بالصدق والصبر عليه. والصبر لا يتم إلا بالصدق والإخلاص فيه. والصدق لا يتم إلا بالصبر

(1) الخراز: الطريق إلى الله أو كتاب الصدق ص29/ 80.
(2) السابق ص34-35/ 43/ 60-61.
(3) السابق ص35.
(4) السابق ص36/ 62/ 69/ 90-94.
(5) السابق ص13.

والإخلاص فيه[1]. ويستمر أسلوب التساؤل والاعتراض أو الاستفسار[2]. وفي النهاية تتوجه الرسالة إلى المريد[3].

والصدق من الفضائل الخلقية عند الصوفية قبل أن يصبح عند البعض مقاماً. وهو بداية الطريق إلى الله. وهو عنوان مرادف، مثل مقام التوبة عند المحاسبي ومجموع الصوفية. والمؤلف هو الشيخ العارف لقب منه أم من الصوفية بعده[4]. ويعتمد على القرآن ثم الحديث دون الشعر[5]. الآيات كلها حول موضوع واحد مثل «الصدق». وهو بداية التفسير الموضوعي للقرآن. وتذكر المعاني المختلفة للآيات وتتداخل المصطلحات. وتتوالى الآيات في دفعات[6]. ويسقط السند لصالح المتن. وإذا ذكر فعلى وجه العموم مثل «وفي الخبر»[7]. وتتكرر الأحاديث[8]. ويصل الأمر إلى رواية أحاديث الرسول مع جبريل ومع الشيطان[9]. وتُروي بعض الإسرائيليات من أحاديث سليمان وموسى وعيسى وآيات من الكتب المقدسة السابقة[10]. ويستشهد بأقوال الصوفية مثل الفضيل بن عياض وسفيان الثوري، ويطلق عليهم لفظ الحكماء وببعض الصحابة مثل علي والحسن وبعض التابعين مثل ابن سيرين. وتستعمل بعض الحكايات عن بعض الخلفاء مثل عمر بن عبد العزيز أو بعض الحكايات الرمزية مثل الحوار مع إبليس. والأسلوب سؤال وجواب كما هو الحال في المفتي والمستفتي في أصول الفقه مع أفعال القول[11]. والخطاب موجه إلى القارئ «أما علمت أيها المريد»[12].

(1) السابق ص15.
(2) السابق ص23.
(3) السابق ص89.
(4) كتاب الصدق ص 94.
(5) الآيات (86)، الأحاديث (61)، القدسية (2).
(6) كتاب الصدق، ص 14-15/ 22.
(7) السابق ص82.
(8) السابق ص42.
(9) السابق ص29/ 36/ 69.
(10) السابق ص 34-35/ 43/ 60-61/ 90-91.
(11) السابق ص13.
(12) السابق ص 86.

وتنتهي الأقسام بلازمة «وبالله التوفيق»[1].

والصدق هو الموضوع الأول الذي يبدأ من الطريق إلى الله. لا يتضمن فصولاً أو أبواباً بل مجموعة من الأقسام[2]. تبدأ بمعاني الصدق المختلفة. ثم يتشعب الصدق في بعض الفضائل الأخلاقية مثل الإخلاص والورع والحياء[3]. ثم يتجلى في بعض المقامات مثل الصبر والزهد والتوكل والرضا والمحبة وما يتعلق بها من شوق[4]. ثم يظهر في بعض الأحوال مثل الخوف والأنس[5]. وهناك صدق في المعرفة مثل الصدق في معرفة النفس والقيام عليها، وفي معرفة العدو إبليس، وفي معرفة نعم الله[6]. وهناك الصدق في الفقه مثل الصدق في الحلال الصافي[7].

8 ـ الوعي التاريخي المغترب (الأخروي)

ويعني ذلك تجاوز الوعي التاريخي بالعالم إلى ما وراء العالم، من الدنيا إلى الآخرة. وهي بداية الوعي الصوفي ونهايته. بل إنه يزيد في النهاية عن البداية. ويصبح موضوعاً مستقلاً يلتقي فيه الحديث والفقه والكلام والتصوف في «أحوال الموتى والآخرة». ويسمى أيضاً الوعي المغترب أي الذي خرج عن العالم إلى عالم آخر.

أ ـ **رسائل المحاسبي (243هـ)**: والعجيب أن من يركز على الوعي الخلقي في معظم أعماله إلى درجة اعتباره المؤسس الأول للأخلاق الصوفية هو الذي يبدأ أيضاً بالوعي المغترب في الأخرويات. لأن الأخلاق لم تقم على الحسن والقبح في ذاتها عند المعتزلة بل على النظرية الأشعرية في ارتهان الأخلاق بالإرادة الإلهية. لذلك همش المعتزلة لصالح الأشعرية المركزية.

(1) السابق ص39/ 63/ 69/ 86/ 89/ 92/ 94.
(2) وهي ستة وعشرون قسماً.
(3) كتاب الصدق ص17-19/ 29-31/ 55-57.
(4) السابق ص19-22/ 40-53/ 60-69.
(5) السابق ص54-55/ 69-94.
(6) السابق ص25-29/ 58-60.
(7) السابق ص31-39.

1 ـ **«التوهم»**[1]: ويقوم على توهم الموت واستباقه والاستعداد له عن طريق الخيال. وهو فتح لعالم التصوف الجديد الذي اكتمل في «الفتوحات» عند ابن عربي في «الخيال الخلاق». يعني التوهم التصور والتخيل والافتراض. فالتصوف كله توهم في المقدمات وفي النتائج، وفتح آفاق جديدة للنفس بعد أن انسدت آفاق العالم على عكس الفقه، علم النوازل الذي يبدأ مما يحدث في الواقع. وهو خطاب موجه مباشرة إلى القارئ بلفظ «اعلم» كما هو الحال في «رسائل إخوان الصفا». كما استعمل لفظ «توهم». أي افتراض شئ تنتج عنه نتائج[2]. فالتصوف فقه افتراضي، يركز على النفس حتى يخلق موضوعه. ولا يبتعد كثيراً عن التخويف وأساليب الردع النفسية للحصول على الطاعة والسلوك الفاضل. فالغاية تبرر الوسيلة. يبدأ الطريق بآلام الموت ثم النداء للعرض ثم أهوال القيامة ثم الشفاعة ثم يوم العرض ثم عذاب الكافرين ثم نعيم الجنة ثم حياة أخيرة. ويعتمد أساسا على القرآن ثم الحديث[3]. ويغيب الشعر. كما يغيب التحليل النظري الخالص. إنما تعتمد الرسالة على الإيهام والتخويف واللعب بالعواطف والاستدراج والإيقاع[4].

2 ـ **«البعث والنشور»**[5]: وهو انتقال من التوهم إلى الحقيقة، ومن الافتراض

---

(1) دار الأرقم، القاهرة 1991م-1411هـ ص29-73.

(2) استعمل لفظ توهم 24مرة.

(3) الآيات (15)، الأحاديث (9)، القدسية (1).

(4) «فتوهم نفسك لذلك الخوف والفزع والرعب والغربة والتحير... « التوهم ص41، «فتوهم حين وقفت بالاضطراب والارتعاد يرعد قلبك»، السابق ص43، «فتوهم نفسك وقد طال فيها مكثك وألح العذاب. فبلغك غاية الكرب. واشتد بك العطش. فذكرت الشراب في الدنيا. ففزعت إلى من في الجحيم، فتناولت الإناء من يد الخازن الموكل بهذا بك. فلما أخذته نشت كفك من تحته. وتفسخت لحرارته ووهيج حريقه. ثم قربته إلى فمك فشوي وجهك. ثم تجرعته فسلخ حلقك. ثم وصل إلى جوفك فقطع أمعاءك. فناديت بالويل والثبور وذكرت شراب الدنيا وبرده ولذته. ثم أقلعت الحريق. فبادرت إلى حياط الحميم لتبردها كما تعودت في الدنيا الاغتسال والانغماس في الماء إذ أشتد عليك الحر. فلما أغتمست في الجحيم تسلخ من قرنك إلى فمك. فبادرت إلى النار رجاء أن تكون هي أهون عليك. ثم أشتد عليك حريق النار فرجعت إلى الحميم وأنت تطوف بينها وبين حميم آن... فلما أشتد بك الكرب والعطش...»، السابق ص51-52.

(5) دار الأرقم، القاهرة 1991م-1411هـ ص81-97.

إلى الواقع، ومن المستقبل إلى الحاضر وكأن البعث والنشور قد وقعا بالفعل، البعث هو الخروج من القبور والحياة بعد الموت. والنشور العودة إلى الله والسعي إليه. وكلها غيبيات سمعيات لا دليل عقلي عليها كما هو الحال في نسق العقائد الأشعري. وتشمل مناظر انشقاق الأرض سؤال الملكين، وعذاب القبر ونعيمه، والحساب والميزان، والصراط والأعراف، والثواب والعقاب، والكتاب والدليل وشهادة الحواس. يعتمد على الأحاديث أكثر من القرآن ودون الشعر[1]. وبطبيعة الحال يغيب التحليل النظري إلا من قياس الغائب على الشاهد.

ب ـ «الطواسين» للحلاج (309هـ)[2]: موضوعه الحقيقة المحمدية. وهما حرفان من أوائل السور «طس» بالجمع. يعتمد على التأويل الرمزي لبعض الآيات، وأقلها من الأحاديث، والتعبير عنها بالشعر جمعاً بين النص الديني والنظم الشعري[3]. ولا تظهر الإسرائيليات لعدم الحاجة إليها. ولا يعتمد على أحد من الصوفية السابقين باستثناء اسم الرسول «أحمد». ينقسم إلى عشرة أقسام كلها تبدأ بالطاسين وهي السراج، والفهم والصفاء، والدائرة، والنقطة، والأزل والالتباس، والمشيئة، والتوحيد، والإسراء في التوحيد، والتنزيه. ويؤول الأسماء والألقاب فالرسول أمي لمهمته، حَرمي لنعمته، ومكي لتمكينه. ورمزه السراج أي النور والفهم للمعرفة الاشراقية الكشفية ليلة الإسراء والمعراج. والصفاء مرآة القلب. ثم تستعمل الأشكال الهندسية مثل الدائرة والنقطة والقوس مع الحروف للخروج من عالم الظاهرة، والدخول في عالم الباطن، والالتباس على إبليس. والأزل وجود الحقيقة المحمدية. والمشيئة دائرة من دوائر الوجود مع القدرة والعلم والحكمة. والتوحيد أحدية وسره انعكاسه في الذات وفي العالم. وكل ذلك تنزيها لا تشبيها.

جـ ـ الحكيم الترمذي (319هـ): والعجيب أيضاً أن صاحب «الرياضة» و«أدب النفس» في أخلاق النفس يكون هو مؤسس الوعي المغترب في «ختم الأولياء» و «غور الأمور» في الولاية بعد النبوة وفي قصة آدم وإبليس قبل النبوة.

---

(1) الأحاديث (15)، الآيات (7).

(2) الأعمال الكاملة ص161-209.

(3) الآيات (20)، الأشعار (5)، الأحاديث (3).

1 ـ **«ختم الأولياء»**[1]: وقد يتجسد الوعي بما وراء التاريخ في موضوع النبوة والولاية. النبوة بداية، والولاية نهاية. وكما أن هناك خاتم الأنبياء هناك أيضاً خاتم الأولياء. النبوة اغتراب في الماضي، والولاية اغتراب في المستقبل. وكلاهما نفي للحاضر.

يعتمد على القرآن ثم الحديث دون الشعر[2]. كما يعتمد على أقوال بعض الصوفية مثل أويس القرني وأبي سعيد الخدري[3]. وسبب التأليف سؤال عن الولاية بعد أن خاض فيها الناس بين مثبت ومنكر، وبين معرفة الوالي أو جهله بها ولا يدركها إلا أهلها[4]. ولا يمكن الحديث عنها قياساً على غيرها أو توهماً. ليس معيارها الصدق وحده بل معرفة أنها من المنن من المنان ومعرفة المنان شرط لمعرفة المنن، ومعرفة المنن شرط لمعرفة الولاية[5]. يخلو الكتاب من الفصول والأبواب، ولكن يذكر خمس ومائة سؤالاً حول الموضوع بحيث يتشعب إلى كل موضوعات التصوف[6]. ويتبع أسلوب القول، «فإن قال قائل» ما دام الموضوع سؤالا وجواباً. ومع ذلك، يعتمد على القسمة والتصنيف كأحد طرق التعريف[7].

---

(1) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2005م-1426هـ.

(2) الآيات (120)، الأحاديث (45)، القدسية (1) «ومن عجز عن معرفة الله تعالى كان عن معرفة صانعيه أعجز. فلذلك يصير كلامه جزافاً في العاقبة»، ختم الأولياء ص135.

(3) السابق ص208/ 252.

(4) فإنك ذكرت البحث فيما خاض فيه طائفة من الناس في شأن الولاية، وسألت عن شأن الأولياء ومنازلهم، وما يلزم من قبولهم، وهل يعرف الوالي نفسه؟ وذكرت أن ناساً يقولون أن الولاية مجهولة عند أهلها. ومن حسب نفسه ولياً هو بعيد عنها. فاعلم أن هؤلاء الذين يخوضون في هذا الأمر ليسوا من هذا الأمر في شيء. إنما هم قوم يعتبرون شأن الولاية من طريق العلم. ويتكلمون بالمقاييس وبالتوهم من تلقاء أنفسهم. وليسوا بأهل خصوص من ربهم. ولم يبلغوا منازل الولاية، ولا عرفوا صنع الله. إنما كلامهم في الصدق. ومعيارهم في الأمور الصدق. فإذا صاروا إلى المنن، وتقطع كلامهم، وعجزوا عن معرفة صنع الله بالعبد فلأنهم عجزوا عن معرفته. ومن عجز عن معرفة الله تعالى كان عن معرفة صانعيه أعجز. فلذلك يصير كلامه جزافاً في العافية، السابق ص 135.

(5) ختم الأولياء ص150-158.

(6) السابق ص144/ 147.

(7) السابق ص142/ 143.

وتطول مقدمة المحقق لأغراض التأليف الجامعي[1].

وتتنوع موضوعات الولاية بين التفرقة بين أولياء حق الله وأولياء الله والتمييز بين علم الأنبياء وعلم الأولياء، وخاتم الأنبياء وخاتم الأولياء، وعقد النبوة وعقد الولاية، ومعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء. كما تتناول علامات الأولياء في الظاهر وبشرى الولي والولاية والسعادة، والولاية والخطيئة، والولاة، والأسرار الإلهية، وخاصة الأولياء، والولاية والصديقية. ثم تأتي في النهاية التفرقة بين الولاية والجذب، بين الولي والمجذوب، والتمييز بين أهل الدين وأهل اليقين، بين الكتاب والروح.

2 ـ **«غور الأمور»**[2]: والعجيب أن يقترب الوعي التاريخي الأخلاقي في الوعي التاريخي بما قبل التاريخ الذي تمثله قصة آدم وإبليس قبل بداية تاريخ الإنسان على الأرض وتفسيرها الرمزي بأدبيات الحوار بين الله وإبليس. الله رمز الفضيلة، وإبليس رمز الرذيلة. الله النفس الخالصة، وإبليس النفس المفعمة بأهواء النفس. لذلك قد يدخل أيضاً في التأويل إلا أنه ليس تفسير كاملاً مثل «تفسير القرآن العظيم» للتستري و«لطائف الإشارات» للقشيري وتفسير ابن عربي. يعتمد أساساً على القرآن ثم الحديث دون الشعر[3]. تؤول الآيات تأويلاً باطنياً لتحويل النص المدون إلى سلوك خلقي والمعني النظري إلى ممارسة عملية. قد تطول الأحاديث القصصية مما يدل على ضعفها. فالغاية من الحديث ليست إعطاء قصص رمزية في الخلق والعصيان والهبوط إلى الأرض في البداية أو في البعث والنشور وأمور المعاد في النهاية بل بيان بعض التفصيلات العملية وطرق الممارسة في العبادات. وهذا يدل على مدى الصلة بين التجربة الأدبية والتجربة الصوفية. فهما تجربة واحدة تعبر عن نفسها بأشكال أدبية، النثر الفني أو النظم أو القصة الرمزية. فالعلاقة مع إبليس أشبه بمدينة لها رئيسها وجنودها وحراسها وأعداؤها وخزائنها وأسلحتها. معركة في الخيال بعد أن صعبت في الواقع.

وسبب التأليف سؤال عن صفة القلب وأسمائه وأحواله وصفة النفس

(1) السابق ص7–133.

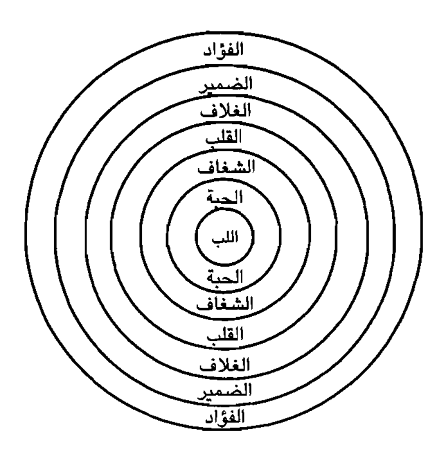
(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2002م–1423هـ. الخلاف في تاريخ وفاته بين 319و320.

(3) الآيات (223)، الأحاديث (9)، القدسية (2).

وأحوالها، وإبليس وجنوده وسلطانه، وصفة المعرفة والعقل والأخلاق، وتحويل عهد ﴿أَلَسْتُ﴾، عهد الذر الأول وتفسير أسماء إبراهيم وإبليس وفرعون وشجرتي الزيتون وطوبى. وذلك كله في ثلاث وثلاثين مسألة دون أبواب أو فصول في صيغة السؤال والجواب. لا يفهمها إلا ذو اللب[1]. والتشبيه بالمدينة. فهناك سبع مدائن للنور: الفؤاد، والضمير، والغلاف، والقلب، والشخاف، والحبة، واللباب. كل منها قلب للآخر في سبع دوائر[2]. ولكل مدينة باب، ولكل باب مفتاح، وعلى كل باب ستر، وبين كل واحد حائط، ومن وراء كل حائط خندق. ويستمر التشبيه في وصف الأبواب والبوابين والستور والمفاتيح والصدر والحيطان وأساسها والخنادق. ويتم الانتقال من المثل إلى المثول، ومن الرمز إلى المعنى

(1) «فأما ما سألتني عنه من صفة القلب وأسمائه وصفة أحواله، وصفة النفس، وصفة إبليس وجنوده، وبيان سلطانه، وعللها وشأنها وأحوالها وبدئها، وصفة المعرفة، وما في حشوها، وصفة النور ولباسه، وصفة آدم المائة الخلق، وصفة جنود المعرفة، وصفة العقل ومعدنه ومجلس قضائه وأعوانه، وصفة مدائن المعرفة، وقراها وآثارها وعمّارها، وبيان صفة العسكر، وبيوت الدواوين، وخزائن الطاعات ومعادن الحكمة، وسجون النفس وخلق آدم وبيان اسمه، وترجمة لا إله إلا الله، وبيان تفسير قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وتفسير اسم إبراهيم خليل الرحمن، وتفسير اسم إبليس، واسم فرعون، وتفسير قوله ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وتفسير شجرة الزيتون، وتفسير شجرة طوبى، فهذه ثلاثة وثلاثون مسألة. لها غور بعيد. ولا يمكن استقصاؤها لبعد قعرها، وسنذكر منها ما يفهمه ذو اللب»، غور الأمور ص27.

(2) غور الأمور ص29-37.



في بيان الهمة والعهد وصفة النفس[1]. وقلب التشبيه هو احتجاج إبليس ومعاتبته وسؤاله عن الآلة للحرب على آدم وولده للعون والظفر عليه في حوار متخيل. ويؤول الرمز، صفة المعرفة ولباسها والحكمة من خلق آدم، وتفسير أسماء إبراهيم، وفرعون ولا إله إلا الله، كلمة التوحيد، وبعض رؤوس السور القرآنية وبعض آيات النور، وتفسير اللباس والحجب والعقل وتحويل الجنود إلى صفات للنفس والعقل. وتخلق بعض الشخصيات الرمزية كنوع أدبي[2]. ثم تذكر شروط سكنى الأرض، والصراع بين إبليس ويحيى، وصفات جنود إبليس وبدأ أمره وقصته ومصائده وتفسير هواه وحياته وأخلاقه وتحويل ذلك إلى صفات القلب والنفس وانتهاء بنعيم أهل الجنة. ومنزلة الشكر والصبر وصفة الصابر وهما من مقامات الصوفية.

ثانياً: الوعي التاريخي الخالص

يماثل الوعي التاريخي بكل لحظاته، الوعي التاريخي الخالص، الطبقات، والوعي التاريخي الموضوعي، تخلّق الموضوعات من ثنايا الطبقات وتحتها، والوعي الموضوعي وهو بنية الموضوع أولاً وأقوال الأعلام من خلالها. ثم يأتي بعد ذلك الوعي النظري وهو تحول الموضوع الجزئي الخلقي النفسي إلى موضوع كلي طبيعي كوني، ثم الوعي العملي وهو تحول الوعي النظري إلى وعي عملي، والنظر إلى عمل، والتأمل إلى طريق، والنظرية إلى طريقة، والعودة من السماء إلى الأرض، ومن الفناء إلى البقاء، ومن الله إلى العالم، ومن الكون إلى الإنسان. وقد وصف من قبل في نشأة علم العقائد من خلال علم الفرق في علم أصول الدين، ظهور الموضوعات من خلال الفرق، وظهور الفرق من خلال الموضوعات، ومن المسائل إلى الموضوعات، ومن الموضوعات إلى الأصول، ومن الأصول إلى البناء، ومن بناء العلم إلى عقائد الإيمان، بناء على وصف المصنفات الكلامية عبر التاريخ. كان يمكن أخذ نماذج فارقة من المصنفات الصوفية، مثل «الرسالة

(1) السابق ص37-123.

(2) مثل: ومزة بن الحرث أول من اتخذ البربط (عود الموسيقى)، لوقس بن لاقس أول من اتخذ المزامير، صهيب بن عازب أول من اتخذ المصبح، وأبو ليسم مبدع الطبل، وبعض أسماء أصحاب المنازل والحرف المثالية، السابق ص85-86.

القشيرية» و«الإحياء» و «الفتوحات»، وتحليلها وإعادة قراءتها فكل مصنف يضم المصنفات السابقة، ولكن المسح الموضوعي الشامل أكثر دقة وقدرة على معرفة منحنيات مسار الوعي التاريخي حتى يتحقق كوعي موضوعي[1].

ولا يوجد فصل تاريخي حاد بين مراحل مسار الوعي الصوفي في التاريخ. ففي بعض المؤلفات يظهر الوعي النظري والوعي العملي على السواء كما هو الحال في «عوارف المعارف» للسهروردي. كما يظهر الوعي العملي مع الوعي التاريخي والنظري في شطحات الصوفية وآدابهم في «اللمع» وفي علاقة الشيخ بالمريد في «الرسالة القشيرية».

كما لا يوجد فصل زماني بين مراحل تشكل الوعي. بل تتداخل المراحل فيما بينها في الزمان. قد يبدأ شكل من أشكال تطور الوعي التاريخي قبل زمانه. وقد يستمر بعد زمانه. فالمرحلة تعبر عن الذروة. يتشكل الوعي التاريخي ببطء. ويحتاج إلى وقت ليبدأ وينتهي.

يبدأ الوعي التاريخي يتخلق عند الصوفية المبدعين المؤرخين الذين تجمع أعمالهم بين الإبداع الصوفي والتأريخ للصوفية مثل الطوسي في «اللمع»، والقشيري في «الرسالة القشيرية»، والهجويري في «كشف المحجوب»، وقد يبدأ الوعي التاريخي أولاً بتاريخ صوفية القرنين الثاني والثالث للقشيري ثم بعد ذلك البنية من خلال المصطلحات كما هو الحال في «الرسالة القشيرية» وفي «اللمع» للطوسي، وقد يكون في الوسط كفرق وليس كأسماء أعلام، كما هو الحال في «كشف المحجوب» للهجويري. حدث ذلك منذ القرن الرابع الهجري بعد أن تراكمت أعمال الصوفية في القرنين الثاني والثالث. فالوعي التاريخي الصوفي تال للوعي الصوفي الموضوعي.

وينفصل الوعي التاريخي الخالص عن الوعي التاريخي الموضوعي في كتب الطبقات بداية من «طبقات الصوفية» للسلمي و «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني، وبالرغم من أن الوعي التاريخي الخالص تال للوعي التاريخي الموضوعي إلا أنه يأتي أولاً كبداية لمسار الوعي الصوفي في التاريخ. وقد حدث

---

(1) من العقيدة إلى الثورة، حـ1، المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، ص146-203.

ذلك في القران الرابع الهجري[1].

ولا يتم تحليل إلا الأعمال التي فيها يتخلق الوعي التاريخي الخالص أو الوعي التاريخي الموضوعي. وتحلل الأعمال الصوفية الخالصة في الوعي الموضوعي، والوعي النظري والوعي العملي. أما التصوف كعلم، تعريف التصوف ووصفه في نسق العلوم فإنه يتخلل المؤلفات كلها سواء كأقوال متفرقة أو أبواب أو فصول أو أقسام. أما الأعمال المتأخرة في الطبقات للشعراني وللمناوي فإنها تدخل في مسار الوعي الصوفي المتأخر، والعودة إلى التاريخ.

كان يمكن أيضاً تحليل كثير من كتب طبقات الصوفية خاصة وقد أمتد تاريخ الطبقات إلى مصر والمغرب، ولكن بعض النماذج تكفي لإبراز الوعي التاريخي. فليست الغاية التاريخ بل الوعي التاريخي وإلا تحول العمل إلى تاريخ صرف كما هو الحال في الدوريات. أصبح مجرد حصر ورصد تنوء به المكتبات العامة والخاصة بالمطبوع والمخطوط دون الضائع.

أ ـ كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية للماليني (412هـ)[2]: وهو أول كتاب في الطبقات في بداية الوعي التاريخي الصوفي طبقاً «للعدد أربعين» وهو من الأعداد المباركة المذكورة في القرآن والحديث[3]. ولا توجد مقاييس للاختيار ولا نظام. الترتيب أبجدي أو تاريخي أو موضوعي. منهم من بقي في الوعي التاريخي ومنهم من غاب[4].ويكشف عن مدى ارتباط علم النصوص بعلم الحديث في استعمال طرق المحدثين لجمع أقوال الصوفية كما جُمعت أحاديث الرسول. فالصوفية أتباعه مثل الصحابة. وتُذكر الأسانيد مع المتون. بل تذكر الآيات

---

(1) اكتفينا بتحليل: أ- الأربعين في شيوخ الصوفية «للماليني» (412 هـ) ب- طبقات الصوفية للسلمي (412 هـ)جـ- «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (430هـ)

(2) دار البشائر الإسلامية، بيروت 1997م-1417هـ.

(3) وهو حديث: «لا يزال في أمتي أربعون على خلق إبراهيم الخليل عليه السلام إذا جاء الأمر قبضوا»، انظر أيضاً: الفصل الثاني: الوعي التاريخي الموضوعي.

(4) من تبقى في الوعي التاريخي مثل: معروف الكرخي، السري السقطي، الجنيد، أبو عثمان المكي، الخراز، التستري، فضيل بن عياض، ابن مسروق، المحاسبي، بشر بن الحارث، ذو النون، الدينوري، النصر أباذي. والباقي ظلوا في اللاوعي التاريخي أو على هامش الشعور.

والأحاديث داخل الأسانيد. فالحصاد روايات شفاهية. والصوفية أنفسهم رواة و «السماعات»، شهادات بالسماع والرواية[1]. وأحياناً يتدخل الخيال في صياغة الأحاديث بروايات عن الرسول في المنام وأحاديث الملائكة وجبريل والله. ويُوسع مفهوم الأحاديث القدسية التي أصبحت مناسبة للإبداع الفني[2]. ويغلب عليه التصوف الخلقي الممتد حتى الغزالي في القرن الخامس. ويعتمد على الحديث ثم الشعر أكثر من اعتماده على القرآن نظراً لارتباط التصوف بعلم الحديث، وبداية الشعر كشكل أدبي وتراث عربي قبل نزول النص[3]. وتظهر بعض الإسرائيليات في نقل أحاديث عن موسى في السماء.

ب ـ طبقات الصوفية للسلمي (412هـ)[4]: وإذا كان «اللمع» للطوسي يجمع بين تاريخ التصوف والتصوف، وكان «قوت القلوب» يجمع بين التصوف والتاريخ فإن «طبقات الصوفية» للسلمي (412هـ) تاريخ خالص. فهو أول كتاب في تاريخ التصوف على طريقة الطبقات، تلاه بعد ذلك «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني و «عوارف المعارف» للسهروردي حتى «الطبقات الكبرى» للشعراني و«الطبقات الكبرى» للمناوي. فماذا تعني الطبقة؟ هل هي المرتبة في الفضل أم هل هو الجيل؟ وتضم الطبقة أعلام الصوفية موزعة على خمس طبقات، ولا يمكن أن تعني أجيالاً إذا كان الجيل أربعين عاماً وعاش السلمي في القرن الرابع فيكون وراءه خمسة أجيال إذا كان الصوفية قد بدءوا منذ القرن الثاني عند رابعة والحسن. ومع ذلك الطبقة هو الجيل في زمن متقارب.

ولا تعني الطبقة التسلسل الزماني لأن ذكر أعلام الصوفية خلال الطبقات لم يخضع لترتيب زماني. وقد يكون الترتيب طبقاً للأهمية. وهي أهمية نسبية. فما كان مهما في عصره فإنه لم يعد مهماً في العصور التالية. إذ يذكر السلمي مائة وثلاثة ليسوا كلهم على مستوي الأهمية، ربما لم يبق منهم في العصور التالية إلا الربع. ولا يوجد فاصل بين الطبقات إذ تتداخل بينهما في الزمان. قد تكون

---

(1) كتاب الأربعين، ص229-244.

(2) السابق ص163.

(3) الحديث (16)، الشعر (7)، القرآن (5)، موسى (1).

(4) «مكتبة الخانجي: القاهرة، الهلال: بيروت، المكتب العربي: الكويت ط2.».

الطبقات مجرد محاولة للتصنيف. والواضح أن الطبقتين الأولى والثانية من أعلام القرن الثالث في حين أن الطبقات الثالثة والرابعة والخامسة من أعلام القرن الرابع. وتتساوى أعداد الصوفية في كل طبقة، عشرون في كل منها باستثناء الخامسة، ثلاثة وعشرون.

وقد ينبع مفهوم الطبقة من تصور قرآني ونبوي للتاريخ المنهار ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، «خير القرون قرني ثم الذي يلونهم الذي يلونهم»، «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة تتحول بعدها إلى ملك عضوض».

ويمكن ذكر أسماء الأعلام دون تصنيفهم في طبقات كما فعل السلمي في «كتاب الزهد». وإعادة تصنيفهم طبقا للطبقات يدل على وعي تاريخي أعمق بمساره[1].

وقد لا يكون سبب التأليف واضحاً وضوحاً مباشراً إلا من أن الصوفية هم أتباع الأنبياء[2]. وكما لم يخل كل زمن من نبي، كذلك لا يخلو كل عصر من ولي. فالأولياء أتباع الأنبياء كما صرح الرسول «العلماء ورثة الأنبياء». والولاية علم لدني، كالعلم الإنساني. والصوفية مرحلة بعد الزهاد. ولكل منهم طبقاته.

---

(1) «وقد ذكرت في «كتاب الزهد» من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين قرناً فقرناً، وطبقة فطبقة إلى أن بلغتْ النوبة إلى أرباب الأحوال المتكلمين على لسان التفريد وحقائق التوحيد، واستعمال طرق التجريد. فأحببت أن أجمع في سير متأخري الأولياء كتابا أسميه «طبقات الصوفية». أجعله على خمس طبقات من أئمة القوم ومشايخهم وعلمائهم. فاذكر في كل طبقة عشرين شيخاً من أئمتهم الذين كانوا في زمان واحد أو قريب بعضهم من بعض. وأذكر لكل واحد من كلامه وشمائله وسيرته ما يدل على طريقته وحاله وعلمه بقدر وسعي وطاقتي»، السابق ص3.

(2) «وأتبع الأنبياء عليهم السلام بالأولياء، ويخلفونهم في سنتهم، ويحملون أمتهم على طريقتهم وسمتهم. فلم يخل وقت من الأوقات من داعٍ إليه بحق أو دال عليه ببيان وبرهان، وجلهم طبقات في كل زمان. فالولي يخلف الولي بإتباع آثاره، والاقتداء بسلوكه. فيتأدب بهم المريدون، ويأتسى بهم الموحدون... إن آخر أمته يخلو من أولياء وبدلاء يبينون للأمة ظواهر شرائعه، وبواطن حقائقه، ويحملونهم على آدابها ومواجبها، إما بقول أو بفعل. فهم في الأمم خلفاء الأنبياء والرسل، وهم أرباب حقائق التوحيد والمحدثون، وأصحاب الفراسات الصادقة والآداب الجملية، والمتبعون لسنن الرسل إلى أن تقوم الساعة»، طبقات الصوفية ص1-2.

وتكتب سيرة العَلَم بعدة عناصر أهمها: الأقوال المأثورة التي تدل على التصوف عند العَلَم، وتاريخ الميلاد ومكانه والوفاة لكل صوفي من أجل معرفة زمانه في التاريخ، ونسبه، وشيوخه الذين تعلم منهم، وتلاميذه الذين أنجبهم. وتخلو السيرة من إبداء الرأي الخاص وكأنها مجرد مذكرة طلابية، ويبدو أثر علم الحديث في ذكر سند الرواية التي هي المصدر الرئيسي لسيرة العلم الذاتية. فكل قول من أقوال الصوفية له سنده الشفاهي أو المدون، وقد تطغى الرواية على الأقوال المباشرة بحيث تكون حياة الصوفية بذاتها شاهداً وقولاً[1]. وتطعم الصورة بآية قرآنية أو حديث نبوي مطابق لمفتاح الشخصية. وقد يصاغ القول بطريقة فنية باستعمال فنون البلاغة، البيان والبديع، والجناس والطباق والسجع والإيقاع حتى يؤثر في النفس ويصبح قولاً مأثوراً[2]. فالنثر الفني مقدمة للشعر. وقد تنسب أقوال إلى شخصين وهو ما يستحيل عملياً. فمن صاحب القول؟[3]. فالعبرة بالقول وليس بالقائل. والأقوال نمطية، أقوال مأثورة تنسب إلى أكثر من صوفي[4]. معظمها بالعربية وأقلها ترجمة عن الفارسية[5].

وتتفاوت أسماء الأعلام من حيث الكم. أكبرهم ذو النون المصري، وإبراهيم بن أدهم، وأبو بكر الشبلي[6]. ثم يتناقص الكم تدريجياً من الفضيل بن

---

(1) وذلك مثل إبراهيم بن أدهم، «طبقات الصوفية» ص27-39، منصور بن عمار: ص130-136.

(2) «مثل قول أحمد بن عاصم الأنطاكي: «الاستبانة للحجة، والأنس بالأحبة. والثقة بالقدرة، والمعاينة للغاية»، طبقات الصوفية ص137، وقول أبي الحسن النوري: «من وصل إلى وده أنِس بقربه. ومن توسل بالوداد فقد اصطفاه بين العباد»، السابق ص166.

(3) مثل أقوال محمد وأحمد ابني أبي الورد، طبقات ص249-253.

(4) مثل نسبة تفسير ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ بأن العمل الصالح هو الذي يلقى به الإنسان الله، وكذلك قول «من آواه الله إلى قربه أرضاه بمجاري المقدر عليه فإنه ليس على بساط القربة تسخُط» إلى مظفر القرميسيني وإلى أبي الحسين بن هند الفارسي، طبقات الصوفية: ص497-400.

(5) مثل ترجمة: أبو نصر الطوسي لكلام أبي عبد الله التُروغْبَندي بالفارسية، طبقات الصوفية: ص494.

(6) ذو النون المصري، إبراهيم بن أدهم، أبو بكر الشبلي (12). الفضيل بن عياض، بشر الحافي، أبو القاسم الجنيد (9)، السري السقطي، أبو يزيد البسطامي، أبو سليمان الداراني، معروف الكرخي، يحيى بن معاذ الرازي، أبو حفص النيسابوري، أبو العباس =

عياض إلى بشر الحافي إلى الجنيد، ثم إلى السري السقطي والبسطامي والداراني والكرخي ويحيى بن معاذ وغيرهم. ويكشف رصد مرات التكرار عن مدى أهمية الصوفي في عصره، درجته وطبقته في التدوين. فأبو سعيد الخراز مثلاً أقل ذكراً من السابقين. ويكشف هذا التفاوت في الأهمية مدى حضور الصوفي في التاريخ وفي وعي المؤرخين.

ولا يوجد اسم واحد وافد من اليونان أو الرومان أو فارس أو الهند، صحيح أن الكثير منهم نشأ في فارس، ولكنهم تحولوا إلى الإسلام. ونشأوا فيه ثقافياً حتى وإن كانت خلفيتهم السابقة ديانات فارس الزرادشتية أو المجوسية أو المانوية. وصحيح أنه يذكر اسم الحكماء، ولكنهم ليسوا حكماء اليونان بالضرورة[1]. فالتصوف نشأة محلية صرفة، موروث وليس وافداً مثل علم أصول الفقه، وعلم أصول الدين، ومجموع العلوم النقلية الخمسة، القرآن، والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه. وتذكر عديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على لسان الصوفي، وليس على لسان المؤرخ. ولأول مرة يفوق الشعر القرآن والحديث[2].

والآن السؤال هو: هل التصوف أعلام أم رؤية؟. وإذا كان التصوف أعلاماً فهل الأعلام شخصيات منفصلة عن بعضها البعض أم تمثل في مجموعها مساراً تاريخياً يكشف عن تاريخ التصوف كما تكشف أقوالهم عن فلسفة دينية؟ عيب الأعلام أنها تخلو من رؤية مسار، مجرد كشاف أعلام كالقواميس والمعاجم والفهارس القديمة

= ابن عطاء الآدمي (8)، حاتم الأصم، حمدون القصار، منصور بن عمار، يوسف بن الحسين الرازي، أبو بكر الدقاق، أبو علي المروذباري (7)،شقيق البلخي، أبو تراب النخشبي، أبو الحسين النوري، أبو عثمان النيسابوري، عمرو بن عثمان المكي، سهيل التستري، أبو محمد الجريري (6)، الحارث المحاسبي، أحمد بن أبي الحواري، عبد الله الأنطاكي، رويم بن أحمد البغدادي، سمنون بن حمزة المحب، محمد بن الفضل البلخي، أبو سعيد الخراز، أبو العباس بن مسروق الطوسي، محمد وأحمد ابنا أبي الورد، أبو بكر الواسطي، أبو بكر المرتعش، أبو بكر الكتاني، أبو يعقوب النهرجوري، أبو عبد الله محمد بن خفيف، أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي، أبو القاسم إبراهيم ابن محمد النصراباذي، أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري (5). وثلاثون علماً، منهم الحلاج (4)، وتسعة عشر علماً (3)، وسبعة أعلام (2).

(1) طبقات الصوفية، ص373.

(2) الآيات (77)، الأحاديث (63)، الأشعار (91).

في مصر، التدوين القديم أو الحديث. تغلب عليه السطحية والسذاجة والموضوعية القاتلة، ويمل قارؤوها من الرتابة والتكرار والتفكك والانقطاع.

حـ ـ «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني في (430هـ)[1]: ومن أضخم مدونات الوعي التاريخي إن لم يكن أضخمها على الإطلاق «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصفهاني (ت430هـ) إذ يضم ستمائة وثمان وتسعين علماً، معظمهم من صوفية القرنين الثالث والرابع[2]. ويصعب تحديد معنى «الطبقة» ومقياس تصنيف الطبقات. فهو ليس الترتيب الأبجدي الذي لم يعرفه القدماء إلا في قواميس اللغة. وهو ليس الترتيب الزماني نظراً لتداخل أزمنة الوفاة لعديد من الأعلام. ولا يُذكر تواريخ ميلادهم ولا وفاتهم في الغالب على عكس «طبقات السلَمي» إلا نادراً[3]. وهو ليس ترتيب الأهمية. فمن أهم الصوفية مثل ذي النون والجنيد والبسطامي والحلاج لا يظهرون في البداية. وهو ليس ترتيباً في الفضل. فالكل متساو فيه. ولم توضع الأعلام في طبقات كما يوحي بذلك العنوان[4]. بل توالت الأعلام واحداً وراء الآخر بترقيم حسابي صوري، ومن الغريب أن يذكر حوالي سبعمائة علم دون ترتيب زماني أو موضوعي، مجرد سرد بعد الجمع بين الأعلام والموضوعات في التدوين السابق في «اللمع» و«قوت القلوب».

ومعظمهم مجهولون وإن كانوا معروفين في عصرهم باستثناء القلة. لم يسمع عنهم أو لم يبق منهم أحد في الوعي التاريخي. لم يتركوا أعمالاً مؤسسة أو سيراً تبقي في الذاكرة كالرسول. يتصدرهم جميعا سفيان الثوري مما يدل على أهميته وحضوره في الوعي التاريخي، ثم عمر بن عبد العزيز مما يدل على أن الصوفي

---

(1) دار الفكر، بيروت (د.ت) (11جزءاً).

(2) سفيان الثوري (188)، عمر بن عبد العزيز (100)، الشافعي (98)، إبراهيم بن أدهم (83) أحمد بن حنبل (73)، كعب الأحبار (71)، ذو النون (68)، شعبة بن الحجاج (65)، سعد بن كرام، عبد الرحمن بن مهدي (61)، وهب بن منبه (85)، سفيان بن عيينة (48)، مالك بن أنس (40)، سعيد بن جبير (38)، المحاسبي (37)، الجنيد (33)، مالك بن دنيار، داود الطائي (32)، الحسن البصري (30)، سلمة بن دنيار (29)، علي، سليمان الداراني (26)، سلمان الفارسي، بشر بن الحارث (24)، وهيب بن الورد (23).

(3) حلية الأولياء جـ8/ 340.

(4) «تقدم ذكرنا له ولأحواله في الطبقة الأولى» السابق جـ1/ 354.

هو الصافي العادل التقي الورع حاكماً أو محكوماً، ثم الشافعي مما يبين أنه لم يكن هناك فرق بين الصوفي والفقيه، بين التأويل والتنزيل، ثم إبراهيم بن أدهم مما يبين أهمية حياة الصوفي وشخصه وما يروى عنه وليس فقط «مؤلفاته وأقواله»، ثم أحمد بن حنبل الذي يضرب به المثل فيما بعد للتيار السلفي حتى ابن تيمية كتيار معاد للتصوف والصوفية كما كتب ابن تيمية فيما بعد «الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، ثم كعب الأحبار فقد كان بعض الصوفية من أصول نصرانية مثل وهب بن منبه أمدوا علوم التصوف بقصص الأنبياء كما فعل بولس مع المسيحية وما سمي فيما بعد «الإسرائيليات»، ثم ذو النون صاحب الروايات الشفاهية وأول من تحدث في الحقيقة المحمدية بالإضافة إلى المحبة. ثم يأتي باقي الصوفية في حضور أقل في الوعي التاريخي مثل سفيان بن عيينة، والمحاسبي، والجنيد، ومالك بن دينار، والحسن البصري، وداود الطائي، وسليمان الداراني، وبشر بن الحارث، ويحيى بن معاذ، وحاتم الأصم، وعطاء بن رباح. ومن الصحابة عبد الله بن مسعود، وأبو هريرة، وأبو ذر الغفاري. ومن الأئمة جعفر الصادق، وزين العابدين، ومحمد الباقر، ومحمد بن الحنفية، ومن الخفاء الراشدين أبو بكر، والسري السقطي... إلخ[1]. والكثير منهم صغير الحجم لا يتجاوز صفحة واحدة. وقد كثرت الأعلام كما صغرت حجماً في الجزء العاشر والأخير وليس منهم أحد ذا شهرة استمرت عبر التاريخ[2].

ومعظمهم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والفقهاء والمحدثين دون أن يظهر لفظ «صوفي»، لا في العنوان ولا في وصف العلم. فالصوفي هنا تابع للصحابة والتابعين. ومحدث من المحدثين، مما يدل على أن التصوف نشأ من الداخل وليس من الخارج، وأنه استمرار لحياة الرسول ولدور النبوة في التاريخ. والصوفية هم أتباع الصحابة. وأحاديث الرسول هي قلب العلم. و«حلية الأولياء» استئناف لعلم الحديث حول الصحابة والتابعين والفقهاء، ومنهم الأولياء والأصفياء أي الصوفية الأوائل. بل لا يستعمل لفظ صوفي «أو صوفية» إلا بمعني «صافي» أو «أصفياء» أو «ولي» و«أولياء».

(1) السابق حـ3/ 174-206.

(2) الجزء العاشر وحده يتضمن 232 عَلَماً.

وقد جمع معهم أهل الصفة في قسم خاص، تسعة وثلاثون منهم، في حزمة واحدة[1]. أهمهم كيفاً وأكبرهم حجماً، هو عبد الله بن مسعود[2]. ويذكرون كرواة عن الرسول، دون أن تكون لهم آراء وأقوال خاصة بهم. ومعظمها روايات لأفعال وحكايات عنهم. كما جمع «الأصفياء من النساء» ذكر النساء الصحابيات تسعة وعشرون صحابية، وفي مقدمتهم فاطمة، وعائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وصفية، وأسماء بنت أبي بكر[3]. ولا يوجد موضوع خاص لأي منهن تتفرد به أو علامة رئيسية لشخصيتها. ويخصص الحديث عن طبقة التابعين وحديث «خير القرون قرني»، وأول الطبقة الأولى أويس القرني[4]، والصوفية خلفاء التابعين وتابعي التابعين. لهم أحاديثهم ورواياتهم مثل النبي. يقوم التابعي بدور الصحابي في النصح والإرشاد. فالسلوك القويم مازال هو هدف الطبقات المتتالية من الصحابة إلى التابعين إلى تابعي التابعين إلى الأولياء والأصفياء، هم نواة الصوفية[5]. ويتصدر الفقهاء كالشافعي وأحمد باقي الأعلام، فالشافعي وأحمد وحدهما يذكر لهما النسب والولادة، والمكان وتاريخ الوفاة والآثار والمآثر مثل الدفاع عن الحديث والقرآن والقرابة من الرسول القُرشي في النسب، والمفاضلة بينها وبين باقة الفقهاء، والجدل ضد الفرق الضالة من المتكلمين والفلاسفة مع أن الشافعي ليس له في التصوف شيء. وأحمد بن حنبل مؤسس المدرسة السلفية معاد للتصوف.

وهناك نعوت ظاهرة وأخرى باطنة يوصف بها الأولياء، وينقاد لها العقلاء والصالحون، ويغبطهم عليها الشهداء والنبيون. فهم الموروثون لكامل الذكر،

(1) حلية الأولياء حـ1، ص347-396.

(2) السابق ص376-385، حـ2/ 26-33.

(3) السابق حـ2/ 39-77.

(4) السابق ص79.

(5) «جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم، وترتيب طبقاتهم من النساك، ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ممن عرف الأدلة والحقائق، وباشر الأحوال والطرائق، وساكن الرياض والحدائق. وفارق العوارض والعلائق، وتبرأ من المتنطعين والمتعمقين، ومن أهل الدعاوى من المتسوفين، ومن الكسالى والمثبطين، والمتشبهين بهم في اللباس والمقال، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال»، حلية الأولياء حـ1/ 4.

المقيدون كلاً منهم بشامل البر، وهم المسلمون من الفتن والموقنون في المحن. وهم المضطرون في الأطعمة واللباس، المبررة أقسامهم عند النازلة والناس. تنفلق بيقينهم الصخور، وبيمينهم تتفتق البحور. وهم سياق الأمم والقرون. وبإخلاصهم يمطرون وينصرون. رفضوا باطن العاجلة وظاهر بهجتها وزينتها. وهم المصونون عن حقارة الدنيا والاغترار بها، المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار. وهم مشغوفون به وبوده، والمكلفون بخطابه وعهده. هم مصابيح الدجى، وينابيع الرعد والحجى. خصوا بخفي الاختصاص، ونقوا من التصنع. هم الواصلون بالحبل، والباذلون للفضل، والحاكمون بالعدل. هم المنبسطون جهراً، المنقبضون سراً. يبسطهم روح الارتياح والاشتياق. ويقلقهم خوف القطيعة والفراق. هم المبادرون إلى الحقوق من غير تسويف، والموفقون للطاعات من غير تطفيف[1].

يقوم تدوين التاريخ على نظرة مثالية له. فكل شيء فيه يسير وفقاً لسلوك مثالي من الرسول إلى الصحابة إلى التابعين إلى تابعي التابعين إلى أهل الصوفية إلى الأولياء والأصفياء وهم الصوفية. مع أن الرسول كان يجتهد في الرأي، يخطئ ويصيب. وكان الصحابة يختلفون فيما بينهم. ووقعت الفتنة الكبرى بينهم. وتصارعوا على الحكم والسلطة. وسالت بينهم الدماء. أخذ الصوفية المؤرخون إذن جانباً واحداً من التاريخ، التاريخ المثالي، وتركوا التاريخ الواقعي. أخذوا التاريخ الإلهي، وتركوا التاريخ الإنساني. ردوا الكل إلى أحد أجزائه. مما قد يسمح لمؤرخ معاصر آخر يرد نفس الكل إلى أجزاء أخرى. ويكتب السيرة الأخرى للصحابة والتابعين وتابعي التابعين[2]. التصوف إذن هو قراءة للتاريخ من منظور الصفوة المخلصة. والصوفي هو الإنسان الكامل قبل أن يعيه ابن عربي والجيلي نظرياً. لذلك غابت النظرة النقدية للتاريخ. وتحول التاريخ كله إلى تحقيق مثالي يغلب عليه المدح والثناء لكل ما فيه من شخصيات وأحداث. التصوف هو السلوك الفاضل للصحابة والتابعين، للخلفاء الراشدين والحكام العادلين مثل عمر ابن عبد العزيز. ليس في حاجة إلى الاستشهاد بأحاديث الرسول. تكفي الآيات التي هو تجسيد لها.

(1) السابق جـ1/ 5-17.

(2) ويمثل هذه المدرسة خليل عبد الكريم وسيد القمني.

ونظراً لضخامة «حلية الأولياء» وكثرة أعلامه وآياته وأسانيده ورواياته، فإنه يحتاج إلى فهارس ضخمة[1]. واستبعاد الآيات والحضور الطاغي للأحاديث يدل على خروج الصوفية المؤرخين من علم الحديث. والعجيب شرحه وكأنه متن عويص الفهم في حاجة إلى بيان. فهو ليس نصاً عويصاً. لا صعوبة فيه. قد يزيد معلومات على معلومات، وأحاديث على أحاديث، وأقوال على أقوال دون أن يغير العلم من الحديث إلى التصوف أو يضع فارقاً بينهما. ولا يمكن زيادة التحليلات العقلية لغيابها أصلاً. وإذا كان الشرح اختصاراً فإنه يبقي الصوفية ويستبعد الفضلاء من المحدثين والفقهاء والمفسرين.

ويذكر أسماء الأعلام بأشخاصهم دون موضوعات على عكس الوعي النظري عندما تختفي الأعلام وراء الموضوعات بداية بكتاب «التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذي (ت 380هـ) و «منازل السائرين» للأنصاري الهروي (ت481هـ) حتى «إحياء علوم الدين» للغزالي (ت505هـ) واستئنافاً في «الفتح الرباني» و«الغنية» لعبد الكريم الجيلي (ت561هـ)، و«حالة أهل الحقيقة مع الله» و«البرهان المؤيد» لأحمد الرفاعي(578هـ) و«شمس القلوب» للجائي (ت599هـ)، و«عوارف المعارف» لأبي حفص السهروردي (ت632هـ)، و«الفتوحات المكية» لابن عربي (ت638هـ)، و«منازل السائرين ومقامات الطائرين» لأبي بكر بن شاهاور الرازي (ت654هـ)، و«القصد إلى الله تعالى» لأبي الحسن الشاذلي (ت656هـ) و«حدائق الحدائق» لمحمد شمس الدين الرازي (ت660هـ). وكلها في التصوف الأخلاقي النفسي قبل أن يتحول التأليف إلى التصوف الفلسفي عند السهروردي (شهاب الدين)، وابن الفارض وابن عربي وعبد الحق بن سبعين وابن عطاء الله السكندري والكاشاني، ثم الطريق عند الشاذلي والشعراني. بل إنه لا يوجد موضوع مميز أو سمة غالبة على كل عَلَم. يتساوي الجميع في جمع المادة التاريخية حوله وأحياناً بتفصيلات عن نسبه ومولده ووفاته ونشأته.

وتتضمن بعض الأعلام ذكر بعض أقوالهم كمؤشر على ظهور الموضوعات مثل عمر بن الخطاب وما أُثر عنه في الزهد والورع، وعلى بن أبي طالب ونماذج

---

(1) حلية الأولياء جـ11. وهو مخصص للأحاديث النبوية والآثار والأعلام والبقاع والأشعار دون الآيات. الأحاديث حوالي (3550 حديثا)، الأعلام (2954)، الأشعار (129)، البقاع (71).

من «وثيق عباراته ودقيق إشاراته» ووصيته لكحيل بن زياد، وزهده وتعبده ووصفه في مجلس معاوية رواية عن آخرين، وعبد الله بن مسعود ووصاياه، وأبو ذر الغفاري ومواعظه[1]. كما ظهرت أيضاً رسائل مدونة للحسن البصري كعَلَم مثل كتابه إلى عمر بن عبد العزيز وابن سيرين، وغرائب أخباره في تعبير الرؤيا، وزيد ابن عبد الله فيما أسند إليه وكأن الإسناد موضوع[2]. وفي مجاهد بن جبر تذكر أخبار مروية عنه في التفسير. وفي عكرمة مولى بن عباس تذكر أخبار عنه في التفسير أيضاً[3]. وآثاره في التفسير هو الموضوع الغالب عند سعيد بن جبير[4]. وقد يكون الموضوع رسالة كتبها الشخص مثل رسالة عمر بن عبد العزيز إلى المأمون[5]. وتتخلق بعض الموضوعات داخل الأعلام مثل الزهد[6].

والمنهج المتبع في كتابة أهم الأعلام هو رسم شخصية العلم بعبارة مملوءة بالمحسنات البديعية مثل السجع مع الاسم ثم وضع تعريف للتصوف يتفق مع هذا الاسم لشخصية العلم لإثبات أنه من الصوفية ينطبق عليه تعريف الصوفي. ولا يحال تعريف التصوف إلى صاحبه. ويكتفي بلفظ «قيل». والاسم والرسم أقرب إلى الأخلاق الصوفية.

قد يوجد رسم بلا اسم ولكن لا يوجد اسم بلا رسم[7]. ويلاحظ أن الرسم والاسم لا يتجاوزان السبعة. ويقلان من البداية إلى النهاية من تسعة وعشرين في الجزء الأول إلى لا شيء في الجزء العاشر. وعادة ما يكون الرسم ثم الاسم في البداية. ونادراً ما يكون في الوسط إذا كان العلم طويلاً مثل ابن مسعود. ويستحيل أن يكون في النهاية[8]. وكلما كبر العَلَم حجمَاً ظهر الرسم والاسم. وكلما قلَّ اختفيا.

---

(1) السابق حـ1/ 50-55 / 75-79-87/ 133-139/ 165-170.

(2) السابق حـ2 / 134/ 276 / 213.

(3) السابق حـ3/ 280-310 / 329-347.

(4) السابق حـ4/ 283-309.

(5) السابق حـ5/ 346-353.

(6) السابق حـ3 / 7.

(7) السابق حـ1/ 29: 85، حـ2/ 31: 125، حـ3/ 18: 48، حـ4/ 9: 35، حـ5/ 9: 41، حـ6/ 3: 62، حـ7/ 1: 7، حـ8/ 1: 48، حـ9/ 1: 15، حـ10/ 0: 232.

(8) السابق حـ1/ 131 - 102: 698

والسؤال هنا: هل هذا التطابق بين الرسم والاسم، بين الوصف والتعريف صحيح أم مفتعل، طبيعي أم مصطنع، حقيقي أم مركب؟ والسجع قادر على هذا التركيب، اصطناعاً باصطناع. الغاية منه اتفاق السجع على تطابق الرسم مع الاسم. وإن لم يكن مصطنعاً فهل تم هذا التطابق بين الرسم والاسم «استنباطاً أم استقراء»؟ هل تم وصف العلم ورسمه أولاً ثم البحث له عن تعريف للتصوف مطابق له وهو طريق الاستقراء، الصعود من الجزء إلى الكل أو من الواقع إلى المثال أو من الشخص إلى المبدأ؟ وهو أقرب إلى الترتيب في التدوين في وضع الرسم قبل الاسم. أم قد وضع تعريف التصوف أولاً، ثم تم البحث عن رسم علم مطابق له وهو طريق الاستنباط، والانتقال من المبدأ إلى الشخص، ومن المثال إلى الواقع، ومن التعريف إلى المعرّف؟

ونظراً لأن تعريف التصوف لازمة أولى تطابق رسم العلَم كانت ضعيفة أو محددة لم تستطع استيفاء العلمَ كله فتم الوقوع في الحكايات والمقارنات بالتعريفات المشابهة. وربما وجود ما يقرب من السبعة تجمع بين الرسم والاسم قد يدل ذلك على أن للاصطناع حدوداً، وأنه لا يمكن إيجاد سبعمائة تعريف للتصوف ليغطي سبعمائة شخصية. ولو وجد لاستحال التوفيق الدائم بين هذا الرسم وهذا التعريف أو الاسم. ولا يوجد في الجزء العاشر والأخير الذي يتضمن مائتين واثنين وثلاثين علماً أي مقارنة بين الرسم والاسم، فهل انتهت تعريفات التصوف؟ هل لعبة التوفيق بينهما عن طريق السجع قد انتهت؟ هل تعب أبو نعيم أو سئم من هذه اللعبة المصطنعة؟

ويمكن إجراء دراسة نقدية للإجابة على عدة تساؤلات:

أ ـ هل الرسم مطابق للعَلَم أم من صنع الخيال؟

ب ـ هل اختيار تعريف التصوف فعلى أم المقصود منه إعطاء غطاء نظري للعَلَم لأنه محدّث أو راو أو صحابي أو تابعي وليس صوفياً بالضرورة؟

جـ ـ هل يمكن تجميع تعريفات التصوف التي استعملت كي تطابق رسم الشخصيات لتصبح تعريفات للتصوف أم أنها مجرد عبارات إنشائية فضفاضة؟

د ـ هل يمكن إعطاء غطاء نظري لحوالي سبعمائة علم من سبعمائة تعريف

للتصوف؟ ونظراً لاستحالة ذلك غابت معظم رسوم الأعلام من تعريفات مطابقة للتصوف.

ويبدو أن تدوين التصوف كان متأثراً بتدوين علم الحديث. فالصوفي محدّث ضمن سلسلة الرواة ما دام ينتسب إلى الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.فكما جمعت آثار الرسول تجمع أيضاً آثار الصوفية بنفس طريقة علم الحديث، الرواية. ويظهر الرسول كما يظهر الصوفي في القرون الأولى. وكلما بعد الزمان قل ظهور الرسول وأحاديثه، وزاد ظهور الصوفي وأقواله. والصوفي نفسه موضوع الرواية في أقواله وأفعاله يرويها عنه الآخرون. وتغلب الأفعال على الأقوال أو الحكايات على الأفعال لأنها أكثر قدرة على التعبير عن الخيال الشعبي والإبداع الأدبي، ويُروى الحديث الواحد بأكثر من سند كما هو الحال في علم الحديث، كما يُروى بأكثر من صياغة للمتن سواء في أحاديث الرسول أو في أقوال الصوفية. وتغلب الأسانيد على المتون. فصحة المتن مازالت مشروطة بصحة السند[1]. وكثيراً ما يُحكم على حجة السند بأنه غريب[2]. وبالرغم من أنه غريب أو ضعيف يتم استعماله لأنه يوافق هوى المحدّث ويؤيد مطالبه. فالهدف يتحدد أولاً ثم توجد البراهين على شرعيته من الأحاديث. الكثير من الأحاديث موجهة بآراء الفرق أي التيارات السياسية مثل أحاديث ذم الخصوم من المعتزلة والخوارج والشيعة.

ويستعمل التابعي القرآن والحديث للاستشهاد بهما وليس لرسم شخصية العَلَم كما هو الحال عند الصحابة. فكلما تقدم الزمان وقدم العهد الأول قلّ الرسم وظهر الاسم أي قلّ الوصف وزاد اسم المتصوف، وظهر كعلم مستقل عن علم الحديث.

كتب «الطبقات» إذن لها علاقة بكتب الحديث، هي جماع كتب القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه. خرج التصوف إذن من العلوم النقلية قبل أن يصبح علماً عقلياً نقلياً طبقاً لتصنيف العلوم عند القدماء. ويبدو «حلية الأولياء»

---

(1) من نقد السند إلى نقد المتن، البخاري نموذجاً، الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الخامس، القاهرة، ديسمبر 1996، ص131-243، وأيضاً حصار الزمن حـ3 العلوم (الماضي والمستقبل) ص53-165.

(2) حلية الأولياء حـ1 / 277، حـ2/ 101.

وكأنه إتمام للإصحاحات الخمسة مع تقطيعها وتوزيعها على حوالي سبعمائة فاضل من الصحابة والتابعين ومعهم الصوفية الأوائل. نشأ التصوف على نموذج علم الحديث. وتدوين الأحاديث الصوفية مثل تدوين الأحاديث النبوية. والصوفي أحد الرواة. يروي عن الرسول كما يروي الآخرون عنه. صوفية القرن الأول والثاني مثل الصحابة والتابعين من حيث قرب العهد بزمان النبوة. الصوفية الأوائل محدّثون. والتصوف في بدايته جزء من علم الحديث، والسؤال هو: هل هذه الروايات عن الصوفية صحيحة وموجودة في الإصحاحات الخمسة؟

وبعض الأعلام كلها أحاديث ولا شأن لها بالتصوف حتى المعروفون به مثل سفيان الثوري[1]. ومن ثم، يمكن القول بلا تردد بأن «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» كتاب في الحديث أساساً مثل باقي كتب الأحاديث، الإصحاحات الخمسة والمدونات والأسانيد. ويقوم الصوفي بدور النبي في الرواية عنه والنقل منه بأسانيد. وإذا تغيرت الأسانيد يتكرر المتن دون رعاية لفن التأليف والاختصار وتفادي التكرار. فالصوفي يقتفي أثر النبي في الحديث ورواية الناس عنهما[2].

وفي الأحاديث تظهر روايات الأفعال أكثر من روايات الأقوال مما يسمح بتدخل الخيال في الوصف لإبراز الكرامات. وكثير من الأحاديث القدسية روايات بين الله وأنبيائه بما في ذلك خاتم الأنبياء حتى تفسح المجال للخيال الشعبي والتشبيهات والمبالغات لمزيد من التأثير. لذلك دخلتها «الإسرائيليات». وبدأ الاغتراب بالخروج من الواقع، والتحول من التصوف الأخلاقي إلى التصوف النظري كما تحولت المسيحية الأخلاقية في الأناجيل المتقابلة إلى المسيحية العقائدية عند يوحنا وبولص.

والتوسع في تفصيلات الأحاديث تذهب كليات القرآن وتضيع الأصول في الفروع. وتتشظى الرؤية الكلية في جزئيات مفككة، لذلك تغيب الموضوعات لكثرة الروايات، وتتوه في تعدد الأسانيد لدرجة أن اسم العلم هو مجرد تجميع لمجموعة من الأحاديث حوله راوياً ومحدثاً. وتتوالى الأحاديث تباعاً لدرجة أنه

(1) السابق حـ6/ 387-393، حـ7/ 3-143.

(2) السابق حـ9/ 54.

من الصعب التعرف على موضوعها ومناسبتها. كما أنه من الصعب إيجاد علاقة بين اسم العلم والأحاديث التي تذكر بمناسبته. ومن هنا تبدو أهمية الوعي الموضوعي والانقلاب في الوعي التاريخي من الشخصي إلى القضية، ومن العَلَم إلى الموضوع كما فعل الغزالي في «الإحياء». ونموذج ذلك ما ورد في عبد الرحمن السلمي صاحب «الطبقات». فلا ذكر لمؤلفه ولا لتصوفه بل يكتفي بمجرد ذكر حكايات عنه[1].

ومعظم الأحاديث تركيبات خيالية يدخل فيها كمحاورين الله وجبريل والأنبياء السابقين والملائكة وإبليس والخضر. وكما تستبعد أحاديث الرسول في المنام وحواراته مع الله أو الأنبياء والطبيعة، كذلك تستبعد أقواله قبل البعثة وإن كانت تدل على الطبيعة وهي قرين الوحي. وبعد الموت يسرح الخيال. ومنها ما يبدو في المنام للصحابي الذي يحادثه الرسول في نومه فيروى عنه بعد اليقظة. وإذا كان القرآن به كل شيء فلماذا حضور جبريل المستمر في الأحاديث للتعليم كالقرآن والتذكير عند النسيان والتصحيح حين الخطأ؟ وفي الحكايات تروى كرامات الأولياء كما تروى معجزات الأنبياء مما يثير الخيال ويحقق الأحلام، وروايات الخضر وتأويلاته الباطنية.

وتستعمل الأحاديث كتفسير للآيات. فيقوم الحديث بدور علم التفسير. وتكون الرابطة بين القرآن والتفسير، الحديث تفسير للقرآن. وبالتالي خرج التفسير من علم الحديث، وكما تدخل الخيال الشعبي في الحديث كذلك تدخل في التفسير بتجسيد الآيات حروفاً في الأحاجي كما هو الحال في التصوف الطرقي المتأخر أو أصواتاً لدى الحفاظ والقراء فلا تمسهم النار وكأن قانون الاستحقاق لا وجود له. وهنا يبدو التصوف وكأنه بداية التفسير الروحي الأخلاقي الباطني للقرآن بدلاً من التفسير الفقهي الشرعي الحرفي الظاهري.

وتسود الحجج النقلية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لدرجة أن «حلية الأولياء» لا يفترق عن كتب الأحاديث في شيء إلا إضافة بعض أقوال الصوفية وأفعالهم معها واستئنافاً لها. ونظراً لتحول بعض النصارى إلى الإسلام مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه. فقد استعملوا ثقافاتهم السابقة عن أنبياء بني إسرائيل في

---

(1) السابق حـ4/ 191-198.

فهم الدين الجديد كما فعل بولس مع المسيحية. فظهر ما يسمى بالإسرائيليات. واستشهد بكثير من أقوال الأنبياء السابقين دون مصادر موثوقة أو معروفة ولكنها مرويات شفاهاً أو تدويناً من اليهود والنصارى في المدينة سواء من تحول منهم إلى الإسلام أو من بقي على دينه. وكثير منها حوارات بين الله والأنبياء أو بين الأنبياء والرسول يدونونها بخبراتهم مع أممهم. فالتصوف هو الجامع للأديان والمحقق لوحدتها. وتبرز قصة مريم وقصص داود وسليمان والخليل.

وكلما بعد الزمان عن عصر النبوة قل الحديث. واستند التصوف إلى تفسير القرآن بدلاً من رواية الحديث. ويتم اختيار الأحاديث الخلقية. فالتصوف في بدايته تصوف خلقي. وتختفي أحاديث التصوف النفسي أو التصوف الفلسفي الخاصة بالغيبيات خاصة قصة الإسراء والمعراج، وتتكرر نفس الأحاديث في مناسبات مختلفة[1]. فالأحاديث هي البراهين. وإذا عظمت أهمية الصوفي زادت أقواله وأفعاله، وقلت الآيات والأحاديث كما هو الحال في شخصية مالك بن دنيار[2].

وتغيب التحليلات العقلية أو التجارب الروحية كي تتعادل مع الحجج النقلية، لذلك يبدو التصوف في الوعي التاريخي أقرب إلى العلوم النقلية، القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه، منه إلى العلوم النقلية العقلية كالكلام والفلسفة وأصول الفقه.

وليس من المعقول أن تكون مادة «حلية الأولياء» كلها مجمعة من مصادر شفاهية نظراً لضخامتها. ويذكر أبو نعيم بين الحين والآخر مصادر كتابية لأعمال بعض الصوفية اندثرت في حينها أو مازالت مخطوطة أو لم تكتشفها أيادي المنقبين عن الآثار بعد[3]. إذ يشير أبو نعيم إلى اعتماده على كتب الطبقات السابقة مثل «السلَمي وابن الأعرابي».

وقد يكون الدافع على التأليف داخلياً محضاً، إصلاح التصوف، وتنقيته مما علق به من خرافات وخزعبلات من بين أهله[4].

---

(1) السابق حـ2 / 175 / 188.

(2) السابق ص357-388

(3) السابق حـ1/ 231، حـ5/ 7، حـ6/ 111-115.

(4) «وذلك لما بلغك من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار في كل الأقطار والأمصار، =

ثالثاً: الوعي التاريخي الموضوعي

بالرغم من أن الوعي التاريخي الموضوعي سابق تاريخياً على الوعي التاريخي الخالص إلا أنه من حيث البنية تال له نظراً لبداية انفصال الموضوع الصوفي عن تاريخ الصوفية ابتداء من القرن الخامس في «الإحياء»، وقد تشكل هذا الوعي في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

أ ـ **«اللمع» للطوسي (378هـ)**[1]: وهو أول كتاب في التصوف كطريق أي بنية وليس كتاريخ. ويدل على ذلك اسم «اللمع» أي الكشف. وقد بدأت الكتابة عن التصوف عند الصوفية المؤرخين وليس في التصوف عند الصوفية المبدعين بسبب المشاكل التي أثيرت حول التصوف، والتشنيع الذي وقع على مصطلحاتهم. فبدأ الصوفية المؤرخون تحديد معناه وبيان إشاراتهم وألفاظهم وحقائقهم ومواجيدهم كعينات مختارة وليس كرصد شامل ليتدبر القارئ لعله يكون اختياره[2]. والتصوف رد فعل على ما أثيرت حوله من شبهات وما اقترن بالصوفية

= في المنتسبين إليهم من الفسقة والفجار، والمباحية والحلولية الكفار، وكثير ما حل بالكذبة من الوقيعة والإنكار، بقادح في منقبة البررة الأخيار، وواضع من درجة الصفوة الأبرار، بل في إظهار البراءة من الكذابين والنكير على الخونة الباطلين نزاهة للصادقين ورفعة للمتحققين. ولو لم نكشف عن مخازي المبطلين ومساوئهم، ديانة للزمنا إبانتها وإشاعتها حمية وصيانة. إذ لأسلافنا في التصوف العلم المنشور، والصيت والذكر المشهور»، السابق، حـ4/1.

(1) دار الكتب الحديثة، القاهرة، مكتبة المثني، بغداد1960م-1380هـ.

(2) إني قد استخرت الله تعالى، وجمعت أبواباً في معنى ما ذهب إليه أهل التصوف، وتكلم مشايخهم المتقدمون في معاني علومهم، وعمدة أصولهم، وأساس مذهبهم، وأخبارهم وأشعارهم، ومسائلهم وأجوبتهم، ومقاماتهم وأحوالهم، وما انفردوا به من الإشارات اللطيفة، والعبارات الفصيحة، والألفاظ المشكلة الصحيحة على أولهم، وحقائقهم ومواجيدهم وفصولهم. وذكرت من كل فصل طرفاً، ومن كل أصل طرفاً ونُتفاً، ومن كل باب لمحاً، على حسب ما سنح به الحال، ومكّن به الوقت، وجاد به الحق جل ذكره، مقتدياً بالأسوة والمقدرة، والبيان والحجة. فينظر الناظر فيه عند تيقظ وتنبّه وحضور قلب ومزاج نفسي، بحسن التوقف والتفكير، والتأمل والتدبر، بخلوص وطهارة القلب، وصحة القصد، تقرباً إلى الله تعالى ذكراً، وشاكراً له على منحة من تسديده وتوفيقه وهدايته إلى موالاة هذه العصابة ومناوأة من بسط لسانه فيها بالوقيعة فيهم والإنكار لأنهم العصابة القليل عددها، العظيم عند الله قدرها وخطرها»، السابق ص18

(3) «وينبغي للعاقل في عصرنا هذا أن يعرف شيئاً من أصول هذه العصابة وقصودهم، =

من أدعياء[1]. كثر فيه الخائضون دون علم. وألفوا كتباً مزخرفة بلا مضمون ودون قطع العلائق وإماتة النفوس كما فعل الصوفية الأوائل[2].

ويتكون من مقدمة واثنتي عشر باباً دون ترقيم مما يبين أن تفاصيل الطريق لم تكتشف بعد[3]. ومن حيث أولويات الترتيب تبدو أهمية الأحوال والمقامات باعتبارها أهم موضوع في الطريق. ثم يتحول الطريق إلى تاريخ ابتداء من أهل الصفوة حتى الاقتداء بالرسول واستنباط أهل الصفوة مواقفهم من الرسول ثم الصحابة. ثم يترك التاريخ إلى البنية في وصف آداب التصوف والأشكال الأدبية لكتاباتهم، والسماع والوجد، وإثبات الآيات والكرامات، ثم بيان المشكلات الناشئة عن الألفاظ وتفسير الشطحات.

أما من حيث الأهمية الكمية فتأتي «آداب المتصوفة» في المقدمة مما يدل على أنهم أصبحوا فئة مميزة لهم طريقهم الخاص. ثم الشطحات أي ما يصدر عنهم من أقوال يشنع الناس عليهم بسببها، ثم المقدمة الأولى عن التصوف ومعانيه وحقيقته، ثم ألفاظهم. ثم المقامات والأحوال تأتي في الدرجة الخامسة من حيث الكم بعد أن كانت الأولى من حيث الترتيب، ثم السماع كأحد العوامل المصاحبة للرياضات والمجاهدات، ثم المكاتبات والرسائل وأشكال التدوين، ثم الصحابة

= وطريقة أهل الصحة والفضل منهم حتى يميز بينهم وبين المتشبّهين بهم، والمتلبسين بلبسهم، والمتسميين باسمهم حتى لا يغلط ولا يأثم لأن هذه العصابة أعني الصوفية هم أمناء الله في أرضه....»، اللمع ص18-19.

(1) «إن في زماننا هذا قد كثر الخائضون في علوم هذه الطائفة. وقد كثر أيضاً المتشبهون بأهل التصوف والمسيئون إليها والمجيبون عنها وعن مسائلها. وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخرفه وكلاماً ألفه، وليس بمستحسن منهم ذلك لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا في هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات وينطقوا بهذه الحكم إنما تكلموا بعد قطع العلائق، وإماتة النفوس بالمجاهدات بالرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعتهم عن الله عز وجل طرفة، وقاموا بشرط العلم، ثم عملوا به ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل»، السابق ص19-20.

(2) وهي: 1- الأحوال والقامات. 2- أهل الصفوة في الفهم والاتباع للكتاب. 3- الأسوة والاقتداء برسول الله. 4- المستنبطات 5- الصحابة. 6- آداب المتصوفة. 7- المسائل واختلاف أقاويلهم في الأجوبة. 8- المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل. 9- السماع. 10- الوجد. 11- إثبات الآيات والكرامات. 12- البيان عن المشكلات. 13- تفسير الشطحات والكلمات التي ظاهرها مستشنع.

باعتبارهم من أوائل الصوفية، ثم الكرامات قبل الرسول كقدوة، وأهل الصفوة الذين بدأ منهم الطريق، وأخيراً الوجد[1].

ومن حيث مدى الحضور والإحالة إليه يأتي أصحاب الشطحات أولاً مثل الجنيد والشبلي، ثم التستري صاحب الأقوال المروية، ثم أبو سعيد الخراز. ثم يأتي ذو النون مع الروزباري. ثم يأتي ذكر بعض الصوفية الذين كانوا معروفين في عصرهم عبر التاريخ مثل الواسطي، وجعفر الخلدي، وأبو العباس البغدادي، ويوسف الراوي، والنوري، ورويم البغدادي، وأبو الحسين النوري، والوجيهي، وغيرهم مع الصوفية الذين اشتهروا مثل إبراهيم الخواص، والبسطامي، ويحيى بن معاذ الرازي، وعمر بن عثمان المكي صاحب «قوت القلوب»، وأبو سليمان الداراني، والسري السقطي، وأبو بكر الدقاق شيخ القشيري، وإبراهيم بن أدهم. ومن الصحابة يتصدر عمر ثم علي. ومن الأنبياء يذكر موسى[2].

ويعتمد على القرآن أكثر من الحديث. وتجمع الآيات القرآنية حول موضوع واحد مما يؤكد إمكانية التفسير الموضوعي للقرآن[3]. ويعتمد في مصادره على الروايات لأقوال الصوفية السابقين سواء مدونة في رسائل أو شفاهية[4]. وحذفت الأسانيد من الأخبار للإبقاء على المتون بغية الاختصار[5]. ويُحرص على أمانة

---

(1) الشطحات (103)، آداب المتصوفة (عدد الصفحات) (89)، التصوف (48)، الألفاظ (44)، المقامات والأحوال (40)، السماع (37)، المكاتبات (33)، الصحابة (28)، المسائل والأجوبة (22)، الكرامات (19)، قدوة الرسول (17)، أهل الصفوة (15)، الوجد (15).

(2) الجنيد (138)، الشبلي (74)، التستري (58)، أبو سعيد الخراز (42)، ذو النون، الروزباري (36)، الواسطي (32)، جعفر الخلدي، إبراهيم الخواص (28)، أبو العباس البغدادي (26)، يحيى بن معاذ الرازي (27)، عمر بن عثمان المكي (21)، يوسف الرازي، أبو سليمان الداراني (20)، النوري (18)، السري السقطي (17)، رويم البغدادي (16)، أبو بكر الواسطي، أبو الحسين النوري (15)، أبو محمد الجريري (13)، أبو عبد الله الجلاء (12)، أبو بكر الدقاق، الوجيهي (11)،أبو تراب النخشبي (8)، إبراهيم بن أدهم (7)، وآخرون. ومن الصحابة عمر (14)، علي (11)، ومن الأنبياء يذكر موسى (8).

(3) الآيات (430)، الأحاديث (377).

(4) اللمع ص17.

(5) «وقد حذفت الأسانيد عن كثير مما ذكرت في هذا الكتاب، واقتصرت على متون الأخبار والحكايات والآثار للاختصار»، السابق ص20.

النقل دون زيادة أو تجميل طلباً للجاه عن العامة أو للمذهب عند السلطان[1]. وتبدأ معظم الفقرات بالسؤال المتخيل، «وإن سأل سائل» تمهيدا لعرض الموضوع ومثل «وإن قال قائل» و «إن اعترض معترض». وتدخل بعض الإسرائيليات كشواهد من أقوال الأنبياء مثل زكريا[2].

ب ـ **«قوت القلوب» لأبي طالب المكي (386هـ)**[3]: ولا يظهر فيه الوعي التاريخي كما يظهر في «اللمع» للطوسي، ولا الحديث عن الصوفية كفرقة ومقارنتها بالفرق الأخرى، متكلمين وفقهاء. ومع ذلك، يعتمد على تجميع أقوال السابقين دون تنظيرها. به أخبار دون رؤى، وروايات دون نسق، ومادة تاريخية دون وعي تاريخي. يختفي منه الجدل مع الخصوم، الفقهاء أو الصوفية المزيفين. والتنظير الوحيد هو القسمة، قسمة الموضوع كالتوبة أو الأشخاص كالتائبين. والقسمة أولى درجات التعريف. ولا يذكر سبب التأليف بل تأتي الموضوعات مباشرة بعد الحمدلات والبسملات[4].

ويبنى علم التصوف ابتداء من الفقه في تقابل الباطن والظاهر كما يبدو في العنوان المطول «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد»، وتغلب الموضوعات الفقهية على أكثر من نصف الكتاب من حيث الكم أو من حيث عدد الفصول. ومن العنوان يتضح أن التصوف علم القلوب وليس علم الجوارح. وهو طريق إلى الله بين المحب والمحبوب. وهو طريق المريد إلى مقام التوحيد.

يخلو من البنية. إنما يضم ثمانية وأربعين فصلاً. تتفاوت كمًا. أكبرها المقامات والأحوال التي تشمل نحو ثلث الكتاب مما يدل على أن المقامات

(1) «وكل من أخذ من كلام المتقدمين الذين وصفناهم معنى من معانيهم التي هي أحوالهم ووجدهم ومستنبطاتهم، وحلاّها من عنده بحلية غير ذلك أو كساها عبارة أخرى أو أضافها إلى نفسه حتى يشار إليه بذلك أو يطلب بذلك جاهاً عند العامة أو يريد أن يصرف بذلك وجوه الناس إليه لجر منفعة أو لدفع مضرة فقد ترك الأمانة وعمل بالخيانة»، السابق ص20.

(2) السابق ص77.

(3) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة1961م–1381هـ.

(4) ومثل «الفتح الرباني» للجيلاني.

والأحوال هو قلب العلم[1]. ويتلوها العلم مما يدل على أن التصوف هو أساساً نظرية في العلم[2]. ويسردها المؤلف في مقدمة الكتاب[3].

يعتمد على الحجج النقلية والشواهد التاريخية أكثر من اعتماده على التنظير العقلي أو تحليل التجارب المعاشة، ويعتمد على القرآن ثم الحديث ثم الشعر[4]. ومن ثم فهو يعتبر ردة عن المؤلفات الصوفية الخلقية السابقة عند رابعة والحسن والترمذي والمحاسبي وأبي سعيد الخراز وأصحاب الشطحات الحلاج والبسطامي والشبلي وأصحاب المواقف والمخاطبات والإشارات والفصول والمواعظ، بل إن فصولا بأكملها مخصصة للأدلة النقلية[5]. وهو مجرد رصد دون أدنى تفسير أو تأويل أو تحليل نظري لتجربة إنسانية خارج النص. ويزداد التنظير في موضوعات التصوف الصرفة مثل المقامات والأحوال والعلم. وتظهر القسمة العقلية بجوار الأدلة النقلية من الآيات والأحاديث والمرويات عن الصحابة والتابعين والصوفية[6]. ومن الوافد يذكر قول بقراط الفيلسوف الدواء من فوق، والداء من تحت[7]. كما يذكر الحكماء والحكيم، والفلاسفة والفيلسوف وأهل الطب والأدباء.

ويقل الاعتماد على السند لصالح المتن. يكفي أن يقال «وفي الخبر» أو «وفي الحديث»، كما يقال «روينا»، «روي»، وقد يجمع بين الخبر والرواية في

---

(1) المقامات والأحوال 348ص، من مجموع الجزئين1154ص.

(2) العلم (102)، دعائم الإسلام الخمس (86)، الغش والتجارة (49)، الأخوة في الله (47)، التزويج (40)، الإسلام والإيمان (32)، الخواطر، الأطعمة (31)، الإسلام و الإيمان (32)، ترتيب الأقوات (18)، الفقر (25)، الكبائر والحلال والحرام (23)، أهل السنة (21)، صلاة الجمعة (20)، المراقبة (19)، التلاوة (13)، حكم الإمام (102)، اليقظة والانتباه، المريدون (12)، محاسبة النفس (11)، أوراد النهار، تقسيم الليل والنوم (10)، الصلاة في الأيام والليالي، التسبيح (9)، الزوال، الظلام، النوم (7)، الخ. . . .

(3) قوت القلوب حـ1، ص3-7.

(4) الآيات (2950)، الأحاديث (1360)، الأشعار (336).

(5) الفصل الأول: في ذكر الآي التي فيها ذكر المعاملة، قوت القلوب حـ1، ص8-9. الفصل الثاني: في ذكر الآي التي فيها أوراد الليل والنهار، السابق ص9-10.

(6) «وفي هذه المعاني دقائق العلوم وغرائب الفهوم وأدلة للسائلين وعبرة وآيات للعالمين. فأما شر الشرين ومعرفة الخير من الشر فهو معروف بأدلة العقول وظاهر العلوم»، السابق ص193.

(7) السابق ص189.

«وقد روينا في الخبر»، كما يورد الأثر دون نسبة إلى صاحبه. يكتفي بذكر «بعض العلماء أو بعض العارفين، وبعضهم. وقد يحال إلى الأثر دون تحديد أثر من؟ وتكثر الأحاديث القدسية التي لا سند لها مثل أحاديث جبريل مع الرسول التي لا سند لها، ولم يسمعها أحد سواه، وأحاديث الله مع الملائكة، وحديث الملائكة مع بعضهم البعض، وحديث الكل مع الشيطان. وقد يكون الله نفسه هو الذي يتحدث دون محاور[1]. وقد خصص أبو طالب المكي آخر باب في كتاب العلم إلى منهجه في الرواية وتفضيل الأخبار، وترجيح بعضها على البعض، والترخص والتوسع في النقل، والرواة الثقاة من الصحابة مع تعديلهم. ويعترف باستعمال الأحاديث المرسلة والمقطوعة والمحتملة التي لا يوجد يقين على بطلانها والضعيفة المتفقة مع القرآن، والتعبد بحسن الظن، وترجيح الحديث الضعيف على الرأي والقياس[2]. وقد تستعمل الأخبار المقطوعة والمشهورة والمرسلة. وقد يُبنى الفعل للمجهول في صيغة «قيل» تجنبا لذكر المصدر[3].

وتستعمل أمثال العرب وعاداتهم مثل كراهية العرب وضع الشيء في أكفها لعزة نفوسها[4]. كما تُستعمل فنون كلام العرب ووجوه بلاغتهم، التطويل للبيان، والاختصار للحفظ، والمقدم والمؤخر للتحسين[5]. وتكثر الإسرائيليات والمرويات من أنبياء بني إسرائيل وغالبها روايات أخلاقية روحية صوفية[6]. وتذكر الإسرائيليات صراحة أو الخبر الإسرائيلي. وتأتي في المقدمة أخبار داود وسليمان يعقوب ويوسف وأيوب ولقمان، وقول لقمان لابنه بناء على النموذج القرآني، ودعاء إدريس، وقصة يوسف وزليخا الذين تزوجا ثم تصوفت زليخا وتذكر نصوص من التوراة والإنجيل. ويُروى عن موسى وعيسى. ويذكر اشتقاق لفظ

(1) قوت القلوب حـ1/ 68/ 82/ 357/ 371/ 456، حـ2/ 120.

(2) تفضيل الأخبار، وبيان طرق الإرشاد، وذكر الرخصة والسعة في النقل والرواية، السابق حـ1/ 359-364.

(3) وفي الخبر (100)، رُوي (103)، وقد روينا في الخبر (3)، الأثر (33)، المقطوع (13)، قيل (3)،

(4) مثل «يوم الرجم يضرب فيه عبد السوء»، قوت القلوب حـ1/ 55ـ حـ2/ 147.

(5) السابق ص 118.

(6) الإسرائيليات (14، الأنبياء (44)، نصوص التوراة (3)، كعب الأحبار (2).

المسيح من مسح أي طوى الأرض فهو ماسح ثم مسيح أو ممسوح العين أي مطموسها، وأحاديث كعب الأحبار للصحابة.

ومن الطوائف يتقدم أهل السنة. ثم تتداخل الفرق الكلامية مثل المعتزلة والمتكلمين مع الفرق غير الإسلامية كالنصارى مع الفرق الصوفية كالسيارية، وأهل الصفة، والجنيدية، والحلاجية، والخرازية، والسهيلية والطيفورية، والمحاسبية والنورية، والخفيفية، والقصارية، وأسماء بعض الفرق المشتقة من مذاهبها كالحلولية، وأهل الإلهام، والملاحدة، والحشوية، والمشبهة، والقدرية[1]. ويظهر فيه كثرة الاستشهاد بالأشاعرة والشافعية. وهما عقيدة السنة في التوحيد وفي الفقه. كما يعتمد على المتكلمين قدر اعتماده على الفقهاء.

ولا يظهر فيه الوافد اليوناني أو الروماني غرباً أو الفارسي والهندي شرقاً مما يدل على المصدر الداخلي للتصوف الإسلامي في البيئة التي أفرزته وكرد فعل على التكالب على الجاه والثروة، السلطة والمال ثم تبرير ذلك بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين. يذكر فقط «بعض الحكماء»، «فيلسوف من الحكماء»[2]. وقد ذكر أرسطو طاليس مرة في حكاية مع خادمه لطلب أحد العامة من سواد الناس لأنه يأكل بعد الجوع ويرفع بعد الشبع، ويتقلل بين ذلك[3]. كما يذكر قول جالينوس عندما سئل عن الإقلال من الطعام «غرضي من الطعام أن آكل لأحيا، وغرض غيري من الطعام أن يحيا ليأكل»، وهو ما أخذه موليير في مسرحية «البخيل»: يجب أن آكل لأعيش لا أعيش لآكل. كما يذكر قول ثياذوق الطبيب أن اللحم فوق اللحم يقتل البرية.

حـ - «كشف المحجوب» للهجويري (ت465هـ)[4]: ويتناول الصوفية كفرقة

---

(1) أهل السنة (23)، الملاحدة (17)، المعتزلة (14)، الحشوية، المشبهة (6)، الحلولية، النصاري المتكلمون (5)، أرباب اللسان، الحكيمية، السيارية، أهل الصفة (4)، الجنيدية، الحلاجيون، الخرازية، السهلية، الطيفورية، القدرية، المحاسبية، النورية، الخفيفية (3)، أهل الإلهام، القصارية (2).

(2) بعض الحكماء، قوت القلوب حـ1/ 289/ 323/ 355/ 425، فيلسوف من الحكماء حـ1/ 205.

(3) السابق حـ2/ 369/ 392/ 293.

(4) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة1974م-1394هـ (جزءان).

بين الموضوع والفرقة، بين إثبات العلم والفقر والتصوف من ناحية ولبس المرقعة، والصفوة، و الصفة، والملامة، والأئمة من الصحابة وآل البيت والتابعين والأنصار من المتقدمين والمتأخرين من ناحية أخرى. ميزته أنه انتقل من أسماء الأعلام إلى الفرقة ثم بزوغ الموضوع من خلال الفرقة. والكتاب أيضاً إجابة على سؤال سائل؟[1]. والسؤال يدل على حاجة إلى المعرفة وأزمة في العصر وإن لم يتم التأليف بناء على طلب أو سؤال من صديق فإنه يتم بناء على استخارة، بناء على أغراض في النفس تتحقق[2]. وقد وضع المؤلف اسمه على الكتاب لسببين يرجعان إلى الخاصة والعامة. فعندما يعرف الخاصة مؤلف الكتاب ويعلمون أنه من أهل الصناعة يقبلون عليه، وهو المراد. ويأخذونه مآخذ الجد وهو المقصود. أما العامة فإنهم ينسبون الكتاب إلى أنفسهم إن كان مجهول المؤلف وهو ما حدث من قبل عند محو اسمه من كتاب آخر في التصوف هو «منهاج الدين»[3].

وتكشف الإجابة عن رد فعل على أزمة العصر بإتباع الأهواء والأغراض عن طريق الصفاء، وتحول العلماء إلى أدعياء باستثناء خاصة من الصفوة وهم أهل الحق. انقلب العلم إلى أقوال، والحقائق إلى كلام، والتحقيق إلى تقليد. وقبل العوام ذلك جهلاً. فهم متصورون أنه الحق. وآثر الخواص إبقاء التمني في قلوبهم وشوقهم إلى الرؤية، وحرقة المحبة. وقد ألف الهجويري كتباً أخرى في هذا المعنى ضاعت واندثرت حسداً من الناس. تركها البعض ولم يفهمها البعض الآخر[4]. وكل من يؤلمه شيء

(1) وهو أبو سعيد الهجويري سائلاً: «بيّن لي على التحقيق طريقة التصوف، وكيفية مقامات الصوفية ومذاهبهم وأقوالهم. وأظهر لي رموزهم وإشاراتهم، وكيف تكون محبتهم لله عز وجل، وكيفيه إظهارها على القلوب؟ وما السبب في حجاب العقول عن كنهها وماهيتها، ونفرة النفس من حقيقتها، وسكينة الروح إلى صفوتها، وما ينطلق بهذا من المعاملات؟»، السابق حـ1/ 197؟

(2) سلكت طريق الاستخارة، ومحوت من قلبي الأغراض التي كانت ترجع إلى النفس. وقمت بحكم ما دعوتني إليه. وعزمت تمام العزم على إتمام مرادك من هذا الكتاب. وأسميت هذا الكتاب «كشف المحجوب»، السابق حـ1/ 191-192.

(3) السابق ص192.

(4) «أعلمك أن هذا العلم قد اندثر في الحقيقة في زماننا هذا، وبخاصة في هذه الديار. حيث انشغل الخلق بأهوائهم، وأعرضوا عن طريق الرضا. وقد بدت لعلماء هذا العصر وأدعياء هذا الوقت صورة لهذه الطريقة على خلاف أصلها. فاستحضر همتك لأمر قصرت عنه أيدي =

رآه فيما يقرأ[1]. وقد فعل الجهال نفس الشيء بكتب المشايخ التي لم يفهموها. وقارنوها بدواوين الشعراء ورسائل الكتاب[2]. كما انقلب فهم الشريعة، وسُمي كلّ هوىً فقهاً، وطلب الجاه والرياسة عزاً وعلماً، ورياء الخلق خشية، والجدال مناظرة، والسفاهة عظمة، والنفاق زهدا، وآفة أهل الزمان معاملة[3].

وشرط التأليف هو تخليص النفس من الأهواء. فالأخلاق شرط المعرفة. وصفاء الضمير شرط البحث. فالعلم شعوري. والشعور النبيل قادر على رؤية المعنى. وحسن النية شرط العلم[4]. والقصد من العنوان «كشف المحجوب» أن بين الكتاب ما غمض على الناس وما ستر عنهم. والحجاب نوعان «الحجاب الريني» ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾. وهو ينكشف مثل الطبع والختم والخذلان. و«الحجاب الغيني» وهو ما قد ينكشف لأنه صفة متغيرة[5].

يتكون من أربعة عشر باباً، أكبرها الرابع عشر في الفرق بين فرقهم ومذاهبهم ومقاماتهم أو حكاياتهم. وهو أكثر من ثلاثة أخماس الكتاب. ثم يتلوه «في ذكر رجال الصوفية من المتأخرين من أهل البلدان» أي أسماء الأعلام ثم تعريف التصوف ولبس المرقعة، ثم إثبات العلم وتعريف التصوف، ثم ذكر أئمتهم من

= أهل هذا الزمان وأسرارهم.... وعجز الأدعياء بدعواهم عن كل المعاني، وكشف المريدون عن المجاهدة، وسموا ظنهم المطول مشاهدة». السابق ص197.

(1) فكل من في فؤاده وجع — يطلب شيئاً يوافق الوجعا
السابق ص198.

(2) مثل أبي نواس والجاحظ، السابق 198.

(3) «وقد أوجدنا الله عز وجل في زمان أسمى أهله الهوى شريعة، وطلب الجاه والرياسة والتكبر عزاً وعلماً، ورياء الخلق خشية، وإخفاء الحفيظة في القلوب حلماً، والمجادلة مناظرة، والمحاربة والسفاهة عظمة، والنفاق زهداً، والتمني إرادة، وهذيان الطبع معرفة، وحركات القلب وحديث النفس محبة، والإلحاد فقراً، والجحود صفوة، والزندقة خفاء، وترك شريعة النبي طريقة. وأسموا آفة أهل الزمان معاملة حتى احتجب أرباب المعاني بينهم على حين صارت الغلبة لهم..... وكما قال الواسطي: ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام ولا أخلاق الجاهلية ولا أحكام ذوق المروءة»، السابق جـ1/ 199.

(4) السابق حـ1/ 192-193.

(5) السابق ص194، وهي تفرقة الجنيد «الرين من جملة الوطنات، والغين من جملة الخطرات. الوطن باق، والخطر طارئ»، السابق ص194.

آل البيت ومن الصحابة والملامتية، وأخيراً أهل الصفة والأنصار[1].

ونظراً لطول الباب الرابع عشر الذي يصل حجمه إلى أكثر من نصف الكتاب فقد قسم إلى قسمين[2]. الأول عن فرق الصوفية وهي أشبه بالفرق الكلامية وليس بالطرق الصوفية[3]. وهم اثنا عشرة فرقة، الحادية عشر والثانية عشر في فرقة واحدة، وهي «المحاسبية (المحاسبي)، والقصارية (حمدون القصار)، الطيفورية (البسطامي)، الجنيدية (الجنيد)، النورية (أبو الحسن النوري)، السهلية (التستري)، الحكيمية (الترمذي)، الخرازية (أبو سهيل الخراز)، الخفيفية (محمد ابن خفيف)، السيارية (أبو العباس السياري)، الحلولية (أبو حلمان الدمشقي، الحلاج). وأكبرهم حجماً في التناول الحكيمية. وبالتالي تحولت بعض أسماء الأعلام إلى فرق مشتقة منها كما هو الحال في علم الكلام. والثاني وهو أطول حجماً من الأول عن كشف الحجب، وهو موضوع عنوان الكتاب[4]. وهي إحدي عشر حجاباً[5]. أكبرها في الصحبة مع آدابها وأحكامها، ثم السماع، ثم منطقهم وحدود ألفاظهم وحقائقهم ومعانيهم»[6].

ويعتمد الكتاب على تاريخ الصوفية. فمن أسماء الأعلام يأتي في المقدمة الرسول ثم الجنيد ثم البسطامي ثم السبكي. ويتداخل الأنبياء مثل إبراهيم وآدم

---

(1) 1-إثبات العلم (12ص) 2- الفقر (12) 3- التصوف (12) 4- لبس المرقعة (14) 5- اختلافهم في الفقر والصفوة (4) 6- بيان الملامة (8) 7- ذكر أئمتهم من الصحابة (8) 8- ذكر أهل الصفوة (6) 9- ذكر أئمتهم من التابعين والأنصار (6) 10- ذكر أئمتهم من أتباع التابعين إلى يومنا هذا (8) 11- ذكر أئمتهم من المتأخرين (12) 12-ذكر رجال الصوفية من المتأخرين من أهل البلدان (16) 13- الفرق بين فرقهم ومذاهبهم ومقاماتهم وحكاياتهم (294).

(2) يمثل الباب الرابع عشر الجزء الثاني من الكتاب «كشف المحجوب»، ص403-668.

(3) السابق ص403-508 106ص.

(4) هي على الترتيب الكمي الحكيمية (31)، السهلية (16)، المحاسبية، الخرازية، السيارية، الحلولية (8)، الطيفورية، النورية (6)، الخفيفية (5)، القصارية، الجنيدية (1).

(5) السابق ص509-668= 159ص.

(6) كشف الحجاب الأول: معرفة الله تعالى (10ص)، الثاني التوحيد (8)، الثالث: الإيمان (5)، الرابع: الطهارة (10)، الخامس الصلاة (16)، السادس: الزكاة (7)، السابع: الصوم (8)، الثامن: الحج (8)، التاسع: الصحبة مع آدابها وأحكامها (33)، العاشر: بيان منطقهم وحدود ألفاظهم وحقائق معانيهم (25)، الحادي عشر: السماع (29).

وموسى والخلفاء مثل عمر وعلي وأبي بكر، وذو النون والحلاج والخواص. ويتداخل جبريل مع المحاسبي ويحيى بن معاذ وإبراهيم بن أدهم والترمذي والخراز[1]. وينتشرون على مختلف البقاع الإسلامية في الحجاز وخراسان والعراق ومصر والهند[2]. ولأول مرة يتم تجميع الأعلام تحت مجموعات غير أهل الصفة والصحابيات في سبع مجموعات: الصحابة، أهل البيت، أهل الصفة، التابعون والأنصار، أتباع التابعين حتى اليوم، الصوفية المتأخرون في البلدان[3]. وهم

(1) محمد رسول الله (181)، الجنيد (75)، البسطامي (39) السبكي (37). إبراهيم الخليل (31)، الهجويري (28)، عمر بن الخطاب (27)، ذو النون، والتستري (24)، آدم وموسى (22)، الحلاج (17)، إبراهيم الخواص، على بن أبي طالب، أحمد بن محمد النوري، جبريل (16)، المحاسبي، محمد بن حسن القبلي، أبو بكر (15)، يحيى بن معاذ، إبراهيم بن أدهم (13)، الترمذي (12)، أبو سعيد الخراز، داود، يوسف، علي ابن إبراهيم، الفضيل بن عياض (11)، عيسى (9)، الواسطي، بشر الحافي، خسرو شاه، ابن مسروق، العشري، المكي (8)، عمرو بن عثمان المكي، الترمذي (7)، أبو سعيد ابن أبي الخير، زليخا، النساج (6)، الكرماني، بلال، رويم بن أحمد، سلمان الفارسي (5)، أحمد بن حنبل (4)، حمدون القصار (10)، ابن عطاء، الحسن البصري، داود الطائي، السري السقطي.

(2) مكة (28)، خراسان (17)، بغداد (15)، نيسابور (12)، الكوْفة (11)، العراق، مرو (9)، بلخ، مصر (15)، الهند ما وراء النهر، الشام، المدينة (5)، البصرة، دمشق، سرخس، غزنة، منى (4)، أذربيجان، دجلة، فارس، كربلاء، كريمان (3)، أصفهان، طبرستان، ميهنة (2).

(3) أ- الصحابة: أبو بكر، عمر، عثمان، علي (4). ب- أئمة آل البيت: الحسن، الحسين، علي بن الحسين، جعفر، محمد (5). جـ-أهل الصفوة: بلال، سلمان، أبو عبيدة بن الجراح، عمار بن ياسر، عبد الله بن مسعود، عتبة، المقداد، خباب، صهيب، عتبة، زيد بن الخطاب، أبو كبشة، أبو مرقد، سالم، عكاشة، مسعود، عبد الله بن عمر، أبو ذر، صفوان، أبو الدرداء، عبد الله بن بدر، أبو لبابة (22).
جـ-الأئمة التابعين والأنصار: أويس، هرم بن حيان، الحسن البصري، سعيد بن المسيب (4).
هـ- الأئمة من أتباع التابعين: حبيب، مالك بن دنيار، أبو حاتم، أبو حازم، محمد بن واسع، أبو حنيفة، عبد الله بن المبارك، ابن عياض، ذو النون، إبراهيم بن أدهم، بشر الحافي، البسطامي، المحاسبي، الطائي، السري السقطي، الأزدي، أبو سليمان الداراني، الأصم، الشافعي، ابن حنبل، البلخي، النخشبي، يحيى بن معاذ، النَيسابوري، النوري، الخواص، الكرماني، المكي، التستري، البلخي، الترمذي، الوراق، الخراز، مسروق، الآدمي، الحلاج، الخواص، الواسطي، الشبلي، السياري (64). =

موزعون على الشام والعراق، وفارس، وأذربيجان، وكرمان، وخراسان، وما وراء النهر، وغزنين. ومجموع الأعلام حوالي مائة وخمسون، وهي مجموعات متتالية في الزمان أو متباعدة في المكان، معظمهم في المشرق.

وتتعادل الأدلة النقلية مع نقل الأقوال والأفعال[1]. ولا توجد أسانيد للحديث على عكس كتب الطبقات الشبيهة بكتب الحديث مثل السلمي والأصفهاني. ويعتمد «كشف المحجوب» على مصادر مدونة[2]. أهمها باقي مؤلفات الهجويري ثم الحكيم الترمذي ثم عبد الرحمن السلمي[3]. وتذكر مؤلفات البلخي والمحاسبي ثم الجنيد ورويم والكرماني والطوسي، ثم السياري والأصفهاني، وتصانيف أخرى للسياري والقشيري وأبي عمرو بن عثمان المكي وغيرهم[4].

د ـ الرسالة القشيرية في علم التصوف «للقشيري» (465هـ)[5]: نسبتها إلى مؤلفها عبد الكريم القشيري مثل «الرسالة» للشافعي. وتعتبر آخر ما وصل إليه

= و- الأئمة من المتأخرين: القصاب، الدقاق، الخرقاني، الداستاني، الميهني، الختلي، القشيري، الشقاقي، الجرماني، ابن حمدان (10).
ز- الصوفية المتأخرون من أهل البلدان: الشام والعراق (3)، فارس (5)، قهستان، أذربيجان، طبرستان، قومدس (8)، كرمان (2)، خراسان (10)، ما وراء النهر (5)، غزنين (7)، المجموع 149 علماً.

(1) الآيات (230)، الأحاديث (136)، الأشعار العربية (30)، الشعر الفارسي (1).

(2) بلغت 28 مصدرا.

(3) باقي مؤلفات الهجويري: أسرار الخرق والملونات، بحر القلوب، البيان لأهل العيان، الرعاية لحقوق الله، الفناء والبقاء، كتاب في شرح كلام الحسين بن منصور الحلاج، منهاج الدين.
أ- مؤلفات الترمذي: بيان آداب المريدين، تاريخ المشايخ، التفسير، ختم الولاية، المنهج، نوادر الأصول.
ب- مؤلفات السلمي: تاريخ أهل الصفة، كتاب السماع، طبقات الصوفية.
جـ- الرعاية لحقوق الله لأحمد بن خضروية البلخي، الرعاية لحقوق الله للمحاسبي، (3)، تصحيح الإرادة للجنيد، حكايات العراقيين، غلط الواجدين لأبي محمد رويم أحمد، اللمع للطوسي، مرآة الحكماء لشاة بن شجاع الكرماني، المرقعة لأبي محمد الأصفهاني (2).

(4) تصانيف أبي جعفر محمد بن المصباح الصيدلاني، رسائل أبي العباس السياري، الرسالة القشيرية، كتاب المحبة لعمرو بن عثمان المكي.

(5) مكتبة صبيح، القاهرة (د.ت).

الوعي التاريخي الموضوعي. فقد جمعت بين الوعي التاريخي الخالص في الجزء الأول منها أسوة بكتب «الطبقات» عند السلمي والأصفهاني. ويضم ثلاثاً وثمانين صوفياً في أقل من ثمن الكتاب مما يدل على تقلص الوعي التاريخي لحساب الوعي الموضوعي. وكلهم صغار الحجم أشبه بشريط سينمائي. لقطات صغيرة تكون الوعي التاريخي المتقطع من خلال الشخصيات دون رؤية قانون تاريخي أو مسار وعي أو أي انحناء فيه أو دلالة له. ومعظمهم من صوفية القرنين الثالث والرابع، والترتيب زماني يبدأ من منتصف القرن الثالث (ذو النون المصري ت245هـ) حتى منتصف القرن الرابع (الروزباري ت369هـ)[1]. وبالرغم من أن الكتاب يعبر عن الوعي التاريخي الموضوعي إلا أن الدافع على التأليف هو تصحيح صورة الصوفية في الذهن الشعبي وبأنهم لم يخرجوا على عقيدة التوحيد، ولا انحرفوا عن أصول العقائد[2].

والدافع على التأليف أيضاً داخلي وهو اندثار التصوف، وسوء أحوال الطريقة، لا شيوخ ولا مريدين، ولا طريق ورع وفضل بل زاد الطمع وخرق الشريعة والفتور بالنسبة إلى الدين. قلت العبادات. وزادت رفقة الصبية والنساء وأصحاب الجاه والسلطان. وانتشر التحلل من الشريعة باسم الوصول والولاية والتحقق بالحقائق والمحبة فلا عتاب ولا حساب. وكانت النتيجة إسقاط التدبير والاعتذار بأن الله هو فاعل كل شيء[3]. وبعد عرض الأعلام الثلاث وثمانين

---

(1) باب في ذكر مشايخ هذه الطريقة وما يدل من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة، القشيرية ص7-31=24ص.

(2) باب في اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول، القشيرية ص3-7، «فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه» السابق ص2.

(3) «إن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم. ولم يبث في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم كما قيل.

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأري نساء الحي غير نسائها

حصلت الفترة في هذه الطريقة بل اندرست، «السابق ص2». بالحقيقة مضي الشيوخ الذين كانوا لهم اهتداء، وقل الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء. وزال الورع، وطوي بساطه، واشتد الطمع وقوي رباطه. وارتجل عن القلوب حرمة الشريعة. فعدّوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة. ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودنوا بترك الاحترام، وطرح الاحتشام. واستخفوا بآداء العبادات. واستهانوا بالصوم والصلاة. وركضوا في ميدان =

يتحقق الغرض وهو إثبات أنهم جميعاً في أقوالهم وأفعالهم متسقون مع أحكام الشريعة[1]. ويخصص جزء ولو قصير للمشايخ المعاصرين للمؤلف الذي عاشرهم واختبرهم وعايشهم ولم يعتمد في معرفتهم على الروايات[2]. ويمنع الإيجاز عن الإطالة في عرض أفعال كل واحد منهم وأقوالهم وقد بلغوا العشرات.

والأبواب التالية تتوالى تباعاً ابتداء من التوبة[3]. اثنان وخمسون باباً تصغر حجماً باستثناء الأبواب الأربعة الأخيرة: السماع، وكرامات الأولياء، ورؤيا النوم، ووصية المريدين[4]. ومع ذلك يبدء إبراهيم بن أدهم مما يدل على مدى أهميته

= الفضلات. وركنوا إلى اتباع الشهوات وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوقه والنسوان وأصحاب السلطان. ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال. وادعوا أنهم تحرروا عن رق الانحلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم قائمون بالحق، تجري عليهم أحكامه وهم محو. وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يزرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا، والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا بل صرفوا. ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوحت ببعض من هذه القصة، وكنت لا أبسط إلى هذه الغاية لسان الإنكار غيره على هذه الطريقة أن يذكر أهلها بسوء أو يجد مخالف لقلبهم مساغا إذ البلوى في هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة والمنكرين عليها شديدة. ولما كنت أؤمل من مادة هذه الفترة أن تنحسم، ولعل الله سبحانه يجود بلطفه في التنبيه لمن حاد عن السنة المثلى في تضييع آداب هذه الطريقة، ولما أبى الوقت إلا استصعاباً، وأكثر أهل العصر بهذه الديار إلا تمادياً فيما اعتادوه واغتراراً بما ارتادوه، وأشفقت على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر على هذه الجملة بنى قواعده وعلى هذا النحو سار سلفه. . . .هذه الرسالة. . . لتكون لمريدي هذه الطريقة قوة ومنكم لي بتصحيحها شهادة. ولي في نشر الشكوى سلوة. .»، القشيرية ص2-3.

(1) «كان الغرض من ذكرهم في هذا الموضوع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة، متفقون بسلوك طرق الرياضة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آداب الديانة، متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات، ولم يبين أمره على أساس الورع والتقوى، وكان مفترياً على الله سبحانه وتعالى فيما يدعيه، مفتوناً هلك في نفسه وأهلك من اغتر به ممن ركن إلى أباطيله. . . . . .»، السابق، ص30.

(2) «فأما المشايخ الذين أدركناهم وعاصرناهم وإن لم يتفق لنا لقاهم، فهم الدقاق، والسلمي. . . . . «الخ، القشيرية، ص30-31.

(3) السابق ص45-151.

(4) السابق ص151-186.

وحياته كأمير ترك الإمارة من أجل أن يتصوف ويصبح راهباً بالصحراء مثل بوذا. يتلوه ذو النون المصري، والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والبشر الحافي، والمحاسبي، والطائي، والبلخي، والبسطامي، والتستري، والداراني، ويحيى بن معاذ، والنخشبي، والقصار، والجنيد، والنوري، ورويم، والمكي، والشبلي وآخرون غيرهم. وكُلهم من مشاهير الصوفية في القرنين الثالث والرابع، وليس فقط الفضلاء والأصفياء كما فعل السلمي والأصفهاني من قبل.

وترسم الشخصيات بطريقة مبسطة للغاية مجرد أخبار قصيرة عن الشخص خاصة أفعاله دون أقواله، وحكايات عن كراماته وشعبيته. لم يكن المقصود جمع الأقوال بل رسم الشخصيات لبيان مدى اتفاقها مع الشرع وآداب السلوك. وبعد رسم الشخصية، حياته وأفعاله تُذكر مختارات من الأقوال. وأحيانا يذكر تاريخ الوفاة ومكان الولادة والوفاة والإقامة، كما تذكر علاقته بالحكام، بالخلفاء والأمراء وبباقي الصوفية المعاصرين له وشيوخه وتلاميذه ومريده وأقربائه من الصوفية. فأحيانا يبدو التصوف مرهوناً بالعائلات.

والباب الثاني الانتقال من الوعي التاريخي الخالص إلى الوعي الموضوعي اللغوي، ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم. فالعلم لغة، واللغة مصطلحات[1]. ومعظمها تدل على الأحوال، وهي حوالي سبعة وعشرين لفظاً. منها الأحادي، ومنها الثنائي، ومنها الثلاثي، واللفظ الأحادي معظمها مفرد إلا لفظ «الخواطر»[2]. واللفظ الثنائي يعبر عن الأحوال. وهي ليست بالضرورة على التضاد مثل الذوق والشرب، والبواده والهجوم، والتكوين والتمكين[3]. واللفظ الثلاثي بين المراحل الثلاث[4]. واللفظ

(1) «باب في تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها»، السابق ص31-45.

(2) الألفاظ الأحادية مثل: الوقت، المقام، الحال، النَفَس، الخواطر، الوارد، الشاهد، النفْس، الروح، السر (10).

(3) الألفاظ الثنائية: القبض والبسط، الهيبة والأنس، الجمع والفرق، الفناء والبقاء، الغيبة والحضور، الصحو والسكر، الذوق والشرب، المحو والإثبات، الستر والتجلي، البوادي والهجوم، التلوين والتمكين، القرب والبعد (12).

(4) اللفظ الثلاثي: التواجد والوجد والوجود، اللوائح والطوالع واللوامع، الشريعة والحقيقة والطريقة، علم اليقين وعين اليقين، وحق اليقين.

الرباعي لفظ ثنائي مزدوج مثل المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والمعاينة، وليست بالضرورة على التضاد[1].

وفي غياب طبعات علمية حديثة مزودة بفهارس الأعلام، والآيات والأحاديث والآثار والأماكن، يصعب تحليل مضمون الرسالة، ومع ذلك تكثر الآيات لتدعيم أقوال الصوفي وكراماته وكأن حياته تأويل للقرآن كما كانت حياة الرسول. وتكثر أحاديث الرسول في المنام لصعوبة وجود سند صحيح بين الرواة وكما قال ابن عربي فيما بعد «عن قلبي عن ربي بأنه قال» أو «تأخذون علومكم من ميت عن ميت، ونأخذ علومنا من الحي الذي لا يموت». وتكثر الأحاديث القدسية المملوءة بالخيالات والصور الفنية مثل أحاديث الإسراء والمعراج. وتكثر الأحاديث المباشرة بين الله والرسول بالإضافة إلى الأحاديث القدسية التي يختمها جبريل. ومن ثم تتفاوت مستويات الحديث بين الحديث الذي يتناقله الرواة الأحياء، وأحاديث الرسول في المنام عند الصوفية، والرؤية الصادقة إحدى درجات النبوة، والأحاديث القدسية التي يحملها جبريل بنصها إلى الرسول كمستوى متوسط بين القرآن والحديث، والحديث المباشر بين الله والرسول في حوار مباشر أو بين الله والأنبياء أو بين الله والملائكة. وكلها لا دليل عليها، ولا يمكن التحقق من صدقها. كلها سمعيات. والسمعيات ظنية لأنها ليست متواترة ولا دليل عقلي عليها. وتقل الإسرائيليات لكثرة غيرها ولعدم الحاجة إليها. الروايات هي الغالبة. وذكر أسانيد الأقوال أسوة بعلم الحديث. فلم تكن المدونات أي أعمال الصوفية قد كثرت أو ذاعت أو سهل الحصول عليها من المشرق والمغرب. ومع ذلك تزيد الآيات القرآنية على الأحاديث النبوية، وتزيد الأحاديث النبوية على الأشعار العربية[2].

---

(1) اللفظ الرباعي: المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والمعاينة.

(2) الآيات (149)، الأحاديث (119)، الأشعار (92).

الباب الثاني

الوعي النظري

أولاً: مقدمة ـ تطور الوعي النظري

الوعي النظري هو استمرار للوعي الموضوعي ولكن بتجاوز موضوعات التصوف الأخلاقي، الرذائل والفضائل، والتصوف النفسي، المقامات والأحوال إلى التصوف النظري الخالص الذي يعرض نظريات الله والعالم والإنسان، المحاور الرئيسية في الأنساق الفلسفية.

ويعرض الوعي النظري تاريخ التصوف من خلال بنيته. فالوعي النظري أقرب إلى الوعي الموضوعي منه إلى الوعي التاريخي. وتتوارد الخواطر مع باقي الصوفية من أجل الوصول إلى نفس الموضوعات وكأن التصوف بنية مستقلة عن الصوفية والباحثين في التصوف. ويصعب الاختيار في الوعي النظري بين الوصف البنيوي خارج تطوره أو الابقاء على تطور الوعي النظري لمعرفة كيفية تكونه أو الجمع بين الاثنين، البنية من خلال التطور في حالة التشكل، والتطور من خلال البنية في حالة التكوين.

وكما طغت الفلسفة على علم الكلام المتأخر في الكلام الفلسفي كذلك طغت على التصوف المتأخر في التصوف الفلسفي سواء من الطبيعيات أو الإلهيات أو حتى المنطق كما هو الحال في «حكمة الإشراق» للسهروردي. فمن الطبيعيات نظرية العناصر الأربعة، ومن الإلهيات نظرية الفيض[1].

ويتطور الوعي النظري في التصوف الفلسفي على عدة مراحل. أولاً من

---

(1) استعمال العناصر الأربعة لتفسير آية ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾، الفتوحات جـ1/ 156.

المعرفة إلى الوجود عن طريق العلم اللدني والكشف حيث تكون المعرفة أحد إشعاعات الوجود.

ثانياً نشأة المصطلح الفلسفي نشأة ثانية بعد «الرسالة القشيرية»، وتحول العلم إلى مصطلحات وألفاظ بعد أن فقد دفعته الأخلاقية الأولى وقفزته النفسية الثانية.

ثالثاً التركيز على نظرية التفسير أو التأويل. فالتصوف قراءة للنص الأول للوحي، القرآن، الخروج منه والعودة إليه، وتحويل النص إلى تجربة ذاتية، وطاقة موحية.

رابعاً الأشكال الأدبية المختلفة للتصوف. فالتصوف إبداع أدبي من حيث الشكل، وروحي من حيث المضمون: وهي: الشعر، النثر الفني، الحكم، القصة الرمزية، السيرة الذاتية، السؤال والجواب. . . الخ.

خامساً الشروح والملخصات والتعليقات، قراءة لنصوص سابقة وإعادة مضغ الإبداع الأول لابتلاعه من جديد مثل جمل الصحراء، يقتات على ذاته، ويتغذى مما تغذى به من قبل.

سادساً تناثر البنية وتفرعها وتشعبها وتشتتها في مواضيع جزئية عديدة، لا تربطها قسمة ولا تحتويها رؤية.

ثانياً: من المعرفة إلى الوجود.

وهو التحول الرئيسي في نظرية المعرفة في التصوف، من «المعارف العقلية» إلى «الرسالة اللدنية» بتعبيرات الغزالي. وهذا هو الفرق بين علوم النظر وعلوم الذوق. علوم النظر استدلال وعلوم الذوق كشف. في علوم النظر الوجود معرفة، وفي علوم الذوق المعرفة وجود.

وقد حدث هذا التحول عند الغزالي (505هـ)، ثم السهروردي (587هـ)، ثم ابن عربي (638هـ)، ثم ابن سبعين (669هـ)، ثم ابن عطاء الله السكندري (709هـ)، ثم عبد القادر الجيلاني (هـ)، ثم الكاشاني (730هـ)، ثم صدر الدين الشيرازي (1050هـ)، ثم النابلسي (1143هـ)، ثم مصطفي البكري (1162هـ)، ثم أبو الهدى الصيادي (1328هـ)، ثم عنقاشاه الأويسي.

وبالرغم من أن التبويب عن طريق أعلام الصوفية ليس هو التبويب الأمثل، إلا أن السبب في ذلك هو ارتباط التصوف بتجارب كبار الصوفية. فالصوفي هنا تعبير عن مرحلة، ومؤشر على اتجاه.

1 ـ رسائل أبو حامد الغزالي(505هـ).

أ ـ «الرسالة اللدنية»[1]: من مكونات العلم النظري نظرية المعرفة كما تبدو في العلم اللدني. وكما يدل العنوان، موضوعها العلوم الكشفية. وقد كتبت رداً على من أنكر العلم اللدني وأثبت فقط علوم الفقه والتفسير والكلام. وهي تحصل بالتعلم والتفقه[2]. وهي نفس المادة التي في «المنقذ من الضلال». ويتأسس العلم اللدني بشرح النفس والروح موطني المعرفة على الإطلاق والتي بها ما يسمى بالعلم اللدني. كما تبين قسمة العلوم إلى شرعي وعقلي. والشرعي عقلي والعقلي شرعي مثل التوحيد والفقه، وأن العلم العقلي مركب من العلمين السابقين، وهو علم الصوفية وأحوالهم. كما تبين طرق التحصيل، التعلم الإنساني والتعلم الرباني، والتصوف من النوع الثاني. والطريق الرباني إما من الخارج بالتعلم كالأنبياء أو من الداخل بالتفكر كالأولياء. وللنفوس مراتب في تحصيل العلوم أعلاها النفس الناطقة، وأدناها النفس المريضة. ويتم تحصيل العلم اللدني بتحصيل العلوم ثم الرياضة والمجاهدة ثم التفكر. وتعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[3]. ففي الكشف غناء عنه.

ب ـ «مشكاة الأنوار»[4]: وهو كتاب يعرض أيضاً نظرية المعرفة الكشفية

---

(1) القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي، مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت) ص97-122.

(2) «اعلم أن واحداً من أصدقائي حكى عن بعض العلماء انه أنكر العلم الغيبي اللدني الذي يعتمد عليه خواص المتصوفة وينتمي إليه أهل الطريقة. ويقولون إن العلم اللدني أقوى وأحكم من العلوم المكتسبة المحصلة بالتعلم. وحكي أن ذلك المدعي يقول بأني لا أقدر على تصوير علوم الصوفية، ولا أظن أن أحداً في العالم يتكلم في العلم الحقيقي من فكر ورؤية دون تعلم وكسب. فقلت كأنه ما اطلع على طرق التحصيل. وما درى أمر النفس الإنسانية وصفاتها وكيفية قبولها لآثار الغيب وعلم الملكوت. . .»، الرسالة اللدنية ص 97.

(3) الآيات (22)، الأحاديث (12).

(4) القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي، مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت) ص182-227.

ورمزها النور تفسيراً لآية النور المشهورة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾. وسبب تأليف الرسالة هو سؤال عن تفسير آية النور والتشبيه بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة واعتماداً على حديث يستعمل نفس التشبيه على نحو الاختصار وعلى طريقة الإشارة إلى «اللوامع واللوائح والسوانح»[1]. فالنور هو الله، والله نور. يرى بالعين كما يرى بالعقل. فالمعرفة لعالم الشهادة وعالم الغيب على حد سواء. ويبين الغزالي سر التمثيل ومنهاجه ومراتب الأرواح البشرية مثل الروح الحساس والخيالي والعقلي والفكري والقدسي النبوي التي تقابل المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت، وقدرة الروح الخيالي، والطائفة المحجوبة بنور وظلمة أو بمحض الأنوار. وألفاظ الأقسام دالة منها: دقيقة، حقيقة، إشارة مساعدة[2]. وهو نور حقيقي. ويطلق على غير الله مجازاً. والمحجوبون عن الخلق ثلاثة: بالظلمة وهم الملاحدة، وبالنور المحض مثل الأنبياء والأولياء والواصلين، وبالنور المقرون بالظلمة مثل عبدة الأوثان، والمجسمة والمشبهة مثل الكرامة. وتعتمد الرسالة على القرآن ثم الحديث ثم الشعر[3]. ولا تعتمد على أقوال الصوفية السابقين بل يكتفي بالتجربة الشخصية. ولا تذكر الإسرائيليات اكتفاء بالتجربة الذاتية دون اللجوء إلى تاريخ الأنبياء. ويحيل الغزالي إلى باقي كتبه مثل «المقصد الأسنى» لبيان وحدة مشروعه[4].

جـ ـ **«شرف العقل وماهيته»**[5]: وهو دفاع عن العقل العملي الأخلاقي وليس العقل النظري مناط الفلسفة والمنطق. وهو استمرار لما وصفه المحاسبي في

---

(1) «فقد سألتني أيها الأخ الكريم . . . أن أبث إليك أسرار الأنوار الإلهية مقرونة بما يشير إليه ظواهر الآيات المتلوة والأخبار المروية. . مع قوله عليه السلام «إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجه كل من أدركه بصره. . . فلا أشح عليك بالإشارة إلى لوامع ولوائح الرمز إلى حقائق ودقائق. . فاقنع بإشارات مختصرة وتلويحات موجزة. .»، مشكاة الأنوار 182-183.

(2) دقيقة (6)، حقيقة (4)، إشارة، مساعدة (1).

(3) الآيات (45)، الأحاديث (9)، الأشعار (3).

(4) مشكاة الأنوار ص196.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 1986م-1406هـ.

«شرف العقل وماهيته» والفارابي في «معاني العقل»[1]. وينقسم قسمان: بيان حقيقة العقل وأقسامه، وبيان تفاوت النفوس في العقل أي اختلاف الناس فيه. وتسبقهما مقدمة نقلية خالصة. والعقل أربعة معان. الأول ما يفارق به الإنسان والحيوان. والثاني العقل البديهي الفطري في إدراك الممكنات والمستحيلات. والثالث العقل التجريبي والعالم بمجرى العادات والأحوال. والرابع العقل الأخلاقي الذي تعرف به عواقب الأمور. ويعتمد على الأدلة النقلية أساساً، الحديث ثم القرآن ثم الحديث القدسي دون الشعر أو الإسرائيليات[2]. والقرآن هو الذي يؤيد الحديث. وتتوالى الأدلة النقلية تباعاً في زخات ثم تأتي الأدلة العقلية بعد ذلك[3]. ويستعمل أسلوب الاعتراض والرد عليه مسبقاً بطريقة «إن قيل...». ولا يذكر من الصوفية إلا المحاسبي[4].

د ـ **«كيمياء السعادة»**[5]: وتبين الرسالة الطريق إلى السعادة عن طريق معرفة النفس ومعرفة القلب وعجائبه[6]. وهي الكمياء الباطنية القلبية وليست الكيمياء الظاهرية الطبيعية. ومعرفة النفس والقلب والروح موطن السعادة. والنفس كالمدينة، والقلب ملكها، والعقل وزيرها، وللقلب عسكره. وفي جلد ابن آدم أربعة أشياء: الكلب والخنزير والشيطان والملك. الخنزير رمز الشهوة. والكلب رمز الغضب، والشيطان رمز الشر، والملك رمز الخير. ويظهر الوافد في اللا شعور المعرفي بقسمة قوى النفس إلى الشهوية والغضبية والعاقلة وهي العلم. وتعتمد على القرآن والحديث فقط دون الشعر أو الإسرائيليات[7]. الشهوة والغضب خادمان للنفس. وتنتهي الرسالة باختيار العلوم الذوقية. والسعادة القصوى في معرفة الله[8].

---

(1) الباب الأول: تشكل الوعي التاريخي، الفصل الأول. وأيضاً: من النقل إلى الإبداع مجـ2، التحول، جـ1.

(2) الأحاديث (22)، الآيات (17)، القدسية (1).

(3) شرف العقل وماهيته ص 58-60/ 66-67.

(4) السابق ص 58، دار الكتب العلمية، بيروت 2006م (5) ص121-142.

(5) مجموعة رسائل الإمام الغزالي،.

(6) معرفة النفس، كيمياء السعادة ص 73-80. معرفة القلب وعسكره ص80-86. عجائب القلب ص 86-92.

(7) الآيات (14)، الأحاديث (4).

(8) عجائب القلب ص 92-95.

2 ـ أعمال شهاب الدين السهروردي(587هـ)

والسهروردي أيضاً مثل الغزالي بين الفلسفة والتصوف. و«اعتقاد الحكماء» في الفلسفة و«حكمة الإشراق» في المنطق، و«التلويحات اللوحية والعرشية»، و«المشارع والمطارحات» في الفلسفة الإلهية والطبيعية، «وهياكل النور»، في نظرية الفيض. أما «مقامات الصوفية» فهي أدخل في التصوف النفسي لأنها في المقامات التقليدية. في حين أن قصة «الغربة الغريبة» تدخل ضمن القصص الصوفي[1].

أ ـ «حكمة الإشراق»[2]: وهو كتاب بين علوم الحكمة وعلوم التصوف. ينقد المنطق الصوري الأرسطي ويضع منطقاً إشراقياً جديداً. لذلك يدخل في الحكمة النظرية في علم المنطق. كما يدخل في الوعي النظري في علوم التصوف[3]. ولفظ «إشراق» جامع بين الفلسفة الشرقية ومنطق المشرقيين وحكمة الإشراق[4]. وفيه يبدو التحول من المعرفة الصورية إلى المعرفة الإشراقية ثم التحول من المعرفة الإشراقية إلى الوجود ونور الأنوار كما هو واضح أيضاً في «هياكل النور». وينقسم قسمان: الأول في ضوابط الفكر لنقد المنطق الصوري في المعارف و التعريف أي التصورات، وفي الحجج ومبادئها أي في التصديقات. ويبدو النقد صراحة في المقالة الثالثة «في المغالطات وبعض الحكومات بين أحرف إشراقية وبين بعض أحرف المشائين، وهدم قواعد المشائين»[5]. والثاني في الأنوار الإلهية ونور الأنوار ومبادئ الوجود وترتيبها والفيض والميعاد والنبوات والمنامات. في الظاهر يبدو المنطق صورياً وهو في الحقيقة نقد للمنطق الصوري ومقارنة بينه وبين المنطق الإشراقي، ويستعمل بعض الألفاظ الإشراقية لوصف الكون مثل «لذيذ».

---

(1) من النقل إلى الإبداع مجـ3 الإبداع جـ2 الحكمة، النظرية فصل 1 المنطق.

(2) مجموعة مصنفات شيخ إشراق جـ2 ص14-46، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2000.

(3) لم يدخل في «من النقل إلى الإبداع» مجـ3 الإبداع جـ2 الحكمة النظرية، الفصل الأول، المنطق. أما «رسالة في اعتقاد الحكماء» فإنها في علوم الحكمة دفاعاً عن الفلسفة ضد هجوم الغزالي عليها. شهاب الدين يحيى السهروردي: مجموعة مصنفات شيخ إشراق جـ2، ص 262-272.

(4) السابق ص46-105.

(5) السابق ص 183.

وفي المقدمة تُصنف الناس إلى مراتب في التأله والبحث بين المتوغل والمتوسط والضعيف والعديم بين الحكيم والطالب أي الشيخ والمريد. ولا تُذكر كل الاحتمالات. لا تُذكر إلا خمسة احتمالات بالنسبة للحكيم وثلاثة احتمالات بالنسبة للطالب. والحقيقة أن الاحتمالات ثمانية عشر بالنسبة للباحث. وتتقطع الفقرات بألفاظ إشراقية مثل قاعدة، قاعدة الإشراقيين، نكت إشراقية[1]. ويعتمد على القرآن والحديث النبوي والقدسي. الشعر وبيت واحد[2]. ويحيل الكتاب إلى بعضه البعض لبيان وحدته[3]. كما يحيل إلى «التلويحات اللوحية والعرشية» لبيان وحدة المشروع، كما يخاطب القارئ بلفظ «فافهم». فالكتاب دعوة للتبليغ[4]. أما «رسالة في اعتقاد الحكماء» فهي أقرب إلى علوم الحكمة، لأنها دفاع عن الفلسفة ضد هجوم الغزالي عليها[5].

وحكمة الإشراق أكثر التيارات الصوفية النظرية اتصالاً بالوافد ويأتي في المقدمة أفلاطون ثم انباذقليس وهرمس ثم أرسطو وأغاذيمون وسقراط ثم فيثاغورث واسقليبوس[6]. ومن الفرق المشاءون، المتقدمون، الحكماء

---

(1) فصل (34)، قاعدة (15) حكومة (9)، قاعدة الإشراقيين، ضابط، إيضاح آخر (2)، دقيقة، قاعدة واعتذار، قاعدة أخرى إشراقية، نكت، نكت إشراقية، فصل إجتماعي، فصل تفصيلي، إبطال، شك، تصنيف، إجمال آخر، طريق آخر تفصيلي، وارد آخر، سؤال، جواب (1).

(2) الآيات (11)، القدسية (2)، الأشعار (1).

(3) حكمة الإشراق ص27/ 171.

(4) مجموعة مصنفات شيخ إشراق جـ2/ 262-272.

(5) الاحتمالات الخمسة بالنسبة للباحث هي:
1- التوغل في التأله العديم البحث.
2- العديم التأله المتوغل في البحث.
3- التوغل في التأله والتوغل في البحث.
4- التوغل في التأله الضعيف في البحث.
5- العديم التأله التوغل في البحث.
والاحتمالات ثلاثة بالنسبة للطالب:
1- طالب التوغل في التأله والتوغل في البحث.
2- طالب التأله (بلا درجات).
3- طالب البحث (بلا درجات).

(6) أفلاطون (9)، هرمس، انباذقليس (3)، أرسطو، أغاذيمون، سقراط (2)، فيثاغورث، اسقليبوس (1).

الأقدمون[1]. ومن الموضوعات المُثل الأفلاطونية. كما يظهر الوافد الشرقي الفارسي شعوباً مثل الفرس والعرب، وديانات مثل المجوس وحكماء الفرس أو أعلاماً مثل زرادشت وبوذا سيف وكيخسرو وجاما سف وفرشا وشتر وبرزجمهر وماني[2]. وتذكر بعض الألفاظ الفارسية مثل الاسفهيد[3]. ومن الموروث لا يظهر أحد من الصوفية المسلمين بل يظهر الأنبياء ثم المشرقيون[4].

ب ـ **«مقامات الصوفية»**[5]: والعنوان خادع. فهو ليس في المقامات بل في الجزء الثاني منه في مصطلحات الصوفية ومنها المقامات والأحوال[6]. في حين أن الجزء الأول في موضوعات «هياكل النور»، الجسم والنفس والعقل وأحكام العقل للثلاثة والواحد والفلك والمعاد والنبوة[7]. وهو الأكبر. يضم أربعاً وعشرين فصلاً بلا عناوين ولا أرقام. الفصلان الأخيران فقط في مصطلحات الصوفية. والأخير فقط هو الذي يتصدره عنوان «في شرح بعض مصطلحات الصوفية». لذلك يمكن تصنيفه في التحول من المعرفة إلى الوجود مثل «هياكل النور» وباقي أعمال السهروردي أو في «فن المصطلح». وكلاهما في الوعي النظري. وسبب التأليف هو إجابة على سؤال عن مقامات الصوفية. وكانت الإجابة هو هذا التحول من المقامات النفسية إلى المقامات الوجودية واللفظية مع البرهنة عليها وإيجاد نسق لها[8]. وهي غير ألفاظ أهل الحقيقة في العلوم البرهانية وهي علوم «حكمة

---

(1) المشاءون (3)، المتقدمون (2)، الحكماء الأقدمون، أساطين الحكمة، المثل الأفلاطونية (1).

(2) الفرس (2)، حكماء الفرس، المجوس، العرب، العجم، زرادشت، كيخسرو، بوذاسيف.

(3) الاسفهيد، حكمة الإشراق/ 205-206/ 216/ 227.

(4) الأنبياء، المشرقيون (2)، الإسلاميون، الكاملون، الأولياء، متقدمو الحكماء ومتأخروهم (1).

(5) دار المشرق، بيروت ط2، 2002م.

(6) السابق ص63-85.

(7) السابق ص 22-62.

(8) «فإن الصداقة التي تأكدت بيننا ألزمتني إسعافك في تحرير كلمات مومئة إلى الحقائق، شارحة لمقامات الصوفية ومعاني مصطلحاتهم، وما استروحوا إليه من المعارف وعلم القلب والروحانيات، وما فوقها وما دونها. وثبْت ما يفتقر إلى البرهانية على سرد مضبوط ونسق مطبوع من غير كثير من تتبع الاصطلاحات أصحاب الحقيقة في العلوم البرهانية. =

الإشراق». والخطاب موجه إلى القارئ بالتوصية بتقوى الله وتشبيه الحقيقة بالشمس[1]. ثم تبدأ المقامات الوجودية بمعنى مراتب الوجودية بمعنى مراتب الوجود بداية بالإدراك والتصور وقسمة الحقيقة إلى بسيطة ومركبة والفرق بين الوجود في الأذهان والوجود في الأعيان والجسم والحركة المتناهيان والعناصر الأربعة وميل الأجسام. ثم يأتي الوعي بالذات لتحليل الجسم والبدن ثم أحكام العقل الثلاث والانتقال إلى واجب الوجود ومعشوقات الأفلاك والأشكال الرياضية وأمور المعاش والمعاد والمعرفة الإلهية والغائية في الحياة الإنسانية وحاجة العالم إلى صانع. ثم تبدأ المصطلحات بداية بمعنى الكلمة وكمالها والمبادئ حسب الطاقة البشرية والتجرد بحسب القدرة واستيلائها على البدن. والألفاظ أقرب إلى الفضائل. باستثناء الصبر[2]. ثم تتبعها عبارة واحدة عن الرذائل دون تحديدها باعتبارها مقللة للفضائل أي سلب لها[3]. ثم تأتي ألفاظ الصوفية في الفصل الأخير تحت العنوان الوحيد «في شرح بعض مصطلحات الصوفية»[4]. بعضها في المقامات مثل الزهد والصبر والشكر والتوكل، وبعضها في الأحوال كالخوف والرجاء، والتواجد، والقبض، والرضا، والمحبة والشوق والبسط، والجمع والفرق، والغيبة والسكر والصحو، والهيبة والأنس، والفناء. والبعض في الطريق

= فبادرت إلى إجابتك وقربت ما يقع علم الاصطلاح إلى فهمك، نازلاً إلى مقدار قوتك. وليعذرني أبناء الحقيقة على استعمال ألفاظ بازاء معاني خصصناها هنا. فإن المقصد واحد» مقامات الصوفية ص 21-22.

(1) السابق ص 22-25.

(2) هي23 لفظاً: الخُلق، العدالة، العفة، الشجاعة، الحكمة، الفطنة، البيان، إصابة الرأي، الحزم، الصدق، الوفاء، الرحمة، الحياء، عظم الهمة، حسن العهد، التواضع، القناعة، السخاء، الصبر، الحلم، سعة الصدر، كتمان السر، الأمانة، السابق ص63-65.

(3) «ويقلل هذه الأشياء الحقد والحسد، وسرعة الانتقام، والشتيمة، والنميمة، والغيبة، وإذاعة السر، وضيق الصدر، والخيانة، السابق ص66.

(4) وهي 47 مصطلحاً: المقام، الحال، الخاطر، خاطر الشيطان، خاطر النفس، خاطر الملك، خاطر الحق، الخواطر الرديئة، التوبة، الإرادة، المريد، الخوف، الزهد، الصبر، الشكر، التوكل، المعرفة، عالم الجبروت، عالم الملكوت، عالم الملك، المحبة، الشوق، الوجد، التواجد، البسط، القبض، النفحات، اللوائح، السكينة، الجمع، التفرقة، الغيبة، السكر، الصحو، الهيبة، الأنس، التوحيد، المكاشفة، المشاهدة، الوقت، الفناء، العارف، السكينة، المعرفة، المجذوب، الاتصال والامتزاج، السابق ص66-85.

مثل المخاطر، والإرادة، والمريد، والمعرفة والنقمات واللوائح والتوحيد والمجذوب والاتصال والامتزاج. والبعض ما زال في الأخلاق مثل السكينة والمكاشفة والمشاهدة والوقت والبعض في الوجود منها عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[1]. ومن أعلام الصوفية يتقدم الحلاج ثم الجنيد ثم الشبلي والبسطامي والنوري وابن الجلاء وأبو طالب المكي[2]. ويُحال إلى بعض الأعمال الصوفية مثل «الطواسين»، و«قوت القلوب». ويحيل السهروردي إلى مؤلفه السابق «حكمة الإشراق» للتأكيد على وحدة المشروع. وتذكر بعض الفرق غير الإسلامية مثل اليهود والمجوس والفرس. ومن اليونان يذكر أفلاطون. ومن الأنبياء المسيح، مما يدل على انفتاح التصوف على الثقافات المجاورة شرقاً وغرباً.

جـ ـ «المشارع والمطارحات»[3]: وهي من نفس عناوين «المواقف والمخطابات» و«الإشارات الإلهية» و «الشطحات» وهو أيضاً في العلم الثالث أي الإلهيات دون المنطق والطبيعيات. ولكن هذه المرة يعتمد على التحليل النظري الخالص وليس البلاغة اللغوية. والمشرع من شراع أو مركب، مرتبة الوجود، والمطرح ما يفيض من المراتب: ويتكون من سبعة مشارع. الأول في العلم الكل. وهو ما يعادل المنطق ولكن منطق الوجود وليس منطق التصورات. والثاني تقاسيم الوجود وما يتعلق بها من أمور عامة منها الوفرة والكثرة، والكلي والجزئي، والممكن والواجب والعلة والمعلول كما هو الحال في نظرية الوجود في علم الكلام المتأخر[4]. ويبدو التصوف على استحياء في الفصل الأخير «في أثر الأمر الوجداني»[5]. والرابع في «واجب الوجود». ويبدو الأسلوب الصوفي في «الإشارة إلي»[6]. والخامس في فعله وإبداعه. والسادس في الجود والغنى ومبادئ الوجود

---

(1) الآيات (43)، الأحاديث (7)، القدسية (3)، الأشعار (5).

(2) الحلاج (5)، الجنيد (4)، الشبلي، البسطامي، النوري، ابن الجلاء، أبو طالب المكي (1).

(3) مجموعة مصنفات شيخ إشراق جـ1 (3) ص194-506، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2000م.

(4) من العقيدة إلى الثورة جـ1 المقدمات النظرية، الفصل الرابع: نظرية الوجود.

(5) المشارع والمطارحات ص 386.

(6) السابق ص 386.

وحركات الأفلاك وترتيب الوجود والخير والشر وهي نظرية الفيض. والسابع في الإدراك وواجب الوجود والمفارقات وبقاء النفس والسعادة أي الأمور والمعاد، وهي نفس مادة «هياكل النور»، والمقاومات. ويعلن السهروردي صراحة أن الكتاب جزء من الحكمة النظرية وليس العملية[1].

ويتبع أسلوب السؤال والجواب. ويخاطب القارئ بلفظ «اعلم». وتذكر أقوال دون نسبتها إلى أصحابها. فالمهم القول وليس صاحبه[2]. وتوضع بعض الألفاظ الاشراقية في بدايات الفقرات كعناوين مثل «بحث»، «فصل»، «نكتة»... الخ[3]. كما يظهر لفظ «قسطاس» الذي استعمله الغزالي من قبل. ونظراً لطول الكتاب، فهو أطول مؤلفات السهروردي، كثرت به عبارات الإحالات إلى أجزاء الكتاب تقديماً أو تأخيراً[4]. وتستعمل بعض عبارات البرنامج ككل، وعبارات أخرى للإيجاز دون التطويل. وسبب التأليف الاستجابة لاقتراح أحد الإخوان أن يكتب كتاباً جامعاً لكل ما كتب من قبل على طريقة المشائين. وهو تأليف يعتمد أيضاً على التجارب الذاتية. فلا فرق بين النظر والذوق، بين العقل والقلب. وهو

---

(1) السابق ص 196.

(2) «ذكر في الكتب» (4)، «ومن الناس»، «قالوا» (2)، «وقد ظن قوم»، «قيل في الكتب»، «ما يذكره هؤلاء» (1).

(3) بحث وتعقب (9)، بحث وتحصيل (7)، بحث ومقاومة، بحث وتحقيق (4)، بحث وتخصص، فصل، نكتة، بحث وتذكير، بحث آخر، تمهيد وبحث، بحث وإشارة (1). مما سيأتي بعد ص 464. وسنبين أيضاً أن مذهب التناسخ باطل ص463.

(4) حوالي (30)مرة مثل «وقد آن أن نذكر المقولات العشر. ونذكر ما قيل فيها ونسامح في الحكاية عن القوم في الحصر في أكثر المواضع. ثم نذكر بعض ذلك تلخيصات ومقاومات في الحصر وغيره»، المشارع والمطارحات ص221. وسيأتي الكلام فيما بعد ص257. وأما التحقيق فسنذكره ص 272. والتفصيل الذهني سنشرحه ص 342. وأما الكلي فسنذكر حاله ص 377. وقمته الكلام في الغاية، ستأتي فيما بعد ص 385. أما السلبي فسيأتي فيه البحث» ص 403. سنذكره ص 442، وهي ما ذكرنا في أوائل المنطق من هذا الكتاب ص 295. وإنا قد أشرنا إلى هذا فيما سبق ص296، وقد ذكرنا طرفاً في أمور تتعلق في هذا الفصل في مواضع متفرقة بحسب الحاجة فليطلب ص 302. «والذي بسطنا القول فيه ص 368 مما أشرنا إليه فيما سبق ص 387. وقد علمت هذا الفصل من فصل سابق ص 399. قد أشرنا إلى... ص 408.

مشروع واحد مع «حكمة الإشراق» و «التلويحات»[1]. فليس كل العلم في الكتب. فهذا يطول[2]. وصل الفلاسفة والصوفية إلى نفس الشيء مع إختلاف المنهج. وظن الفلاسفة أن كل اسم يوناني هو اسم فيلسوف فاستحسنوا فلسفة اليونان[3]. فلا فرق بين المشائين والاشراقيين. يبحث السهروردي عن الحقيقة لا عند المشائين ولا عند الإسلاميين ولا عند الصوفية، حقيقة أصيلة حاول الكل الاقتراب منها[4]. لا يستطيع المشاءون الحديث عن الصور المشاهدة[5]. وقد يصل الأمر

(1) «هذا كتاب يشتمل على العلوم الثلاثة حررته بحكم افتراضكم عليّ يا اخواني. وأوردت فيه مباحث وضوابط لا توجد في غيره من الكتب نافعة جداً مخرّجة مشحذة من تصرفاتي. ولم أخرج مع هذا عن مأخذ المشائين كثيراً وإن كنت قد أودعته. نكتاً ولطائف توحي إلى قواعد شريفة زائدة على ما يورد منها. ومن أنصف وجده بعد تأمل كتب القوم وافياً بما لم يف غيره به. من لم يتمهر في العلوم البحثية فلا سبيل له إلى كتابي الموسوم بحكمة الإشراق. وهذا الكتاب ينبغي أن يُقرأ قبله وبعد تحقيق المختصر الموسوم بالتلويحات. وإنا لا نراعي الترتيب ههنا. ولا نلتزم في بعض المواضع بموضوع علم. بل غرضنا فيه البحث وإن تأدّى إلى قواعد من علوم متفرقة. فإذا استحكم الباحث في هذا النمط فليشرع في الرياضيات المبرقة بحُكم الغيم على الإشراق حتى يعاين بعض مبادئ الإشراق ثم يتم له مباني الأمور. وأما الصور الثلاثة المذكورة في حكمة الإشراق... فهي علم لا تعطي إلا بعد الإشراق. وأول الشعور في الحكمة هو الانسلاخ عن الدنيا. وأوسطه مشاهدة الأنوار الإلهية، وآخره لا نهاية له. وسميت هذا كتاب «المشارع والمطارحات»، المشارع والمطارحات ص 194-195.

(2) حكمة الإشراق (7)، التلويحات (5)، المشارع والمطارحات (2).

(3) «الذي يطول في الكتب»، التلويحات ص 393.

(4) «وهؤلاء قوم نبغوا في ملة الإسلام، ومالوا إلى الأمور العقلية. وما كانت لهم أذكار سليمة ولا حصل لهم ما حصل للصوفية من الأمور الذوقية، ووقع بأيديهم مما نقل جماعة في عهد بني أمية من كتب قوم كانت أساميهم تشبه أسامي الفلاسفة. فظن القوم أن كل اسم يوناني لاسم فيلسوف. فوجدوا فيها كلمات استحسنوها وذهبوا عليها وفرعوها رغبة في الفلسفة. وانتشرت في الأرض وهم فرحون بها. ومنهم جماعة من المتأخرين وخالفوهم في بعض الأشياء إلا أن كلهم إنما غلطوا بسبب ما سمعوا أسامي يونانية لجماعة صنفوا كتبا يتوهم أن فيها فلسفة، وما كان فيها شيء منها فقبلها متقدموهم، وتبعهم فيها المتأخرون. وما خرجت الفلسفة إلا بعد انتشار أقاويل عامة يونان وخطبائهم وقبول الناس لها»، المشارع والمطارحات ص205-206.

(5) «وإنما انتصبنا لنيابة الأقدمين ههنا لوجوه. منها أن نتبين للباحث في أثناء البحث الحق في أحد الجانبين. ومنها أن كلام المشائين مشهور. وقد بسطنا وبسط غيرنا القول في مواضع كثيرة. وليس من الإنصاف طرح حجج أحد المتخاصمين بالكلية. ومنها أن جماعة =

لتصحيح الخطأ والتنبيه على الخلط وبيان استحالته درجة السب والشتم كما حدث لأبي البركات البغدادي. لذلك تظهر عبارات «وهذا فيه خلط»، «وهو محال»، «فيه شك»[1]. لا فرق بين الحكماء المتألهين مثل فيثاغورث والإشراقيين[2]. والحقيقة

= أزروا على الأقدمين أو زعموا أنهم استراحوا إلى مطالبهم جزافاً، وأن غفلتهم عن مثل هذه الاصطلاحات لجهلهم، وأن دعاويهم وحججهم لا تقبل التسمية حتى امتنعوا عن إطلاق اسم الحكمة عليهم. ومن أدرك العلوم الشريفة المعظمة المخزونة عرف أن مثل هذه الأشياء لا يضر الجهل بها. كيف وأن أقاويلهم لا تقصر في المتانة عن أقاويل غيرهم. وإن قالت طائفة من المشائين إنما نسمي بعض الأعراض سوراً فلا يمنع الحكماء هذا، كيف ومنهم من يسمي جميع الأعراض سوراً»، السابق ص 292. «وأما الكلام في الصدر والأمور التي تتراءى لأرباب المشاهدات فلا نسلم للمشائين الكلام فيها فإنه لم يسلك منهم إلا القليل والذي سلك منهم كان سلوكه ضعيفاً. ومن سلك عن أستاذ متأله أو بتأييد قدسي غريب، وإن كان قل ما يقع، فسيعرف أن المشائين غفلوا عن عالمين عظيمين، ولم يدخلا في أبحاثهم قط، وأن ما وراء ما ذكروا أشياء أخرى»، السابق ص 496.

(1) «ولما نأتي لمثل هذا المجنون القذر الاتيان بمثل هذه الهذيانات القبيحة لأنه لم يكن للحكمة في الأرض سياسة قائمة. وفي ما قد مضى من الزمان كان لها سياسة. وكان القوم الذين يتكلمون فيها أكثر عنايتهم بالمشاهدات الروحانية والأمور العلوية الرفيعة. وما كان يتمكن من الكلام فيها والتصرف إلا لمن ظهر تأييده من آثار الأنوار القدسية وتجرد عن صحبة الرياسات الدنيوية. وسبب انقلاع الحكمة عن الأرض أكثره كان ظهور طائفة من المتفلسفة وتطويلهم في الأقاويل التي اشتغل الناس بها عن الحكمة وقدحهم في من كان أفضل منهم وأعلم من الأقدمين. وسعى جماعة في قلع العلوم عن بابل وفارس وغيرهما من النواحي فأصلحوا أشياء حسنة مهمة وأفسدوا ما هو أحسن منها لأمر قدره الله سبحانه وتعالى. فأصبح المنتسبون إلى الحكمة غافلين عن أسرارها. وانقطع النور عنهم. وإذا انقطع النور عن طائفة بالكلية يزول هيبتهم وسلطانهم ويستند لهم النفوس. أما ترى آثار القدماء وهيبتهم في النفوس واطلاعهم على عجائب الأشياء، من المصطلحات ولطائف طرائق السلوك وآثار النفوس وغيرها، بقوة سلوكهم وضعف هؤلاء وعجزهم والصغار الذي عليهم واشتغالهم بملاذ الدنيا؟ ومتى يصفو الفكر لمحبي الدنيا؟ ومتى يتأهل للعلوم المخفية وهدايا الملكوت، وهو في ظلمات شواغل الدنيا حيران؟ فهؤلاء طردهم الله من بابه. ولا تظنن أنه يصل إلى المحل الأعلى إنسان وليس له ملكة شروق الأنوار العلوية. وما وراء هؤلاء إن كانوا أخياراً فمن المتوسطين وإلا فمن الأشقياء. ولولا جسارة الرجل المذكور وشدة إقدامه في حق الباري على مثل هذه الأشياء وفي أمهات المسائل على خلاف البرهان ومذهب التوحيد للخاصة والعامة ما قدحنا فيه هذا القدح. فإن المُباحث بعد أن كان بشريا ليس بعجب منه الخطأ. وأما رفض الحق الصريح بالوسواس فلا يُعذر عليه» السابق ص 437-438.

(2) السابق ص373/ 375/ 406/ 410.

أن حكمة فارس وبابل ويونان والإشراقيين، حكمة واحدة[1]. نهل بعضها من بعض عبر التاريخ دون أثرة أو استئثار[2]. ويبدو أن «حكمة الإشراق» هي الأساس الذي بنى عليه السهروردي مشروعه إذ يحيل إليه دائماً[3]. يوحي بها في آخر المشارع والمطارحات[4]. لذلك يحال إليه دائماً[5].

(1) «هكذا يجب أن يعتقد من ليس له قوة الارتقاء إلى ما ظهر لنا بتأييد الله في حكمة الإشراق. ومن أرتقى أدرك فيه أموراً شريفة فإن فيه عبرة للعالمين وبلاغا للفاضلين لمن أبصر واستبصر وتفكر»، السابق ص 453.

(2) «وهذا صاحب النوع للنار هو الذي سماه الفرس أرديهشت. فإن الفرس كانوا أشد مبالغة في أربات الأنواع حتى أن النبتة التي يسمونها هوم التي تدخل في أوضاع نواميسهم يقدسون لصاحب نوعها ويسمونه هوم إيزاد. وكذا لجميع الأنواع. وهرمس وأغاثاذيمون وأفلاطون لا يذكرون الحجة على إثباتها بل يدعون فيها المشاهدة. وإذا فعلوا هذا ليس لنا أن نناظرهم. وإذا كان المشاءون في علم الهيئة لا يناظرون بطليموس وغيره حتى أن أرسطو يعوّل على أرصاد بابل ويونان وغيرهم. كلهم ادعوا المشاهدة في هذه الأشياء. فالرصد كالرصد والأخبار كالأخبار. وتأتّي التوسل بالرصد الجسماني كتأتي التوصل بالرصد الروحاني، والندرة كالندرة، السابق ص 460.

(3) «وأما الذي أعتقده أنا في هذه المسألة فهو مذكور في كتابي المسمى «حكمة الإشراق». ولا يتأتى أن أذكره ههنا صريحاً. فإن غرضي في هذا الكتاب إذا فُتش لا يخلو من قرة أعين وكنوز أخفيت تحت ستر رفيق. فإن لم يجدها البليد فما لنا ذنب. وأما المشتغل المباحث فيلتقط منه المحكمات ويظفر منه بما لم يطمَع منه وما أطمعناه فيه. وأجود ما يعتمده فيه الباحث قبل البحث عن حكمة الإشراق الطريقة التي ذكرناها في «التلويحات» مما جرى بيني وبين الحكيم إمام الباحثين أرسطاطاليس في مقام «جابرص» حين تكلم في شيخه، وهو أن يبحث الإنسان أولاً في علمه بذاته ثم يرتقي إلى ما هو «أعلى» السابق ص483-484.

(4) «ولولا انقطاع السير إلى الله في هذا الزمان ما كنا نفشم ونتأسف هذا التأسف. وهو ذا قد بلغ سني إلى أقرب من ثلاثين سنة. وأكثر عمري في الأسفار والاستخبار والتفحص عن مشارك مطلع. ولم أجد من عنده خبر عن العلوم الشريفة ولا من يؤمن بها. أوصيكم إخواني بالانقطاع إلى الله والمداومة على التجريد. ومفتاح هذه الأشياء مستودع في كتابي «حكمة الإشراق». ولم نذكره في موضع على ما ذكرناه هنا لك. وقد رتبنا له خطاً يخصص حذاراً لأذعته. على أن هذا الكتاب وإن لم يعرف المبتدئ قدره يعرف الباحث المستبصر أني ما سُبقت إلى مثله. وفيه مواقف مخفية. وآخر وصيتي الاعتصام بحبل التوحيد والإشراق»، السابق ص 505-506.

(5) حكمة الإشراق (7)، التلويحات (5)، المشارع والمطارحات (2).

ومن الوافد يذكر المشاءون ثم الأقدمون والقدماء ثم الحكماء والفلاسفة[1]. ومن الفلاسفة يتقدم أرسطو بطبيعة الحال ثم أفلاطون وانباذوقليس ثم أغاذيمون ثم سقراط[2]. والكرامات قاصرة على أهل الأنوار دون المشائين[3]. ومن الوافد الشرقي يذكر الفرس[4]. ومن الموروث يتقدم المتأخرون ثم الصوفية والفلاسفة[5].

د ـ **«التلويحات العرشية واللوحية»**[6]: وهو العلم الثالث فقط أي الإلهيات من مشروع أعم للحكمة كلها منطقية وطبيعية وإلهية طبقاً لقسمة ابن سينا. والاسم غريب. يدل لأول وهلة على أن صاحبه يقرأ من لوحات عرشية مثل «اللوح المحفوظ». وينقسم بعد المقدمة عن المنطق إلى أربعة موارد ومرصد عرشي. تحول المقدمة المنطق من منطق التصورات والتصديقات إلى منطق الوجود[7]. الورد الأول واجب الوجود والثاني المبادئ والغايات، ترتيب الموجودات وأحوالها اعتماداً على نظرية الفيض[8]. والثالث في التجرد عن المادة والإدراك والعناية والقضاء والقدر أي في الإنسان[9]. والرابع في النبوات والآيات والمنامات أي في أمور المعاد[10].

(1) المشاءون (14)، الأقدمون القدماء (7)، الحكماء (4)، يونان (2)، بعض المتقدمين، الفلاسفة، الحكماء الأول (1).

(2) أرسطو (7)، أفلاطون (4)، أنباذقليس (3)، أغاذيمون، فيثاغورث (2)، سقراط، هرمس، بطليموس، سقليبوس (1).

(3) «وأما المشي على الماء والهواء، والوصول إلى السماء وطي الأرض فإنما يكون لجماعة من السالكين بشرط أن يكون النور الواصل إليهم على العمود في مدن الشرق الأوسط. وإنما يكون على طريق السالكين. وينتهي إليه المتوسطون من السلاك. وأما الفضلاء فلا يلتفتون إليه. ولا نعلم في شيعة المشائين من له قدم راسخ في الحكمة الإلهية أعني فقه الأنوار»، المشارع والمطارحات ص 503.

(4) المتأخرون (11)، الصوفية، الفلاسفة، أصحابنا الإشراقيون، الإشراقيون، المحصلون، بنو أمية (1)، ومن الفرق غير الإسلامية النصارى (1).

(5) صاحب البصائر (السادس)، أبو البركات البغدادي (2)، صاحب الشفاء.

(6) مجموعة مصنفات شيخ إشراق جـ1 (1) ص2–121، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2000م.

(7) التلويحات ص2–33.

(8) السابق ص33–54.

(9) السابق ص 55–95.

(10) السابق ص 95–104.

أما المرصاد والعرش فإنه تأصيل للإشراق عند اليونان خاصة[1].

يعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو الإسرائيليات[2]. ومع ذلك يسود التحليل العقلي. ويستعمل ألفاظاً افتتاحية للفقرات يغلب عليها الإشراق كما يفعل صدر الدين الشيرازي (1050هـ) بعد ذلك مثل: رمز أو طريق عرشي، دعامة أو نكتة شرعية . . .الخ[3]. كما يستعمل لفظ «القسطاس» من مصطلحات الغزالي. والأسلوب هو السؤال والجواب. ويخاطب القارئ بلفظ «اعلم». ويعتمد على الوافد أكثر مما يعتمد على الموروث لأنه أحد الحكماء والصوفية في آن واحد. فهو أقرب إلى تمثل الوافد قبل تنظير الموروث[4]. يأتي المعلم الأول في المقدمة مع ألقاب التعظيم الأخرى مثل «غياث النفوس وأحكام الحكمة» ثم أفلاطون الإلهي، عظيم الحكمة، وهما الحكيمان العظيمان ثم هرمس، ثم فيثاغورث ثم أرخوطس وفرفوريوس وانباذقليس وأغاثاذيمون[5]. ومن أسماء الفرق المشاءون الحكماء ثم الفلاسفة والحكماء. ومن الوافد يتقدم الشيخ المجدد، بعض الكبار، أفضل المتأخرين وهي ألقاب ابن سينا ثم البسطامي والتستري، ومن أسماء الفرق الإسلاميون وبعض الإسلاميين من الصوفية، والصوفية والمجردون من الإسلاميين، وفلاسفة الإسلام وصاحب التوحيد[6]. ويحيل إلى «المبدأ والمعاد» لابن سينا لبيان ارتباطه بالإشراق وإلى «المشارع والمطارحات» للمؤلف نفسه لبيان وحدة مشروعه[7].

---

(1) السابق ص 105-121.

(2) الآيات (35).

(3) فصل (26)، ضابط، رمز (طريق) عرشي (4)، طور (3)، فايدة، قرينة، طريق (2)، خاتمة وإشارة، مخلص، ضابط جامع، دعامة عرشية، نكتة عرشية، حكاية ومنام (1).

(4) من النقل إلى الإبداع مجـ2 التحول، جـ2، الفصل الثاني.

(5) المعلم الأول (9)، أفلاطون (7)، هرمس (3)، فيثاغورث (2)، أرخوطس الفيثاغوري، فرفوريوس، أغاثاذيمون، انباذاقليس (1)، الحكماء (4)، المتقدمون الكهنة (2)، الفلاسفة والحكماء، المشاءون، القدماء (1).

(6) ابن سينا (3)، البسطامي، التستري (1). الإسلاميون، فلاسفة الإسلام، بعض الإسلاميين من الصوفية الصوفية والمجردون من الإسلاميين، صاحب التوحيد، المحصلون، العامة (1).

(7) التلويحات ص 59/ 69.

هـ - **«المقاومات»**[1]: وهو أيضاً في العلم الثالث وحدة الإلهيات، وليس في العلمين الأولين، المنطق والطبيعيات. وهو مختصر لكتاب «التلويحات» أو ملحق له لإصلاح فلسفة الأولين والذي لم يتح في «التلويحات»، مع التركيز الشديد. وهذا هو معنى «المقاومات» أي نقد المشائين، بالرغم من إعجاب المؤلفين بالمتقدمين الأولين والحكماء الأسلاف[2]. وإذا كانت الغاية هو التجديد والإصلاح والنقد للفلسفة المشائية فلماذا تعظيم الأقدمين؟[3]. وكيف يجتمع التجديد مع التقليد؟ ويصرح بالرأي الخاص مثل إثبات الطباع[4]. ويعطي نصائح للشارح أي المؤول لفلسفة المشائيين[5].

والكتاب غير مقسم إلى أبواب أو فصول. بل يعطي مسائل كلامية فلسفية نظرية مجردة لا يظهر التصوف فيها إلا بين السطور مثل الجوهر والعرض، والتقدم والتأخر، والجنس والفعل، والكيف والكم، والزمان والمكان، والوجود والقدم والهيولي والصورة. وهي مسائل بين المنطق والطبيعيات مثل «المقدمات» النظرية في علم الكلام[6]. ويغلب عليها طابع التجريد. ولا يُدرك التأويل الصوفي إلا بين

(1) مجموعة مصنفات شيخ إشراق جـ1 (2) ص124-192، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة 2000م.

(2) «هذا مختصر يجري من كتابي الموسوم «بالتلويحات» مجرى اللواحق. وفيه إصلاح ما يحتاج إصلاحه مما كان الأولون يرسلونه إرسالاً ولم يتيسر إيراده في «التلويحات» لشدة إيجازها. فلم يكن يلايمها ما يحتاج إلى أقَل بسط. والإيجاز في مواقع تدارك السهو في العظميات لا يفيد. فأوردناه ههنا مضموماً إليه نكتاً مشهورة. وسميته «المقاومات»، المقاومات ص124.

(3) «واعلم أنه لو أراد الله بأبناء الحكمة خيراً ردهم إلى طرائق أسلافهم في مشاهدة الأنوار، والصعود إلى السماوات، والاتصال بالعلويات، وركوب الأفلاك، ومعانقة السيد، ونقّص عنهم المقالات في المعقولات، وزادهم التمهد، وشيِّم البارقات، وخلّع الحواشي، وترك مثل هذه هواجس الوسواس»، المقاومات ص 147-148. «خذها بيضاء مشرقة تتلألأ بالحقائق نتائج فكر من بالغ في المعاد وأمعن في النظر ولم يقنع بوهم التقليد، وبغض اللوثة في سبيل الحق بمقدار ما ساعده الزمان»، السابق ص192.

(4) السابق ص 134.

(5) وعلى الشارح ألا يستعمل المجازيات، لا ما يؤخذ عنه المجازيات، السابق ص 139.

(6) من العقيدة إلى الثورة جـ1، المقدمات النظرية. الفصل الأول: نظرية العلم، ص141-409. الفصل الثاني: نظرية الوجود، ص411-626.

السطور. وكيف يتحول التصوف النظري إلى هذا الطابع المجرد والتصوف تجربة ذاتية حية؟ ويُستعمل أسلوب السؤال والجواب، ومخاطبة القارئ بلفظ «اعلم». ويعتمد على اقتباسات دون ذكر مصدرها أو أصحابها. وهي في الغالب ابن سينا نموذج المشائين عند السهروردي وصدر الدين الشيرازي. يُكتفى بلفظ قالوا. . .«على العموم» أو «على ما يذكرون»[1]. وتظهر عبارات التقديم من أجل إظهار وحدة الموضوع. وتظهر بعض ألفاظ تقديم الفقرات مثل قاعدة وفصل ونكتة[2]. كما يستعار لفظ قسطاس من الغزالي دون الإشارة إليه[3]. ولا يعتمد على قرآن أو حديث نبوي أو قدسي أو شعر أو إسرائيليات. يعتمد فقط على تحليل العقل الخالص. يحيل إلى الوافد أكثر مما يميل إلى الموروث كما هو الحال في التأليف في علوم الحكمة، تمثل الوافد قبل تنظير الموروث[4]. من الوافد يعتمد على افلاطون ثم انباذقليس والمشّائين وبعض المتقدمين والأقدمين[5]. ومن الوافد يظهر صاحب البصائر (الساوي)، العمل وليس المؤلف، وبعض المتأخرين، ومن المتأخرين، والجمهور[6]. ويحيل إلى باقي مؤلفاته مثل «التلويحات» و «المطارحات» و «حكمة الإشراق»[7].

و ـ **«هياكل النور»**[8]: ويمثل العمل أيضاً التحول من المعرفة إلى الوجود. وهو بين الفلسفة والتصوف لما به من نظرية الإشراق ونظرية الفيض، والنور رمز معرفي ووجودي في آن واحد. هو إشراق في النفس ومراتبها بين العلم والجهل، ومراتب الوجود بين النور والظلمة. الهيكل هو الجسم. وهناك سبعة هياكل: الأول الجسم، والثاني النفس، والثالث الجهات العقلية الثلاثة، الواجب والممكن

---

(1) المقاومات ص 131/ 114/ 145/ 148.

(2) قاعدة (6)، فصل (3)، نكتة (1).

(3) المقاومات ص 162.

(4) من النقل إلى الإبداع مجـ2 التحول جـ2 التأليف، الفصل الثاني: تمثل الوافد قبل تنظير الموروث.

(5) أفلاطون (2)، أنباذقليس (1)، المشاءون، بعض المتقدمين، الأقدمون (1).

(6) صاحب البصائر (الساوي) (2)، بعض المتاخرين، ومن المتأخرين، الجمهور (1).

(7) التلويحات (3)، المطارحات (2)، حكمة الإشراق (1).

(8) المكتبة التجارية الكبري، القاهرة 1377هـ- 1957م.

والمستحيل والعلة والمعلول وهي أحكام العقل الثلاثة عند المتكلمين والفلاسفة تحولت إلى جهات للوجود. كما أن العلة حكم عقلي ووجودي في آن واحد. والرابع واجب الوجود وفعله تحولا من الذات والصفات والأفعال عند المتكلمين إلى واجب الوجود عند الفلاسفة. ويثبت عن طريق إثبات النفس الناطقة[1]. وهو واحد ولا يصدر عنه إلا الواحد. هو النور الإبداعي الأول. والجواهر العقلية وسائط وجود الأول. وتتكاثر العقول بتكاثر الإشراقات في العقل الفعال. وتتوقف جميع الممكنات على وجود الواجب مما يثير قضية قدم العالم وأزليته، والخامس إثبات الحركة الدورية والإرادية للأفلاك وأنها سبب الحركات الحادثات، وأنها لها نفوس وعقول فائضة عن الأول، وإثبات الأجرام السماوية وكما لها طبيعتها الأثيرية الخامسة، وأن الشمس مثال الله الأعظم، وهو تشخيص الكون وإسقاط النفس عليه كما هو الحال عند إخوان الصفا في أن الإنسان عالم صغير وأن العالم إنسان كبير. والسادس مفارقة النفس البدن إلى عالم النور. والسابع النبوات. وهو طريق تصاعدي ارتقائي من النفس إلى الله ثم يهبط في نظرية الفيض وصدور العقول والموجودات عن واجب الوجود. يقوم على التحليل العقلي الخالص. ولا يستشهد بالقرآن إلا مرة واحدة[2].

3 ـ «مراتب الوجود وحقيقة كل موجود» للجيلاني (562هـ)[3]

ويدل على التحول من المعرفة إلى الوجود، من العلم بالله إلى ثمرة أعمال أهل الحقيقة، والتميز بين علم اليقين وعَين اليقين وحق اليقين، ومطالعة كتب الحقيقة أفضل من أعمال السالكين. يدل على أن العلم بالوجود أفضل من مجرد السلوك. ومن عرف الموجود عرف الموجد[4].

ومراتب الوجود أربعون ابتداء من ذات الله، وهو الغيب المطلق إلى الوجود المطلق إلى الواحدية إلى الظهور الصرف إلى الوجود الساري. وأسماء الوجود

(1) وهو ما قرره أيضاً أوغسطين وأنسليم وديكارت في الدليل الانطولوجي على وجود الله في الفلسفة الغربية الوسيطة والحديثة.
(2) وهي آية: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، هياكل النور ص 79.
(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005 (2) ص37-62.
(4) السابق ص 47/ 51.

الربوبية والمالكية. والأسماء والصفات النفسية دلالات عليها مثل الأسماء، الجلالية والجمالية والفعلية. ومن تجليات الوجود عوالم الإمكان والعقل الأول والروح الأعظم والعرش والكرسي وعالم الأرواح وعالم الطبيعة المجردة ثم الهيولى والهباء والجوهر الفرد والمركبات وعناصرها والنبات والحيوان. ثم تأتي الأفلاك العشرة، ثم الأثير والمأثور والمستأثر، ثم الإنسان وفائدة معرفة النفس. تتخللها حكايات بعض الحكماء والمجانين. وتتخللها نظريات الإنسان الكامل والقاموس الأعظم وأخلاق الأنبياء[1]. وكثير منها يستمد من علوم الحكمة. وفي كل فلك نبي[2]. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[3]. ولا يذكر من الصوفية إلا الجنيد وأحمد الرفاعي[4]. وتُحال إلى عدة كتب للمؤلف أو لابن عربي[5].

4 ـ «الرسالة الكمالية في الحقائق الإلهية» للفخر الرازي(606هـ)[6]

وهي أقرب إلى الفلسفة الإشراقية أو علم الكلام الإشراقي. تضم عشر مقالات. الأولى والثانية في المنطق والمعقولات. ومن الثانية حتى الخامسة في نظرية الذات والصفات والأفعال. ومن السادسة حتى العاشرة في الطبيعيات،

---

(1) «وإنما أوردت لك هذه الحكايات كلها في ديباجة هذا الكتاب حتى أفهمك قدر هذا العلم وعلو شأنه لترغب في تحصيل هذا الفن الشريف بمطالعة هذه الكتب وممارستها ومذاكرتها مع أهلها حيث كانوا. فإن الرجل منهم قد يفيدك ما لا تفيدك الكتب كلها في العمر كله لأنك تأخذ من الكتاب بفهمك، والرجل العالم بالله إذا أرادك لفهم مسألة على ما هي عليه أعطاك فهمه فيها. وكم بين فهمك وفهمه. ولقد كانت مطالعة كتب الحقيقة عند المحققين أفضل من أعمال السالكين، ومجالسة أهل الله مع التأدب معهم أفضل من مطالعة الكتب كلها. فعليك ثم عليك بملازمة المطالعة في كتب الحقائق والعمل بمقتضى علومها. فإنك تحصل بذلك على مقصودك وتقع به على معرفتك بمعبودك»، السابق ص40.

(2) إبراهيم في زحل، وموسى في المشتري، ويحيى في المريخ، وإدريس في الشمس، ويوسف في الزهرة، ونوح في عطارد، وآدم في القمر.

(3) الآيات (16)، الأحاديث (3).

(4) الجنيد، الرفاعي (1).

(5) من مؤلفات الجيلي: الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، شمس ظهرت لبدر قرحي، القاموس الأعظم والناموس الأقدم (3)، الإنسان الكامل (2)، بحر الحدوث والقدم وموجود الوجود والعدم، حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلائق (2)، قطب العجائب فلك الغرائب، ومن مؤلفات ابن عربي «الفصوص».

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2002 (1) ص11-97.

أحوال الأجسام وصور الأفلاك وأركان العناصر وعلم النفس وعلم الهيئات.

5 ـ «كتاب الشاعر» لصدر الدين الشيرازي (1150)[1]

كله في نظرية الوجود وأحكامه وإثبات حقيقته وأقواله. وفيه مشاعر. ويذكر الرازي أحياناً في كتب التصوف باعتباره صوفياً. فبين الفلسفة الإشراقية والتصوف أواشج قربى في نظرية المعرفة، المعرفة الإشراقية أو في نظرية الوجود، نظرية الفيض.

6 ـ «فوائح الجمال وفواتح الجلال» لنجم الدين كبري(618هـ)

ولم يقتصر التحول من المعرفة إلى الوجود. على النص الصوفي العمدة بل ظهر ايضا في المؤلفات الصوفية الجزئية مثل «فوائح الجمال وفواتح الجلال» لنجم الدين كبري .إذ تتناثر الموضوعات. وتغيب الفصول والأبواب أو تحضر دون أن تقدر على احتواء المادة المتناثرة[2] ويبرز التحول من المعرفة إلى الوجود في العنوان. فالكون جمال يفرح، وجلال يفتح[3]. وداخل كل فصل موضوعات يتكرر بعضها تدل على غياب النسق وتكرار المشاهدات للكون[4]. توصل بينها بمشاهدات. لذلك تظهر ألفاظ: وصل، معاينة، معاينات، مشهد، مشاهدات عروجية، طبقات للمشاهدة. وكلها رموز وجودية، مراتب الوجود. يكشف الوجود نفسه في إشارات وعلامات ووقائع وكونيات وشجرة اليقين. وأشكالها الأدبية حكايات غريبة وروايات ومسائل وخواطر وتفاسير، ومحاضر ربانية وكتب الغيب، وإجمالات وتفصيلات وأسرار الحروف وصيحات الهاء وتسميات غيبية. والمنهج هو الطريق والاختبار الروحي، والمجاهدة والذكر ونيرانه والذوق والاستغراق والسير والجذب والهمة والخطوة والخير، والبداية من القلب والقليب، ومراتب النفس. والترقي في المقامات والأحوال في الوقت. ويتقدم مقام المحبة والعشق والشوق وأحوال الأنس والحزن والمقامات غير المحدودة والفناء. ثم

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2002 (2) ص 101-142.

(2) هناك خمسة فصول: 1- تبديل الذوق. 2- في الاستغراق. 3- ما الفرق بين الحال والمقام والوقت؟ 4- الجمود والخمود في طريق القوم. 5- في اسم الله. 6- مشاهدات كونية.

(3) الجمال والجلال مصطلحان صوفيان قبل استعمال كانط لهما في العصور الغربية الحديثة.

(4) عناوين هذه الموضوعات من وضع المحقق.

تظهر الحقائق الصوفية والأنوار والاسم الأعظم، اسم الله، وكلام الله. ثم تظهر الكرامات على الأولياء وخرقة الصوفية وتزاور الأرواح في عالم الأقطاب والأبدال والأوتاد. فالتصوف بداية ووسط ونهاية. ويغيب النظر والعمل. ويظل التصوف نظرياً خالصاً. ينكشف الوجود في الوجد، وتتخلق الأشياء في المواجيد، وتظهر المعارف في الأذواق. ويصعب التحقق من ذلك كله إلا في الأبنية العقلية الخالصة، الملأ الأعلى أو الواقع الحسي أو في التجارب الإنسانية العامة.

ويكشف تحليل تكرار المفردات عن نفس التحول من المعرفة إلى الوجود. إذ يتقدم لفظ سيار وهو سالك الطريق أو النجم. وكل شيء يتحرك «من . . . إلى». ثم تأتي ألفاظ الطريق مثل الذكر والهم من القلب والخلوة إلى الغيب والسر والاسم الأعظم حتى الفناء والاستغراق. وتظهر الفاظ الكون مثل الدوائر والأركان وآبار الطبيعة والاستواء (البروج وبروج البروج) جبل قاف والجدي، والزهرة وذكر الوجود وظلام الوجود وعالم الحدوث والقدم وعطارد والمشتري والقوس وتظهر بعض الألفاظ الوافدة مثل«سفسطي» أي سوفسطائي، وشونيزية وهو لفظ فارسي ونرفانا وهو لفظ هندي. وتظهر المقامات مثل التوكل والأحوال مثل الخوف والرجاء، والحزن والسكر. ولما كانت فوائح الجمال وفواتح الجلال ليست مجرد خيالات فإنها تشير إلى وقائع وأماكن محدّدة مثل الإسكندرية وبلاد المغرب وكربلاء[1].

---

(1) سيار (46)، ذكر (أذكار) (24)، همة (17)، غيب (غيبة) (16)، قلب (14)، فناء (13)، خلوة (12)، سر (أسرار)، عالم الشهادة، مشاهدة، مقام، هيبة (11)، الاسم الأعظم (10)، استغراق الدوائر (9)، حال (أحوال)، خاطر (خواطر) (8)، أنس (7)، حجاب (حجب)، عشق، قبض، موت (6)، بصيرة، تلوين، الخوف (والرجاء)، ذوق، مجاهدة، نفس، نور (أنوار)، واردات (5)، أركان، أسرار الحروف، بقاء، تمكين، حضور، حيرة (تحيّر)، عالم الغيب،مخاطر، نفس لوامة، هوية (3)، إحسان، إخلاص، الهام، أيام الله، إيوان، تجلي، تصرف، تكليف، تكوين، جمعية، جمود، حزن، صمود، روح القدس، سكر، سماع، الشونيزية، شيخ الغيب، صعق، عرفان، كرامات، ندم، نفس أمارة، واقعات، ورد، يد الهمة (2)، آبار الطبيعة، إجابة الدعوة، إحضار، أرباب القلوب، أربعينية، استهلاك، استواء، أغيار، بروج، بروج الوجود، تجريد، تسليم، تفرقة، تغريد، تفويض، توحيد، توكل، تولي، جبل قاف، الجدي، الجذب، جمعية الجمعية، جنون، جوع، الجوع الكلبي، حضرة، حضرة الهوية، حق اليقين، حلولي، حواس، =

ويعتمد التحول من المعرفة إلى الوجود على الآيات والأحاديث دون أشعار[1]. مع أن التجربة الشعرية والتجربة الصوفية صنوان. ومن أعلام الصوفية يتقدم الجنيد صاحب التجارب والشطحات التي تكشف أسرار الكون ومعاني الوجود. ويظهر الرسول والتستري، واستفتين ونيفشه ويوناق والحلاج صاحب الشطحات والسهروردي صاحب إشراقات. وكلاهما يتجهان نحو الوجود. وكبار المحبين مثل سحنون ورابعة والأنبياء مثل يوسف وموسى وعيسى ومحمد أصحاب مواجيد ووجد ووجود[2].

7 ـ مؤلفات ابـــن عربـــي(638هـ)

أ ـ **«الفتوحات المكية»**[3]: والفتوحات «مثل» الموافقات «علامة فارقة في تاريخ كل علم، علوم التصوف وعلوم أصول الفقه». ففيه حدث التحول الفعلى من التصوف النفسي إلى التصوف الفلسفي. ومن النفس إلى العالم، ومن الداخل إلى الخارج، ومن الذات إلى الكون، ومن المعنى إلى الحرف، ويشمل العديد من الموضوعات الفلسفية مثل العقل الأول، والنفس الكلية، ونظرية الفيض. وكان ابن مسرّة هو أول من أسس التصوف النظري الذي ينتسب إليه ابن عربي. ونظراً

= الغيب، حواس القلب، خرابات، خرقة الصوفية، خلع العذار، ذكر الوجود، رابطة، رقباء الغيب، زحل، الزهرة، سَبَل، سفر، سفسطي، سفينة، سكينة، سهيل، شطح، الصفقة، طيار، ظلام الوجود، عالم الحدوث، عالم القدم، عامي، عبادة، عبودة، عبودية، عربدة، عرش الشيطان، عصمة، عطارد، علم التعبير، علم اليقين، عين اليقين، فراسة، قدرة، القدم والحدوث، القوس، كشف الغطاء، كيمياء، لسان الحال، اللّعل، مجذوب، المحو والإثبات، مرابطة، مراقبة، مرآة القلب، مرقعة، المشتري، القدم، منطق الطير، ميزان، ميزان الغيب، نرفانا، نفخ الصور، ميزان الشيطنة، النيران المذمومة، نيران الهوى، نية، هيمان، وهم، يد القلب (1).

(1) الآيات (64)، الأحاديث (30).

(2) الجنيد (8) التستري، الرسول (3)، استفتين، الحلاج، الزبير، السهروردي (أبوالنجيب)، عمار (البدليسي)، عيسى، قنطرون، يوناق (2)، أبو بكر الواسطي، أبو الجناب، أبو الحسين، النوري، إسرافيل، عزرائيل، نيفشه، الحافظ السلفي، الحضرمي، رابعة، سحنون، موسى، يوسف (1).

(3) دار صادر، بيروت (طبعة مصورة) (د.ت).

لسيادة هذا التحليل النظري تغيب التجارب المشتركة خاصة مع القارئ. وبالتالي يصعب إيجاد البراهين على صدق التحليلات العقلية خاصة إذا كانت الموضوعات متعالية تند عن الحس مثل الحديث عن الكواكب والأفلاك.

يبدو التصوف النظري وكأنه لا صلة له بالواقع، مجرد تأملات وخيالات كبديل عن الواقع الفعلي، أبنية نظرية في الهواء وصور ذهنية من صنع الخيال أو الوهم على عكس التصوف الأخلاقي المطابق للسلوك الفاضل، والتصوف النفسي المطابق للتجارب الإنسانية العامة.

وإذا كان «الإحياء» قد أقام التصوف على قسمة رباعية: عادات ومعاملات، ومهلكات ومنجيات فإن «الفتوحات» أقامه على قسمة سداسية: المعارف، المعاملات، الأحوال، المنازل، المنازلات، المقامات[1]. «المعارف» هي نظرية العلم التي يبدأ بها كل علم، الكلام أو الفلسفة أو الأصول، بالإضافة إلى بعض مسائل في الفقه. موضوع المعرفة هو الروح، ومراتب الحروف والحركات والكلمات، وسبب بدأ العالم خاصة الروحاني ومراتب الأسماء الحسنى وأسرار البسملة والفاتحة، والأقطاب، والإشارات والخواطر والقيامة أي تقريباً كل شيء فلا حدود لموضوعات المعرفة[2]. يضاف إليها بعض مشاكل الفقه التقليدية كالطهارة وأسرار الصلاة والزكاة والصوم والحج[3]. ثم يضاف موضوع ثالث وهو معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهدة عند المقابلة والانحراف وعلى كم ينحرف من المقابلة. وهي تأويلات باطنية لمائة وخمسين سؤالاً لا يعرف إجابتها إلا أهلها مثل عدد منازل الأولياء وأهل القربة ومنتهاهم ومجالسهم وأحاديثهم ومناجاتهم، والخاتم والرسل والملك والروح والأنبياء[4]. وهو أكبر الأقسام الستة[5].

والثاني «المعاملات». وهو الرابع من حيث الحجم[6]. ويضم موضوعات

---

(1) السابق جـ1/ 11-30.

(2) السابق جـ1/ 31-328.

(3) السابق ص 329-763.

(4) السابق جـ2/ 2-138.

(5) 855 ص والأبواب 73.

(6) المعارف (855ص)، المنازل (644)، المقامات (488)، المعاملات (241)، الأحوال (189)، المنازلات (118). وتضم 116 باباً.

الأخلاق مع بعض المقامات مثل التوبة والمجاهدة والعزلة والتقوى والورع والزهد والصمت والخوف والرجاء والحزن والجوع والخشوع أو الغيبة والقناعة والتوكل والشكر واليقين والصبر والرضا والصدق والحياة والولاية والنبوة والمحبة. ويستعمل لفظ مقام بمعنى عام بحيث يشمل كل شيء بما في ذلك الأحوال مما يدل على إنهاء الفصل التام بينهما كما هو الحال في المرحلة النفسية.

والثالث «الأحوال»[1]. وهو الخامس من حيث الحجم. يضم موضوعات نفسية خالصة بالكشف الصوفي في بداية النفس وهو أطول الفصول[2]. ويتناول موضوعات معرفية خالصة مثل التجلي واللوائح والتلوين والبوادر والهجوم والخواطر والواردات ...الخ. ثم تبرز الأحوال مثل القبض والبسط، والفناء والبقاء، والفرق والجمع، والرهبة والرغبة، والوجد والفقد، والصحو والسكر، والمحو والإثبات، والقرب والبعد، والحرية والعبودية، كما تضم أيضاً بعض موضوعات الطريق مثل الإرادة والهمة والسفر. هذا الخلط الإيجابي مقدمة إلى تجاوز التقسيمات الصارمة بين المراحل الثلاث، الأخلاقية والنفسية والفلسفية، وبين الأحوال والمقامات وآداب الطريق.

والرابع «المنازل». وهو الثاني من حيث الحجم[3]. وهي درجات إيمان الأولياء والأقطاب والأنبياء حتى المقام المحمدي وعناصر «الحقيقة المحمدية» وعلاقتها بالحضرة الموسوية والعيسوية والنسخ. ومنازل اشتراك النفوس والأرواح في الصفات تجليات للحضرة المحمدية. وهو من أطول الأبواب تتخلله وصلات[4]. والوصل مصطلح صوفي، ويضم أيضاً «معرفة منزل مفاتيح خزائن الجود» عدة وصلات أطول[5]. بل إن كل ما في الكون من تجليات قدسية من منبع الحضرة المحمدية[6]. وهنا يتحول تاريخ النبوة إلى تاريخ للتجلي في أشخاص الأنبياء وليس فقط في تطور الوحي طبقاً لحاجات المجتمع ودرجة رقي

---

(1) الفتوحات جـ2/ 382-570 (80باباً).

(2) السابق ص 390-477.

(3) السابق جـ2/ 571-693جـ3/ 2-522 (114 باباً).

(4) السابق جـ3/ 216-232.

(5) السابق ص360-408.

(6) السابق ص416-449.

الوعي الإنساني. ويكثر الاستشهاد بالكتب المقدسة، التوراة والإنجيل والزبور، دون معرفة مصادرها، الترجمات العربية القديمة أو النصوص الضائعة منها أو الإسرائيليات. ويتحول قصص الأنبياء إلى دورات في التاريخ كما هو الحال في الفكر الإسماعيلي في الأكوار والأدوار.

والخامس «المنازلات». وهو أصغر الأقسام حجما[1]. وإذا كانت «المنازل» للأنبياء فإن «المنازلات» للأولياء، منازلات المعرفة الكشفية والقرب من الحضرة الإلهية. المنزلة وضع إلهي، والمنازلة جهد إنساني، المنزلة كالحال والمنازلة كالمقام.

والسادس «المقامات» وهو الثالث من حيث الحجم[2]. وتعني المقامات هنا أقطاب المحمديين ومنازلهم خاصة الإثني عشر قطباً. لم يعد المقام درجة على الطريق بل شخصاً صاحب منزلة. وكل قطب له آية قرآنية تشير إليه. بل إن الأسماء الحسنى أيضاً مقامات[3].

«الفتوحات» أضخم سفر في تاريخ التصوف، تجميع لكل شيء من الأعمال السابقة في منظومة واحدة لدرجة التطويل مما يدفع إلى التصريح بضرورة الاختصار منعا للتطويل[4]. لذلك قد يصيب القارئ الملل بمتابعة هذا الكم الضخم من التحليلات الدائرية المتشابهة التي لا أول لها ولا آخر والتي يتوه فيها القارئ ولا يعرف من أين يبدأ وإلى أين ينتهي؟ وما هي مقاييس الصدق لهذا كله، لهذا التحليل أو ذاك؟ ينتهي الواقع لصالح الخيال، والعالم لصالح الوهم. ومع ذلك يحيل الكتاب إلى بعضه البعض لبيان وحدة موضوعه. كما يحيل الكاتب إلى باقي مؤلفات ابن عربي لبيان وحدة المشروع[5]. وهو كتاب ملغز يحتاج إلى تأويل وشرح[6]. لذلك أصبح متنا لعديد من الصوفية الشراح، لعباراته وألفاظه. ووضعت

---

(1) السابق جـ3/ 523-568 جـ4/ 2-74 (78باباً).

(2) السابق جـ4/ 74-561 (ص488)، (99باباً).

(3) السابق ص 196-325.

(4) يقع الكتاب في أربعة مجلدات تضم 2535 صفحة، 560 باباً. والفصل أصغر من الباب.

(5) وذلك مثل «المبادئ والغايات».

(6) الجرجاني: التعريفات: شرح مصطلحات ابن عربي في الفتوحات المكية.

قواميس خاصة له[1]. بل إن الصوفية بعد ابن عربي لم يخرجوا عنه. واستشهدوا به. وأصبح كتاب «الفتوحات» هو المعين الأول للأعمال الصوفية التالية. يُقتبس منه، ويحذى حذوه.

والآيات القرآنية كشواهد نقلية أكثر من الأحاديث النبوية[2]. ويستعمل القرآن إما مباشرة أو على نحو غير مباشر، بالاستشهاد بالآية أو بإدماجها داخل الخطاب لتقويته من الناحية الأدبية. وتستعمل الآيات الكونية القصيرة ليسهل إدراك هذه الحركة المتبادلة. وتستعمل أكثر من مرة للتعبير عن نفس الحدس وبنفس الشواهد. وتبدو مركزية القرآن حتى يبدو التصوف كله نابعاً منه، وأن العالم كله صدى له، وأن ظواهر الكون تحقق لآياته، وكأن «الفتوحات» ما هو إلا تفسير للقرآن. كما تبدو بعض الأبواب وكأنها شروح على القرآن، وأن الآية هي عنوان الباب[3]. ويبدو النص توتراً بين التجربة الفردية والواقع الاجتماعي. فالنص مجرد إمكانية للقراءة بين أقطاب خارج النص، تجربة القارئ وواقعه الاجتماعي.

وفي الأحاديث النبوية تُذكر الأسانيد مع المتون حتى في هذا الوقت المتأخر الذي بعد فيه العهد عن عصر التدوين واستقرار مدونات علم الحديث. وأحياناً تذكر المتون بلا أسانيد نظراً لأولوية المتن على السند. وتذكر في أكثر من رواية زيادة أو نقصانا[4].

ويستشهد ببعض الحكايات عن الصوفية أكثر من أقوالهم. فالحكاية أكثر جذبا للانتباه وإثارة للخيال. ويمكن تأويلها على عديد من الجوانب.

وإذا كانت علوم التصوف علوما كشفية ذوقية في مقابل الكلام والفلسفة كعلوم عقلية برهانية فالسؤال هو: ماذا عن تأويل القرآن؟ هل هو كشفي أم إلهامي لدني، وما التأويل إلا البرهان على صحته، وهو التأويل النازل أم أنه تحليل

---

(1) عبد الكريم الجيلي (826): الإنسان الكامل. عبد الغني النابلسي (1143): الوجود الحق والخطاب الصدق.

(2) لا يوجد كشاف في الطبعة الأولى للفتوحات والمصورة من صادر ليسهل تطبيق منهج تحليل المضمون بالنسبة للآيات والأحاديث والأشعار وأسماء الأعلام والأماكن والفرق.

(3) الفتوحات جـ4/ 98/ 194.

(4) السابق جـ1/ 223.

للتجربة الإنسانية صعوداً إلى النص، وهو التأويل الصاعد؟ فالنص له مصدران إلهي وبشري، نازل وصاعد، في الذهن الإلهي وفي النفس البشرية.

وفي «الفتوحات» الرواية المشهورة عن «مقابلة» ابن عربي مع ابن رشد، الأول يشاهد ما يعلمه الثاني، والثاني يعلم ما يشاهده الأول[1]. ومع ذلك تجمع «الفتوحات» أحياناً بين الإلهام والاستدلال، بين التوغل في التأله والتوغل في البحث بتعبير السهروردي في حكمة الإشراق[2]. وكيف تكون «الفتوحات» كشفاً ربانيا ولها مصادر مدونة معلنة وغير معلنة خاصة من «الإشارات الإلهية» لأبي حيان التوحيدي؟.

ويجمع الكتاب بين الظاهر والباطن ولا يعارض بعضهما بالبعض الآخر. كلاهما طريق للوصول إلى نفس الغاية. الأول طريق الفقهاء والمتكلمين والثاني طريق الصوفية والفلاسفة اعتماداً على التأويل. الأول للعامة، والثاني للخاصة وابن عربي ظاهري المذهب الذي كان سائداً في الأندلس منذ ابن داود الظاهري وتلميذه ابن حزم.

ويصعب الحكم على «الفتوحات» هل هو كتاب نثر أولاً ثم الاستشهاد عليه بالشعر أم هو ديوان شعر أولاً ثم شرح نثراً. فكل موضوع يبدأ بالشعر ثم يأتي الشرح بالنثر. وابن عربي شاعر، له ديوانه وأشعاره خارج الديوان. والشعر المذكور على ثلاثة أنواع: الأول شعر ابن عربي ذاته، والثاني شعر آخرين مثل النابغة، والثالث مجهول المؤلف أقرب إلى الشعر المتوارث كالحكم والأمثال.

ويتضح أن التصوف نظرة أشعرية للعالم، وان الأشعرية هي البنية النظرية للتصوف، الله المسيطر على كل شيء، وإرادته نافذة في كل ميدان دون أسباب أو فعل إنساني حر. ومع ذلك يبدو ملل حثيث من الأشعرية ونقد لها لأنها مازالت أسيرة علم الكلام[3]. ويظهر البرهان العقلي في أسلوب الحجاج التقليدي، أسلوب المسائل مثل «المستصفى» وتخيل الاعتراض مسبقاً والرد عليه «فإن قيل. . . قلت»

(1) السابق جـ1/ 153/ 154.
(2) السابق ص 288.
(3) السابق جـ1/ 200.

ودون الاعتماد على الحجج النقلية[1]. والخطاب موجه إلى القارئ، «اعلم أيها الولد»، مع الدعوة له، «هداك الله» مثل أسلوب إخوان الصفا. فالتصوف دعوة للناس.

ويتجلى التحول من المعنى إلى الحرف في «كتاب الحروف» جزء من نظرية العلم «المعارف»[2]. فالحروف هي سبب التجسيم والتشبيه إذا ما فهمت على الظاهر. وهي رموز لها معاني كونية إذا ما فهمت على الباطن. واللغة تحيل على الوجود. والحرف رمز على ظاهرة كونية، الحروف لها حركات وكذلك الكون. ومنها الصغار والكبار وكذلك الطبيعة. وتتعدد اللغات والألسنة. فهناك اللسان الشرقي واليماني والشامي. وهي أقرب إلى اللهجات منها إلى اللغات المستقلة. والألسنة التي تعددت لها حروف.

والقرآن حروف بدليل وجودها في بداية بعض السور مستقلة بمعانيها. كل حرف يشير إلى ظاهرة طبيعية، وهي في نفس الوقت حروف الأسماء الإلهية. لا تخضع للترتيب الأبجدي بل لها منطقها الخاص. وعلم الحروف معروف في الحضارات السابقة المسيحية واليهودية. وقد بأت الخزعبلات داخل التصوف النظري ابتداء من الحروف[3]. وهي الحروف الأبجدية للترتيب أبجدهوز والتي أصبحت موضوعاً للأغاني الشعبية.

(1) السابق جـ1/ 178-180/ 271/ 288.
(2) السابق جـ1/ 51-91.
(3) السابق جـ1/ 190.

أ	ب	جـ	د
هـ	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل
م	ن	س	ع
ف	ص	ق	ر
ش	ت	ث	خ
ذ	ض	ظ	غ

وهناك خمسة عوالم: الشهادة، والغيب، والملكوت، والجبروت، والملك. وقد يتصل عالمان كما يتصل حرفان مثل: عالم الغيب والملكوت، عالم الشهادة والجبروت، عالم الغيب والجبروت، عالم الملك والجبروت، عالم الملك والشهادة.

ويتحول علم الحروف إلى علم الأعداد. فكل حرف عدد، وباجتماع الحروف والأعداد تنشأ الحاجة إلى الرسومات البيانية بالحروف والأعداد. وهو ما زال مستمرا حتى الآن في الحركة الإصلاحية عند الكواكبي في «أم القرى» وفي المعتقدات الشعبية في الأحجبة لمداواة المرضى واتقاء الحسد[1].

واللغة تعبير وليست إيصالاً، وتحقيق وجود الذات أكثر منها إيصال حقائق للآخر مثل الفن بوجه عام، والشعر بوجه خاص. ويستعمل الخطاب كل أساليب التعبير في فنون القول مثل الجناس والطباق والسجع، والمجاز والتشبيه والاستعارة، تواصلاً مع الإشارات الإلهية «لأبي حيان التوحيدي». ومع ذلك «الفتوحات» خطاب على خطاب، قول مستقل بذاته عن العقل والواقع، عن المنطق والتجربة، كلام في كلام، بلا هدف كبير واضح بالرغم من القسمة السداسية التي تقوم على القسمة الرباعية «للإحياء» وفي نفس الوقت تقضي عليها لتغيير معاني المصطلحات والأهداف. وبالرغم من الخروج من الإنسان إلى العالم، ومن الذات إلى الموضوع، ومن النفس إلى الكون إلا أن الإنسان ما زال مركزيا في التصوف النظري. وبين الإنسان والطبيعة هناك إحالة متبادلة من الإنسان إلى الطبيعة، ومن الطبيعة إلى الإنسان، من العالم الأكبر إلى العالم الأصغر بمصطلحات إخوان الصفا. والفقه أيضاً إحالة متبادلة بين الإنسان والطبيعة، بين الشرع والكون. ليس مجرد أعمال فردية بل ظواهر طبيعية وحركات كونية.

وهناك أيضاً مركزية النكاح. فالنكاح فعل اتحادي رمزي، محبة وعناق، شوق وقبل، هياج ولقاء، رمز العلاقة المتبادلة بين الإنسان والله. والله ليس في حاجة إلى مثل هذه العلاقة الاتحادية. الله «ينكح نفسه» وبلغة الفلاسفة، الله عقل وعاقل ومعقول، عشق وعاشق ومعشوق.

ويبدأ الانحراف بالعلم نحو الغيبيات والخيالات وتدعيم ذلك بالأحاديث

(1) السابق جـ1/ 190/ 260/ 265.

القدسية الطوال التي يحاور فيها الله والملائكة وجبريل والرسول. وبها كثير من الإخراج والفن المسرحي عن القلم واللوح والعرش. في حين أن الغاية من الحديث بيان مجمل أو تفصيل عملي لأوجه الممارسة. والأحاديث القدسية بلا أسانيد ولا مصادر. يكفي أنها تبرهن على الخيالات المطلوبة بصرف النظر عن صحتها.

ويتجه التصوف النظري أكثر فأكثر نحو مركزية مُحمد، والقطب المحمدي، والحضرة المحمدية أو فيما يُعرف في التصوف باسم «الحقيقة المحمدية» منذ ذي النون المصري، وتشخيص الرسالة في الرسول، والمبدأ في الشخص، والنبوة في النبي، *وتحويل الوسيلة إلى غاية، والأداة إلى هدف.*

ويزداد التوجه نحو المعجزات والكرامات وأعاجيب الأفعال وكما بدأ في الطرق الصوفية بعد ذلك. وهناك أيضاً مركزية الحركة في الكون، الحركة المستقيمة، العلو والسفل، والحركة الدائرية. فالعالم متحرك وليس ثابتاً طبقاً للتصور الحركي للعالم على عكس التصور الثابت للمتكلمين والفلاسفة.

وهناك أيضاً مركزية العالم العلوي، عالم الأفلاك، والدورات الفلكية، وحركات النجوم والكواكب. وكلها حركات الروح في الكون. وقد تحول علم الفلك إلى التنجيم الشعبي وقراءة الطالع، وأثر الأفلاك في حياة الناس، ووقوع الحوادث. وقد تضخم هذا العلم في التصوف النظري المتأخر وفي التصوف العملي وتوحد بالثقافة الشعبية والأحجبة والطلسمات والنيرنجيات. ويصاحب ذلك كله الأخرويات وعالم الملائكة والشياطين ومناظر الحساب والعقاب.

ب ـ «فصوص الحكم»[1]: وترتيب «فصوص الحكم» بناء على رؤية الرسول في المنام وفي يده الكتاب. فهو علم نبوي كما أن «الفتوحات المكية» علم إلهي»[2].

---

(1) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (د.ت).

(2) «أما بعد فإني رأيت رسول الله صلعم في مبشرة أديتها في العشر الأواخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده صلعم كتاب. فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم. خذه وأخرج به إلى الناس ينتفعون به. فقلت السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا. فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله من غير زيادة ولا نقصان. وسألت الله أن يجعلني فيه وفي جميع أحوالي من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وأن يخصني في جميع =

فالولاية لا تنقطع. الأولياء ورثة الأنبياء[1]. ثم يضع فصول الكتاب كبرنامج في البداية[2].

والمعرفة الصوفية مكاشفة ومشاهدة ومعاينة[3]. لذلك يحال إلى علوم الذوق. والوجود الذهني هو الوجود العيني. ومع ذلك تعتمد على الدليل العقلي في فهمها وتنظيرها وعرضها[4]. لذلك يبدو الأسلوب نظرياً مجرداً. يغلب عليه البرهان لا الكشف. وتظهر تحليلات الفلاسفة في الطبيعيات والعناصر الأربعة. وتظهر بعض قضايا علم الكلام. ويأخذ ابن عربي الموقف الأشعري بأن الصفات زائدة على الذات[5]. وإذا عجزت العقول عن البرهان فالخيال أقدر من العقل[6]. لذلك تظهر لغة النور والخيال[7]. والعقل والطبيعة، البرهان والتجربة شيء واحد[8]. وتظهر فيه

= ما يرقمه بناني، وينطق به لساني، وينطق جناني بالإلقاء السبوحي، والنفث الروحي في الروع النفسي بالتأييد الاعتصابي حتى أكون مترجماً لا متحكماً ليتحقق من يقف عليه من أهل الله أصحاب القلوب أنه من مقام التقديس المنزه عن الأغراض النفسية التي يدخلها التلبيس. وأرجو أن يكون الحق لما سمع دعائي قد أجاب ندائي فما ألقي إلا ما يلقى إلي، ولا أنزل في هذا المسطور إلا ما ينزل به عليّ. ولست بنبي ولا رسول، ولكني وارث، ولآخرتي حارث...»، فصوص الحكم ص6-7.

(1) السابق ص34.

(2) السابق ص26-27.

(3) فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن ... فما تم موصول وما تمَّ بائن
لذا جاء برهان العيان فما أرى ... بعيني إلا عينه إذ أعاين
السابق ص 98.

(4) فلا تنظر العين إلا إليه ... ولا يقع الحكم إلا عليه
السابق ص134.
لم يدر ما قلت لم تخذل بصيرته ... وليس يدريه إلا من له بصر
السابق ص69.

(5) السابق ص 35.

(6) إذا ما تجلى للعيون ترده ... عقول ببرهان عليه تثابر
ويقبل في مجلى العقول وفي الذي ... يسمّي الخيال والصحيح النواظر
السابق ص88.

(7) السابق ص 118-119.

(8) السابق ص59.

ثنائية الحق. فللحق وجهان. والدين دينان[1]. ولكل شيء ظاهر وباطن، موسى والخضر[2]. التنزيه قيد، والتشبيه تحديد. والأفضل الجمع بين الاثنين[3].

وتظهر الأحوال والمقامات داخل تطور النبوة. المقامات مثل القرب والصبر والمحبة[4]. والأحوال مثل الجمع والفرق[5]. وتظهر بقايا الفقه في أسرار الحج والمسيرة في التشابه بين رضاعة موسى ورضاعة محمد[6].

ويتضمن وصفاً لتاريخ النبوة منذ آدم حتى محمد في سبع وعشرين درجة. كل نبي له درجته أو ماهيته أو دلالة نبوية. فالنبوات فصوص. كل فص نبوة[7]. والتقابل بين الحكمة والنبوة تقابل أدبي سجعي. الحكمة هي الدلالة الباطنية، والنبي كلمة أي وحي ونبوة[8]. ويلاحظ أنه ترتيب زماني. فالوحي يتكشف

---

(1) السابق ص 102–108.
(2) السابق ص35.
(3) السابق ص 32.
(4) فإن قلت بالتنزيه كنت مقيدا   وإن قلت بالتشبيه كنت محددا
وإن قلت بالأمرين كنت مسددا   وكنت إماما في المعارف سيِّدا
السابق ص 48–49.
(5) جمع وفرق فإن العين واحدة   وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذر
السابق ص69/ 219.
(6) السابق ص 205/ 268.
(7) وذلك أشبه بفصوص البرتقالة أو الثوم أو الخُص المغلق أو الكرمب أو البصل.
(8) آدم حكمة إلهية تشير إلى وحدة الوجود. وشيث، حكمة نفثية تشير إلى العلم، ونوح حكمة سبوحية تشير إلى التنزية والتشبيه. وإدريس حكمة قدوسية تدل على التنزيه الوجداني، وإبراهيم حكمة مهيمية تعني الحب. لذلك سمي إبراهيم الخليل. واسحق حكمة حقية إشارة إلى تعبير الرؤيا. وإسماعيل حكمة علية تدل على مقام الرضى. ويعقوب حكمة روحية لدينه الروحي. ويوسف نورية لتعبير الرؤيا. وهود أحدية لإعلان الوحدة. وصالح فتوحية لفتح الغيب والكشف عن التثليث. وشعيب قلبية للصفات القلبية. ولوط ملكية لقوته. وعزير قدرية لإيمانه بالقدر. وعيسى نبوية لوحدة الروح والطبيعة فيه. وسليمان رحمانية لجوده وكرمه. وداود وجودية لحكمه السياسي، ويونس سنية لمعجزة الخلاص. وأيوب غيبية لإيمانه بالغيب. ويحيى جلالية لطاعته. وزكريا مالكية لقوته. وإلياس إيناسية لنسبته إلى الملائكة وإدريس. ولقمان إحسانية لإحسانه، وهاورن إمامية لإمامته بني إسرائيل. وموسى علوية لصعوده جبل سيناء. وخالد بن سنان رمز الولاية حمدية لدعوته إلى التوحيد الطبيعي. ومحمد فردية بالحقيقة المحمدية.

تدريجياً عند كل نبي. وهناك تقدم تدريجي في تطور الوحي ومراحله في الكشف عن الحقيقة وهي وحدة الحق والخلق[1].

والحقيقة هي وحدة الحق والخلق. سبحان الذي خلق الأشياء وهو عينها. فوحدة الوجود تتجاوز الحلول والاتحاد[2]. ويتحول الحلاج من الذات إلى الموضوع، ومن الداخل إلى الخارج. تخللت روح الخليل كما تخللت الروح والجسد[3]. ويكون الإنسان والله على التبادل في الحمد والعبادة والمعرفة والغنى والوجود والكلام والإثبات والكون[4]. العبد رب والرب عبد[5].

(1) وهذا ما لاحظه لسنج في كتابه «تربية الجنس البشري» في الجدل بين اليهودية (الموضوع)، والمسيحية (نقيض الموضوع)، والتنوير (مركب الموضوع. وهو الإسلام نظراً للتشابه بين الإسلام والتنوير). انظر ترجمتنا للكتاب، دار الثقافة الجديدة، القاهرة 1977.

(2) يا خالق الأشياء في نفسه ... أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي لونه ... فيك فأنت الضيق الواسع
السابق، ص89
فإن دان لك الخلق ... فقد دان لك الحق
وإن دان لك الحق ... فقد لا يتبع الخلق
السابق ص125.

(3) قد تخللت مسلك الروح مني ... ولذا سمي الخليل خليلا
السابق ص71.

(4) فيحمدني وأحمده ... ويعبدني وأعبده
فيعرفني وأنكره ... وأعرفه فأشهده
فإني بالغني وأنا ... أساعده وأسعده
لذاك الحق أوجدني ... فأعلمه فأوجده
بذا جاء الحديث لنا ... وحقق فيّ مقصده
فنحن له كما ثبتت ... أدلتنا ونحن لنا
السابق ص87-79.

(5) فوقتا يكون العبد ربا بلا شك ... ووقتا يكون الرب عبدا بلا إفك
فإن كان عبدا كان بالحق واسعا ... وإن كان ربا كان في عيشة ضنك
فمن كونه عبدا يرى غير نفسه ... وتتسع الآمال منه بلا شك
ومن كونه ربا يرى الخلق كله ... يطالبه من حضرة الملك والمُلك
ويعجز عما طالبوه بذاته ... لذا ترى بعض العارفين به يبكي
السابق ص92.

والنماذج كثيرة في الحلول والاتحاد ووحدة الشهود ووحدة الوجود من آدم والمسيح ومريم[1]. وهو الحب الذي جمع بين بلقيس وسليمان[2]. وتاتي الذروة في شرح الحديث الشهير «حبب إليَّ من دنياكم ثلاث:

فأنت عبد وأنت رب ... لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب وأنت عبد ... لمن له في الخطاب عهد

السابق ص97.

فهو الكون كله ... وهو الواحد الذي
نام كوني بكونه ... ولذا قلت يغتذي
فوجودي غذاؤه ... وبه نحن نحتذي

السابق ص132.

فالكل منا ومنهم ... والأخذ عنا وعنهم
إن لم يكونوا منا ... فنحن لا نشكّ منهم

السابق ص160.

فأنت هو بل أنت هو وتراه في ... عين الأمور مسرحا ومقيدا

السابق ص49.

(1) عن ماء مريم أو من نفخ جبرين ... في صورة البشر الموجود من طين
تكون الروح في ذات مطهرة ... من الطبيعة تدعوها بسجِّين
لأجل ذلك قد طالت إقامته ... فيها وزاد على ألف بتعيين
روح من الله لا من غيره فلذا ... أحيا الموات وأنشأ الطير من طين

السابق ص170-171.

فلولاه ولولانا ... لما كان الذي كانا
فإنا أعبد حقا ... وإن الله مولانا
وإنا عينه فأعلم ... إذا ما قلت إنسانا
فلا تحجب بإنسان ... فقد أعطاك برهانا
فكن حقا وكن خلقا ... تكن بالله رحمانا
وخذ خلقته منه ... تكن روحا وريحانا
فأعطيناه ما يبدو ... به فينا وأعطانا
فصار الأمر مقسوما ... بإياه وإيانا
فأحياه الذي يدري ... بقلبي حين أحيانا
فكنا فيه أكوانا ... وأعيانا وأزمانا
وليس بدائم فينا ... ولكن ذاك أحيانا

السابق ص180-181.

(2) السابق ص175-177/ 190-201.

النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة». فالنساء رمز اتحاد الرجل والمرأة، والإنسان والله. والطيب هو الشوق بين الاثنين عن طريق الرائحة. والصلاة هو توحد الاثنين في الثالث، الجامع بينهما[1].

والإنسان هو حقيقة التوحيد بين الحق والخلق. هو خليفة الله في الأرض. يتحول إلى الإنسان الكبير وهو العالم كما هو الحال عند إخوان الصفا: الإنسان عالم صغير، والعالم إنسان كبير حتى الإنسان الكامل[2]. وهذا هو معنى الضحية[3]. وينوب الكبش عن الإنسان في الظاهر طبقاً لحكمة مرتبة. وهو حر في حين كان آدم مقيداً بالعقل والقلادة والإيمان[4].

يعتمد ابن عربي على القرآن والحديث والشعر وبعض الإسرائيليات كمصدر لتاريخ النبوة[5]. كما يستعمل القرآن والحديث كتداعي حر داخل الأسلوب. ويحيل إلى الصوفية السابقين دون تردد كبير مثل، سهل التستري، والشبلي، وأبو سعيد الخراز، والبسطامي، وتقي بن مخلد. ثم يأتي الترمذي وابن مسرّة والغزالي والجنيد، وغيرهم[6]. وينتقد الغزالي[7]. كما يحيل إلى القدماء والمتكلمين والأشاعرة من الفرق[8]. ويحيل إلى الفتوحات التي كتبت قبل «الفصوص»[9].

(1) السابق ص217.
(2) السابق ص13/ 132.
(3) فداء نبي ذبح ذبح لقربان ... وأين ثواج الكبش من نوس إنسان
السابق ص81.
(4) فيا ليت شعري كيف ناب بذاته ... شخيص كبيش عن خليفة صخر
ألم تدر أن الأمر فيه مرتب ... وفاء لأرباح ونقص لخسران
وأما المسمى آدم فمقيد ... بعقل وفكر أو قلادة إيمان
السابق ص82-83.
(5) الآيات (119)، الأشعار (80)، الأحاديث (13)، القرآن كتداعي حر (12)، القدسي (5)، الحديث كتداعي حر (1)، الإسرائيليات (2).
(6) سهل، الشبلي، الخراز، البسطامي، تقي بن مخلد (2)، الترمذي، ابن مسرّة، الغزالي، الجنيد، أبو القاسم بن قس، قيس بن الحطيم، أبو عبد الله بن القائد، الشيخ عبد الرازق، أبو مدين (1).
(7) فصوص الحكم ص153.
(8) السابق ص74.
(9) السابق ص33/ 224.

جـ ـ رسائل ابن عربي: وتمثل هذه الرسائل نفس التحول من المعرفة إلى الوجود. فيها تتداخل موضوعات المعرفة والميتافيزيقا والحروف مع موضوعات الخلق والزمان، وموضوعات الجلالة وأخيراً الطريق طبقا للنسق الكلامي الصوفي الفلسفي المعرفة ثم الكون والنبوة ثم الله ونهاية الطريق في التصوف العلمي، ومراسلاته مع صوفية وفلاسفة عصره.

وهي حدوس جزئية مشتقة من «الفتوحات» أو رسائل مستقلة ليست مستلة منها. تتميز بوحدة الموضوع. وبالتالي يمكن عرضها كلها مرة واحدة دون إبراز لخصوصية كل رسالة[1]. ويمكن عرض كل رسالة على حدة للإبقاء على خصوصيتها كوحدة أدبية مما يقضي على وحدتها ويوقع في التكرار. ومع ذلك فالعرض التفصيلي أفضل حرصاً على وحدة منهج التأليف في تكوين مراحل الوعي النظري من خلال النصوص. ويمكن إيجاد حل وسط بين العرض الكلي والعرض الجزئي عن طريق العرض التجميعي لعدد من الرسائل ذات موضوع واحد مثل وحدة الشهود أو وحدة الوجود أو الحروف أو الزمان أو الخلق أو القطب والبدل. . .الخ.

تعتمد أيضاً على الأدلة النقلية. القرآن والحديث والشعر. والقرآن أكثر. ويذكر أكثر من الشعر، والشعر أكثر من الحديث مما يدل على أن تصوف ابن عربي هو نظرية في التأويل، والخروج من اللغة إلى الوجود، فاللغة منزل الوجود بتعبير أحد المعاصرين، ومن الحروف إلى العالم، ومن الكلام إلى الأشياء. كما يعتمد على أقوال الصوفية مثل الحسن البصري والجنيد والسلمي والغزالي والبسطامي والحلاج والمحاسبي، والجيلي، وذو النون وابن عطاء وآخرين من مشايخه.

ومن الفرق يذكر المعتزلة والأشاعرة مما يدل على أن التصوف هو تطوير لعلم الكلام وتحويل «الثيولوجيا» إلى «أنطولوجيا»، والعودة بها إلى علم النفس. وتبدأ كلها بالبسملة[2]. والبعض منها تضيف، «وصلى الله على سيدنا محمد وآله

---

(1) مجموعها حوالي مائة رسالة. وهو أعظم مفكر إسلامي إبداعي. فابن سينا تجميعي مفتعل، وابن رشد حرفي مهني، والغزالي سلطاني.

(2) بسم الله الرحمن الرحيم (14).

وصحبه وسلم» أو «به الحول والقوة»، أو «والحمد لله وحده» أو«اللهم بارك وتممه» أو «الله مفتح الأبواب» أو «رب أنعمت فزد»[1].

1 ـ من المعرفة إلى العرفان

أ ـ «كتاب المعرفة»[2]: ويضم مائتين وست وتسعين مسألة متفرقة اثنان وعشرون منها بعناوين والباقي بلا عناوين. بعض العناوين آيات قرآنية مثل ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وبعضها أحاديث نبوية. والبعض الثالث أقوال مقتبسة من الغزالي أو بيت شعر، وتضم عدة مسائل موضوعاً واحداً منها النور والظلمة، والتوحيد والمعرفة. ويضم البعض الآخر بعض المقامات مثل الصبر وبعض الأحوال.

وتشمل كل موضوعات الكلام والأحوال والفلسفة والتصوف، أشبه بدائرة معارف للعلوم الإسلامية، وكثير منها ينتهي بالتعبير الأميز عند الصوفية والأشاعرة، «الله أعلم». البنية في مجموعها سيئة مجرد رصد مسائل مرقمة، يمكن إعادة تصنيفها في مجموعات أقل، في أبواب وفصول، لكل منها رأس موضوع. يتخلل بعضها فائدة[3]. يعتمد على القرآن والحديث والشعر[4]. كما يعتمد على أقوال صوفي واحد هو الغزالي وذو النون ثم البسطامي وأبو مدين والجنيد ثم التستري وغيرهم[5]. ومن الصحابة الإمام علي وعكرمة وابن عباس. ومن الأنبياء موسى ورفيقه الخضر ثم مُحمد (رسول الله) وآدم[6]. ومن الفرق، الأشعرية ثم المعتزلة ثم المتكلمون وأهل التحقيق من الصوفيين[7]. ومن الخلفاء المأمون. ومن اللامعينين الإمام. وتقوم بعض المسائل على القسمة العقلية والتحليل النظري[8].

---

(1) «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم» (7)، وبه الحول والقوة (4)، والحمد لله وحده (1)، اللهم بارك وتممه (1)، الله مفتح الأبواب (1)، رب أنعمت فزد (1).

(2) رسائل ابن عربي جـ4 (3) ص173-311.

(3) السابق ص 274-276/ 290/ 297-298/ 305/ 309.

(4) الآيات (154)، الأحاديث (21)، القدسية (4)، الأشعار (17).

(5) الغزالي (6)، ذو النون (5)، البسطامي، أبو مدين، الجنيد (2)، التستري، عطاء، الضحاك (1). ومن الصحابة الإمام علي، ابن عباس (1).

(6) الأنبياء موسى (6)، الخضر (3)، مُحمد (2)، رسول الله (3)، آدم (1).

(7) الأشعرية (3)، الأشاعرة (1)، المعتزلة (3)، المتكلمون، أهل التحقيق من الصوفية (1).

(8) كتاب المعرفة ص225/ 230/ 233/ 250/ 252.

ب ـ **«نفائس العرفان»**[1]: وهو في نظرية المعرفة النظرية عن طريق التأمل في النفس والآفاق، والعملية عن طريق الشيخ والمريد كما هو الحال في «كتاب الكنه فيما لابد للمريد منه». وهو رد على الحائر والجاهل وللسالك الذي لم يجد شيخه، وموجه إلى المريد الصادق وهو المتعلم. يعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية[2].

2 ـ من علوم النظر إلى علوم الذوق:

أ ـ **«كتاب الانتصار»**[3]: وهو انتصار علوم الذوق على علوم النقل بناء على سؤال وحوار بين ابن عربي وأحد المشايخ[4]. تبدأ بعرض موانع الذوق الخمسة وإثباتها سلبا ثم ترد على الاعتراضات، وتذكّر بأشياء، ثم تفرض مسألتين الثانية منها قول الحسين. وتنتهي بعشرين سؤالاً مستنبعاً من شرح بيت شعري عن السقي والشراب والضيف ومقامتها. والأهم هو طرح سؤال العملية بين الأشعرية في التصوف. فكل أشعري ليس بصوفي وكل صوفي هو أشعري بالضرورة. الخلاف فقط بين المعرفة النقلية والعقلية والمعرفة الذوقية الكشفية[5]. ويعتمد على الشعر والحديث والقرآن[6]. ومن الصوفية يذكر البسطامي ثم الحلاج ثم الغزالي وأبو مدين[7]. ومن الفرق يذكر الأشعري والأشعرية والصوفي ثم أهل

---

(1) مكتبة صبيح، القاهرة 1967.

(2) الآيات (15).

(3) رسائل (1) جـ2 (20) ص1-19.

(4) السؤال من عبد اللطيف بن أحمد، ابن محمد هبة الله، البغدادي (ابن ملكا) صاحب «المعتبر».

(5) «اعتراض: فإن قلت وفقك الله أن المقام الذي أشرت إليه في المسألة من التوحيد هذا هو اعتقاد أهل السنة. وفيه أفنت الأشعرية أعمارها حتى علمته. فأي غريبة أتى هذا الصوفي أو بأي صفة زائدة ورد علينا. انفصال: قلنا صدقت وفقك الله فيما قلت لكن بين الصوفي والأشعري في هذه المسألة ما بين علمت وعانيت. وهذا هو المعنى اللطيف الذي يفضل به الشاهد الغائب، وإن علمنا قطعاً أن الخليفة في الوجود لسنا كمن شاهده وشاهد حضرته فلقد في مشاهدة صفة واحدة من صفات جلال الله عند فنائك في نفسك. نعني كل أشعري على البسيطة ليس بصوفي»، السابق ص17.

(6) الأشعار (5)، الأحاديث (4)، الآيات (2).

(7) أبو يزيد (5)، الحلاج (2)، الغزالي، أبو مدين (1).

السنة[1]. والمنام أيضاً مصدر للعلم. والأسلوب أسلوب إخوان الصفا في مخاطبة القارئ والدعوة له.

ب ـ **«مراتب علوم الوهب»**[2]: وهي العلوم اللدنية غير المكتسبة. فالعلوم قسمان منتجة وغير منتجة. الأول مثل العلوم بالذات المقدسة والثاني مثل علوم الأدلة التي تنتج مدلولاتها إلى ما لا نهاية حتى الوصول إلى العلم الإلهي الكوني الذي لا تستقل العلوم بإدراكها. ولا يعرف إلا بالتقرب إلى الله والسلوك في طريقه. وتشمل العلوم المنتجة الأمثلة القرآنية والتشبيهات الفرقانية بلسان النور ولغة الماء الصافي أو الممزوج باللبن و العسل والخمر. ولها تأويلان إلهي وروحاني. ويعتمد على القرآن والحديث دون ذكر للأشعار أو الأقوال الصوفية[3]. ومن الأنبياء يذكر إبراهيم، ومن الصحابة أبو بكر وعمر.

جـ ـ **«كتاب اليقين»**[4]: وهو موضوع صوفي قرآني بالأصالة. إذ يفرق الصوفية بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، مراتب ثلاث للمعلوم، بالعلم والمشاهدة والتصديق. وهو في مقابل الظن. وهو أساس المعجزة[5]. ويذكر سبب تأليف الكتاب وتسميته في فصلين آخرين، وهو زيارة ابن عربي للخليل ثم لوط مع صاحبين له[6]. ويمر بمسجد اليقين، مسجد إبراهيم. لذلك سمي الكتاب كتاب اليقين الذي كتبه بمسجد اليقين. ويخلو الكتاب من أي تقسيم إلى أبواب وفصول باستثناء الفصلين الأخيرين. وقد أضاف إليها المحقق ملاحق ونصوص خاصة بمقام اليقين في «الفتوحات» مما يَخرج عن احترام نص الكتاب[7]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[8]. ومن الأنبياء يذكر لوط ثم إبراهيم الخليل ثم

---

(1) الأشعري (2)، الأشعرية (1)، الصوفي (2)، أهل السنة (1).

(2) رسائل ابن عربي جـ1 (2) ص121-127. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

(3) الآيات (3)، الحديث القدسي (1).

(4) رسائل ابن عربي جـ4 ص45-76.

(5) السابق ص64-66.

(6) هما صاين الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطوف المري، وعفيف الدين أبو مروان عبد الملك بن محمد بن حفاظ القيسي، السابق ص64، وكان ذلك عام 602هـ.

(7) السابق ص67-76.

(8) الآيات (33)، الأحاديث (2)، القدسية (1)، الأشعار (2).

إسحق. ومن المتقمصين دحية. ومن الملائكة جبريل[1]. ومن الفرق يظهر الأشعري ثم المعتزلي[2]

د ـ **«كتاب الشاهد»**[3]: وهو في نظرية المعرفة. هي شواهد الحق في القلب من العلوم الإلهية[4]. وتظهر بعض مفاهيم الشيعة مثل الأكوار والأدوار. تكثر فيه العناوين الفرعية في أبواب بعضها يبدأ بلفظ شاهد والآخر دونه[5]. وأحدها شاهد بلا إضافة. والبعض الآخر مجرد أبواب[6]. ويخلو من الشواهد النقلية. ويظهر القرآن وحده[7].

هـ ـ **«الفناء في المشاهدة»**[8]: وهو دال بعنوانه. فالفناء معرفي، أقرب إلى وحدة الشهود منه إلى وحدة الوجود. هو تجربة ذوقية. وحضرة الإنسان أتم الحضرات وجوداً[9]. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[10]. ويذكر من الصوفية الحسن البصري ومالك بن دينار والسنجي[11]. ويحال مرة أخرى إلى «الفتوحات المكية».

و ـ **«الإعلام بإشارات أهل الإلهام»**[12]: وهو كتاب في المعرفة الإشارية

---

(1) لوط (4)، إبراهيم (3)، الخليل (2)، إسحق (1)، دحية (4)، جبريل (1).
(2) الأشعري (3)، المعتزلي (2).
(3) «هذا كتاب يتضمن ما يأتي به شواهد الحق في القلب من العلوم الإلهية والوصايا الربانية بلسان الحكمة وفصل الخطاب. وهذه الشواهد هي التي تبقى في قلب العبد بعد الانفصال من مقام المشاهدة. وبه تقع اللذة للعارفين فيتردد الخطاب فيهم من وجودهم لوجودهم»، رسائل جـ1 ص1.
(4) السابق جـ1، ص 1-20.
(5) عشرة أبواب تبدأ بلفظ شاهد يتلوها: الاشتراك في التقدير، السجدتين، الأنوار والظلمات، التوبيخ، الغيرة، الوزراء، الأمر الخفي والجلي، الرباني، العلم.
(6) وهي خمسة عشر باباً هي: الحب، الصدق، العناية، القضاء، القدر، المنكر، المنة، العبادة، الشك والتسخير، السلب، الغيب، الوفاء، الباطن، العزة، الوكالة.
(7) الآيات (3).
(8) رسائل ابن عربي جـ1/ ص2-9.
(9) السابق ص8.
(10) الآيات (13)، الأحاديث (1).
(11) الحسن البصري، مالك بن دينار، السنجي (1).
(12) رسائل (1)جـ2/ (7) 2-10.

والإشارات مثل الشطحات دون صدماتها اللغوية. ويتضمن عناوين فرعية مثل: الرؤية، السماع، الكلام، التوحيد، المعرفة، الحب، الإشارات في أنواع شيء. ويعتمد على القرآن والشعر دون الحديث[1]. ويحال إلى الأنبياء مثل نوح، وإلى الصحابة مثل الصديق[2]. وتذكر بعض المتون دون أصحابها[3].

ز - «**شق الجيب بعلم الغيب**»[4]: وهو من أكبر الكتب. ويتضمن العنوان صورة فنية عن كشف الستر لمعرفة الغيب. وهو إجابة على سؤال خاص ولطلاب المعرفة بوجه عام[5]. كتبه بين العشائين. وله عنوان فرعي «بكن ويكون ودر الدرر». وهو موجه إلى القارئ بفعل أمر «اعلم». وهو في التوحيد بوجه عام والصفات بوجه خاص. والقدم سابق على باقي الصفات السبع[6].

وينقسم إلى فصول وتنبيهات ووصايا[7]. وقد يكون للوصل عنوان. والإشارات والنهايات شكل أدبي معروف منذ ابن سينا. يجمع بين الشواهد النقلية والتنظير العقلي الخالص. والقرآن أكثر من الشعر. والشعر أكثر من الحديث[8]. ويعتمد التنظير العقلي على القسمة[9]. وتكثر المصطلحات الفلسفية بحيث يتحول النص إلى معجم للمصطلحات[10].

وبه حوار متخيل بين السالك والشيخ وأحياناً متخيله مع الغراب والملك والحكيم[11]. ومن الأنبياء يذكر مُحمد وصفة الموسوية[12].

---

(1) الآيات (9)، الأشعار (1).
(2) نوح، الصديق (1).
(3) «ما قدرت منها إلا ما سمعته من قائله إلا ما ذكرت اسمه والحمد لله. وجملتها مائتان وبضعة وستون كلمة»، رسائل جـ2/ 10.
(4) رسائل ابن عربي جـ1 (12) ص285-374 وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.
(5) هو الولد العزيز الأعز محسن الدين واتفق معه زين العابدين.
(6) وهي: الذاتية، المصدرية، العلمية، المكانية، الزمانية، الرتبية، الطبيعية، شق الجيب ص286.
(7) فصل (13)، فصل من إشاراتهم (1)، تنبيه (3)، وصية (1)، لطيفة (1).
(8) الآيات (42)، الأشعار (16)، القدسية (15)، الأحاديث (3).
(9) مثل القائم بالنفس، والقائم بالغير، المفرد والمركب، الإيجادي والأمري.
(10) مثل: الزمان، الآفاقي، الزمان، الأنفسي.
(11) مثل وصية تنبيه لمن له لب بنيته، السابق ص30.
(12) محمد، الموسوية (1).

والوصية دعوة إلى السر مثل ما فعل الغزالي في «الجامع والعوالم عن علم الكلام» و«المضنون به على غير أهله» وكما عبر عن ذلك ابن عربي في «الوصية» في آخر الكتاب[1].

ح ـ **«كشف الستر لأهل السر»**[2]: وهو موضوع بين المعرفة والوجود كشف الستر للمعرفة وأهل السر هم العارفون بوحدة الوجود، من معرفة النفس إلى معرفة الرب كما هو الحال في الرسالة الوجودية لشرح القول المأثور «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، وهو سبب التأليف[3]. فالسر وحدة الوجود[4]. يعتمد على الشعر

(1) لا راحة مع الخلق فارجع إلى الحق فهو أولى لك. فإن عاشرتهم على ما هم عليه بعدت عن الحق. وإن عاشرتهم على ما أنت عليه قتلوك فالستر أولى لك. السابق ص345.

(2) رسائل جـ6 (1) ص31-43.

(3) «من عرف نفسه فقد عرف ربه. ومن عرف ربه فقد أحبه. ومن أحب الحق فقد جذبه. ومن جذبه فقد قربه. ومن قربه أفناه عن وجوده. وأبقاه بشهوده. ومنحه كمال مشهوده، وأطلعه على حقائق وجوده»، السابق ص31.

(4) هذا الوجود وإن تكثر ظاهرا ... وحياتكم ما فيه إلا أنتم
أنتم حقيقة كل موجود بدا ... ووجود هذه الكائنات توهم
السابق ص32.
إنما الكون خيال ... وهو حق في الحقيقة
والذي يفهم هذا ... حاز أسرار الطريقة
السابق ص32.
كل الجمال غدا لوجهك مجملا ... لكنه في العالمين مفصل
السابق ص35.
فما انفك يرضاني بكل محبّة ... ومازلت أهواه بكل مودة
فممتنع عنه انفصالي وواجب ... وصالي بلا إمكان بعد وقربة
السابق ص39.
فأنت عبد وأنت رب ... لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب وأنت عبد ... لمن له في الخطاب عهد
السابق ص39.
فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن ... فما ثم موصول وما ثم بائن
بذا جاء برهان الحديث فما أرى ... بعيني إلا عينه إذ أعاين
السابق ص40.
فلا تنظر إلى الحق ... وتعريه عن الخلق
ولا تنظر إلى الخلق ... وتكسوه سوى الحق

والقرآن والحديث دون ذكر للصوفية[1]. ومن الأنبياء يذكر آدم، ومن الكتب المقدسة التوراة، ومن الصحابة علي[2].

3 ـ من الذات الإنسانية إلى الذات الإلهية

أ ـ **«الرسالة الوجودية»**[3]: وهي رسالة في معنى قول الرسول «من عرف نفسه فقد عرف ربه». وهو ليس حديثاً للرسول بل هو قول مأثور عن يحيى بن معاذ. وهو تحويل البعد الذاتي لسقراط «أعرف نفسك بنفسك»، إلى بعد رأسي صوفي. فالرب في داخل الذات[4]وهي رسالة في التصوف النظري، في التوحيد ضد ثنائية المتكلمين. فالله والعالم شيء واحد، والحق والخلق وجود واحد، دون وقوع في الحلول[5]. وطريق ذلك هو العشق. ولا تعرف وحدة الوجود لا بالعلم ولا بالعقل ولا بالفهم ولا بالوهم ولا بالعين ولا بالحسن الظاهر ولا بالعين الباطن ولا بالإدراك. والله ليس محجوباً لأنه يتجلى في كل شيء[6]. يُعرف الرب بالرب[7].

السابق ص41.

(1) الأشعار (14)، الآيات (6)، الأحاديث (3)، القدسية (3).

(2) آدم، التوراة، علي (1).

(3) الرسالة الوجودية، مكتبة القاهرة (د.ت)، ولها طبعة أخرى في رسائل ابن عربي جـ2 (3) بعنوان كتاب اللهو ص59-70.

(4) وهو الدليل الأنطولوجي عند أتسيلم وديكارت، انظر كتابنا نماذج من الفلسفة المسيحية.

(5) «فأفهم هذا لئلا تقع في غلط الحلولية. لا هو في شيء ولا شيء فيه، لا داخلاً ولا خارجاً»، الرسالة الوجودية ص2.

(6) «والحجاب غير الله فيلزم غلبة غيره عليه بالدفع عن رؤيته له. وهذا غلط وسهو»، السابق ص3.

(7)
عرفت الرب بالرب — بلا نقص ولا عيب
فذاتي ذاته حق — بلا شك ولا ريب
ولا حيران بينهما — فنفسي مظهر الغيب
وقد عرّفته نفسي — بلا مزج ولا شرب
وصلت وصل محبوبي — بلا تعب ولا قرب
ونلت عطاء ذي فيض — بلا من ولا سلب
ولا فنيت له نفسي — ولا يبقى له ذوبي

السابق ص13.

والله بقاء لا فناء، وجود لا عدم، ولا يتطلب فناء الوجود ولا عدمه[1] ويجوز ذلك بدل أن يقول أنا الحق، اعبدوني سبحاني، ما أعظم شأني. ولا يجوز سب الدهر لأن الله هو الدهر[2]. الصوفي غير مخلوق مثل الله. هو الرائي والمرئي، والواجد والموجود، والعارف والمعروف، والمدرِك والمدرَك[3]. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[4].

ب ـ **«الوقت والآن»**[5]: وهي رسالة في اللحظة التي يعيشها الصوفي. فالصوفي ابن وقته. والوقت هو الحق لأن الحق يتجلى فيه[6]. ليس فقط الفعل في الزمان كما هو الحال عند الأصوليين بل الوجود الإنساني كله في الزمان[7]. الإنسان وجود زماني. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية[8]. ويذكر الصوفية وحدهم كفرقة. كما يذكر المتقدمون من علماء الحق[9].

---

(1) «وأكثر العراق أضافوا معرفة الله تعالى إلى فناء الوجود وفناء البقاء وذلك غلط وسهو واضح فإن معرفة الله تعالى لا تحتاج إلى فناء الوجود وفناء فنائه»، الرسالة الوجودية، ص3». ومتى ينكشف هذا السر علمت أنك لست ما سوى الله، السابق ص4. «قالوا إن الطرق لا تتيسر إلا بالفناء وبقاء الفناء وذلك لعدم فهمهم قول النبي، ولظنهم أنهم بمجرد الشرك أشاروا طوراً إلى نفي الوجود أي فناء الوجود، وطوراً إلى الفناء، وطوراً إلى فناء الفناء، وطوراً إلى المحور، وطوراً إلى الاصطلام. وهذه الإشارات لها شرك محصن»، السابق ص 10.

(2)

ظننت ظنونا بأنك أنت	وما أن تكون ولا قط أنت
فإن أنت أنت فإنك رب	وثاني اثنين دع ما ظننت
فلا فرق بين وجوديكما	فما بان عنك ولا عنه بنت
فإن قلت جهلا بأنك غير	حسنت وإن زال جهلك كنت
فوصلك هجر وهجرك وصل	وبعد قربك بهذا حسنت
دع العقل وافهم بنور انكشف لئلا	تفوق ما عنه صنت
ولا تشرك مع الله شيئاً	لئلا تهون فالشرك هنت

(3) هذا أشبه بوحدة الذات والموضوع في الظاهريات، السابق ص10.

(4) الأحاديث (11)، القدسية (1)، الآيات (8)، الأشعار (2).

(5) رسائل جـ6 (2) ص49-52.

(6) وهو ما عرف في الظاهريات بالشعور الداخلي بالزمان.

(7) من النص إلى الواقع جـ2، الباب الثاني، الوعي النظري.

(8) الآيات (3)، الأحاديث (3).

(9) الصوفية (2)، المتقدمون من علماء الحق (1).

ج ـ **«أسرار الذات الإلهية»**[1]: وهي في موضوع التوحيد، وحدة واحدة بلا أبواب أو فصول أو أقسام أو عناوين فرعية. موضوعها الذات الإلهية وتعيناتها العالمية والواحدية والقادرية والأزلية والربوبية. وهو ما يسمى في علم الكلام الأشعري أوصاف الذات[2]. وتعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية[3].

د ـ **«الجلال والجمال»**[4]: وهما مفهومان صوفيان، لا مقامان ولا حالان. جعلهما نجم الدين كبري (618هـ) من قبل عنواناً لعمل له[5]. وهما مقرونان بحالتي الهيبة والأنس. الأنس مربوط بالجمال، والهيبة بالجلال. وفي القرآن إشارات لكليهما. ومع بعض الإشارات تنبيهات. وهما مصطلحا ابن سينا. الجمال للإنسان، والجلال لله. إشارات الجلال لله في التنزيه واستحالة الرؤية ومطلق المعرفة والوحدانية والمغفرة والتقوى. وإشارات الجمال أيضاً نفي المماثلة وإحصاء كل شيء والجهاد. ويتضح تداخل الجمال والجلال في جمال الجلال وجلال الجمال. إذ لا يوجد حد فاصل بينهما. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[6]. والبسملة مشفوعة بعبارة «به الحول والقوة» ومن الأعلام يذكر الإسفراييني.

4 ـ تجليات الذات الإلهية في الكون

أ ـ **«رسالة الأنوار»**[7]: والنور موضوع بين المعرفة والوجود ونموذجه النبوة والولاية. ويشتركان في ثلاثة أشياء. الأول في العلم دون تعلم كسبي. والثاني في الفعل بالهمة وما لا قدرة للجسم عليه. والثالث رؤية عالم الخيال في الحس. ويختلفان في الخطاب وفي المعارج بين النور الأصلي في النبوة والنور الفرعي في الولاية. والأسلوب والدعوات مثل رسائل إخوان الصفا «الحمد لله واهب العقل».

---

(1) رسائل ابن عربي جـ1 (7) ص197-204. ولها طبعة أخرى في دار الكتب العلمية..

(2) من العقيدة إلى الثورة جـ2 التوحيد.

(3) الآيات (13)، الأحاديث (3).

(4) رسائل ابن عربي (1) جـ1 (2) ص2-17.

(5) وهما لفظان عرفهما كانط في العصور الحديثة في الغرب في كتابه «ملاحظات حول الجميل والجليل».

(6) الآيات (73)، الأحاديث (4).

(7) رسائل (1)/ جـ1 (12) ص1-19.

وهو إجابة على سؤال. ويذكر بعض المقامات مثل الزهد والتوكل. والأسلوب قصصي، قصة السالك في طريق الروح، تغلب عليه المحسنات البديعية. ويستشهد بالقرآن وحده سواء القرآن النصي أو القرآن الحر داخل الأسلوب[1]. وهو في نفس الوقت على درجة عالية من التنظير. ويخلو من الشعر، لكنه لا يخلو من النثر الفني. ويذكر من الأنبياء مُحمد ثم موسى ثم عيسى ثم إبراهيم ثم آدم وسام وإسحق وإسماعيل وإدريس ويوسف وهارون[2]. وتحول أسماء الأنبياء إلى صفات مثل مُحمدي وموسوي[3]. والأنبياء صوفية سادة وأصحاب أحوال يدعون إلى الأخلاق الرحمانية والأخلاق القهرية والأخلاق الإلهية. ومن المجموعات يذكر الملامتية والشيوخ[4].

ب ـ **«مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية»**[5]: وهو الوجود الذي يتحول إلى معرفة بعد أن تحولت المعرفة إلى وجود. فالمشاهدة معرفة ووجود، ذات وموضوع. والنور كذلك إحالة متبادلة بين العين والشيء المنير، وليس مجرد انعكاس بين رائي ومرئي. وبالرغم من اعتمادها على القرآن والحديث إلا أنها قائمة على التجربة العيانية المباشرة[6]. بل إن المكاشفات العلمية والمشاهدات القلبية توحي بأن الكشف تم أولاً ثم التنظير جاء ثانياً كما هو الحال في «حكمة الإشراق» للسهروردي[7]. ومن لم يدرك الكشف بعقله يكون أمانة بين يديه حتى يأتيه نور العقل وصفاء الضمير، وتلحق الإماء بالحرائر أي عندما يتحرر الإنسان[8]. والخاتمة مملوءة بالشواهد النقلية على عكس الرسالة التي تعتمد في معظم مشاهدها على الدليل العقلي المؤيد نادراً بالدليل النقلي.

---

(1) الآيات (4)، الآيات الحرة (1).

(2) مُحمد (6)، موسى (4)، عيسى (3)، إبراهيم (2)، آدم، سام، إسحق، إسماعيل، إدريس، يوسف، هارون (1).

(3) محمدي (2)، موسوي (1).

(4) الملامتية، الشيوخ (1).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت2005.

(6) الأحاديث القدسية (1)، الآيات (3)، الحديث (8).

(7) «استخرجناها لكم من الخزائن المحفوظة في غيابات الأزل، المصانة عن طوارق الأغراض والعلل»، السابق ص40-41.

(8) السابق ص40.

وتتكون من أربعة عشر مشهداً. كل منها مشهد نور وطلوع نجم[1]. الوجود مع بحر العيان، والأخذ مع نجم الإقرار، والنور مع التأييد، والشعور مع التنزيه، والصمت مع السلب، والمطلع مع الكشف، والساق مع الدعاء، والصخر مع البحر، والأنهار مع الرتب، والحيرة مع العدم، والألوهية مع «لا»، بالوحدانية مع العبودية، والصمد مع الفردانية، والحجاج مع العدل[2]. وتبرز الخطة في البداية. وتستعمل لغة الحوار «قال لي.. قلت» مع الوجود ومع الله مع مقدرة لغوية بلا حدود وكشف ورؤية لا يتنافيان، ويذكر من الصوفية أبو سليمان الداراني. ومن الصحابة علي وابن عباس، ومن الفرق الدهرية والمعتزلة. ومن الكتب المقدسة التوراة. ومن الأنبياء موسى.

جـ ـ **«كتاب أيام الشأن»**[3]: وهو كتاب الخلق، خلق العالم في عدة أيام كما هو الحال في اليهودية. وهو وجود الماء في الزمان في أيام بل وفي ساعات هي قضية الوجود في الزمان. ويعتمد على عناوين فرعية مثل: حقيقة، بيان، إفصاح، تتميم، تكملة، لاحقة، ومن الأدلة النقلية يعتمد على القرآن والشعر دون الحديث أو أقوال الصوفية السابقين[4].

د ـ **«كتاب الأزل»**[5]: وهو موضوع فلسفي نظري خالص في الأزل، كل الزمان، بين الكلام والفلسفة. ويقسم إلى عناوين فرعية مثل «فصل»، «تنبيه». ويعتمد على القرآن والشعر والحديث القدسي[6]. كما يعتمد على بعض البراهين النظرية اعتمادا على السبر والتقسيم في علم الأصول. ومن الفرق يُحال إلى المحققين والقدماء. كما يُحال إلى كتاب «الجداول والدوائر».

هـ ـ **«شجرة الكون»**[7]: وهو عنوان أصيل يجمع بين النبات والكون، بين

---

(1) مثل: «مشهد نور الوجود بظلوم نجم بحر العيان»... الخ السابق ص39.

(2) وكل شيء لا تفهمه، ولم يبلغه علمك، ولا تصرف فيه عقلك. فهو أمانة بيدك. والله يكون بنور البصائر، ويصلح السرائر، ويصفي الضمائر، ويلحق الإماء بالحرائر»، السابق ص41.

(3) رسائل (1) جـ1 (5)/ 2-18.

(4) الآيات (25)، الأشعار (1).

(5) رسائل جـ1 (11) ص1-16.

(6) الآيات (4)، الأشعار (2)، القدسية (1).

(7) مكتبة صبيح، القاهرة، 1967.

الجزء والكل. يوحي بالنشأة والتطور. يتخلق الكون من جذور وسيقان وفروع وأوراق وثمار مثل الشجرة. لا فرق بين النبات والحيوان والجماد، بين الإنسان والنبي والولي، بين الحس والعقل والقلب[1]. وفيها أيضاً تطور النبوة كما هو الحال في «فصوص الحكم» ومن آدم حتى مُحمد ونقيضهم لدي إبليس. فالنص سلاح أُعطي للإنسان لحمايته من غواية إبليس. وفيه أيضاً يظهر العرش والملائكة والموضوعات السمعية. والحقيقة المحمدية تتجلى تدريجياً مع خلق الكون حتى تكتمل في التصوف النظري. والإسراء والمعراج في نهاية التطور. وبالرغم من التأويلات الرمزية فإن الفلاسفة والمتكلمين خاصة المعتزلة لا يسلمون من النقد. فهي مشاهدة ما يفكر فيه الفلاسفة. وفي خطاب الله لمُحمد في الإسراء والمعراج يعاتب اليهود لأنهم جعلوا عزيرا ابنه، والنصارى لأنهم زعموا أن المسيح ابنه، والوثنيين لشركهم وتجسيمهم، والمشبهة لتحديدهم، والمعطلة لعدميتهم، والمعتزلة لإنكار رؤيته[2]. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الفلاسفة[3].

و ـ **«مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم»**[4]: ويتضح من العنوان التحول من المعرفة إلى الوجود[5]. ويقوم على قسمة ثلاثية محكمة، ثلاث مراتب: العناية للتوفيق، والهداية للتحقيق، والولاية للتصديق. والمرتبة الثالثة أكبرها[6]. وقد دون في أحد عشر يوماً دفعة واحدة[7] وكتب إجابة على سؤال

---

(1) وهو ما فعله أيضاً دارون ولامارك وسبنسر في التطور المادي وبرجسون وتياردي شاروان في التطور الروحي في الفلسفة الغربية المعاصرة.

(2) «يا مُحمد، إني خلقت خلقي ودعوتهم إليّ فاختلفوا علي. فقوم جعلوا العزير ابني، وأن يدي مغلولة وهم اليهود. وقوم زعموا أن المسيح ابني، وأن لي زوجة وولد وهم النصارى. وقوم جعلوا لي شركاء وهم المشبهة. وقوم جعلوني معدوماً وهم المعطلة. وقوم زعموا أني لا أرى في الآخرة وهم المعتزلة»، شجرة الكون ص32.

(3) الآيات (46)، الأحاديث (4)، القدسية (2).

(4) مكتبة صبيح، القاهرة 1384هـ-1965م.

(5) السابق ص2.

(6) الأولى (14)، الثانية (24)، الثالثة (141).

(7) الابن الطاهر التقي الزاهد الفاضل أبو محمد عبد الله، وابن عبد الله الحبشي الحراني التميمي، السابق ص4-5 بالمرسية عام 595هـ.

الابن الطاهر عن طريق ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ومنح أسرار الكيان بالفضل العظيم[1]. تبدأ بمجمل الخطة[2]. وهو موجه إلى القارئ. وتتخلله بعض الحكايات الرمزية.

وبالرغم من العلم الباطن إلا أن الفقه يظهر في الإحالة إلى استحالة الصلاة في الدار المغصوبة[3]. ومراتب الأفلاك تقابل المقامات والأحوال، لا فرق بين مراتب النفس ومراتب الكون في إحالة متبادلة ومتواصلة بين الذات والموضوع. والسؤال هو: ما مصدر هذا كله، العلم أم التجربة، الرواية أم الكشف. وكل مرتبة لها موقع ومطلعان وثلاثة أفلاك. مطلع العناية توفيقي. ومطلعهما وفاقي وإلهي. وأفلاكها إسلامي وإيماني وإحساني. وموقع الهداية علمي. ومطلعاها عياني وإلهي. وأفلاكها أيضاً إسلامي وإيماني وإحساني. وموقع الولاية علمي. ومطلعاها خلقي وإلهي. فالمطلع الثالث واحد وهو الإلهي. ويختلف المطلع الثاني بين الوفاقي والعياني والخلقي. ويختلف الموقع الأول بين التوفيقي في الأول والعلمي في الثاني والثالث. وينقسم الإيماني في المرتبة الثانية، الهداية للتحقيق إلى ثمانية أنوار. كما ينقسم الإسلامي في المرتبة الثالثة، الولاية للتصديق، إلى ثمانية أفلاك. والمرتبة الثالثة، الولاية للتصديق، يتضمن موقعها العلمي الإسلامي. أفلاكها الثمانية حول التحقق بأعمال الأعضاء الشرعية والفلك الأذني السمعي، وفصل عن علامة السامعين. ومنازل هذا العضو وهو التلاوة، والفلك اليميني والفلك البطني. وأكبر الأفلاك الثمانية الفلك السادس، فلك البروج وهو الفلك القدمي وبه معجزات المشي على الماء والهواء، والفلك القبي وكراماته ومنازل المضاهاة الإلهية والكونية، والتجلي الصمداني، والمتنزل الذاتي والسماع عن الحق، والهبات والعطايا والمعرفة والأيام والشهور المقدرة وقلب الذاكر، والفاني عن الذكر بالمذكور وعن المذكور بالذكر. وأكبر المطالع الإلهي. يشمل الوصية والحكمة وحديث الجليس والتواضع والزهد والابتعاد عن المذاهب، والوقت، والصحبة والمجالسة واحترام الشيوخ. وزيارة المساجد، والتوجه نحو

---

(1) السابق ص7-9.

(2) السابق ص12.

(3) باب ما يحتاج إليه من العلوم المرتبطة بالسعادة الأدبية في دار الإسلام السابق ص33.

القبلة وكلام القلب والورع ومواقع النجوم الفرقانية.

ويعتمد على القرآن والشعر والحديث[1]. ولا يُعلم على وجه التحديد هل استعمال النصوص تنزيل أم تأويل، استشهاد بعد التجربة أم تبرير وتشريع لها بعدها؟ ويستعمل القرآن الحر تدعيماً لأسلوب النثر الفني. هل تحولت الآيات إلى تجارب تنزيلاً أم خسرت النصوص طبقاً للتجارب تأويلاً؟ والإيمان لا يتعلق بعرق. فقد كفر بالعرب وآمنت الفرس[2]. ويستشهد بكثير من أقوال الصوفية مثل أبو مدين والجنيد ثم البسطامي ثم سهل بن عبد الله ثم القشيري، ثم المحاسبي والغزالي، ثم الداراني والسلمي ثم السهروردي وأبو طالب المكي ورابعة والحسن البصري[3]. وآخرون من عصره[4]. ومن الصحابة يذكر الصدِّيق وأبو هريرة[5]. ومن الأنبياء يذكر مُحمداً (أحمد)، وإبراهيم وموسى وسليمان[6]. ومن الصوفية المؤلفين يذكر صاحب المواقف، وصاحب السراج. ومن المؤلفات يحال إلى المعارف والأعلام للسهيلي. ومن مؤلفات ابن عربي يحال إلى «منتخب الأسرار في صفة الصدِّيقين والأبرار» و «مفتاح أقفال التوحيد» و «التدبيرات الإلهية».

ز ـ «رسالة لا يعوَّل عليه»[7]: وهي رسالة في موضوع ما لا يعتمد عليه حتى لا يتأسس الوجود على عدم. هو بحث عن الأساس الذي يرتكز عليه الوجود. وكل أمر سلبي يُحول إلى أمر إيجابي عن طريق نفيه. والغالب هو السلب[8]. وأحيانا يتضمن الحكم السلب والإيجاب معاً. وبعض الأحكام تبدأ «بكل» وهو الأغلب، والبعض الآخر بدونه. وأحياناً يصدر الحكم قبل الحيثيات،

---

(1) الآيات (108)، الأشعار (50)، الأحاديث (22)، القدسية (3).

(2) مواقع النجوم ص40.

(3) أبو مدين (10)، الجنيد (9)، البسطامي (7)، سهل بن عبد الله (5)، القشيري، الموروزي، الفاضل الحليم، حسن البصري (3)، المحاسبي، الغزالي (2)، أحمد المرسي، الداراني، السلمي، السهروردي، أبو طالب المكي، رابعة. . .الخ (1).

(4) مثل: العريف، العراك، الشكاز، أبو مروان، أبو العباس، السهيلي، أحمد المرسي، الرماني، أبو القاسم، التاوري. . . الخ.

(5) عمر (4)، الصديق (3)، السياري (2)، أبو هريرة (1).

(6) مُحمد (9)، أحمد (2)، إبراهيم (4)، موسى (3)، سليمان (1).

(7) رسائل (1) جـ1 (16) ص1-20.

(8) هي322 أمر «لا تعول عليه»، وأمر واحد «تعول عليه»، السابق ص4-5.

وأحياناً بعدها، والغالب بعدها. وأحياناً تكون صيغة الحكم «لا يقتدى به» والأغلب لا يعول عليه، والأقل الجمع بينهما[1]. ويعتمد على أقل عدد من الأدلة النقلية من القرآن والحديث[2]. والاعتماد الأكثر على التنظير الخالص وتحليل التجارب البشرية. ومن الفرق يذكر أهل الإعتزال والأشاعرة[3]. وتتكرر بعض الموضوعات، وتتشعب أخرى. وهي مئات الوصايا في حاجة إلى تجميع في مجموعات أصغر. ويمكن تجميعها في ست مجموعات طبقاً للطريق الصوفي: المعرفة والأخلاق والمقامات والأحوال والتوحيد[4].

8 ـ رسائل الكاشاني (730هـ)، الشيرازي (1050هـ)، النابلسي (1143هـ)

أ ـ «في العلم الاستدلالي» للكاشاني[5]: وهي رسالة قصيرة في التحول من المعرفة النظرية إلى الوجود العيني، ومن العلم الاستدلالي إلى العلم الشهودي، كما فعل ابن عربي في «فصوص الحكم»، من الحق إلى الخلق، ومن الذات إلى الموضوع، ومن المعرفة إلى المعروف. وهذا هو معنى التسبيح أي المعرفة التي تقود إلى الوجود. وتعتمد الرسالة على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر[6].

---

(1) السابق ص12.

(2) الآيات (1)، الأحاديث (1).

(3) أهل الاعتزال، الأشاعرة (1).

(4) 1- المعرفة مثل: الخاطر والوارد، التفكر، الفراسة، الغيب، التجلي، المكاشفة، الشهود، العلم، النظر، الرؤية، الظن، اليقين، الولاية، النبوة، الشطح. 2- الأخلاق مثل: الأدب، العمل، الشفع والوتر، الإيثار، الإرادة، الإسلام، الإحسان، الإيمان، المراقبة، الاستقامة، الإخلاص، الحياء، الغرة، الحرص، التقوى والورع. 3- الطريق مثل: السماع، الكلام، الجذب، الوقت، النهاية، البداية، الحمد، البلاء، المواصلة، المسامرة، القرار، السفر، السهر، النوم، الفتوة، الصحبة، التحقيق، الرياضة، المجاهدة، الروح. 4- الحال مثل: الهيبة والأنس، القبض والبسط، التمكين والتلوين، الغيبة والحضور، الصحو والسكر، الجمع والفرق، الخوف والرجاء، القرب والبعد. 5- المقام مثل: الصبر، التوبة، التوكل، خرق العوائد، الأسباب، التسليم، التفويض، المحبة، والخلة، الشوق، الرضا، الشكر، الفقر (الجوع)، العبودية. 6- التوحيد مثل: الوجد، الوجود، الحق، الخلق، التعظيم، المظهر الإلهي، التنزيه، الأسماء.

(5) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ.

(6) الآيات (2).

ومع ذلك يحيل القاشاني إلى «فصوص الحكم» لابن عربي حيث يبدو تكشف النبوة مساوقاً لتجلي الحق في الوجود[1].

ب ـ «الرسالة العرفانية» للكاشاني[2]: وموضوعها المعرفة الإشراقية، حلقة الانتقال من المعرفة إلى الوجود، تعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث[3]. وتخاطب القارئ مباشرة للتعبير عن تجربة معرفية صوفية أصيلة.

جـ ـ «شرح حديث الحقيقة» للكاشاني[4]: وبالرغم من وجود لفظ شرح في العنوان مما يتطلب متنا إلا أن اللفظ هنا يعني بيان وتفسير معنى الحقيقة[5]. والحقيقة هنا ليست معنى عقلياً بل هي كشف ورؤية تتحد فيها الذات بالموضوع والرؤية بالمرئي. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر دون أقوال الصوفية لأنها تجربة ذاتية[6].

د ـ «إكسير العارفين» لصدر الدين الشيرازي[7]: وقد صمد التصوف النظري بالتحاقه بالفلسفة الإشراقية عند صدر الدين الشيرازي أو الغوص في الوجود استئنافا لابن عربي عند عبد الغني النابلسي وبالتالي اجتماع صدر الدين الشيرازي مع ابن عربي في تأسيس فلسفة الوجود. وفي «الوجود الحق» ولفظ الوجود هو أكثر الألفاظ تكراراً[8]. تغيب فيه موضوعات التصوف الأخلاقي. الفضائل والرذائل، والتصوف النفسي، المقامات والأحوال، إلى المعرفة الإشراقية الخالصة في إطار «الحكمة المتعالية». ويتضح ذلك من العنوان «إكسير العارفين» فالإكسير هو شراب الحياة. ويتكون من أربعة أبواب. الأول يبدأ كالعادة بنظرية العلم

(1) خاصة إلى «فص الحكمة المالكية في الكلمة الزكرياوية»، السابق ص183.
(2) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت2005م-1426هـ.
(3) الأشعار (4)، الآيات (2)، القدسية (1).
(4) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005-1426هـ (6) ص119-123.
(5) وهو أيضاً عنوان لرسالة لهيدجر «في معنى الحقيقة».
(6) الآيات (7)، الأحاديث (2)، الأشعار (1).
(7) جامعة طوكيو 1404هـ- 1984م.
(8) الوجود (45)، الوجود الحق (24)، الوجود المحض (23)، الوجود المحق (12) وعشرات أخرى من مشتقات اللفظ. التجلي ومشتقاته (25)، الذات ومشتقاتها (25)، الشهود ومشتقاته (27)، الصورة ومشتقاتها (48)، العقل (58).

بتقسيم العلوم، علم الأقوال وعلم الأفعال أي العلوم النظرية والعلوم العملية، ثم علم الأفكار أي علم العقائد وعلم الآخرة أي ما يقع بعد الموت. والثاني معرفة النفس حاملة العلوم، آفاقها وعلومها، ورقيها، وخلافتها الإلهية وعوالمها التي تؤدي إليها، وكيفية الوصول إلى عالم الربوبية. والثالث البدايات أي الخلق، وبداية الزمان والمكان ووجود الإنسان والملاك وآدم وحواء والشيطان. والرابع معرفة النهايات وهي الحياة بعد الموت والعناية الإلهية. ومصطلحاته إشراقية مثل: تفريع عرشي، تأييد استبصاري، إعلام وتنبيه، نكتة وإشارة، تأييد فرقاني، تأويل قدسي، إعارة. . . الخ. ويعتمد على الحجج النقلية والعقلية، القرآن أكثر من الحديث. ولا يشير إلى أحد من الصوفية السابقين اعتماداً على التنظير الخالص. والإشارة إلى «الشفاء» للشيخ الرئيس وفرفوريوس تلميذ المعلم الأول[1].

هـ ـ **«الوجود الحق والخطاب الصدق» للنابلسي**[2]: وهو امتداد «للفتوحات» وشروح عليه من أحد تلاميذ الشيخ الأكبر. وطغيان «الفتوحات» على القرون الخمسة التالية حتى القرن الثاني عشر الهجري مثل طغيان «الإحياء» على القرنين التاليين له. فقد انتهت المرحلة الخلقية بما فيها من مقامات وأحوال، وبدأ التوجه نحو الوجود والالتقاء مع الفلاسفة دون ذكر لآخرهم، ابن رشد لأنه أقرب إلى الفقه، ولكن ابن سينا حكيم الإشراق هو الذي في الذهن ونقل «النيولوجيا» إلى «انطولوجيا» كما حدث في علم الكلام المتأخر في نظرية الوجود[3]. وما حاوله ابن عربي في التحول من المعرفة إلى الوجود حققه النابلسي بالخوض في الوجود قبل صياغته في خطاب. ومن ثم يكون تأويل الخطاب الصوفي بإرجاعه إلى مصدره الأول في الوجود. والكتاب مقسم إلى وصلات. والوصل لفظ صوفي[4]. ويخلو من القسمة إلى أجزاء أو أبواب أو فصول.

ويعتمد الكتاب على قراءة القدماء خاصة المتكلمين من أجل تأسيس علم الكلام الصوفي أو علم التصوف الكلامي، التوحيد الصوفي الوجودي في مقابل

---

(1) إكسير العارفين ص100.

(2) المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1955.

(3) من العقيدة إلى الثورة، جـ1 المقدمات النظرية.

(4) اللفظ من وضع المحقق بكري علاء الدين. وهما 47 وصلة.

التوحيد الكلامي الذهني. تحليل الوجود وهو في نفس الوقت تحليل التوحيد[1]. لذلك ينقد الزنادقة الذين يدّعون التصوف، ويخطّئون مراد الصوفية في أن الوجود هو الله، ويجهلون مؤلفات مدرسة وحدة الوجود. كما يخطئ الصوفية الزنادقة باعتبارهم العلم حجاب لأن العلم كشف. ويخطئون ثالثاً بإنكار التكاليف الشرعية. وسبب الزندقة عند مشايخ الطرق الصوفية الضالين وسبب إلحادهم حالتا الجمع والفرق لديهم، وإدمان المخدرات على عكس المحققين من الصوفية وعباداتهم وأعمالهم. وهم الأوتاد والأبدال، شهود الوجود[2].

والناس من التصوف على أربعة مواقف: الأول الإنكار عليهم والجحد لهم وهو جهل بهم، غرور بالنفس، وحب للدنيا، ورفض الإذعان. والثاني السكوت عن الاعتراف بمزاياهم وذكر فضائلهم. والثالث الاعتقاد بهذا العلم الإلهي دون معرفة هذا العلم. والرابع معرفة هذا العلم بالذوق والمطالعة، والاطلاع والمشافهة، وهو موقف ابن عربي[3].

ويظهر الجانب النقدي في التصوف النظري، نقد الكلام ونظريته في الصلة بين الماهية والوجود، ونقد الفلسفة التصورية التي مازالت تعطي الأولوية للمعرفة على الوجود، ونقد الفقه الذي مازال يرفض التحول من الظاهر إلى الباطن، ومن الشريعة إلى الحقيقة. ويتوجه النقد أيضاً إلى التصوف من داخل الصوفية

---

(1) أكثر الكتب ذكراً الفتوحات (14)، مسند الفردوس للديلمي، منبر التوحيد للنجم الغزي (7)، شرح المقاصد للتفتازاني (6)، أنوار التنزيل للبيضاوي، طبقات الأولياء للمناوي (4)، رسالة الخلوة لابن عربي وشرحها للجيلي، شرح عقائد النسفي للتفتازاني، طبقات الأخيار للشعراوي، الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي، لطائف المنن لابن عطاء، مشكاة الأنوار للغزالي، الميزان الذرية للشعراني (3)، الإحياء للغزالي، الإتقان للسيوطي، حاشية القزويني على شرح الدواني، حقائق التسليم للسلمي، الحكم العطائية لابن عطاء، رسالة تحقيق مذهب المتكلمين للجامي، شرح أم البراهين للسنوسي، العقائد للنسفي (2)، أدب الدنيا والدين للماوردي، تجريد التوحيد لأحمد الغزالي، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، حلية الأولياء لأبي نعيم، الرسالة القشيرية، روح القدس لابن عربي، عوارف المعارف للسهروردي، فصوص الحكم لابن عربي، كشف الفضائح اليونانية للسهروردي، منازل السائرين للتلمساني، مواقع النجوم لابن عربي... الخ (1).

(2) الوجود الحق ص247–253.

(3) السابق ص277–287.

بالانحراف به عن الطريق المستقيم إلى التصوف المزيف[1].

يتحقق من آراء المتكلمين في الوجود والذات والصفات ويحاورهم[2]. وينتقد آراء سعد الدين التفتازاني اعتمادا على نقد النابلسي[3]. ويبين اختلاف المتكلمين في العلم بحقيقة الله. وينتقد الفرقة الخيالية التصورية. وتصور الفلاسفة للوجود أفضل من تصور المتكلمين إلا أن الفلاسفة أفسدوه بالتأويل. ويأتي الصوفية لإصلاح ما أفسده الفلاسفة. ثم يأتي الصوفية الوجوديون لإصلاح ما أفسده الصوفية المتكلمون. والصوفية الوجوديون أمثال ابن عربي والجامي والقونوي[4]. ويخصص قسطاً كبيراً من الكتاب لنقد العقل الكلامي خاصة الأصفهاني في توحيده بين العلم والذات[5]. كما ينقد الطائفة الخيالية من المتكلمين والفقهاء الذين يجعلون الله في عالم الأذهان وليس في عالم الأعيان[6].

والاعتماد على الحجج النقلية، القرآن والحديث والشعر، أكثر من الحجج العقلية والآيات أكثر من الأحاديث[7]. وكما هو الحال في «الفتوحات» هناك حضور طاغ للشعر. فالخطاب الصوفي أصبح شرحا للشعر. الشعر أولاً والنثر ثانياً لأن الشعر أقدر على التعبير وأسرع في الإيصال. ومن الأعلام الصوفية يتصدر ابن عربي ثم محمد الغزي ثم الجيلي ثم ابن عطاء الله السكندري ثم الجنيد ثم القونوي والتلمساني ثم ابن الفارض ثم الشعراني ثم ابن سبعين والخدري والسلمي والسهروردي والجامي والغزالي. ومن المتكلمين يتصدر سعد الدين التفتازاني ثم الجلال الدواني ثم البيضاوي ثم الإيجي والشهرستاني والأصبهاني[8].

---

(1) السابق، ص247.

(2) السابق ص23-28.

(3) السابق ص35-38.

(4) السابق ص63-81.

(5) السابق ص117-148.

(6) السابق ص169-174.

(7) الآيات (246)، الأحاديث (93)، الأشعار (47).

(8) ابن عربي (25)، سعد الدين التفتازاني (10)، محمد الغزي (7)، عبد الكريم الجيلي (6)، الجلال الدواني (5)، ابن عطاء الله السكندري، أبو منصور الديلمي، الجنيد، الصدر القونوي، البيضاوي، ابن الفارض، الأشعري (4)، الإيجي، الشعراني، التلمساني، =

9 ـ أعمال البكري (1162هـ). الصيادي (1328هـ)، عنقشاه

أ ـ **«صادحة الأزل»**[1]: والعنوان شاعري، الأزل يصدح، الزمان والصوت. وهي رسالة صغيرة الحجم، قطعة واحدة. تغيب منها الأبواب والفصول. يتضح فيها أثر ابن عربي وأسلوبه الذي يعتمد على السجع وباقي المحسنات البديعية بالإضافة إلى جانب من الخيال القصصي. يتبع أسلوب القول «فإن قلت.. قيل» وتمارس وحدة الوجود ذوقياً. وتنتهي الرسالة برؤية تجمع بينم اللغة والمعرفة والعلم الإنساني والشريعة والتجلي الإلهي في الوجود، رؤية باطنية أصلية بلا زخارف أو ابتداع[2]. يعتمد على أقل قدر من الأدلة النقلية، القرآن والشعر دون الحديث وأقوال الصوفية[3]. الحديث لا يكفي لأنه نثر شرعي عملي دون خيال القرآن وأسلوبه الشعري ونثره الفني. وأقوال الصوفية ليست مصدراً للتجربة الصوفية مثل التجربة الأدبية[4].

ب ـ **«المورد العذب لذوي الورود في كشف معنى وحدة الوجود» لمصطفى البكري**[5]: وهو حكم شرعي في مسألة وحدة الوجود. يعتمد على علم الكلام في قسمة الوجود إلى قديم وحادث مع التركيز على منهج الذوق في المعرفة باعتباره

= الشهرستاني، الأصبهاني (3)، ابن سبعين، الخدري، السلمي، السهروردي، الجامي، الغزالي، السنوسي (2).

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 (3) ص125-135.

(2) الآيات (2)، الأشعار (1).

(3) من لي بمن يخبر الأنام بما ... بلغنيه القضاء والقدر
أصبح قلبي لفرط وصلته ... بيت شهود تتلى به السور
السابق ص132.

(4) «ولنرجع إلى ما سبقت له هذه الرسالة. وغلفت لمراسمه هذه الدلالة. وذلك إجابة رسول صون العلوم الإنسانية عن مسألة تدلت له في حقائق ما بطن منها، رفاف العبارة عنها. ويفيق بأمر الله في خلق الله حاكماً، وبأسرار الشريعة موروثه عالماً حاكماً مبنياً على قواعد التجلي الذاتي أساسه، وعلماً مشرقاً بنور الاختصاص الصمداني نبراسه، سالماً بالله تعالى من شوائب الإبتداع. فإن الله تعالى جعل الميزان الأعظم لكل عارف، وما سواها بالنسبة إلى حقيقة هداها. إنما هو لوامع الزخارف، والمتجلي بالله تعالى، منغمس في بحار الجمع. فالله سبحانه وتعالى له البصر والسمع كما شهد به الحديث، ودل به القديم على الحديث»، السابق ص134-135.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 (2) ص99-121.

مسؤولاً عن وحدة الوجود[1]. في الظاهر من المحرمات، وفي الباطن من «المضنون به على غير أهله». وتؤول شطحات العارفين لتتفق مع الشريعة لأن التمسك بالشريعة والعمل بميزانها مقياس صحة العقائد. فالحقيقة مقيدة بالشريعة. ويصل الأمر إلى هدر دم الصوفي المخالف للشريعة في ثقافة الظاهر والرأي الواحد والفرقة الناجية[2]. فعلوم الحقيقة لا تعارض العقل ولا التمسك بالسنة النبوية. واليقين علم وعين وحق. والأولياء ضنائن الحضرة. وتأتي اللغة بكل ما فيها من محسنات بديعية للربط بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية.

وسبب تأليف العبد الفقير للمولى الغني الودود هو تأليف الناس في وحدة الوجود والاختلاف عليها بين موافق ومخالف[3]. ويخاطب القارئ لإبلاغه الدعوة بعبارات نداء مثل «أيها الأخ». ويعتمد على القرآن والشعر والحديث[4]. ويحيل إلى ابن عربي وأثره الطاغي على التصوف من بعده. فهو «الأكبري» و«الشيخ الأكبر» والحلاج والجنيد، ثم الشعراني وإبراهيم الخواص والحسن البصري وسيدي أرسلان عارف الزمان والنابلسي[5]. ويحال إلى عدة مصادر مثل «نصائح المريد»، «الفتوحات»، «الوصايا» لابن عربي، «الجواهر والدرر» للشعراني. ومن المحدّثين النووي. ومن الأنبياء هارون. وتؤخذ منها اقتباسات بعلامة اُنتهى.

(1) «وإذا كان السكران المحق في سكره لا يحتج بكلامه كالحلاج فكيف بالمتساكر»، السابق ص105.

(2) «واعلم أن جميع أهل من يصطفيهم أطبقوا عن بكرة أبيهم أن المخالف للشريعة المحمدية مهدور الدم». يقتل في الحل والحرم، ولو أنه مشى على الماء أو تربع في الهواء. فهو ممكور به، ليس له غير السيف دماء. . . وقد أفتى (النابلسي) بقتل جماعة ممن ينتمون إليهم. . . » السابق ص111-112.

(3) «قد ألف الأعيان من أهل العيان، قديماً وحديثاً، رسائل في معنى وحدة الوجود، وأفصحوا عن المراد منها والمقصود، وحققوا أن العقول بها موافق لما عليه أهل السنة والجماعة القود، وجعلها البعض من العلم المضنون به عن غير أهله الباذلين في طلبه المجهود. وقال آخرون: هي من العلم الواجب بثه لمن يطلب قربا أن يسود»، السابق ص101.

(4) الآيات، الأشعار (5)، الأحاديث (2).

(5) ابن عربي، الجنيد، الحلاج (3)، الشعراني، إبراهيم الخواص، الحسن البصري، أرسلان، النابلسي (1).

جـ ـ «حديقة المعاني في حقيقة الرحم الإنساني» لأبي هدى الصيادي[1]: وهي رسالة في تتبع أنساب الأفكار في الرحم الإنساني وكأننا في المعرفة التكوينية وما دام البشر كلهم من آدم وحواء. فلا فرق بين أنساب الأبدان وأنساب المعاني. الأولى في الرحم العضوي، والثاني في الرحم المعنوي. والقرابة ليست فقط في الدم والنسب بل أيضاً في الروح والفكر. والشرع نظام البدن متفق مع العقل نظام الفكر. وتعتمد الرسالة على القرآن ثم الشعر ثم الحديث[2]. وتجذب الانتباه بألفاظ التركيز مثل «نكتة لطيفة»[3]. ولا تعتمد على أعلام الصوفية أو تقتبس من مصادر مرغوبة بل تعتمد على الإبداع الخالص.

د ـ «معالم الفكر»، «نداء الحقيقة»، «رسالة القلب»، «نيروان». لمحمد صادق عنقاشاه الأويسي[4]: استمر التصوف النظري في إيران من خلال الإشراق الذي يجمع بين الحكمة والتصوف، بين التأمل والطرقية. فالمؤلف ينتسب هو وعائلته إلى أويس القرني قطب الصوفية الأول بشهادة الرسول تصب في «الفكر الصوفي الإيراني المعاصر»[5].

والرسائل الأربع مثل رسائل ابن عربي والشيرازي، استمرار لتراث صوفي نظري يركز على الوجود والمعرفة. تمت كتابته قبل الثورة الإسلامية في إيران. ويعتمد على التحليل النظري الخالص مع بعض التجارب الشخصية التي يتم التعبير عنها بضمير المتكلم المفرد[6]. وتغيب كل الأدلة النقلية التي اشتهر القدماء بكثرة الاعتماد عليها. وينقسم البحث إلى ثمان مقالات. ويتم العرض بأسلوب حديث واستدلال منطقي.

لا تعتمد الرسالة الأولى «عالم الفكر» على الموروث القديم والتراث الصوفي إلا مرة واحدة بالإحالة إلى أبي العباس الآملي[7]. ومن التراث الشرقي لا يوجد

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت.
(2) الآيات (25)، الأشعار (3)، الأحاديث (1).
(3) حديقة المعاني ص197/ 205.
(4) دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1975م.
(5) وهو العنوان المختار من المترجمين «من الفكر الصوفي الإيراني المعاصر».
(6) السابق ص141.
(7) معالم الفكر، من الفكر الصوفي ص129.

إلا ذكر للعقائد البوذية مرة واحدة[1]. ويعتمد اعتماداً شبه أوحد على الوافد الغربي الحديث بعد أن أصبح أحد مكونات الفكر الإسلامي المعاصر منذ ما يزيد على قرنين من الزمان كما كان الوافد اليوناني الروماني أحد الروافد الغربية لمكونات الفكر الإسلامي القديم. فيتقدم ديكارت وليبنتز العقلانيان اللذان تصورا المادة فكراً وروحاً وهو ما يقترب من الفكر الصوفي. فالمادة حركة وامتداد عند ديكارت، وذرات روحية عند ليبنتز. وانتهى إسبينوزا إلى وحدة الوجود، التوحيد بين الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة كما انتهى الصوفية المسلمون، ابن عربي نموذجاً. كما يحيل إلى هيغل وفشته من أنصار وحدة الروح والطبيعة، الله والوجود، وسبنسر الذي اكتشف قوانين المادة وكاننندر صاحب نظرية المعرفة، وجوزيف سنيل صاحب كتاب الحاسة السادسة. ومن القدماء يحيل إلى سقراط وأوغسطين فيلسوف الذاتية كما هو الحال عند الصوفية. ويقتبس من بعضهم. ويشير إلى المذاهب الغربية مثل المذهب المادي. ويستعمل كل فلاسفة العلوم الغربية الذين يعتبرون المادة عقلاً أو روحاً لتدعيم موقف الصوفية نيوتن وكبلر، وجاليوس وكوشي ومسمير مكتشف المغناطيسية، وجيمس جينز، وكالواي فيلسوف الرياضيات ومكتشف نظرية المجموعات[2].

وشتان ما بين البداية، أويس القرني، والنهاية، فلسفة العلوم الغربية. فهل هي ظاهرة طبيعية في الاستعانة بالوافد لتقوية التصوف النظري الذي توارى تحت ضغط أم هي بداية التغريب والانبهار بالغرب ومزاحمة الوافد الغربي الحديث للموروث الإسلامي القديم والذي أصبح الموروث الوحيد عند «العلمانيين» نظراً للتعارض بين الجديد والقديم؟[3].

ويتعرض «معالم الفكر» للبعد الاجتماعي والسياسي ودور الجامعة في تطوير الفكر الصوفي ونهضة الأمة وخروجها من مصاف الأمم المتأخرة إلى زمرة الأمم المتقدمة[4]. ومع ذلك لا يطرح سؤال: كيف يتم ذلك بتصوف إشراقي جبري

(1) السابق ص151.

(2) معالم الفكر، من الفكر الصوفي ص85/ 99/ 101/ 107/ 109/ 111/ 123/ 125/ 134/ 135/ 141/ 147/ 154.

(3) السابق ص114-121.

(4) السابق ص106-113.

وليس بتصوف وجداني عقلاني يقوم على حرية الاختيار؟[1]. ويحيل المؤلف إلى باقي مؤلفاته مثل أصول الطبيعة، ما يكشف عن وحدة المشروع، وتكامل الرؤية[2].

و«نداء الحقيقة» تنظير خالص دون وافد قديم أو موروث جديد. فالله هو كل شيء على طريقة الصوفية[3]. أما «رسالة القلب» فهي مجرد مناجاة على طريقة الصوفية المتأخرين[4]. ثم تأتي«نيروان» وهي قصة رمزية تشبه «حي بن يقظان» لابن سينا وابن طفيل وإن كانت أقرب إلى قصة السهروردي «الغربة الغريبة» لما تضمنته من رموز كشفية ومعرفة باطنية[5]. «نيروان» بطلها مثل «حي» يظهر فيها الموروث القديم ابتداء من البسملة والحمدلة. ويذكر اسم السهروردي، شيخ الإشراق وقصة آدم وحواء. كما تذكر آية قرآنية واحدة، سورة بأكملها وهي سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [6]. وبها العادة القبيحة للقدماء بوصف المؤلف نفسه بالذليل والحقير والضعيف وهو ما لا تتطلبه الشجاعة الأدبية[7].

ثالثاً: تقنين المصطلح

1 ـ «اصطلاح الصوفية» لابن عربي(638هـ)[8]

هذا يدل على أن الصوفية أنفسهم يفكرون في تحديد مصطلحاتهم تحديداً نظرياً حتى لا يلتبس على علماء الرسوم أي الفقهاء أي شيء منها. فالمصطلحات تواطؤات أو مواضعات أو اتفاقات بين أهل الصنعة لا يفهمها إلا هم[9]. وهي تعريفات قصيرة

---

(1) «إن الوجود محكوم عليه بالجبر. وقد رسمت أيضاً اختيارات الأجزاء المحدودة المفترضة للعالم في دائرة الجبر اللامتناهية»، السابق ص97-105.

(2) السابق ص143.

(3) في الفكر الصوفي الإيراني المعاصر، نداء الحقيقة ص159-167.

(4) السابق ص171- 186.

(5) السابق ص189-202.

(6) السابق ص89/ 91/ 194-195.

(7) «هكذا يقول العبد المسكين المفتقر إلى رحمة الله، الملك القوي، المتين، المشتاق لأولياء الحق».

(8) دار الكتب العلمية، بيروت.

(9) «فإنك أشرت إلينا بشرح الألفاظ التي تداولها الصوفية المحققون من أهل الله بينهم =

بالترادف أو بالعبارة الشارحة دون تطويل أو إسهاب[1]. ولا تخضع لترتيب خاص أبجدي أو غيره بل فقط الأهم فالمهم، مع تجميع بعض المصطلحات المتشابهة مثل النفس والروح أو المشتقة مثل الإرادة والمريد والمراد والعقل أو المتقابلة مثل الأحوال أو ذات الحقل الدلالي الواحد مثل المسافر والسفر والطريق أو المتصلة بموضوع واحد كالطريق مثل الرياضة والمجاهدة أو المقام والحال[2]. وهي حوالي مائة وثمانية وتسعين مصطلحاً. ولا تعتمد على أدلة نقلية باستثناء دليل قرآني واحد، دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية[3]. ويدخل في باب المصطلح الذي بدأه القشيري في «الرسالة» في البداية واستمر حتى النهاية عند الكاشاني والنقشبندي. وسبب التأليف استجابة لطلب ولي في شرح ألفاظ الصوفية لعدم معرفة بعض منها. فتم اختيار أصعبها وترك المعروف منها. وهي منتقاة. وليست كل الألفاظ[4].

2 ـ أعمال الكاشاني(730هـ)

أ ـ «السوانح الغربية والمواهب العينية»[5]: وهو عنوان غريب يظهر فيه

= لما رأيت كثيراً من علماء الرسوم قد سألونا في مطالبة مصنفاتنا أهل طريقنا مع عدم معرفتهم بما تواطئنا عليه من الألفاظ التي بها نفهم بعضنا عن بعض كما جرت عادة أهل كل فن من العلوم فأجبتك إلى ذلك» اصطلاحات الصوفية ص. 1.

(1) «ولم أستوعب الألفاظ كلها، ولكن أقتصرت منها على الأهم فالأهم. وأضربت عن ذكر ما هو مفهوم من ذلك عند كل ما ينظر فيه بأقل نظرة لما فيها من الاستعارة والتشبيه. وقد أوردنا ذلك لفظة لفظة» السابق ص1.

(2) الإرادة، المريد، المراد، المسافر، السفر، المتواجد، الوجد، الوجود، الجمع، جمع الجمع، علم اليقين، حق اليقين، عين اليقين، السالك، الطريق، الذوق، الشرب، الري، الوارد، الشاحن، الخاطر، الرياضة، المجاهدة، المحاضرة، المكاشفة، المشاهدة، المحادثة، المسامرة، اللوائح، الطوالع، اللوامع، البواده، الهجوم، المقام، الحال، القبض، البسط، الهيبة، الأنس، الجمع، الفرق، الغيبة، الحضور، الصحو، السكر. المحو، الإثبات. القرب، البعد، السحق، المحق، السر، التجلي، الحرية، العبودية، الخوف، الرجاء، الختم، الطبع، النور، الظلمة، القشر، اللب، العموم، الخصوص، الحق، الباطل. الأفراد، القطب، الأوتاد، البدلاء، النقباء، النجباء، الإمامان، الأمناء، الملامتية، السابق ص17.

(3) كتب الجرجاني معجم لألفاظ الفتوحات المكية ولكنه أدخل في أعمال المتكلمين.

(4) «أما بعد. فإنك أشرت إلينا».

(5) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005-1426هـ (5) ص97-115.

التقابل بين السوانح والمواهب، وبين الغيبي والعيني. وهي نوع من النثر الفني. لا تتعامل مع موضوع معين بالرغم من قسمتها إلى فصول ووصلات ولكن بلا عناوين. هي أقرب إلى التعريفات الصوفية وتحليل الألفاظ[1]. تركز على الانتباه أو اليقظة وهو أول المقامات وليس التوبة. تعتمد على القرآن والحديث دون أشعار أو أقوال الصوفية[2]. كما تعتمد أحياناً على القسمة العقلية مثل قسمة المعرفة إلى فعلية ووصفية وذاتية[3].

ب ـ **«اصطلاحات الصوفية»**[4]: وكما بدأ علم التصوف بالمصطلحات والألفاظ المتداولة بين القوم حفاظاً على أسرارهم في الثلث الثاني من «الرسالة القشيرية»، فإنه انتهى أيضاً بكشاف لمصطلحات الصوفية على نحو علني في عصر التدوين الثاني، عصر الموسوعات والمعاجم والشروح والملخصات. والعنوان الحقيقي «شرح اصطلاحات الصوفية» للدلالة على النوع الأدبي في التأليف المتأخر. وهو أيضاً من تلاميذ ابن عربي. استأذنه في كتابه الاصطلاحات فأذن له. ولا يهم إن كان شيعياً إمامياً أم سنياً. فالتصوف بنية مستقلة من عقائد الشيعة والسنة. ومن الصوفية شيعة وسنة. وقد تم شرح المصطلحات بعد شرح «منازل السائرين» و «فصوص الحكم» وتأويلات القرآن الحكيم لأنها تعتمد جميعها على مصطلحات الصوفية التي مازالت لم يتم التوافق عليها في العلوم المنقولة والمعقولة وبعد سؤال البعض عنها. وهي مصطلحات تزيد على الألف، تتفرع وتتنوع وتتدرج. فالرسالة قسمان. الأول المصطلحات باستثناء المقامات مرتبة أبجدياً. والثاني في التفاريع ومصدرها وترتيبها. الأبواب سبعة وعشرون طبقاً لعدد حروف الأبجدية. وبعض المصطلحات ليست كذلك مثل أسماء الأعلام التي يوضع فيها اسم «عبد» قبل الاسم الله مثل «عبد السلام»، عبد الرحيم... الخ. فهذه ليست مصطلحات[5]. ومن مصادر الاصطلاح بالإضافة إلى الموروث الصوفي القرآن والحديث والشعر

---

(1) السابق ص108-115.

(2) الآيات (3)، القدسية (1).

(3) السوانح الغيبية ص98.

(4) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1981.

(5) اصطلاحات الصوفية ص21.

وبعض أعلام الصوفية[1]. وتغيب أقوال الصوفية صراحة إلا من ذكر بعض الأعلام يتقدمهم ابن عربي. كما تغيب روايات الكرامات والأعاجيب. وقد يقال إن التعريف بالآية ليس تعريفاً لأن الآية في حاجة إلى تفسير أو تأويل. وفي التصوف النظري يظهر الوافد اليوناني من خلال الموروث الفلسفي مثل: أفلاطون وقوله الأثير «مت بالإرادة تحيا بالطبيعة»[2].

جـ ـ «لطائف الأعلام في إشارات أهل الأفهام»[3]: ومما يدل على أهمية المصطلحات كتابة الكاشاني في الموضوع مرتين. وسبب التأليف هو عدم دراية علماء الرسوم بمصطلحات الصوفية وأسرارهم، وعلم أصحاب العلوم الحقيقية والمعارف الخفية[4]. وهو ما يفيده عنوان «لطائف الأعلام» أي الأخبار في «إشارات أهل الأفهام». وقد صنف المصطلحات بناء على الحروف الأبجدية كما هو الحال في المعاجم والقواميس اللغوية. تبدأ الألف بالألف بعد الألف ثم بالباء بعد الألف حتى ينتهي حرف الألف ثم يبدأ حرف الباء ثم الألف بعد الباء ثم الباء بعد الباء حتى ينتهي حرف الباء وتنتهي كل الحروف[5]. وقد يذكر اللفظ بلا تعريف أو شرح إذا

---

(1) ابن عربي (3)، أبو طالب المكي، السهروردي، الشيباني، علي، جعفر الصادق، أنس ابن مالك، الشافعي (1).

(2) اصطلاحات الصوفية ص91/ 146.

(3) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1426هـ-2005م (جزءان).

(4) «فإنّي لما رأيت كثيراً من علماء الرسوم ربما استعصي عليهم فهم ما يتضمنه كتبنا وكتب غيرنا من الفكه والأسرار التي يشير إليها المحققون العالمون بالله من أكابر شيوخ الصوفية الوارثين للعلوم الحقيقية والمعارف الخفية من مشكاة النبوة المحمدية المعتلية من حضيض التلبيسات الخليفة إلى أوج الحضرات المقدسة الجامعة جوامع الكلم الحكيمة والأسرار الإلهية، أحببت أن أجعل هذا الكتاب مشتملاً على شرح ما هو الأهم من مصطلحاتهم، ما تواطؤا عليه من الألفاظ والألقاب التي يعبرون بها عما يتداولونه بينهم من علومهم الإلهية وأسرارهم الشريفة الربانية، وما به يفهم بعضهم عن بعض، كما جرت عليه عادة أهل كل فن»، لطائف الأعلام ص23.

(5) «وبينت ذلك بالبيان المتقن المحكم المرتب على حروف المعجم بحيث إني جعلت الحرف الثاني من كل كلمة على ترتيب الحروف أيضاً لكون ذلك أضبط في النظم وأظهر للفهم. فقدمت في باب الألف ذكر الكلمات التي أولها ألف بعد ألف على الكلمات التي أولها ألف بعده حرف بعد الألف حتى إذا فرغت من تفسير جميع الكلمات التي أولها ألف بعد ألف شرعت بعد ذلك في تفسير الكلمات التي أولها ألف بعد باء»، السابق ص24.

كان واضحاً بذاته لا يحتاج إلى تعريف. وقد تقتصر التعريفات على المترادفات. وقد تمتد إلى تعريفات نظرية قصيرة، مجرد موضوع ومحمول كما هو الحال في الحدود المنطقية. وقد يطول التعريف أكثر على نحو نظري صرف.

وقد تستعمل الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث مع أولوية القرآن على السنة. والشعر على السنة، مما يبين أهمية الشعر الصوفي[1]. والقرآن هو شعر العرب بعد الإسلام كما أن الشعر قرآن العرب قبل الإسلام. ومعظم الشعر من الشعر الصوفي. ويذكر الرسول أحياناً بشخصيته وليس بقوله مما يكشف عن أهمية «الحقيقة المحمدية». وتذكر القصائد مثل «نظم السلوك» لابن الفارض أو «التائية الكبرى». كما تذكر «الفتوحات» أو كتاب «الباء» أو «الفصوص» (الفص الأدريسي) أو «المنازل الإنسانية» لابن عربي، أو «المشكاة» للغزالي. ويكثر الاعتماد على ابن عربي «الشيخ» ثم جعفر الصادق ثم ابن الفارض «شيخ العارفين» ثم الجنيد والبسطامي ثم ذو النون ورويم والقشيري والسلمي والكرخي والحريري وأبو عثمان المكي والشبلي. وتقتبس بعض أقوالهم في تعريف المصطلحات[2].

3 ـ مؤلفات محمد وفا (765)، النقشبندي (791)، ابن عجيبة (1224)، الكيالي

أ ـ «شعائر الفرقان في ألواح الكتمان» لمحمد وفا[3]: وهي أقرب إلى ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم. تتضمن مائة وستة شعيرة بلا عناوين. وهي شعائر صوفية وليست عبادية، في الحقيقة وليست في الشريعة. يبدأ بعضها بمصطلح صوفي والآخر بآية قرآنية[4]. الشعيرة الأولى كلها مصطلحات صوفية مائة وست مصطلحاً بلا ترتيب أبجدي أو موضوعي[5]. تتناثر موضوعاتها مما يجعلها في حاجة إلى

(1) الآيات (244)، الأحاديث (134)، الأشعار (175).

(2) ابن عربي (11)، جعفر الصادق (5)، ابن الفارض (4)، الجنيد، البسطامي (2)، رويم، القشيري، السلمي، الكرخي، الحريري، أبو عثمان المكي، الشبلي، أبو حفص السعدي، أبو مدين، الصعلوكي، السبكي، أبو عقال، أبو السعود، أبو سعيد البغدادي، محمد اللبان، كمال علي بن الحسين (1).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت2006 (2) ص 87-189.

(4) الشعائر التي تبدأ بالقرآن (4)، بالحديث (1)، بالموضوعات (100).

(5) شعائر الفرقان ص89-94.

إعادة تجميع في موضوعات أقل طبقاً لموضوعات التصوف الخلقي أو النفسي أو الفلسفي، النظري أو العملي. وتتفاوت أحجامها[1]. كما أن أسلوبها مملوء بالسجع والمحسنات البديعية. بعضها واضح مثل الحكم واللوح والهوية ومفاتيح الغيب والأزل والنور والنار والفلك. الخ. والبعض الآخر أقرب إلى الشفرات وأشبه بأسلوب الحلاج[2]. بعضها إخباري وهو الغالب، والآخر أمري موجه إلى المخاطب[3]. البعض صور وتشبيهات[4]. وتتعدد وسائل المعرفة[5]. ويتخللها دعاء[6]. والبعض في الذات والصفات، والنفي والإثبات[7]. ولا يذكر سبب التأليف بل فقط عبارات أدبية منمقة. وبعضها يبدأ بمخاطبة القارئ. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[8].

ب ـ «جامع الأصول في الأولياء» للنقشبندي الخالدي[9]: هو نوع من التأليف الموسوعي في العصور المتأخرة تحت شعار الأولياء الذين أصبحوا مرادفين للصوفية في المرحلة الطرقية. فلا يوجد صوفي إلا وهو ولي. والولي درجة أعلى

(1) أكبرها (6ص) وأصغرها سطر واحد.

(2) مثل العدم بما كتب قلم البكم في لوح الصمم، لا سمع ولا تكلم، ولا علم ولا أعلم. كان الهو الأحد بلا عدد، يعلم علم المفرد، ويشهده شهادة الواحد الأحد، ويحصله تحصيل المجرد بالمجرد، لا يفرغ فينفد، ولا يحدث فيتجدد، كثير أحدي الصمد، لم يلد ولم يولد. فأراد أن يُعرف وعلى مثاله الأعلى يتشرف. . . السابق ص120. «انزل توجد، وأرقَ تفقد، واعلم تعدم، واسكت تسلم، وقل تغنم، يا لا شيء كيف الشيء؟ ويا شيء كيف لا شيء؟»، السابق ص123.

(3) «مثل اعلم وفقك الله»، احذر شرشرة المريد. . .»، السابق ص128.

(4) مثل «شجرة لها أغصان عشرة»، السابق ص27.

(5) «الصورة الجميلة، والحس المعتدل، والخيال الصادق، والنفس المطمئنة، والعقل الكامل، والقلب المدرك، والفؤاد الشاهد، والروح المستهلك، والسر المحقق، والمجموع من ذلك، والنتيجة كذلك»، السابق ص168.

(6) «دعاء: اللهم أعدني بسر التحقيق، ونور التوفيق من سوء الضيق وحرج الطريق» السابق ص183.

(7) «لا إله إلا الله» كلمة نفي وإثبات. تنفي كل شيء عن قيد الوهم. وتثبته بإطلاق الحقيقة. وما يثبت بالحقيقة لا يتحول إلى مجاز»، السابق ص137.

(8) الآيات (82)، الأحاديث (26)، القدسية (9)، الأشعار (16).

(9) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 (2) ص 89-94.

من الصوفي، وأقل من النبي. وهو تأليف لصالح الأولياء (الجزء الأول)، والطرقية (الجزء الثاني)، ثم تأتي المصطلحات، معجم الكلمات الصوفية (الجزء الثالث) في النهاية. والمؤلف أحد أعمدة الطرقية النقشبندية. فقد أصبح رؤساء الطرق مؤلفين. وتغيب بنية التصوف الرباعية في «الإحياء» أو السداسية في «الفتوحات» بل تتناثر الموضوعات. الهم جمع المادة بلا ترتيب. يتسم بالوضوح مثل كل الفكر الموسوعي.

وتتناثر الموضوعات بلا ترتيب، سبع وسبعون موضوعاً في الأولياء وأوصافهم الجزء الأول، وست وسبعون موضوعاً في الطرق الصوفية (الجزء الثاني)، وسبع وعشرون جزءاً طبقاً للحروف الأبجدية وعددها. ويشمل جزء الأولياء كل موضوعات التصوف. فاحتوي الجزء الكل، ورد الكل إلى أحد أجزائه. فيذكر الأقطاب والأبدال (الأوتاد والنجباء)، وشروط المريد وآدابه والصحبة وآدابها، وتوصف مصطلحات الطريق كالعزلة والخلاص من الدنيا. ويوصف الطريق من ذكر وجهاد النفس والأعمال والأوراد والشريعة والطريقة. ولا تذكر الأحوال والمقامات والترقي فيها إلا في موضوع واحد، والقبض والبسط والمحبة والسكر والصحو والشرب والفناء والبقاء والورع والصبر والقناعة والمحبة والتوبة والعبودية، ومناهج التعليم مثل التلقين والسند والهواجس والخواطر واليقين، والغاية والتوحيد ورمزه الوجود والشهود والكشوف.

والطرق الصوفية لا تتعلق بها وحدها بل تشمل موضوعات التصوف كلها بالإضافة إلى النقشبندية والقادرية والشاذلية. وتتعلق كلها بعلاقة الشيخ والمريد وآداب الصحبة والتعلم والخلوة والعزلة ومجاهدة النفس والسماع. وتُعاد موضوعات التصوف الخلقي مثل الحسد والفضائل مثل الأمل والتواضع والخشوع والصدق والتقوى. وتظهر بعد الأحوال مثل النفي والإثبات والخوف والخشية والقبض والبسط والبكاء والحزن والصحو والسكر والمحو والذوق والشرب. كما تظهر بعض المقامات مثل الصبر والجوع والعبودية والصبر والقناعة والمحبة والتوكل والرضا. ولا فرق بين موضوعات الجزأين الأول والثاني بالرغم من اختلاف العنوانين.

أما معجم الكلمات الأبجدي فهو أقرب إلى المعاجم الحديثة. والأهم هو

تحديد معنى كل لفظ طبقاً لأحد عشر منظوراً. منها ما هو شائع مثل الأخلاق والمعاملات والأحوال والحقائق ومنها ما يحتاج إلى تأمل مثل البدايات والنهايات والأصوات والولايات والأصول والأدوية والأبواب. فاللفظ الصوفي لم يعد داخل التصوف وحده بل له استعمالات أخرى في باقي العلوم.

والحجج النقلية قليلة لأن الفكر الموسوعي المعجمي لا يبرهن على شيء بل يجمع ويصنف ويرتب ويهذب. كذلك يغيب البرهان كلية. فليس المقصود الإقناع بل الحفظ من الضياع. وأسماء الأعلام قليلة. فلا يهم المؤلف بل التأليف. وفي العصور المتأخرة يطغى التأليف على المؤلفين في حضارة جماعية يساهم فيها الجميع قبل امتلاك الفكر وحقوق المؤلفين الفردية.

جـ ـ **«معراج التشوف إلى حقائق التصوف» لابن عجيبة**[1]: وهي رسالة في مصطلحات الصوفية. ليس لها سبب للتأليف إلا تعالم الشارح ولكون التصوف أشرف العلوم. ويدل على ذلك ألقاب الشارح[2]. وفي المثل الشعبي «ما يشكر في نفسه إلا الشيطان»، ولا يوجد نسق معين في ترتيب المصطلحات لا موضوعياً ولا أبجدياً. البعض منها مصطلح بمفرده، والبعض الآخر مصطلحان معاً أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو سبعة[3]. ومادة الشرح من الشعر والحديث والقرآن[4]، وأحياناً تذكر أحاديث الرسول في المنام. وتذكر بعض أقوال الصوفية من أبي علي الدقاق ثم القشيري أصحاب المصطلحات ثم من الجنيد والتستري وابن الفارض ثم الحسن البصري وذو النون والكتاني والسيوطي وابن البنا والجيلاني والجريري وعلى الجمل وأبو العباس المرسي وآخرون[5]. ويصاحب ذلك تقريظ بعضهم

---

(1) اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ (5) ص213-255.

(2) مثل: «الشيخ الإمام، بحر الهمام، الصوفي الكامل، والعارف الواصل، بحر الحقائق العرفانية، وشمس المعارف العيانية...»، السابق ص213.

(3) اللفظ الواحد مثل: الإنابة (46 مصطلحاً). واللفظان مثل الرضى والتسليم (16)، والثلاثي مثل علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين (13). والرباعي مثل: التواجد والوجد والوجدان والوجود (3)، والخماسي مثل: الأحدية والإيحاد والفردانية والوحدانية والانفراد. والسباعي مثل: الصالحون والأولياء والبدلاء والنقباء والنجباء والأوتاد والقطب (1).

(4) الأشعار (19)، الأحاديث (15)،القدسية، (1)الآيات (6).

(5) أبو على الدقاق (5)، القشيري (4)، الجنيد، التستري، ابن الفارض (2)، الحسن =

بالألقاب وإحصاء علامات الأقطاب[1]. ولا يحال إلى مصادر أخري تقتبس منها التعريفات.

د ـ **«الحكمة الحاتمية والاقتباسات الإلهية» لابن عجيبة**[2]: وهي حكم إلهية جارية على لسان بعض أهل الله. وهي أقرب إلى ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم في ست مجموعات: حكم إلهية، حدود الأصول، الاقتباسات الإلهامية، وشرح الشريعة والطريقة والحقيقة في حديث الرسول، قواعد التربي، أقوال ابن عربي[3]. وتحتاج إلى إعادة تصنيف في مجموعات أقل. وتعتمد على القرآن والحديث بالرغم من أن التعريفات النظرية هي الغالب عليها[4].

هـ ـ **فهرس شرح المصطلحات الصوفية عند الشيخ ابن عطاء الله السكندري كما وردت في الحكم للدكتور عاصم إبراهيم الكيالي**[5]: وهو ثبت بالمصطلحات الواردة في الحكم مرتبة ترتيباً أبجدياً قام بها أحد الأساتذة الدكاترة المحدثين. لا جديد فيها إلا الرصد والشرح اعتماداً على الكتب القديمة المشابهة. يأتي في مقدمتها «لطائف الأعلام» للكاشاني ثم «موسوعة مصطلحات التصوف» لأحد الزملاء ثم «إيقاظ الهمم» لابن عجيبة المغربي ثم «اللمع» للطوسي ثم «الإنسان الكامل» للجيلي ثم «جامع الأصول» للنقشبندي ثم «المقصد الأسنى» للغزالي ثم «الفتوحات» لابن عربي وغيرها من القدماء والمحدثين[6]. وتؤخذ اقتباسات بعلامة

= البصري، ذو النون، الكتاني، السيوطي، ابن البنا، الجيلاني، الجريري، علي الجمل، أبو العباس المرسي (1).

(1) معراج التشوف ص252-254.

(2) الواضح المنهاج في نظم ما للتاج (2)، دار الكتب العلمية ص121-136.

(3) الحكم الإلهية (156)، حدود الأصول (16)، الاقتباسات الإلهية (98)، الشريعة، الطريقة والحقيقة (20)، قواعد التربي (5)، أقوال ابن عربي (39).

(4) الآيات (3)، الأحاديث (1).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ (5) ص97-213.

(6) لطائف الإعلام للكاشاني (52)، موسوعة مصطلحات التصوف (33)، إيقاظ الهمم لابن عجيبة (24)، الإنسان الكامل للجيلي (11)، اللمع للطوسي (10)، جامع الأصول للنقشبندي، التصوف للكلاباذي، مصطلحات الصوفية للكاشاني (4)، المقصد الأسنى للغزالي، الفتوحات المكية لابن عربي، التنوير في إسقاط التدبير، كشف المحجوب للهجويري، الرسالة القشيرية، الإسفار عن رسائل الأنوار للجيلي (3)، مصطلحات =

«انتهى». كما يعتمد على القرآن والحديث والشعر[1]. ومن الصوفية يحال إلى ابن عجيبة ثم الجنيد ثم الجيلي والداراني والكاشاني، والنخشبي، وابن عطاء الله[2].

رابعاً: مناهج التفسير

أحد مصادر التصوف تأويل النصوص. ولكل نص حد ومطلع، ظاهر وباطن، حرف ومعنى، إشارة ومشار إليه، ويستعمل لفظان «تفسير» أسوة بعلم التفسير بالعبارات الشارحة، وتأويل وهو التفسير الباطني بإخراج اللفظ من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي. ويسمي أيضاً التفسير الإشاري. ونصوص التأويل إما تأويل جزئيٌ لآية أو لحديث أو تأويل كليٌ لسورة من السور مثل سورة الفاتحة لصدر الدين القونوي أو تأويل شامل للقرآن كله مثل تفسير التستري أو ابن عربي. والأقل هو التأويل النظري أي قواعد التأويل دون تطبيقه على آية أو سورة أو جزء أو ربع أو القرآن كله. وعادة ما يكون التأويل للقرآن وليس للحديث. ورفع التعارض بين الحديث أو الآيتين كما فعل الكاشاني أيضاً من علوم التأويل. والصوفية الذين ساهموا في علوم التأويل هم السلمي (412هـ)، القشيري (465هـ)، الغزالي (505هـ)، ابن عربي (638هـ)، القونوي (673هـ)، الشافعي (678هـ)، ابن عطاء الله السكندري (709هـ)، الكاشاني (730هـ)، محمد وفا (765هـ)، الجيلي (835هـ)، الكتاني (1327هـ).

1 ـ «زيادات حقائق التفسير» للسلمي (412هـ)[3]

والتفسير والتأويل من موضوعات التصوف النظري استئنافا لمرحلة تشكيل الوعي التاريخي من الوعي التاريخي اللغوي إلى الوعي النظري في تفسير القشيري «لطائف الإشارات»، وتفسير ابن عربي للقرآن، والجامي للفاتحة، وغيرها من التفاسير الكلية أو الجزئية. وبداية التفسير عند جعفر الصادق (148هـ)، والحلاج (309هـ)، والتستري (309هـ). وهو الموضوع المنهجي في علوم التصوف، كيفية

= التصوف لرفيق العجم، الأنوار القدسية للشعراني، ترجمان الأشواق لابن عربي، إحياء علوم الدين، عقد اللآلي في شرح بدأ الأمالي للاحسائي، قوانين حكمة الإشراق للشاذلي (1).

(1) الآيات (29)، الأحاديث (6)، الأشعار (4).

(2) ابن عجيبة (3)، الجنيد (2)، الجيلي، الداراني، ابن عطاء الله، الكاشاني، النخشبي (1).

(3) دار الشرق، بيروت ط2، 1997م.

التعامل مع النص، فهماً وتفسيراً وتأويلاً. وهي مجموعة زيادات صغيرة ذيلاً على التفسير الكبير «حقائق التفسير»، ومرتبة ترتيباً زمانياً من سورة الفاتحة إلى سورة الناس. ليس للسور كلها بل لآيات مختارة منها باستثناء الفاتحة[1]. وتتكرر الآيات والألفاظ لشرحها. وتتقطع إلى ألفاظ للتعليق عليها[2]. والتفسير تعليق على الألفاظ أو المسائل مقتبسة ثلثيها من صوفية القرون الثاني والثالث والرابع مثل جعفر الصادق (148هـ)، وابن عطاء (309هـ)، والتستري (319هـ)، والواسطي (320هـ)، ومعظمها مفقود وتعتمد على الأحاديث[3]. ولا يعتمد إلا على الموروث دون الوافد من أقوال الصوفية، التستري ثم جعفر الصادق ثم ابن عطاء، وآخرون كانوا معروفين في عصرهم مثل الأصفهاني والعنبري والذارع. ثم يأتي الجنيد والواسطي ثم الحلاج ثم الخراز ثم البلخي ثم النوري والترمذي ثم ذو النون ثم إبراهيم ابن أدهم والبسطامي والداراني. وفي النهاية يظهر أويس القرني والحسن البصري. ومن الأنبياء يتقدم الرسول ثم موسى ثم إبراهيم ثم آدم[4].

2 ـ أعمال القشيري (456هـ)

أ ـ «نحو القلوب»[5]: وبالرغم من أنه ليس في التفسير إلا أنه في اللغة وطريقة فهم النحو. فالنحو ليس بناء صورياً يتعلق ببناء الجملة والإعراب كما هو

---

(1) حوالي 600 آية.

(2) حوالي 2000 لفظاً.

(3) الآيات (7).

(4) بعضهم (319)، التستري (201) جعفر الصادق (162)، ابن عطاء الآدمي (157) أبو نصر الأصفهاني (99)، العنبري (91)، الذارع (87)، الطائي (81)، الرسول (80)، الجنيد (75)، قيل (72) علي الرضا (61)، الواسطي (56)، الحيري (43)، أبوالحسين الفارسي، المكي (42)، أبو بكر الرازي، الجريري (36)، الأبهري، الحلاج (31)، الخلدي، الشبلي (24)، الخراز (18) البلخي (17)، النوري، الترمذي (15)، ذو النون (12)، موسى، يوسف الزاهد (11)، إبراهيم (10) آدم، الوراق، النهرجوري، النصراباذي (9)، إبراهيم الخواص، يوسف الرازي (8)، الدقاق (7)، أبو سعيد القرشي (6)، السراج، يحيى بن معاذ (5)، أبو جعفر الرازي، الوراق، أبو حفص النيسابوري (4)، إبراهيم بن أدهم (3)، عمر بن عثمان المكي وغيرهم (2) أيوب، البسطامي، أبو سليمان الداراني، أويس القرني، الحسن البصري وغيرهم (1).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 1426هـ-2005م.

الحال في علم اللسانيات الغربي الحديث بل هو نحو القلب أي نحو شعوري نفسي كما هو الحال في علم اللسانيات النفسي الغربي الحديث[1]. هو نحو إشراقي، إعادة بناء النحو طبقاً للتجربة الصوفية كما حاولت الظاهريات في الغرب المعاصر إعادة بناء الرياضيات والمنطق والفلسفة وعلم النفس على أساس شعوري[2]. فالقلب عند القدماء هو الشعور عند المحدثين. وقد حاول ذلك الفلاسفة من قبل في المحاورة الشهيرة بين المنطق والنحو، بين أبي بشر متّى بن يونس وأبي سعيد السيرافي ونسبتهما إلى الفكر. فالنحو منطق العرب والمنطق نحو اليونان. ومن ثم فلا حاجة للعرب لمنطق اليونان، ولا حاجة لليونان إلى نحو العرب[3]. والسؤال هو: هل هناك نحو صوفي غير النحو اللغوي أم أن هذا افتراض علمي وإعلان نوايا لم يتحقق منه شيء؟ ومن ثم يكون «نحو القلوب» مثل «منطق المشرقيين» الذي يعلن عن منطق خاص بالمشرقيين في المقدمة ثم يأتي المنطق صورياً أرسطياً خالصاً؟[4]. ونقطة الالتقاء بين النحو والتصوف هو القصد. فالنحو اشتقاقا يعني القصد، القصد نحو المعنى، والتصوف هو قصد إلى الله. وقد تم التقابل على نحو الإيجاز مما يدل على إمكانية التطوير فيما بعد من القشيري أو من غيره لما كانت الحضارة مشروعا مشتركا بين الجميع[5].

وينقسم الكتاب إلى أجزاء وأبواب وفصول غير مرقمة. وهناك الجزء الثاني دون الأول[6]. وهناك خمسة أبواب عن أقسام الكلام، والأسماء واشتقاقها، وموانع الصرف، والإعراب والبناء، والبدل. ولا تتعلق الفصول بموضوع الأبواب إلا فصلاً واحداً للاسم وقسمته إلى صحيح ومعتل تحت باب الأسماء واشتقاقها. ثم تعود الأسماء في فصل تحت باب الإعراب والبناء. وتحت باب البدل توضع فصول النعت والعطف والتوكيد وحروف الجر. والسؤال هو: هل للنحو والتصوف

(1) علم اللسانيات النفسي Psycho- linguistics.

(2) انظر كتابنا تأويل الظاهريات، مكتبة النافذة، القاهرة 2006.

(3) جدل الوافد والموروث، قراءة في المناظرة بين المنطق والنحو بين متّى بن يونس وأبي سعيد السيرافي، هموم الفكر والوطن، جـ1 التراث والعصر والحداثة ص107-118.

(4) من النقل إلى الإبداع مجـ3 الإبداع جـ2 الحكمة النظرية جـ1 المنطق ص 80-85.

(5) نحو القلوب ص3.

(6) السابق ص39.

بنية واحدة؟ وإذا كان التصوف هو الطريق إلى الله أي التوحيد فإن النحو أيضاً قائم على نظام للأولويات. الله حاضر في النحو كما أن اللغة حاضرة في التوحيد. فالمبتدأ في الجملة الاسمية سابق على الخبر. والفاعل له أولوية على الفعل، والموصوف على الصفة. وفي التصوف الله له الأولوية على العالم. فالله هو المنعوت والموصوف. وهو الاسم والفاعل. والادغام في اللغة مثل الجمع في التصوف. والمضمر في اللغة هو الباطن في التصوف. النحو والتصوف إذن لهما بنية واحدة. والنحاة هم العارفون. واللغويون هم الواصلون. والحقيقة أن المقاربة بين النحو والكلام وليس التصوف لأن الكلام الأشعري هو الذي يعطي الأولوية لله على الإنسان والعالم، والقدر على الحرية، وللإرادة على قانون الطبيعة. أما التصوف فإنه لا فرق بين الله والإنسان والطبيعة، الحق حق، والخلق حق. والله إنسان كامل، والإنسان الكامل إله.

ويعتمد الكتاب على القرآن ثم الشعر ثم الحديث[1]. وتتوالى الآيات في دفعات[2]. والأحاديث متون بلا أسانيد لبعد عهد التدوين وعلم ميزان الرجال والجرح والتعديل وبعد أن استقرت المعارف عن الرواة. والشعر هو الذي يربط بين النحو والتصوف. وهو أساس التفسير كما قال عمر «عليكم بشعر جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم». كما يعتمد على بعض الأمثلة الفقهية لتوضيح الاقتران في النحو والفقه[3]. ومن أعلام الصوفية لا يذكر إلا الشبلي على التحديد، والشيوخ على الإطلاق[4].

ب ـ **«التحبير في التذكير»**[5]: وله عنوان فرعي «دراسة لأسماء الله الحسنى وصفاته بقلم باحث صوفي وسني أشعري» والعنوان غريب «التحبير»، أي من حبّر أي التدوين والتحرير. و «التذكير» أي إثارة الانتباه لأسماء الله الحسني. ويدل العنوان الفرعي أن المؤلف باحث صوفي أي أسماء الله الحسنى من وجة نظر

(1) الآيات (21)، الأشعار (15)، الأحاديث (6).
(2) نحو القلوب ص44.
(3) السابق ص17.
(4) السابق ص14/ 24.
(5) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1968.

التصوف مثل «نحو القلوب»، النحو من وجة نظر التصوف. والباحث سني أشعري ينتسب إلى فرقة كلامية بعينها هي فرقة أهل السنة الأشاعرة. وبين التصوف والأشعرية وشائج قربى وأسس نظرية ورؤية للعالم مشتركة. وهو مجرد فصول بلا ترقيم. لكل اسم أو اسمين فصل[1].

ويمكن أن يدخل في «مناهج التأويل» في الوعي الموضوعي اللغوي أسوة بالوعي التاريخي اللغوي. فهي شرح صوفي لأسماء الله ودلالتها على الطريق الصوفي. فالله ليس موضوعاً تتمحور حوله صفات مثل الجوهر والأعراض بل هو ذات أقرب إلى الإنسان الكامل. وكل ما به من حياة وعلم وشوق. ويمكن أن يدخل أيضاً في بداية الاغتراب في الوعي النظري نظراً لأن المؤلف أيضاً له «كتاب المعراج». والأصح أنه محاولة للرد على المتكلمين من أجل إعادة نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء من الموضوع إلى الذات، ومن الخارج إلى الداخل، ومن الاغتراب إلى الأصل، ومن العقل إلى الوجدان، ومن الجدل العقيم إلى الآداب، ومن الحقيقة إلى المجاز وباختصار من الله إلى الإنسان حرصاً على التنزيه ودرءاً للتشبيه[2]. لذلك تختلف الأسماء باختلاف العلوم ومستويات المعرفة[3]. تعبر عن حاجات الناس ومقتضياتهم وظروف عصرهم. فالأسماء هي مجموع الآمال والغايات والحاجات الإنسانية التي لم تتحقق[4]. والدليل على ذلك الاشتقاق. فلا يوجد اسم إلا وله لفظ مشتق. بل إن لفظ «الله» الجامد لا اشتقاق له هو اسم سامي مشتق من «إل» أي المرتفع العالي، السامي، كما هو الحال في اللغة العبرية. لذلك يُلجأ باستمرار إلى لغة العرب[5]. بل إن أسماء الأنبياء مشتقة مثل نوح من كثرة النواح. وقد اكتمل ذلك كله في «الإنسان الكامل» عند ابن

(1) الفصول 76 فصلا.

(2) ذكر لفظ الآداب عشرة مرات.

(3) «وقيل كاشف «الهُيَّم» بقوله ﴿هو﴾، والمهيمن بقوله ﴿ٱللَّهُ﴾، والعلماء بقوله ﴿أَحَدٌ﴾، والعقلاء بقوله ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، والعوام بقوله ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾»، التحبير والتذكير ص26.

(4) من العقيدة إلى الثورة، جـ2 التوحيد، الأسماء ص538-600، رابعاً: إلهيات أم إنسانيات؟ ص600-664.

(5) التحبير والتذكير ص61.

عربي والجيلي. ثم تشخصت في الحقيقة المحمدية ابتداء من ذو النون مروراً بابن عربي حتى التصوف العملي واعتبارها واسطة بين الحق والخلق. ويستعمل أسلوب الحوار، وهو أسلوب التعلم بين الشيخ والمريد. والهدف من الكتاب هو القضاء على اغتراب المتكلمين وتصورهم لله في نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء التي انفصلت عن أساسها في التجارب الإنسانية الحية. وتحجرت وتشيئت وتحولت إلى موضوعات خارج الوعي الإنساني. ونموذج ذلك «المقصد الأسنى في معرفة أسماء الله الحسنى» للغزالي. فالأسماء والصفات الإلهية في أصلها ونشأتها أسماء وصفات إنسانية، وأحوال صوفية. وما أسهل من ردها إلى أصلها في المقامات والأحوال. ففي المقامات، التواب من التوبة، والغني من الفقر عن طريق القلب، والشكور من الشكر، والوكيل من التوكل، والصبور من الصبر. وفي الأحوال، القابض والباسط من القبض والبسط، والواجد من الوجد، والجامع من الجمع. ومن الفضائل، الكريم من الكرم. ومن أحوال الطريق وتهذيب النفس، الحسيب من المحاسبة، والرقيب من المراقبة، والمجيب من الدعاء، والولي من الولاية، والحق من الحقيقة. بل إن كثيراً من الصفات والأسماء هي أصلاً مصطلحات الصوفية مثل العلى من العلو أو السمو، والظاهر والباطن مقولتان معرفيتان لقراءة النص، والواجد من الوجد، والجميل والجليل من الجمال والجلال. أما الصفات النقيضة التي تبدو بعيدة عن التجربة الإنسانية فإنها تؤول أيضاً تأويلاً إنسانياً لردها إلى أصلها ولو عن طريق القلب مثل المنتقم الذي يعني العدل ضد الظلم، والجبار الذي يعني الجبر والمداواة مثل جبيرة الطبيب، والمتكبر الذي يعني التواضع، والمميت الذي يعني المحيي، والقهار تعني المحبة لقهر الحب. والغاية من هذه الصفات التخويف من أجل الرجاء. فكل صفة أو اسم في الله هي في الأصل حال أو مقام إنساني. والخلاف بينما في الحقيقة والمجاز، هل هي في الله حقيقة وفي الإنسان مجازا أم هي في الله مجازاً وفي الإنسان حقيقة طبقاً لقياس الغائب على الشاهد؟ فكل «ثيولوجيا» هي في الأصل «أنثروبولوجيا» مقلوبة، من الأرض إلى السماء. ولا تفهم إلا بردها إلى وضعها الصحيح، وتحويلها من السماء إلى الأرض، خاصة «المقدم والمؤخر» مما يساعدان على نشأة فلسفة في التاريخ وبلورة الوعي التاريخي الذي غاب في علم الكلام بسبب اغتراب الماضي في النبوة، والمستقبل في المعاد، والحاضر في

الإمامة[1]. وتبقى بعض المسائل الكلامية التي لم تختف بعد مثل الجدل حول الاتحاد ضد النصارى[2].

ويعتمد على القرآن ثم الشعر والحديث[3]. وتذكر المتون دون الأسانيد. يكفي «وفي الخبر» أو «وفي الأثر». كما يعتمد على كثير من حكايات الصوفية ورواياتهم وكرامتهم مثل ذي النون. وينهل من الإسرائيليات باعتبارها أحد المصادر الرئيسية عن الأنبياء السابقين، إبراهيم وداود وسليمان وموسى وعيسى[4]. ويعتمد على كثير من أقوال الصوفية. يتقدمهم الشبلي والجنيد، ثم التستري والدقاق، ثم البسطامي والخراز، ثم ذو النون ويحيى بن معاذ وحاتم الأصم وبشر الحافي وجعفر الصادق والسري السقطي والمرتعش والنصراباذي والجريري وإبراهيم ابن أدهم وآخرون. ومن الفقهاء يحال إلى الشافعي، ومن المدن إلى بغداد وعسقلان. ويحال إلى جماعات مثل بعض المشايخ وبعض العارفين وأهل المعرفة وأهل الإشارة وأهل الحق والأكابر والحكماء أو بعضهم، ومن الفرق غير الإسلامية النصارى، وبعض الصالحين، وبعض الأفراد[5]. ويغيب التحليل العقلي. وتندر القسمة العقلية التي هي أحد وسائل التعريف[6].

جـ ـ **«شرح أسماء الله الحسنى»**[7]: لا يعني الشرح هنا المعنى الاصطلاحي للفظ تفصيل نص وتفسيره بنص آخر موازي بل يعني مجرد بيان وقراءة وتأويل.

---

(1) السابق ص82.

(2) السابق ص94.

(3) الآيات (109)، الأحاديث (20)، القدسية (4)، الأشعار (18).

(4) الإسرائيليات (11).

(5) الشبلي، الجنيد (8)، إبراهيم بن أدهم، ذو النون، البسطامي (6)، التستري (5)، الدقاق، الخراز (4)، يحيى بن معاذ (3)، بشر الحافي، ابن فورك، الكتاني، سلمان الفارسي، حاتم الأصم، جعفر الصادق، السري السقطي، المرتعش، النصر اباذي، الأحنف بن قيس، الجريري، مالك بن فضول، الخواص، أبو عثمان الحيري. ومن الفقهاء الشافعي (2). ومن الصحابة ابن عباس، أحمد بن خضرويه، عبد الله بن خفيف، النوري، أبو الدرداء، المحاسبي، الواسطي، الفضيل بن عياض (1).

(6) قسمة الناس أربعة أقسام والصبر في حق العباد إلى ثلاثة أقسام، التحبير والتذكير ص51/ 95.

(7) دار الكتب العلمية، بيروت 1427هـ-2006م.

وهو استئناف لموضوع «التحبير والتذكير» مع مزيد من التفصيل، والهدف القضاء على الاغتراب الديني في علم الكلام، نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء والعودة بها إلى مصادرها في التجربة الإنسانية، والعودة بالإنسان الكامل إلى الإنسان المتعين[1]. للكتابان نفس الأسلوب ونفس المادة ونفس الهدف. وهو سبب التأليف[2]. لذلك تكثر كلمة «آداب» أي أن الأسماء ليست حقائق نظرية مجردة بل هي آداب عملية وسلوك[3]. وكثير من الأسماء أحوال صوفية مثل القابض والباسط[4].

وينقسم الكتاب إلى أبواب وفصول، الباب عرض الاسم في علم الكلام على المستوي النظري المجرد الشيئي الموضوعي الثابت. والفصل ينقل الاسم إلى

(1) «من العقيدة إلى الثورة» مجـ2 التوحيد (الإنسان الكامل) مجـ3 العدل (الإنسان المتعين).

(2) «فقد كثر سؤال الراغبين في علم التذكير منا في إملاء كتاب يشتمل على أبواب في هذا الفن يكون تبصرة للمبتدئين، وتذكرة للمحققين. وكنت أزهد في الإجابة إلى ذلك لما ظهر من الخلل في هذه الطريقة، وإيثار كثير ممن ينتمي إلى هذه الصنعة العرض اليسير مما يجمعه من حطام الدنيا على ما أعده الله سبحانه لأهل العلم إذا نصحوا لله ولرسوله وللمؤمنين من الدرجات العلا والمثوبة الحسنى. ولما انضاف إلى خطأ مقاصدهم في الأغراض خطأ مقالتهم، وخطل كلماتهم حتى قل التحقيق وضاعت البدع على الأفواه، وزال التمييز، وكثر المتعاطون لهذه الحالة والمتصوفون بهذه الصفة رأيت في حكم النصيحة في الدين ومقتضى ما أخذه الله على العلماء من ترك الكتمان للحق أن أملي كتاباً جامعاً يشتمل على حضور مجلس موسمي صالح من هذا العلم يتحقق به من تأمله. وربما لا يتفق لبعض الراغبين في الاتعاظ حضور مجمع الذكر فيعتاض بالنظر فيه عما فاته من التذكير»، شرح أسماء الله الحسني ص10.

(3) فصل من آداب من عرف أن الملك لله تعالى، شرح أسماء الله الحسنى ص68-70، فصل من آداب من عرف اسمه تعالى القدوس ص71. فصل آداب من تحقق باسمه تعالى السلام ص73-76. فصل آداب من عرف أنه العزيز جل جلاله ص84. آداب من عرف اسمه تعالى الجبار ص 78. فصل آداب من عرف أن الله تعالى المتفرد بالإيجاد ص95-96. فصل من آداب من علم أنه تعالى الفتاح ص115-117، آداب من علم أنه تعالى من الخفيات ص117. فصل ومن آداب علمه تعالى عليا ص118-120. فصل من آداب من علم أنه تعالى شكور ص147-148. فصل من آداب من علم أنه تعالى المحصي ص201-202. فصل من آداب من عرف تلك الأسماء ص229-230.

(4) السابق ص 120-122.

مستوى التجربة الحية والخبرة البشرية عوداً إلى الأصل، وقضاء على الاغتراب[1]. الأبواب الستة الأولى في الأسماء بوجه عام. والأبواب التالية في الأسماء التسعة والتسعين تفصيلاً. والهدف واحد وهو الانتقال من الصوري إلى العياني، ومن المجرد إلى التجريبي، ومن الآخر إلى الأنا. فإذا كان ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ في علم الكلام فإنها في التصوف «من عرف اسم ربه نسي اسم نفسه» أي علاقة الله بالنفس وليس علاقة الله بذاته. ولا فرق بين أسماء الله الحسنى وأسماء العبيد الحسنى[2]. والدعاء مشترك في العلمين. وإذا كان ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ في علم الكلام فإنه في التصوف تعظيم للرب وفضل البركة والإحسان. وإذا كان في علم الكلام ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فالتسبيح في التصوف فعل ذاتي وتقديس الأعمال عن الرياء حتى يصدق التسبيح. وكل اسم مشفوع بتعبير «جل جلاله» للتعظيم. فتعظيم الأسماء لا يتنافى مع أصله الإنساني. ويعني القدوس للعابدين والزاهدين والعارفين. ويعني المؤمن إجازة الله لعبده وأمانه. ويعني العز طاعة الله. ويعني الجبار تفويض الأمور إليه، وترك ما تهوى النفس، والرضا بحكم المولى. وتعني المتكبر الصدق في المحبة والإخلاص في الود. ويعني القهار قهر نفوس العابدين وقلوب العارفين وأرواح المحبين. وتعني الرزاق ما خص به الله تعالى الأغنياء والفقراء، وطلب الله من الحوائج العظيمة. والفتاح ما يفتحه الله على الخلق، والخافض الرافع في الدنيا والعاقبة، والحليم لرجاء العفو، والعلى الكبير للتواضع والتقوى، والمقيت لاختلاف الأقوات. والحسيب للرقابة والحساب، والمجيب القصد إليه، والواسع الإحسان، والباعث أي الرجاء، والمحصي الإحصاء على النفس، والمبدئ والمعيد للأوقات، والمقتدر للكرم. والرشيد هو الرشد للنفوس والقلوب والأرواح والأسرار. والحق مطلبه الشافي[3].

ويستشهد الكتاب بالقرآن ثم الشعر ثم الحديث[4]. والمتون بلا أسانيد. يكفي في «بعض الأخبار» أو في «خبر مسند» أو في القصص[5]. كما يستشهد

(1) الأبواب (82)، الفصول (102)، الأبواب المزدوجة التي تتناول اسمين (21).
(2) شرح أسماء الله الحسنى ص13-14.
(3) السابق ص152-154.
(4) الآيات (321)، الأشعار (130)، الأحاديث (35).
(5) شرح أسماء الله الحسنى ص12/ 103/ 106.

بعديد من روايات الصوفية وحكايات الصالحين[1]. ويذكر اسم ما يربو على ستين صوفياً يتقدمهم بطبيعة الحال حماه أبو علي الدقاق ثم الشبلي ثم يحيى بن معاذ، والتستري والجنيد، ثم ذو النون، ثم الخراز وأبو الحسن البصري، ثم البسطامي، وحاتم الأصم، ثم بشر الحافي، والسري السقطي، وإبراهيم الخواص، والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، ثم مالك بن دينار، وشقيق البلخي، وإبراهيم بن أدهم، والسلمي وعشرات آخرون. ومن المجموعات يذكر بعضهم، ثم «بعض المشايخ»، وأهل الحق، وبعض أهل المعرفة، وبعض الحكماء، وأهل التحقيق، وبعض الصالحين وبعض المفسرين[2]. وتذكر أقوال متعددة لهم دون تخطئة أحد. ويحال إلى متكلمين مثل الكرامية وإلى فقهاء مثل الشافعي[3]. وتذكر بعض المصادر المدونة. ويستعمل أسلوب القيل والقال كما تذكر العديد من الإسرائيليات. ويغيب التحليل العقلي بإستثناء القسمة[4].

د ـ **«لطائف الإشارات» (465هـ)**[5]: وهو استئناف «زيادات حقائق التفسير للسلمي» في التفسير الإشاري كما يدل عليه العنوان. وهو تفسير طولي، من الفاتحة حتى الناس. لا يوجد منه إلا التفسير من الفاتحة حتى سورة النحل أي ستة عشرة سورة من مجموع القرآن. وهو يعادل الخمس تقريبا من حيث الكم مما يكفي لإصدار حكم عليه. وتقطع السور إلى آيات، والآيات إلى ألفاظ، من الكل إلى الجزء. فتتناثر الإشارات دون جامع نظري لها. ولا تسمى السور بأسمائها الحالية في البقرة وآل عمران... الخ بل بالسور التي يذكر فيها البقرة، آل عمران. فالسور ليس لها أسماء بل موضوعات.

---

(1) السابق ص88.

(2) أبو علي الدقاق (18)، الشبلي (86)، يحيى بن معاذ، التستري، الجنيد (6)، ذو النون (5)، الخراز، الحسن البصري (4)، البسطامي، النوري، حاتم الأصم، الحواري (3)، بشر الحافي، الواسطي، السري السقطي، إبراهيم الخواص، الفضيل بن عياض، معروف الكرخي، الكتاني، الحيري (2)، مالك بن دينار، شقيق البلخي، إبراهيم بن أدهم، السلمي، النصر اباذي، سلمان الفارسي، أبو عثمان المغربي، فتحي الموصلي، سفيان الثوري، محمد المرتعش وعشرات أخرون.

(3) شرح أسماء الله الحسنى ص131/ 135.

(4) السابق ص143.

(5) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت).

تكشف عن الصلة بين التصوف والأشعرية فهي نظرة مركزية واحدة للعالم مع اختلاف المنهج، النقلي العقلي في الأشعرية والذوقي في التصوف. بل هو تصوف عائلي فالمؤلف زوج ابنة أستاذه أبو علي الدقاق، وأستاذه السلمي والجويني. قد يكون قد تحول إلى التصوف لمحنة سياسية ألمت به وهروبه وتهديده بالقتل. وقد رأى بعد تصوفه وهو على المنبر غريمه الوزير وهو يُقطع أربا أربا كما رأى عمر وهو على المنبر في المدينة معركة الشام وتنبيه سارية بالتفاف الأعداء حوله.

يعلن عن منهجه في التأليف منذ البداية، وهو المنهج الإشاري المستمد من إشارات القرآن وكما يرويها أهل المعرفة إما من معانيها أو من أصولها بطريقة الإيجاز خوفا من الملل ولو أن الإيجاز أصبح قصيراً للغاية أصغر من الآية نفسها أحياناً[1]. وأحياناً تكون الآية أوضح من تفسيرها السطحي المقتضب[2]. وقد يكون الدافع هو التحول في التصوف من الشكل إلى المضمون بعد أن أصبح لبس خرقة وإطالة لحية. فالتصوف بهذا المعنى حركة إصلاحية داخل التصوف نفسه، التجربة الذاتية في مقابل المظاهر الخارجية. ويتحول التفسير من مستوى المعرفة النظرية إلى مستوى الأخلاق العلمية، ومن المستوى الإلهي والطبيعي إلى المستوى الإنساني.

فماذا تعني الإشارة؟ تعني إحالة لفظ القرآن إلى شيء، ليس في الخارج، في التاريخ مثل القصص أو في الواقع مثل التشريع بل إلى تجربة إنسانية حية، إلى عالم الشعور. فالتصوف انتقال من الخارج إلى الداخل، والتحويل من العالم إلى الإنسان كما هو الحال منذ «إخوان الصفا»، الإنسان عالم صغير، والعالم إنسان كبير. لا تعني الإشارة المطابقة مع الخارج كما هو الحال في نظرية الصدق التجريبي بل

---

(1) «وكتابنا هذا يأتي على ذكر طرق من إشارات القرآن على لسان أهل المعرفة، إما من معاني حقولهم أو قضايا أصولهم. سلكنا فيه طريق الإقلال خشية الملل»، لطائف الإشارات جـ1/ 53.

(2) وقد ساهمت طريقة التحقيق والطباعة في إبراز ذلك، بطباعة القرآن وكأنه شعر عمودي، والتفسير وكأنه نثر فني، فطال الشعر على حساب التفسير، وقصر التفسير لحساب الشعر، وتختلف التفسيرات كمّا تبعا لطول السورة: البقرة (165)، آل عمران (92)، النساء (86)، الأعراف (85)، التوبة (71)، المائدة (63)، الأنعام (57)، الرعد (53)، يوسف (51)، هود (44)، الأنفال (40)، النحل (36)، إبراهيم (24)، الحجر (22).

كشف الإشارة لعالم داخلي في الشعور. وقد تختلف الإشارات باختلاف الأحوال النفسية في لحظات زمانية مختلفة. فلا توجد إشارة ثابتة في شعور متدفق جارف. فيتكرر تفسير البسملة مثلا بتفسير حالات المفسر عبر الست عشرة سورة.

يعني التفسير الإشاري رد النص إلى التجربة الصوفية، واكتشاف التصوف داخل النص. فالمقامات والأحوال والطريق كلها في النص[1]. مثل إشارة النص إلى الزاهدين والقبض والبسط والبر والوسيلة والحمد والموعظة والفضل والقصص[2]. وتساعد المعاني الاشتقاقية على ذلك. فالمعنى الإشتقاقي هو الذي يحيل اللفظ إلى نشأته الحسية واستعماله العرفي التداولي قبل أن يتحول إلى معنى اصطلاحي. للقشيري تفسير آخر «التيسير في التفسير» يغلب عليه التفسير اللغوي الخالص مثل «إعراب القرآن» للزجاج. ولا يغرق في التصوف مثل «تفسير ابن عربي». ويصدر الجزء الثاني بدعاء[3].

ويعتمد على ألفاظ القول مثل «قيل»[4]. وترد عدة أقوال متفرقة في موضوع واحد مما يوحي بتعدد الآراء حتى عند الصوفية أنفسهم[5]. ويعتمد التفسير على الشعر أولاً ثم الحديث ثانياً. ويفوق الشعر الحديث بسبعة أضعاف مما يبين مدى التماهي بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية[6]. وتذكر الأشعار دون الشعراء، والأحاديث دون المحدثين. فالمهم هو النص وليس قائله أو راويه. وكثيراً ما يذكر «وفي الخبر». ولا يُذكر من أعلام الصوفية أحد. فالتجربة الصوفية تجربة ذاتية لا تروى ولا تُقص ولا تُحكى. ولا يتم التفسير عن طريق أقوال هذا الصوفي أو ذاك بل عن طريق التجربة الصوفية الذاتية للمفسر. ولا يظهر إلا أبو علي الدقاق، حماه، مرة واحدة. كما تظهر الإسرائيليات كمصدر رئيسي للأخبار عن الأنبياء

(1) لطائف الإشارات جـ1/ 69/ 71/ 93/ 102/ 103/ 116/ 121-122/ 124-125/ 166-167/ 202-203/ 219/ 230/ 241.
(2) من النص إلى الواقع جـ2، الباب الثاني، الوعي النظري. الفصل الأول، المنظوم (اللفظ) ثانياً: البيان ص249-262.
(3) لطائف الإشارات جـ3/ 3.
(4) السابق جـ3/ 64.
(5) السابق جـ3/ 67/ 102/ 103/ 121/ 124-125/ 166-167/ 230-241.
(6) الأشعار (324)، الأحاديث (46).

السابقين مع بعض الآيات من الكتب المقدسة السابقة مثل الزبور[1].

3 ـ مؤلفات الغزالي (505هـ)

أ ـ «قانون التأويل»[2]: وهو عرض نظري لفرق التأويل أكثر منه لمناهجه. وهو إجابة على سؤال عن معنى حديث عن جريان الشيطان في الإنسان مجرى الدم[3]. هل مثل الماء بالماء أو الماء بالعود؟ وهل يمكن الجمع بين القول الشرعي القائم على النقل والقول الفلسفي القائم على العقل؟ وماذا عن الصرع، من الجن أو الإنسان؟ وماذا عن إخبارهم بالغائب؟ وماذا عن إدبار الشياطين عند الآذان؟ وماذا عن البرزخ والملائكة والجنة والحوض؟[4]. وهي موضوعات يصعب الخوض فيها[5]. فإذا ما تكررت فإنه يمكن الإجابة عنها بقانون كلي هو قانون التأويل. وهو الذي يقسم الناس إلى خمس فرق: العقل دون النقل، النقل دون العقل، النقل دون أساس العقل، العقل أساس النقل، التوحيد بين النقل والعقل وهو الوسط بين الأطراف[6]. وهي بنية أحكام التكليف الخمسة الواجب والمحرم والمندوب والمكروه والمباح[7]. وينتهي الغزالي بإعطاء ثلاث وصايا: عدم الإطلاع على كل ذلك، عدم تكذيب برهان العقل، الكف عن تعيين التأويل عند تعارض الاحتمالات لخطورة الظن والتخمين[8]. ويعتمد على القرآن

(1) الإسرائيليات (9)، لطائف الإشارات جـ3/ 71.

(2) مجموعة رسائل الإمام الغزالي (7) ص121–132.

(3) هو حديث «إن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم».

(4) قانون التأويل ص121–123.

(5) «أسئلة أكره الخوض فيها والجواب»، السابق 123.

(6) «بين المعقول والمنقول تصادم في أول النظر وظاهر الفكر. والخائضون فيه تحزبوا إلى مفرط بتجريد النظر إلى المنقول وإلى مفرط بتجريد النظر إلى المعقول وإلى متوسط طمع في الجمع والتلفيق. والمتوسطون وانقسموا إلى من جعل المعقول أصلاً والمنقول تابعاً فلم تشتد عنايتهم بالبحث عنه وإلى من جعل المنقول أصلاً والمعقول تابعاً فلم تشتد عنايتهم بالبحث عنه وإلى من جعل كل واحد أصلاً ويسعى في التأليف والتوفيق بينهما»، قانون التأويل ص123.

(7) من النص إلى الواقع جـ2 الباب الثالث: الوعي العملي، الفصل الرابع: أحكام التأليف ثانياً: أحكام التكليف الخمسة (مستويات السلوك) ص571–583.

(8) قانون التأويل ص126–128.

والحديث[1]. ويحيل إلى الفلاسفة والطبيعيين، ومن الفقهاء إلى مالك[2].

ب ـ «المقصد الأسنى، شرح أسماء الله الحسنى»[3]: وهو كتاب في الأسماء. وهي الدائرة الرابعة بعد الذات والصفات والأفعال[4]. ولا يعني شرح هنا تفسير النص بل يعني بيان المعنى وتوضيح القصد وكشف الغاية. لذلك كان عنوان الفن الثاني «في المقاصد والغايات». وهو أكبر الفنون الثلاثة. الأول في «السوابق والمقدمات». والثالث «في اللواحق والتكملات»، وهو أصغرها[5]. ولكل من الفنين الثاني. والثالث ثلاثة فصول. والأول أربعة. وهي بنية محكمة، المؤلف على وعي بها[6].

والموضوع الكلام الصوفي مثل «تحبير التذكير» و«شرح أسماء الله الحسنى» للقشيري (465هـ). الفن الأول تحليل علمي وضعي لساني عن الاسم والمسمى والأسماء المتقاربة المعاني المختلفة المفاهيم وفي الاسم الواحد الذي له أسماء مختلفة. ثم يأتي التحول من الكلام إلى التصوف في الفصل الرابع «في أن سعادة العبد تخلقه بأخلاق الله» أي أن الأسماء مُثل عليا للسلوك الإنساني[7]. فاللفظ يُسمع، والمعنى يُفسر ويُفهم، والوضع يُرى بالقلب. فالتأويل له مستويات ثلاثة: اللفظ والمعنى والشيء[8]. وللنفس في الأسماء حظوظ منها السعي في اكتساب

---

(1) الآيات (4)، الأحاديث (3).

(2) الفلسفة (2)، الطبيعيون، مالك (1).

(3) مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1961.

(4) من العقيدة إلى الثورة جـ2 التوحيد، الفصل السادس: الوعي المتعين ثالثاً: الأسماء ص538-600.

(5) الفن الأول «في السوابق والمقدمات» (28)، الفن الثاني «في المقاصد والغايات» (74). الفن الثالث «في اللواحق والتكملات» (9).

(6) «صدر الكتاب. نرى أن نقسم الكلام في الكتاب إلى ثلاثة فنون. الفن الأول في السوابق والمقدمات. الفن الثاني في المقاصد والغايات. الفن الثالث في اللواحق والتكملات. وفصول الفن الأول تلتفت إلى المقاصد التفات التمهيد والتوطئة. وفصول الفن الثالث تنعطف عليها انعطاف التتمة والتكملة، ولباب المطلب ما تنطوي عليه الواسطة»، المقصد الأسنى ص3.

(7) الفصل الرابع: «في بيان أن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في صفة»، السابق ص20.

(8) من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ3 الشرح الفصل الأول: التفسير أولاً: الشرح، =

الحكمة، ومنها التخلق بها والتحلي بمحاسنها حتى يصير الإنسان إلها والآلة إنساناً كما هو الحال في «الإنسان الكامل»[1]. وهذا يتطلب البعد عن تصور العوام الذي يقوم على التشخيص، والاقتراب من تصور الخواص الذي يقوم على التنزيه[2]. وذلك يتطلب الجهد. ولا يتحقق عن طريق الانتظار. فكل اسم له تنبيه أو دقيقة أو فائدة تذكر حظ الإنسان فيه. فالأسماء لا تشير إلى موضوع خارجي بل إلى تجربة إنسانية. وهو موقف الصوفية[3]. وهو أفضل من حلول أربعة أخرى وهي المماثلة أو انتقال الأسماء الإلهية إلى الإنسان أو اتحادها معاً أو حلولها فيه. في الله الاسم غير المسمى لأن الاسم معلوم والمسمى مجهول. وفي الإنسان الاسم هو المسمى لأن الاسم معلوم والمسمى معلوم. فكل اسم ليس اسماً في ذاته بل يسمى به الله. فالله ليس مسمى أي ليس شيئاً بل له دلالته الإنسانية[4]. فكل اسم لله هو تجربة إنسانية. ومجموع الأسماء الإلهية هي مجموع التجارب الإنسانية[5].

= التفسير والتلخيص والجوامع3- اللفظ والمعنى والشيء ص21-27.

(1) «الحظ الثالث: السعي في اكتساب الممكن في تلك الصفات، والتخلق بها، والتحلي بمحاسنها. وبه يصير العبد ربانياً أي قريباً من الرب تعالى فإنه يصير رفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة فإنهم على بساط القرب...»، المقصد الأسني ص21.

(2) وكذلك لمعرفة الله سبيلان: أحدهما قاصر، والآخر مسدود. أما القاصر فهو ذكر الأسماء والصفات وطريقة التشبيه بما عرفناه من أنفسنا. فإنا عرفنا أنفسنا قادرين عالمين أحياء متكلمين ثم سمعنا ذلك في أوصاف الله...، وأما السبيل الثاني المسدود فهو أن ينتظر العبد أن تحصل له صفات الربوبية كلها حتى يصير رباً»، السابق ص26-27، وأيضاً من العقيدة إلى الثورة جـ2 التوحيد. الفصل السادس الوعي المتعين، رابعاً: إلهيات أم إنسانيات ص586-664.

(3) «إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل (الكركاني)، السابق، المقصد الأسنى ص97-98.

(4) «لا تتعجبن من هذا في صفات الله تعالى فإن المعنى الذي به الإنسان إنسان ظاهر باطن، فإنه ظاهر إن استدل عليه بأفعاله المرتبة المحكمة، باطن إن طلب من أدرك الحس»... المقصد الأسنى ص88. وهو معنى حديث.

(5) فالمتكبر من العباد هو الزاهد العارف. والخلق والتصوير في القلوب البشرية. والغفار هو الذي يظهر الجميل ويستر القبيح. والقهار من العباد من قهر أعداءه وأعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه. والوهاب جود العبد وهباته. والرزاق رزق العلم الهادي واللسان المرشد والمعلم واليد المنفقة المتصدقة. والفتاح انفتاح لسان الإنسان. والقبض والبسط إلهام بواقع الحكم وجوامع الكلم. والرفع والخفض للحق والباطل. والمعز والمذل =

وهو الموقف الشرعي[1].

وهذه الأسماء التوقيفية غير مقصورة على العدد تسعة وتسعين بل تتجاوزه إلى ما لا نهاية. لذلك فهي أقرب إلى الاصطلاح طالما أن آليات التسمية معروفة والتجارب الإنسانية في حاجة إلى تشخيص فاعل للعجز عن تحليلها كأوضاع اجتماعية تحكمها العلل والأسباب[2]. إنما فائدة الإحصاء والتخصيص هو إعطاء النموذج والآلية والمفتاح[3]. ويمكن معرفتها قياسا عن طريق العقل[4]. وقد كان التأليف بناء على سؤال. وتمت الإجابة بالرغم من صعوبة الموضوع ومخاطرة الإفصاح عن الحق[5]. ويعتمد الكتاب على الحديث والقرآن والشعر

= أي الخلاص من ذي الحاجة وقهر الشهوة. والسمع والبصر للإنسان والحكيم حكمة الإنسان. والعدل جعل الشهوة والغضب أسيرين تحت إشارة العقل والدين وإلا وقع الظلم وهو العدل الشرعي مع النفس والأسرة والناس. واللطف هو الرفق بالناس. والخبير هي الخبرة بما يجري في العالم أي المعرفة العلمية. والحليم لأن الحلم من محاسن الخصال. وهو أمر بديهي مستغن عن الشرح والاطناب. والعظيم من العباد والأنبياء والعلماء. والكبير هو الكامل. والحفيظ من الناس من يحفظ جوارحه وقلبه ودينه من الغضب والشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان. والجليل والجميل من الناس من حسنت صفاته الباطنة والقلوب البصيرة والرقيب هو الإنتباه من الغفلة. والواسع السعة في المعارف والأخلاق. و (الحكيم معرفة الأشياء وأفضلها)، والحميد من حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله. والصمد هو القصد في الحوائج لتحقيق الرغائب. والعفو هو العفو عن الظالم. والمقسط إنصاف المظلوم. والجامع الجمع بين الآداب الظاهرة في الجوارح وبين الحقائق الباطنة في القلوب. والمانع منع أسباب الهلاك والنقصان في الأديان والأبدان. والضار والنافع منع الضرر وجلب المنفعة. والصبور ثبات العقل أو الدين في مقابل الشهوة والغضب.

(1) طبقا لحديث «تخلقوا بأخلاق الله تعالى»، «إن لله تعالى كذا وكذا خلقاً. من تخلق بواحدة منها دخل الجنة».

(2) «في بيان أن أسماء الله تعالى من حيث التوقيف غير مقصورة على تسع وتسعين بل ورد التوقيف بأسام سواها...»، المقصد الأسنى ص106.

(3) «في بيان فائدة الإحصاء والتخصيص بتسعة وتسعين...»، السابق ص108.

(4) «في بيان أن الصفات والأسامي المطلقة على الله تعالى هل تقف على التوقيف أو تجوز بطريق العقل. والذي مال إليه القاضي أبو بكر (الباقلاني) أن ذلك جائز إلا ما منع منه الشرع إذا شعر بما يستحيل معناه على الله تعالى. فأما ما لا مانع فيه فإنه جائز». وهو عكس رأي الأشعري، السابق ص112.

(5) «فقد سألني أخ في الله يتعين في الدين إجابته شرح معاني أسماء الله الحسنى... أحدهما أن هذا الأمر في نفسه عزيز المرام، صعب المنال، غامض المدرك... والثاني =

والإسرائيليات[1]. وتتوالى الأحاديث[2]. ومع ذلك الاعتماد الأعظم على تحليل التجارب الإنسانية. كما يعتمد على بعض أقوال الصوفية مثل الجنيد والأستاذ (الدقاق) والقرمدي والكركاني. كما يعتمد على بعض المتكلمين كالأشعري والباقلاني، وعلى بعض الفقهاء مثل ابن حزم وأحمد والبيهقي. كما يشير إلى بعض الفرق الكلامية كالمعتزلة. ويحيل إلى الفلاسفة[3]. كما يحيل إلى بعض مؤلفاته الأخرى مثل «الإحياء» و«التهافت»[4].

4 ـ رسائل ابن عربي (638هـ)

ويمكن تصنيف رسائل ابن عربي في الوعي النظري في موضوع التأويل: تأويل التنزيل، تأويل الحروف.

أ ـ تأويل التنزيل: ويتناول تأويل التنزيل عدة موضوعات مثل: المحكم والمتشابه، وأسرار القلب، والمكاشفة والتنبيهات.

1 ـ المسائل لإيضاح المسائل[5]: وهي مسائل متفرقة، حوالي مائتين وثلاثين، حول آيات قرآنية كرأس للمسألة أو كدليل عليها باستعمال القرآن الحر، فهي بلا عناوين. وهي مثل المسائل الفلسفية للفارابي تحتاج أيضاً إلى إعادة تجميع وتبويب في مجموعات أصغر. إذ تتناثر موضوعاتها حول كل مسائل الكلام والفلسفة والأصول والتصوف حتى لا تبدو متفرقة لا رابط بينها. الآيات القرآنية نفسها موضوعات. لذلك تقع في موضوع التفسير والتأويل بتحويلها إلى تجارب معاشة مع تنظير عقلي يبدو فيها ابن عربي أكبر ممثل للوعي الصوفي النظري. وقد يكون موضوع المسألة حديثاً أو شعراً أو أقوالاً من صوفية سابقين مثل الغزالي. وقد تحتوي المسألة على أكثر من آية. وفي رأس الموضوع وآخر كل مسألة

= أن الإفصاح عن كنه الحق فيه يكاد يخالف ما سبق إليه الجماهير وفطام الخلق عن العادات ومألوفات المذاهب عسير. . .»، المقصد الأسنى ص2.

(1) الأحاديث (33)، الآيات (20)، الأشعار (5)، الإسرائيليات (2).

(2) المقصد الأسنى 77-78.

(3) أحمد البيهقي، ابن حزم (3)، الأشعري، الباقلاني، الجنيد، القرمدي، الكركاني (1).

(4) الإحياء (4)، التهافت (1).

(5) المسائل لإيضاح المسائل (1)، دار الكتب العلمية، بيروت 2004 ص21-118.

اللازمة الأشعرية «الله أعلم». والخطاب موجه للقارئ بلفظ «اعلم». وتظهر بعض ألفاظ الوصل مثل «فائدة»، «تنبيه». وتعتمد على القرآن أكثر من الشعر والشعر أكثر من الحديث[1]. كما تعتمد على أقوال الصوفية، الغزالي ثم الحلاج ثم الشبلي ثم أبو مدين[2]. كما يذكر الأنبياء، موسى والخضر ثم هارون[3]. ومن شخصيات العهد القديم طالوت. ومن المتكلمين الأشعري، ومن المؤلفات يحال إلى «الإحياء» و «مختصر الإحياء».

2 ـ **«رد المتشابه إلى المحكم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية[4]»**: وهو في تأويل بعض الآيات والأحاديث التي قد توحي بالتجسيم أو التشبيه وإعادة تأويلها إثباتاً للتنزيه ضد المشبهات التي قيلت حول الصوفية مثل الحلول والاتحاد[5]. وقد يقوى التشبيه في الحديث لتفصيلاته ومخاطبته للعامة ولبسطاء الناس للتوضيح. فألفاظ التشبيه في القرآن والحديث معا مع اختلاف الدرجة فحسب. ويتم الاحتكام إلى علم التشريح وإلى العلم الطبيعي لتوضيح بعض الأمور المتشابهة[6]. كما يتم الاحتكام إلى اللغة، فالتأويل لا يكون بالضرورة ضد اللغة. وأحياناً تقطع الآية لفظاً لفظاً كما هو الحال في تأويل آية الإسراء والمعراج[7].

---

(1) الآيات (128)، الأشعار (14)، الأحاديث (11)، القدسية (1).

(2) الغزالي (5)، الحلاج (3)، الشبلي، أبو مدين، إبراهيم بن أدهم، ومن المتكلمين الأشعري، ومن الصحابة علي (1).

(3) محمد، (محمدي) (4)، موسى، الخضر (3)، هارون (1).

(4) المسائل لإيضاح المسائل (2)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 ص121-193.

(5) «وبعد، فقد سألتني، أرشدني الله وإياك ـ عن أمر عظيم في هذا الزمان خطبه وعم ضرره. وهو ما تظاهر به بعض المبتدعة المنتسبين زوراً وبهتاناً إلى الأحاديث والفقه. وأشاعه في العامة والخاصة من اعتقاد وظواهر الآيات المتشابهة في أسمائه تعالى وصفاته، من غير تعرض لصرفها عما لا يليق بجلاله وكبريائه. ويوهم التشبيه والتجسيم، وبرغم أنه في ذلك متمسك بالكتاب بالسنة، وماشٍ في طريقة السلف الصالح. ويشنع على من تعرض إلى شيء منها بتأويل أو صرفه عن ظاهره بدليل إلى ما تعارف عليه في عرف العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وينسبه في ذلك إلى مخالفة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين لكونهم ما نقل عنهم التعرض لشيء من ذلك. وقد ضل وأضل كثيراً. وما يضل إلا ما هو قاصر الفهم ضعيف النور»، السابق ص121.

(6) السابق ص177/ 179.

(7) السابق ص167-168.

ويفصل أوجه التشبيه في الصورة والوحي والرؤية والسمع والبصر والعين، والنفس والقلب والبطن، والأيدي، والعينين، والقدم، والكلام، والجنب، والفوقية، والإسراء، والاستواء، والنزول، والمجيء والإتيان، والمعية، والحب، ولفظ عند وأين، والضحك، والرضا، والغضب. . .الخ. وكلها قياس للغائب على الشاهد، وإسقاط للإنسان على غيره، واستنباط المجهول من المعلوم. وتبرز الموضوعات بألفاظ «تنبيه» و«تبصرة» و«إشارة»، و«تحقيق»، و«تربية». . .الخ[1]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[2]. ومن الصوفية يذكر السهيلي والحكيم الترمذي والهروي، ومن القضاة أبو بكر العربي. ومن الأنبياء محمد وموسى وشعيب[3]. ومن الفرق يذكر «المحققون من أهل النظر» و«المحققون» و«المحدثون» و«اليهود». كما يذكر عشرات المحدثين والرواة.

3ـ «**لطائف أسرار القلب واللسان**»[4]: وموضوعها نزول القرآن على اللسان والقلب، الظاهر والباطن، الخارج والداخل، الصوت والسلوك. ويدل على ذلك الدعاء أول الرسالة «رب يسر لنا عويصات أسرار كتابك الكريم[5]. الإيمان ليس باللسان بل بالقلب. وهي نفس قضية الإيمان والعمل في علم أصول الدين[6]. فالإيمان شهادة باللسان، وعقد بالجنان، وعمل بالأركان، أي إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالأركان. اللسان عربي، والقلب أعجمي للناس جميعاً. الأول حروف الهجو، والثاني حروف الثناء. وبينها حرف الشكر، وشهادة العقل، ورسالة الملك. والثناء زائد على الحمد. والشكر جامع بين الحمد والثناء. وصدق الورع من حسن المعرفة، وصدق اليقين من حسن الطاعة، وصدق الحرص على البر والتقوى من حسن الصبر. والكل في العقل. وهذا معنى «إن الله تعالى ضرب الحق على لسان عمر وقلبه» وأيضا «المرء بأصغريه، قلبه ولسانه». وقد يطول

---

(1) تنبيه (25)، تبصرة (10)، إشارة (7)، تحقيق (4)، تربية، اعتبار (2)، إثبات، لطيفة، فائدة، تشكيك، مناجاة، إيضاح، بيان، تتمة (1).

(2) الآيات (342)، الأحاديث (81) القدسية (2)، الأشعار (3).

(3) محمد (2)، موسى، شعيب (1).

(4) المختار من رسائل ابن عربي (1)، دار الكتب العلمية، بيروت 2005 ص26-58.

(5) السابق ص26.

(6) من العقيدة إلى الثورة جـ5، الإيمان والعمل- الإمامة.

الحديث بحيث يشمل الهجرة والجهاد[1]. الذكورة حمدية، والأنوثة ثنائية، والرجولية شكرية. النزول من سر الذكورة إلى الشعوب، ومن سر الأنوثة إلى القبائل. ومن الأسباط بين الشعوب والقبائل. الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من العجم والعرب. السبط في ولد إسحق كالقبيلة في ولد إسماعيل بين حسن الطاعة وصدق اليقين صحة الرجولية المودعة بين الذكورة والأنوثة. ومن صحة الرجولية صحة الروح في العقل الإنساني. وبصحة العقل في الإنسانية وصحة الروح في الرجولية وصحة القلب في الرسالة علم محل الإنسان بين الجمادات والحيوانات ومنزلته من الله والخطاب موجه للقارئ بفعل أمر «أعلم». ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[2]. ومن الصوفية يذكر أبو سعيد الخدري. ومن الأنبياء يستدعي موسى ثم يوشع وقارون، ثم آدم وإسماعيل وإسحق[3]. ومن الصحابة عمر، ومن الرواة أبو قلابة، ومن الفرق المعتزلة.

4 ـ **«التنزلات الموصلية»**[4]: ويبين تنزيل الوحي على القلب لفهمه فهماً مباشراً. هو الوحي النازل الذي يقابل الوحي الصاعد كما حدث لعمر[5]. كذلك يذكر جبريل الروح الأمين[6]. وقد وقع التنزيل في عدة موضوعات[7]. تبين

---

(1) سأل رجل عن الإسلام قال له الرسول «أسلم تسلم». فقال: وما الإسلام؟ قال «أن يسلم قلبك ويسلم المسلمون من لسانك ويدك»، وقال: فأي الإسلام أفضل؟ قال «الإيمان». قال: وما الإيمان؟ قال «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت». قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال «الهجرة». قال: وما الهجرة؟ قال: «أن تهجر السوء». وقال: وأي الهجرة أفضل؟ قال «الجهاد؟»، قال: وما الجهاد؟ قال: «أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم، ولا تغل ولاتحنق»، السابق ص57-58.

(2) الآيات (26)، الأحاديث (15)، القدسية (3).

(3) موسى (7)، يوشع، قارون (2)، إسماعيل، اسحق (1).

(4) رسائل جـ6 (11) ص187-195.

(5) «إن من أمتي محدثين وإن منهم عمر»، السابق ص187.

(6) جبريل (2).

(7) مثل: سر وضع الشريعة معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه، معرفة مقام الرسالة والرسول والخلافة والنبوة والولاية والإيمان والعالم والجاهل والظان والشاك والمقلدين لهم، وتلقي الرسالة وشروطها وأحكامها، وتلقي الرسالة الثانية الموروثة من النبوة، ومعرفة النية والفرق بينها وبين الإرادة والقصد والهمة والعزم والهاجس وأسرار التكبير، وأسمائه ومخاطبة آدم، وبيان الصلاة الوسطى ومعنى الدوام على الصلاة.

إمكانية وصول القلب إلى التأويل، واتفاق التنزيل مع التأويل، والنازل مع الصاعد، والوحي النبوي مع الوحي الطبيعي. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر [1].

5 ـ **«المناصفة في حقيقة المكاشفة»**[2]: والموضوع هو التأويل القائم على الكشف. فالعلم ثلاثة أقسام، قسم بلا كلام، وقسم بالسلام، وقسم بالحديث والإلهام. والسفر ثلاث، إلى بيت الله الحرام، وإلى العباد بذهاب المقام في المقام، وإلى الله مجرد عن السهام والالتئام. والشرك تجنب عشرة أشياء: الشرك النظري، الجلي والخفي، والعقوق، وقتل الأولاد، وخشية الإملاق، وارتكاب الفواحش، وقتل النفس بغير حق، والإيمان يتطلب مجانبة مال اليتيم، وبذل الإنصاف في المعاملات، والصدق في القول، والعدل في الفعل، ومتابعة السبيل بما تيسر إليه لوائح الدليل. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية [3].

6 ـ **«رسالة التنبيهات»**[4]: وتضم خمساً وثلاثين تنبيهاً بلا عناوين مثل كتاب المعرفة. وتدور معظمها حول بعض آيات القرآن، وتجليات الحق وصفاته، والحقيقة المحمدية، والإنسان الكامل، والقطب، والأرض، والوجود، والعقل الأول، والروح الكلي والقلم والعرش، والأنبياء، ومقام المحبة، والظاهر والباطن. . . الخ في تنبيهات متفرقة يمكن تجميعها تحت عناوين جامعة لأكثر من تنبيه. وكل تنبيه ينتهي باللازمة الأشعرية «الله أعلم». وتعتمد على القرآن والحديث[5]. ويذكر من الصوفية الحكيم الترمذي والقاضي عياض والسهروردي مع «عوارف المعارف»، ودحية الكلبي الذي أتى جبريل مشخصاً فيه. ومن الصحابة علي. ومن الأنبياء محمد وصفته محمدية وآدم[6] والإنسان الكامل هو

(1) الآيات (7)، الأحاديث (2)، الأشعار (1).
(2) المختار من رسائل ابن عربي (3)، دار الكتب العلمية، بيروت 2005 ص96-102.
(3) الآيات (5)، الأحاديث (1)، القدسية (1).
(4) رسائل جـ6 (7) ص125-148.
(5) الآيات (25)، الأحاديث (6)، القدسية (1).
(6) محمد (10)، محمدية (1)، آدم (1).

أكثر الموضوعات بروزاً. فهو الجامع لكل الكتب الإلهية. وهو نسخة من العالم الكبير. وهو أم الكتاب، واللوح المحفوظ[1].

ب ـ تأويل الحروف

1 ـ «**الألف وهو كتاب الأحدية**»[2]: وهو بين الحروف والتوحيد. وينعكس في الإنسان الذي هو أكمل الخلق، تقدمه للإنسان الكامل. وتبدو أهمية مريم التي يتجلي فيها الحق في الخلق. ويستشهد بالقرآن والشعر[3]. ويحيل إلى رسائل سابقة مثل «كتاب الباء»، وكتاب «الهو»، و«كتاب الحروف».

2 ـ «**كتاب الباء**»[4]: والباء ثاني الحروف بعد الألف. وإذا كانت الألف حرف الأحدية، وأول حرف في كلمة «الله» فإن الباء أول حرف في البسملة. والقرآن حروف[5]. وهي في أول السور. والحروف ليست مجرد أصوات يقسمها علم الأصوات إلى لسانية وشفتية وأنفية وحلقية. وليست مجرد حركات إعرابية. ليست الحروف أشكالا ثابتة في الكتابة بل هي حركة، ليست ميتة، حبراً على ورق بل حية. ليست الحروف مجرد حاملة للمعاني بل هي معاني بذاتها. ليست الحروف مجرد معاني بل هي الأشياء ذاتها تتحرك. فالحرف هو اللفظ والمعنى والشيء، وهي الأبعاد الثلاثة في الكلام. ولا يعرف ذلك إلا من خلال الكشف والرؤية والحلم. الحروف مقامات وأحوال تدل على ما في النفس من قرب وبعد،

(1) «التنبيه الثاني عشر: اعلم أن الإنسان الكامل كتاب جامع لجميع الكتب الإلهية لأنه نسخة العالم الكبير. فمن حيث روحه وعقله هو الكتاب العقلي المسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات. فهي الصحف المكرمة المرقمة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية. وما ذكرنا من الكتب إنما هي أصول الكتب الإلهية. وأما فروعها فكل ما في الوجود فيها تنقش فيه أحكام الموجودات. فهي أيضاً كتب إلهية»، السابق ص133.

(2) رسائل ابن عربي (1)جـ1 (3) ص2-13.

(3) الآيات (24)، الأشعار (1).

(4) مكتبة القاهرة، 1374هـ-1954م.

(5) كتب ابن سينا أيضاً رسالة في الحروف. وكذلك فعل إخوان الصفا. وهو موضوع في كل الحضارات، في القبالة اليهودية والكلمة في إنجيل يوحنا. انظر دراستنا تأويل الحروف عند ابن عربي، ندوة ابن عربي، دمشق2000.

قوة وضعف. تشير الحروف إلى الحواس والنفس والعقل والإلهام والخيال[1]. الحروف زمان ومكان. تدخل في فعل الخلق ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ والخلق على مراتب في أيام الأسبوع طبقاً للحروف، والإنسان في اليوم السابع. والحروف أعداد[2]. وتشير إلى عالم الطبائع، إلى العناصر الأربعة. والحروف تدل على الحقيقة المحمدية. فالحروف كون ومحمد كون. الحروف وجود ومحمد وجود. الحروف قديمة ومحمد قديم. اللغة في حوار مع الطبيعة مع الكون وعالم الأفلاك كما هو الحال في «منطق الطير». فالحروف وجود. يشارك كلاهما في الشيئية والشكل والرقمية.

والله هو كل شيء ليس فقط خمسة حروف أ ل ل ا ه بل يشمل الظاهر والباطن، الحواس والعقل والقلب، الذات والموضوع، الداخل والخارج. الكل موصول إلى الله. الحروف هي الصفات. فالألف الأحدية. والله هو العرش. والله هو العالم[3]. الله هو الأفلاك والنجوم كما عبر عن ذلك في «مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم». ورمز ذلك كله هو النكاح الذي يوحد الاثنين. ويُدخل كل شيء في كل شيء، ويعهد كل شيء في كل شيء. فيمتزج العرقان والجهدان والمنيان. وتخرج منها وحدة أخرى بفعل الخصوبة والخلق الجديد[4]. وهو رد فعل على الفصل بين المستويات في علم الكلام، والثنائية المادة التي وقع فيها المتكلمون وبعض الفلاسفة مثل الممكن والواجب، الجوهر والعرض، القديم

---

(1) وغنا لي مني قلبي ... وغنيت كما غنا
وكنا حيث ما كانوا ... وكانوا حيث ما كنا
كتاب الباء ص4.

(2) وقد ظهر ذلك في كل الحضارات القديمة عند الشرقيين والساميين وتأسس علم هو علم الأعداد Numerics.

(3) أيا عجبا كيف يعصي الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة ... وتسكينة علم شاهد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد
السابق ص9-10.

(4) «فأريت ليلة أني نكحت نجوم السماء كلها. فما بقي نجم في السماء إلا نكحته بلذة عظيمة روحانية. ثم لما أكملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها كلها في حال إفرادها وتركيبها»، كتاب الباء ص10-11.

والحادث، التنزيه والتجسيم. وهو نوع من الشرك. في البدء كان اثنان وليس واحداً، بقايا من الثنائية الروحية الشرقية القديمة، والثنائية العقلانية المثالية اليونانية الحديثة. والسؤال هو: هل هذا تفسير للقرآن أم أنه حدس صوفي وتجربة روحية والقرآن هنا مجرد غطاء وتبرير وشرعية كما هو الحال في علوم التفسير؟ وتعتمد الرسالة على القرآن والشعر[1]. وتظهر بعض أقوال الصوفية يتقدمهم الجنيد ثم الشبلي ثم أبو مدين شيخ ابن عربي. ويظهر بعض الفقهاء مثل الشافعي. ومن الأنبياء يتصدر عيسى وحده. وهو رمز وحدة الوجود[2]. ويحال إلى «الفتوحات المكية» الذي يتقدمه باب خاص عن «تأويل الحروف». وهو إجابة على سؤال واستفسار من أحد أبنائه أو مريديه وموجه إليه «يا ولدي». وهو جواب مؤقت لضيق الوقت وكثرة الأشغال.

3 ـ **«كتاب الجلالة وهو كلمة الله»**: وهو أيضاً بين التوحيد والحروف. فلفظ «الله» ستة حروف. وهو مقسم إلى فصول صغيرة بلا عناوين[3]. وتضاف إليه الرسوم التوضيحية لعالم الشهادة المطلق، وعالم الشهادة المقيد وعالم الغيب[4]. وفي الأدلة النقلية يأتي القرآن أولاً ثم الشعر ثم الحديث[5]. ويحال إلى الغزالي والبسطامي وأبي طالب المكي. ومن الصحابة عمر في ندائه على سارية ورؤيته عن بعد، وتحذيره إياه من التفاف الأعداد حوله في القول المشهور «يا سارية الجبل، الجبل». ويحال إلى «كتاب العين».

---

(1) الآيات (3)، الأشعار (2).

(2) الجنيد (3)، الشبلي (2)، أبو مدين، الشافعي (1)، عيسى (3).

(3) سبعة فصول.

(4)

عالم الشهادة المطلق

عالم الشهادة المقيد

عالم الغيب

(5) الآيات (17)، الأشعار (4)، الأحاديث القدسية (2).

4 ـ **«كتاب الميم والواو والنون»**[1]: وهو أيضاً في موضوع الحروف[2]. يختلف فيه الصوفية في الظاهر ولكنهم متفقون في الباطن. وهي على ثلاث مراتب: فكرية، ولفظية، ورقمية. والرقمية مفردة أو مزدوجة. والنبوة تحيل اللغة إلى الوجود. والميم والواو والنون أعظمها لأنها من حروف العلة. ومنها يتكون الأمر ﴿كُن﴾. ومصدر هذا العلم الإلهام والقلب والعقل والتجربة البشرية. ويعتمد على القرآن والحديث[3]. والقرآن في آخر الرسالة دفعة واحدة. وهو تصديق للتجربة الصوفية. ومن الأنبياء يذكر آدم ومحمد ثم عيسى[4]. وهي سلسلة روحية واحدة. ومحمد قديم كان موجوداً وآدم بين الماء والطين. ومن الصوفية يحال إلى جعفر الصادق والترمذي في «علم الأولياء»، وجابر بن حيان واضع علم الكيمياء، وابن مسرّة الجيلي، وأبي القاسم بن قسي صاحب «خلع النعلين»[5]. ومن الفرق الفيثاغوريون[6]. ويحال إلى بعض مؤلفاته السابقة مثل «المبادئ والغايات بما تتضمنه حروف المعجم من العجائب والآيات، و«الفتوحات المكية»، (الفتح المكي).

5 ـ **«رسالة القسم الإلهي»**[7]: فقد أقسم الله في القرآن بموضوعات شتى من الحروف والرياح والملائكة والجبال والشجر والكواكب والساعات والليل والنهار واليوم والشمس والقمر والسماء والأرض والنفس والشفع والوتر والبلد والقرآن والقلم والبقاء والسفن والبهائم والكتاب والسقف والبحر والبيت ومواقع النجوم، وما تدركه الأبصار وما لا تدركه، وبجميع الموجودات قديمها وحديثها، كما أقسم بنفسه خمس مرات. تجمع بين الحروف والأسماء. ويخرج الإنسان من ثنايا الوجود[8]. فالإنسان برزخ أي ممر. وهو مقسم إلى فصول وأبواب[9]. ويعتمد

---

(1) رسائل (1) جـ1/ (8) ص1-16.

(2) «ولأحبابنا في هذه المسألة خلاف في الظاهر وليس بخلاف أصلاً إلا أن الواحد شاهد مشاهد لم يشهدها الآخر وشاركه في مشاهده. فهذا أعم وهذا أخص»، السابق ص3.

(3) الآيات (7)، الأحاديث (1).

(4) آدم، محمد (5)، عيسى (2).

(5) جعفر الصادق، الترمذي، جابر بن حيان، ابن مسرّة الجيلي، أبو القاسم بن قسي (1).

(6) الفيثاغوريون (1).

(7) رسائل (1) جـ1/ (9) 1-29.

(8) «وقد كان الإنسان أشياء لكن لم يكن إنساناً»، السابق ص20.

(9) خمسة فصول بلا ترقيم، ثم خمسة أبواب ثم خمسة فصول مرقمة.

على القرآن والحديث والشعر[1]. كما يظهر النثر الفني في الفصول الأخيرة. فاللغة تعبير. ويُحال إلى كتاب «الجداول والدوائر»[2].

6 ـ **«كتاب الياء»**[3]: وهو في موضوع الحروف. وبه عناوين فرعية مثل: بند من مناجاة الهو، ومن مناجاة الأنا، ومن مناجاة الإنْ وهي الإنية، ومن مناجاة الأنت. ويعتمد على القرآن والشعر [4].

7 ـ **«الحروف الثلاثة التي انقطعت أواخرها عن أوائلها»**[5]: والحروف هي الموضوع الأبرز في كل مؤلفات ابن عربي. وهي الحروف الحية المتحركة التي ينعطف أواخرها على أوائلها تشبها بصفات الأول والآخر وهي الألف والواو والياء. والحروف على ثلاث مراتب: فكرية ولفظية ورقمية. والرقمية وضعان: المفرد والمزدوج. ولكل حرف دلالته ومعناه. ويعتمد على القرآن والحديث[6]. ومن الصوفية يذكر الحكيم الترمذي. ومن الأنبياء يحال إلى محمد ثم إلى آدم وعيسى[7]. كما تذكر المؤلفات السابقة في الموضوع مثل «الفتوحات المكية»، و«المبادئ والغايات». ولأول مرة يذكر الوافد مثل الفيثاغوريين ونظريتهم في الأعداد [8].

8 ـ **«كتاب العظمة»**[9]: وموضوعه الحروف مثل الباء والميم[10]. وعناوينه غريبة[11]. ويتكون من سبعة أبواب. أول كل منها حرف، وآخرها حرف. وينتهي

(1) الآيات (36)، الأحاديث (6)، القدسية (4)، الأشعار (1).

(2) رسائل جـ1/ ص3.

(3) رسائل (1)/ جـ1 (9) ص9-15.

(4) الآيات (17)، الأشعار (2).

(5) رسائل ابن عربي جـ1 (3) ص133-142.

(6) الآيات (9)، الأحاديث (2).

(7) محمد (4)، آدم، عيسى (3).

(8) كتاب الحروف الثلاثة ص138.

(9) رسائل ابن عربي جـ1 (2) ص77-113. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

(10) «باب أوله باء، وآخره ميم»، السابق ص79.

(11) مثل: حضرة التمييز الأول، من الحضرة عينها، أوله ألف وآخره نون، باب أوله ألف وآخره ميم، باب أوله ميم وآخره نون، باب أوله وآخره دال، باب أوله ألف وصل وآخره نون.

بفصل بلا عنوان. ثم تأتي الملاحق وهي مجموعة من الآيات والأحاديث والأشعار[1]. ويعتمد على القرآن والشعر والحديث[2]. ويحال إلى عديد من الصوفية[3]. كما يحال إلى عديد من الأنبياء[4]. والصحابة، ومن الأنبياء يحال إلى معظم الأنبياء، من آدم حتى محمد. ومن الأعمال السابقة يحال إلى «الفتوحات».

9 ـ **«المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات»**[5]: وموضوعه الحروف كما يبدو من العنوان الصريح. وهو كتاب كبير وليس مجرد رسالة تشبه فصل الفتوحات عن تأويل الحروف. والعنوان له دلالته. الحروف مبادئ ولكن لها غايات. بدايات لكن لها نهايات. له بنية ثلاثية محكمة في المعاني والأعداد والحروف. فهناك صلة بين الحروف والمعاني. فالحروف بداية الألفاظ.. وهناك علاقة بين علم الحروف وعلم الأعداد، بين الجبر والحساب. والمؤلف على وعي بهذه القسمة الثلاثية[6].

وترتب الحروف أولاً طبقاً لاستعمال الحروف كأعداد في أبجد هوز حطي كلمن... الخ. ثم تبدأ أبجدياً من جديد. والخطاب موجه للقارئ. والحرف هو النطق. والنطق الفكر. والفكر الإرادة. ولكل حرف معنى يشتق من أول الكلمة نون في معنى النور...الخ[7]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[8]. وأقوال الصوفية يتقدمهم أبو سعيد الخدري وأبو نعيم الأصفهاني وسعيد بن المسيب والكاشاني وغيرهم. ومن الصحابة أبو هريرة ثم علي وابن عباس ثم عمر ثم أبو بكر ثم ابن عمر وعثمان ومن المحدّثين البخاري ثم البيقهي ثم الترمذي وابن حيان ثم النسائي والعسقلاني. ومن الفقهاء أنس وأحمد والسيوطي ثم مالك ثم الطبراني

---

(1) السابق ص105-116.
(2) الآيات (41)، الأشعار (11)، الأحاديث (7).
(3) البسطامي، الحلاج، العريني، ومن الصحابة ابن عباس.
(4) وهم: آدم، ادريس، نوح، إبراهيم، يوسف، هود، صالح، موسى، داود، سليمان، يحيي، هارون، عيسى، محمد.
(5) دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.
(6) «وقد رتبه على ثلاث مطالع»، السابق ص37.
(7) السابق ص74-75.
(8) الآيات (110)، الأحاديث (72)، الأشعار (42).

ثم العجلوني. ومن الأنبياء آدم ثم موسى ثم إبراهيم وعيسى، ومن الملائكة جبريل ثم ميكائيل[1].

10 ـ **«نقش الفصوص»**[2]: وهو غير «فصوص الحكم» بالرغم من الاشتراك في الصورة «فصوص» أي تجلي الحقيقة تدريجياً مثل الفص. وهو مثل «الفصوص» في تقسيمتها وعناوينها. تسمى الحكمة وتُذكر كلمة نبيها[3].

11 ـ **«المدخل إلى المقصد الأسمى في الإشارات»**[4]: وهو كتاب في تأويل الأسماء الإلهية كما فعل الغزالي في «المقصد الأسنى». والعنوان الجانبي «فيما وقع في القرآن بلسان الشريعة والحقيقة من الأسماء والكنايات». الأسماء في الشريعة والكنايات في الحقيقة. ولا ينقسم إلى أبواب أو فصول بل إلى مجرد عناوين جانبية بلا ترقيم لإبراز الموضوع مثل «كناية في بسم». وهو العنوان الوحيد. ويضاف فعل في النهاية لخاتمة دون جديد فيها[5]. ويعتمد على التجربة الخالصة وتحويل الآية إلى واقع نفسي وجودي. وتفوق الآيات الأحاديث والأشعار[6]. وتظهر بعض

(1) الصوفية: أبو سعيد الخدري، أبو نعيم (5)، سعيد بن المسيب، الكاشاني (3)، الصحابة: أبو هريرة (16)، علي، ابن عباس (14)، عمر (13)، أبو بكر (9)، ابن عمر، عثمان (6). المحدثون: البخاري (12)، البيهقي (11)، الترمذي، ابن حبان (10)، النسائي، العسقلاني (3). الفقهاء: أنس، أحمد، السيوطي، مالك (5)، الطبراني، العجلوني (16)، جبريل (9)، ميكائيل (3)، الأنبياء: آدم (5)، موسى (3)، عيسى، إبراهيم (2).

(2) رسائل جـ1 (27) ص1-12.

(3) تضم 27 فصاً: إلهية في آدم، وتثنية في شيت، وسبوحية في نوح، وقدوسية في إدريس، ومهيمنة في إبراهيم، وحقية في إسحق، وعلية في إسماعيل، وروحية في يعقوب، ونورية في يوسف، وأحدية في هود، وفتوحية في صالح، وقلبية في شعيب، وملكية في لوط، وقدرية في عزير، ونبوية في عيسى، ورحمانية في سليمان، ووجودية في داود، ونفسية في يونس، وغيبية في أيوب، وجلالية في عيسى، ومالكية في زكريا، وإيناسية في إلياس، وإحسانية في لقمان، وإمامية في هارون، وعلوية في موسى، وحمدية في خالد، وفردية في محمد.

(4) رسائل ابن عربي جـ1 (10) ص249-261، وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

(5) «وقد بينا في هذا المدخل كيف ينبغي للعارف أن يأخذ الأسماء والكنايات وكيف ينزلها. فإنا لو وسّعناها حتى نستوفي ما ظهر في الوجود منها لطال الأمر، وحاف على وقتنا، وتركنا ما هو الأولى بنا عن الانشغال. فقد مهدنا السبيل، وعرّفنا صورة التأويل».

(6) الآيات (22)، الأحاديث القدسية (2)، الأحاديث (1)، الأشعار (1).

الرسوم التوضيحية للدلالة على عالم الشهادة وعالم الغيب، الشهادة إلى أعلى والغيب إلى أسفل، وكأن الشهادة هي المشاهدة العيانية والغيب هو شهادة الحواس. الأولى باطنية، والثانية ظاهرية[1].

12 ـ «نسخة الحق»[2]: وموضوعه الصلة بين الحق والخلق. فالخلق نسخة الحق ويعكس صورة الحق. ويرى الحق صورته فيه. فقد خلق الله العالم على صورته ومثاله. ولا ينقسم إلى أبواب وفصول بل إلى آيات وأحاديث وكأن الموضوع مستنبط من الفصوص. لذلك يدخل الكتاب في التفسير والتأويل أو في التوحيد. ويعتمد بطبيعة الحال على الآيات والأحاديث دون أشعار[3]. يتكرر بعضها. ومن الصوفية يظهر أبو طالب المكي. ومن الأنبياء آدم وحواء وعيسى[4]. والثلاثة رموز للحق والخلق. فآدم من طين. وحواء من نفسه. وعيسى من عذراء وتخصيب الروح القدس. وكلها صور أيضاً للإنسان الكل. وقد أوجد الله العالم على ثلاثة أنواع: الأول بكن وهو أكثر العالم. والثاني بكن ويد واحدة كالجنة والقلم والتوراة. والثاني بكن ويديه الاثنين كالإنسان. وهو تشبيه في تشبيه ويوضح ذلك الرسم[5].

13 ـ «تفسير ابن عربي»: وبصرف النظر عن صحته التاريخية فإنه يعبر عن مكونات التفسير الصوفي لدرجة الشك في انتحاله والظن بصحته التاريخية. إذ كيف يقوم الانتحال بكل هذا التقليد لفلسفة ابن عربي ومنهجه في التفسير؟[6] وهو

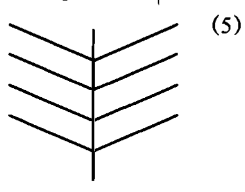
(1) المقصد الأسنى ص251.

(2) رسائل ابن عربي جـ1 (11) ص267-276. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

(3) الآيات (14)، الأحاديث (7).

(4) آدم (2)، حواء، عيسى (1).

(5)



(6) «فشرعت في تفسير هذه الأوراق بما عسى أن يسمح به الخاطر على سبيل الاتفاق غير حائم بقصة التفسير، ولا خائض في لجة من المصطلحات ما لا يسعه التقرير، مراعياً =

نوع من التفسير الطولي، من الفاتحة إلى الناس، وانتقاء آيات مختارة أو أجزاء من آيات لبداية التفسير الصوفي منها. ويضم مجموع السور كلها. لذلك لا يقسم التفسير إلى أبواب وفصول أسوة بالتفسير الموضوعي. وتتقطع الآية إلى عدة ألفاظ مما يقضي على المقصد الكلي للتفسير. وتوضع باقي السور في الهامش، حفاظاً على القرآن المتصل لمن يريد أن يعرف السياق. وقد تكون إضافة السور كلها على هوامش الصفحة من فعل النساخ لمساعدة القارئ. والأرجح أنه من الناسخ لأنه يحتوي على بعض التعليقات النقدية[1]. كما تفسر الحروف في أوائل السور بإحالة الحرف إلى الوجود، واللغة إلى العالم، والإشارة إلى المشار إليه.

وسبب التأليف تجربة ذاتية، ذوق حلاوة القرآن[2]. ويظهر مفهوم الفترة لأنها الحاوية لكل التجارب الذاتية[3]. يفتح التفسير عالم الشعور موطن النص ولركيزته الأولى كما يحال إلى درجات الوعي، وعمق النفس[4]. وتظهر المقامات مثل الشكر[5]. وتظهر ثنائية السماء والأرض، والأعلى والأسفل، والروح والجسم، والنور والظلمة كمؤشر على حركة الروح. ويتفق منهج التفسير الباطني مع حديث يشير إلى النطق والصمت، والظهر والبطن، والحد المطلع، والتفسير والتأويل[6].

= لنظم الكتاب وترتيبه، غير معيد لما تكرر منه أو تشابه في أساليبه»، تفسير ابن عربي جـ1/ 4.

(1) السابق ص9.

(2) «فإني طالما تعهدت تلاوة القرآن، وتدبرت معانيه بقوة الإيمان، وكنت مع المواظبة على الأوراد، حرج الصدر، قلق الفؤاد. لا ينشرح بها قلبي. ولا يصرفها عني ربي حتى استأنست بها فألفتها، وذقت حلاوة كأسها وشربتها. فإذا أنا بها نشيط الصدر فلج الصدر متسع البال منبسط القلب فسيح الرطيب الوقت والحال مسرور الروح بذلك الفتوح كأنه دائما في غبوق وصبوح. تنكشف لي تحت كل آية من المعاني ما يكل بوصف لساني. لا القدرة تعنى بطبيعتها وإحصائها، ولا القوة تصبر على نشرها وإفشائها»، السابق جـ1/ 3.

(3) السابق ص11-12.

(4) السابق ص26.

(5) السابق ص 20-21/ 26/ 37.

(6) «فتذكرت خير من أتي ما ازدهاني مما وراء المقاصد والأماني قول النبي الأمي الصادق عليه أفضل الصلوات من كل صامت وناطق «ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع». وفهمت منه أن الظهر هو التفسير، والبطن هو التأويل. والحد ما ينتهي إليه المفهوم من معنى الكلام. والمطلع ما يصعد إليه منه فيطلع على شهود الملك العلام»، السابق جـ1/ 3-4. «فرأيت أن أعلق بعض ما يسمح لي في الأوقات =

والتفسير بالرأي غير التأويل الباطني. فالرأي يخطئ أو يصيب والباطن مكاشفة ومشاهدة ومعاينة.

ويختلف التأويل باختلاف أحوال المستمع وأوقاته، وتفاوت درجاته ومراتب سلوكه. فالعمق في النفس وليس في النص. وتتعدد التأويلات باختلاف المتأولين. فالتأويل تجربة ذاتية[1]. وليست كل آية قابلة للتأويل وهي الآيات المصمتة التي لا تثير في النفس فرحاً ولا حزناً، الآيات الإخبارية المحايدة التي لا تتعلق بالبواعث والغايات [2].

ولا حدود للتأويل. فالتأويل بلا حدود مثل العلم الإلهي الذي لا ينفد مهما نفدت الأقلام ومداد البحار[3]. التأويل مجرد نموذج لغيره من التأويلات. والظاهر لا يؤل. والباطن لا يبقي على ظاهره. تأويل الظاهر تعسف، ومن المروءة ترك التكلف[4].

ويعتمد على تفسير جعفر الصادق ويحيل إليه على عكس «فضائح الباطنية» للغزالي[5]. وتظهر الإسرائيليات في التفسير نظراً لارتباط النبوة بتاريخ

= من أسرار حقائق البطون وأنوار شوارق المطلعات دون ما يتعلق بالظواهر والحدود فإنه قد يحين لها حد محدود. وقيل من فسر برأيه فقد كفر. وأما التأويل فلا يبقي ولا يذر. فإنه يختلف بحسب أحوال المستمع وأوقاته، وفي مراتب سكونه وتفاوت درجاته. وكلما ترقى عن مقامه انفتح له باب فهم جديد، واطلع به على لطيف معنى عتيد»، السابق ص4.

(1) «وعسى أن يتجه غيري وجوه أحسن منها طوع القياد فإن ذلك سهل لمن تيسر له من أفراد العباد»، السابق ص4.

(2) «وكل ما لا يقبل التأويل عندي أو لا يحتاج إليه فما أوردته أصلا»، السابق ص4.

(3) «ولا أزعم أني بلغت الحد فيما أوردته كلا. فإن وجوه الفهم لا تنحصر فيما فهمت. وعلم الله لا يتقيد بما علمت. ومع ذلك فما وقف الفهم مني على ما ذكر فيه بل ربما لاح لي فيما كتب من الوجوه ما تهت في محاويه، السابق ص4، «ولله تعالى في كل كلِمة كلمات ينفد البحر دون نفادها. فكيف السبيل إلى حصرها وتعدادها؟ لكنها أنموذج لأهل الذوق والوجدان، يحتذون على حذوها عند تلاوة القرآن. فينكشف لهم ما استعدوا له من مكونات علمه. ويتجلى عليهم ما استطاعوا له من خفيات غيبه»، السابق ص4-5.

(4) «وما يمكن تأويله من الأحكام الظاهر منها إرادة ظاهرها. فما أولته إلا قليلا ليعلم به أن للفهم إليه سبيلاً. ويستدل بذلك على نظائرها إن جاوز مجاوز عن ظواهرها إذ لم يكن في تأويلها به من تعسف. وعنوان المروة ترك التكلف»، السابق ص4.

(5) «وقد نقل عن الإمام المحق السابق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: =

الأنبياء[1]. ويذكر عيسى خاصة. ولا يوجد ذكر للصوفية أو فلاسفة أو متكلمين أو محدثين أو فقهاء أو مفسرين نظراً للاعتماد على التجارب الذاتية. كما يظهر تاريخ الأديان والإحالة إلى فرق المجوسية والثنوية[2].

وعادة ما يغيب الوافد من التصوف. ومع ذلك يظهر في التفسير بعض آراء أفلاطون مثل تقسيمه الثلاثي لقوى النفس. كما تنسب بعض المنتحلات لأرسطو إلى الرسول[3].

ويفسر القرآن بالقرآن، والقرآن بالحديث. والسجع والمحسنات البديعية أسلوب في التعبير. فالأدب والتصوف لهما نفس الأشكال الأدبية، النثر والنظم. والغالب على التفسير هو التفسير الفلسفي خاصة بالعلاقة بين الحق والخلق أي التفسير الوجودي العام. وأقرب المداخل إلى ذلك السهروردي المقتول. وتبرز الحقيقة المحمدية كموضوع رئيسي[4]. كما تظهر فلسفة التاريخ الصوفية مع الإحالة إلى كتاب «الجفر والحدثان» المنسوب إلى جعفر الصادق والذي يتم بواسطته التنبؤ بالحوادث المستقبلية قبل وقوعها[5].

14 ـ **«كتاب القربة»**[6]: وهي القربة بين الله والإنسان في المعرفة الباطنية مثل معرفة الخضر وأولويتها على المعرفة الظاهرية مثل معرفة موسى، في قصة موسى والخضر، وقصة عمر وشيبان الراعي. المعرفة الباطنية في مرتبة الولاية. وتعتمد على القرآن والحديث[7]. ومن الأنبياء موسى والخضر[8]. ومن الصحابة

= لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكن لا تبصرون. وروي عنه عليه السلام أنه خر مغشياً عليه وهو في الصلاة فسئل عن ذلك فقال «ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها»، السابق جـ1/ 4-5/ 12.

(1) السابق ص10.
(2) السابق ص21.
(3) مثل «من فقدها فقد فقد علماً»، السابق جـ1/ 4-5/ 12 ص38.
(4) السابق جـ1/ 9.
(5) السابق ص10.
(6) رسائل (1) جـ1 (6)/ 2-10.
(7) الآيات (5)، الأحاديث (1).
(8) موسى (2)، الخضر (1).

أبو بكر وعمر وخادمه شيبان الراعي[1]. ومن الصوفية الغزالي والسلمي. ومن الفقهاء الشافعي[2].

5 ـ «إعجاز البيان في تفسير أم القرآن (سورة الفاتحة)» للقونوي (673هـ)[3]:

ويتضمن منهجاً جديداً في التفسير يمكن تسميته بالمنهج الموضوعي. وهو تفسير للنص ليس لفظاً لفظاً أو عبارة بعبارة على نحو متقطع كما هو الحال في علوم التفسير أو في «تفسير ما بعد الطبيعة» لابن رشد، التفسير الكبير، بل هو تفسير لموضوع السور ككل واكتشاف لبنيته وأقسامها انتقالاً من النص إلى موضوع النص، ومن اللغة إلى الوجود. صحيح أنه تفسير معرفي قبل أن يكون تفسيراً كونياً إلا أنه ليس تفسيراً اجتماعياً سياسياً خاصة وأن السور تتحدث عن التوحيد وله انعكاساته على المجتمع والصراط المستقيم أي الخيارات الاجتماعية والسياسية، وعن المغضوب عليهم والضالين وهم فئات اجتماعية تضر بمصلحة المجموع.

وهو أيضاً قريب من التفسير الإشاري المعروف منذ القشيري أو من تأويل الحروف عند ابن عربي. فالقرآن إشارة وتنبيه وعلامة. والتفسير على وعي بمنهج التأليف وبمنهج التفسير في آن واحد[4]. ويعتمد على عديد من الشواهد النقلية، القرآن والحديث والشعر والأمثال العامية[5]. وهو تفسير القرآن بالقرآن نظرا لغلبة الآيات. ومن الأعلام يذكر ابن سينا نظراً لما بين الإشراق والتصوف من صلة[6].

---

(1) أبو بكر (4)، عمر (2)، شيبان الراعي (1).

(2) الغزالي (2)، السلمي، الشافعي (1).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ.

(4) «وها أنا أذكر المقدمة الموضحة مرتبة الفكر والبراهين النظرية وغايتها وحكم أربابها، وما يختص بذلك من الأسرار والنكت العلمية بلسان الحجة الإلهية على سبيل الإجمال ثم أبيّن أن العلم الصحيح الذي العلوم النظرية وغيرها من بعض أحكامه وصفاته عند المحققين من أهل الله، ما هو؟ وبماذا يحصل؟ وما أثره؟ وما حكمه؟.. تنبيها للمحجوبين بأن الإعراض عما توهموه حجة وصفة كماً وشرطاً في حصول العلم اليقيني، وأنه أتم الطرق الموصلة إليه ليس عن جهل به وبمرتبته بل لقلة جدواه وكثرة آفاته، وإيثار موافقته لما أختاره الحق للكمّل من عباده وأهل عنايته»، السابق ص19.

(5) الآيات (168)، الأحاديث (54)، القدسية (3)، الأشعار (13)، الأمثال (1).

(6) إعجاز البيان ص27.

ومع ذلك الكتاب على درجة عالية من التنظير. القسمة العقلية شائعة ومتكررة لمراتب العلم وأدوات توصيل المعلومات، الدلالة، والتعريف، وأفعال العباد [1].

ويعتمد منهج التفسير الذي يتضح من خاتمة الكتاب على القواعد الآتية:

أ ـ الإعراض عن البسط والإطالة والاكتفاء بالإيماء. والإشارة، وهو ما سماه فيما بعد في عرض منهج البحث والإيجاز[2]. ولما كان المخاطبون هم المحققون من أهل الله وخاصته والمحبون لهم، المؤمنون بأحوالهم يتم الاكتفاء بالتلويح دون التصريح. ومع ذلك، هو تفسير طويل لسورة الفاتحة فكيف يكون تفسير السور الطوال؟

ب ـ الجمع بين الكتم والإفشاء كما فعل النص القرآني.

جـ ـ الاعتماد على التجربة الذاتية المباشرة دون نقل أقاويل المفسرين المتفكرين وغير المتفكرين.

د ـ تجاوز التفسير اللغوي الذي يوجبه حكم اللسان ويستدعيه الارتباط الثابت بين الألفاظ والمعاني وهي مجرد قوالب وظروف، والاكتفاء بالهبات الإلهية الذاتية[3].

هـ ـ استعمال القول البرهاني لا الخطابي الذي استعمله أوائل الحكماء المشَّائين طبقاً لشريعتهم[4].

وتمتلأ المقدمة النظرية الأولى بالقواعد الكلية[5]. ولكل أصل وصل أي لكل قاعدة تطبيق[6]. وبالرغم من إحكام التحليل النظري إلا أن بنية الموضوع ما زالت غير محكمة. فهناك باب وفصلان اعتباطا دون أن يشملا الموضوع كله. والأدلة النظرية لا تنفي ولا تثبت شيئاً لضعفها ولتفاوتها بحسب أربابها[7]. وهم مختلفون

---

(1) السابق ص49/ 59/ 87/ 173.

(2) لذلك تظهر لازمة «ثم نرجع ونقول» باستمرار للدلالة على نهاية الاستطراد.

(3) إعجاز البيان ص13.

(4) السابق ص17.

(5) السابق ص71–89.

(6) يتكرر تعبير «وصل من هذا الأصل» سبع مرات.

(7) إعجاز البيان ص20–22.

أيضاً في القانون الفكري الذي يستعملونه. فبعض القرائن منتجة عند البعض، عقيمة عند البعض الآخر. وبعض القضايا لازمة عند البعض وغير لازمة عند البعض الآخر. والقانون ضروري ملزم عند البعض، وغير ضروري وملزم عند البعض الآخر. وما دامت الأقلية لا تحتاج إليه فالأولى ألا يكون ضرورياً للأغلبية. أما أهل التحقيق فيعتمدون على الأقلية. يعتمدون على الفطرة والذكاء الطبيعي، وليس على الأدلة النظرية[1]. يعتمدون على علوم الذوق وليس علوم الكسب[2]. ويصعب على الإنسان الاستقلال بعلوم الذوق دون مران وإطلاع وتعلم. ويتعذر على طلاب العلم معرفة الحقائق العلوية بالأدلة المجردة وهذا هو سبب الجهل بحقيقة الله. لذلك فضل السالكون وسائل تحصيل علوم الذوق وهي مشاهدة تجليات الحق دون حلول أو اتحاد. علم الله حقيقة وعلم العبد مجاز. في حين أن العلم الإلهي لا يُعرف نظراً إلا قياساً للغائب على الشاهد كما هو الحال عند المتكلمين. أما عند الصوفية فالعلم لدني قادر على معرفة الغيب المطلق والبرزخ الأول وأسرار علم التحقيق. ولا يمكن تعريفه إذ إنه في الوجود كله. وللعلم مراتب عديدة: معنوية كالتصورات والمفاهيم، وروحانية وصورية مثالية بسيطة كالحروف. والكلمات بالنسبة، ومركبة مادية. ويُعرف العلم بالتجلي الذاتي. والعلم حقيقة كلية ولكن له أحكام ونسب متعينة حسب كل مدرك والعلم يتعلق بالحق أو بالأغيار[3].

والكتب الإلهية مفتوحة على الحضرة الإلهية وعلى الكون. وهي خمسة: الغيب وفي مقابلها الشهادة، والأقرب إلى الغيب مثل الروح، واللوح المحفوظ وفي مقابلها الأقرب إلى الشهادة وهي الصحف والكتب المنزلة، ووسطها الجمع، والوجود والإخفاء والإعلان وهو الإنسان[4]. الآيات من الكلمات، والسور والآيات تتضمن الأحكام. والكتب المنزلة من السور تتضمن ترجمة الأحكام.

(1) «وفي الجملة قد بيّن أن غاية كل أحد في ما يطمئن إليه من العلوم هو ما حصل في ذوقه، دون دليل كسبي، أنه الحق. فسكن إليه، وحكم بصحته، هو ومن ناسبه في نظره، وشاركه في أصل ما أخذه، وما يستند إليه ذلك الأمر الذي هو منطق اطمئنانه»، السابق ص23.

(2) السابق ص25-33.

(3) السابق ص33-63.

(4) السابق ص11.

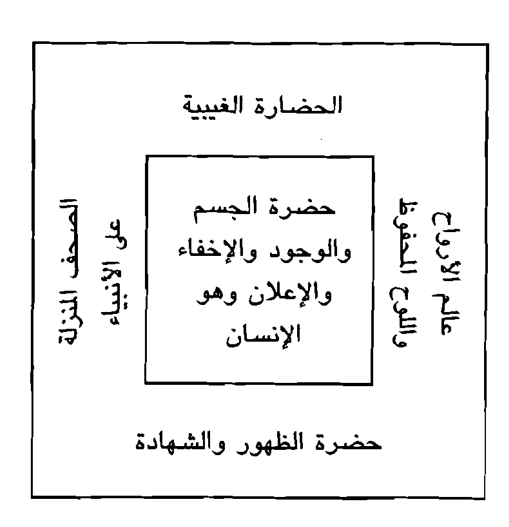
=

والقرآن من الكتب صورة العلم المحيط[1].

والقرآن مكون من حروف تظهر بها الكلمة. وبنظم الكلمات تظهر الآيات، وبنظم الآيات السور. فهذه أركان أربعة: الحروف، والكلمات، والسور، والآيات مظاهر الكلام الغيبي الأحدي «منازل ظهوره، وجداول بحره، وأشعة نوره»[2]. والكلام نسبة من نسب العلم[3]. والتراكيب في العربية ستة: الاسم مع الاسم والفعل. وفي التحقيق الاسم هو التجلي، وتركيب الاسم مع العين الثابتة.

وبعد هذه المقدمة النظرية عن الأصول الكلية للتفسير ومعرفة سر الإنسان الكامل، يأتي التطبيق. ولما كانت الفاتحة أم الكتاب وأصله فلزم معرفة معنى الأصل[4]. البسملة نظرية دورية تكشفها الحروف العاليات، تطابقاً بين الكتاب الكبير والكتاب الصغير[5]. ثم يأتي سر «الدين» وما فيه من أوامر ونواهي، وظاهر وباطن، وحد ومطلع[6]. ثم تأتي **«إياك نستعين»** بلسان الجمع والمطلع[7]. تليها

=



(1) السابق ص13.
(2) السابق ص14-15.
(3) السابق ص71.
(4) السابق ص13.
(5) السابق ص106-165.
(6) السابق ص165-209.
(7) السابق ص209-217.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لطلب الهداية ومعرفة مراتب السلوك[1]. ومعنى ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ صور انحراف الإنسان ومراتب الغضب، ومراتب النعيم والرضا، ومراتب الضلال[2]. وهو في النهاية تفسير صوفي يتضمن كل العقائد الصوفية مثل عهد ﴿أَلَسْتُ﴾ .

6 ـ عز الدين بن عبد السلام الشافعي (678هـ)، ابن عطاء الله السكندري (709هـ)

أ ـ «تلخيص العبارة في نحو أهل الإشارة» لعز الدين عبد السلام الشافعي[3]:

وهو كتاب نظري في اللغة الإشارية مثل «نحو القلوب» لأبي طالب المكي. اللغة بطبيعتها إشارة، قسمة الكلام واشتقاقه وصرفه وإعرابه وبناؤه، أسماؤه وأفعاله ومفعوله. حاله وتمييزه وبدله والصرف والعطف والتوكيد والجر والندب كلها تسمح بالإشارة. والنحو قصد. ويختلف الناس في المقاصد بين اللسان والقلب، بين الظاهر والباطن. وهذا هو سبب تأليف الكتاب[4]. النحو عند أهل العبارة أسماء أفعال وحروف، وعند أهل الإشارة أقوال وأحوال وأفعال. يشتركان في الأفعال[5]. ولا النافية عند أهل الإشارة لها أسرار خفية[6]. وأسرارها في شعار التوحيد «لا إله إلا الله»، النفي والإثبات، القاعدة والاستثناء[7]. والبنية اللغوية

---

(1) السابق ص217-249.

(2) السابق ص249-311.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 ص19-44.

(4) «فإن النحو عبارة عن القصد. والناس مختلفون في المقاصد والموارد. فواحد كان تقويم لسانه مبلغ علمه. وواحد كان تقويم جنانه أكبر همه. فتذكرت في كتابي هذا ما يفرق بين الفريقين، ويوضح كلا الطرفين. وفرقت بين اللحَن واللحْن ليعلم أي الفريقين أحق بالأمن»، السابق ص20.

(5) السابق ص21.

(6) السابق ص37-39.

(7) «ثم نظروا إلى أصل ما بني عليه التوحيد، فإذا هو حرف النفي. فعلموا أنه بالنفي يثبت التوحيد. وبالمحو يرسخ التفريد. فغلبت كلمة «لا» على «إله» فنفتها فقالوا «لا إله». ثم طولبوا بالإثبات فقالوا: كيف السبيل إلى الإثبات، ولا سبيل إليه إلا بدخول حرف النفي عليه؟ وكيف يثبت الشيء بالحرف النافي، وهذا متناف؟ فقيل: ها هنا معنى خافي وسر شافي. وهو أن تأتوا إليه بألف التوحيد فتدخلوها عليه، وتتوسلوا بها إليه»، السابق ص38.

والبنية اللاهوتية واحدة في المبتدأ والخبر، منفصلان في اللغة متحدان في علم الكلام. وكذلك النكرة والمعرفة في اللغة وفي العقائد معرفة فحسب[1]. ويعتمد على القرآن اعتمادا كبيرا قبل الحديث ودون الشعر[2]. فالقرآن لغة وفكر، عبارة وإشارة. ولا يذكر أحد من الصوفية لأن الكتاب تنظير مباشر للغة.

ب ـ «رسالة في قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ وهي فاتحة الحزب الكبير» للشاذلي لابن عطاء الله السكندري[3] وهي وسط بين التأليف والشرح. فهي ليست تأليفاً لأنها تعليق أو قراءة لمقدمة الحزب الكبير للشاذلي. وليست شرحاً للآية لأنها فاتحة الحزب الكبير. ومع ذلك فهي أقرب إلى التفسير والتأويل لأنها مركزة كلها على معانى الآية. وهو ليس شرحاً لفظاً بلفظ، بل إبراز للموضوعات المتضمنة في الآية مثل أوائل السور، والفقر والعصمة والعلم والتأييد والرضا بالقضاء والاعتراف بالجهل، والمشاهدة والمكالمة، والكرامات، والفرج والرحمة. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر دون الاعتماد على الاقتباس من أقوال الصوفية[4]. ويضاف على الأدلة النقلية بعض التحليلات العقلية التي تقوم على القسمة مثل قسمة التصديق إلى إيمان بالشهادة وإيمان بالغيب، وقسمة طرق الإيمان إلى التقليد، والبرهان، والمشاهدة[5].

7 ـ الكاشاني (730هـ)

أ ـ «فيما يتعلق ببطون الآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾»[6]: وهي رسالة قصيرة، صفحة واحدة، في موضوع التفسير بالرغم من وضوح الآية ودلالتها على رسالة الإنسان في العالم. وهي حمل الآية وتحقيق الوحي، كلمة الله، كنظام مثالي للعالم. ومع ذلك، تعتمد كثيرا على القرآن، تفسيرا للقرآن بالقرآن[7].

(1) السابق ص27.
(2) الآيات (58)، الأحاديث (1).
(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2004 (2) ص95-101.
(4) الآيات (30)، الأحاديث (8)، الأشعار (1).
(5) رسالة في قوله تعالى. . . ص98-99.
(6) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (16) ص173.
(7) الآيات (11).

ب ـ **«في تحقيق ما فعل آصف بن برخيا من حصول عرش بلقيس عند سليمان عليه السلام»**[1]: وهي رسالة قصيرة. صفحة واحدة في تفسير شخصية آصف بن برخيا. وهو عالم إنساني مؤيد بالروح الإلهي عند بلقيس. وهو الذي أجلى لها حقيقة شخص سليمان. وتصرف في عرشها بخلع صورته عن مادته. ونقله إلى سليمان بأسرع من ارتداد الطرف كما هو الحال في كرامات الأولياء ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية[2].

جـ ـ **«الفوائد العربية في بيان قول النبي «الراحمون يرحمهم الرحمن»»**[3]: وهي رسالة في المدخل اللغوي لفهم الحديث خاصة والقرآن عامة. تبحث في المترادفات وغير المترادفات، والعموم والخصوص في اللغة. فالرحمن أعم الأسماء. تعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية[4]. كما تعتمد على بعض نواحي القسمة العقلية مثل قسمة الرحمة إلى عطاء وكسب وظهورها بالفاعل أو بالتحلي بها.

د ـ **«في الجمع بين الحديثين»**[5]: وهي رسالة قصيرة، صفحتان في نفس الموضوع، مع تغيير العنوان من «التلفيق» إلى «الجمع» بين نفس الحديثين للرسول ولعلي، بين النبي والصحابي طبقا للقاعدة والاستثناء. فالحديث النبوي الذي يفرق بين الظاهر والباطن هو الاستثناء. وحديث علي الذي يوحد بين الظاهر والباطن هو القاعدة.والجمع بين الحديثين ممكن على المستوى الطبيعي وليس المنطقي. التطابق بين الظاهر والباطن هو تطابق بين العلول والعلة. وهو ما يتفق مع أحاديث أخرى مجهولة أو معلومة[6]. وفي هذه الحالة يكون التلفيق هو التوفيق المنطقي. والجمع هو التوفيق الطبيعي.

---

(1) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (20) ص191-192.

(2) الآيات (2).

(3) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، بيروت 2005م-1426هـ (8) ص135-138.

(4) الآيات (7)، الأحاديث (1).

(5) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ.

(6) المجهولة مثل حديث «أنا كالديك النكاح»، والمعلومة مثل «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام»، السابق ص149.

هـ ـ **«في التلفيق بين الحديثين»**[1]: وهي أيضاً صفحة واحدة. وموضوع الرسالة التعارض الظاهري بين الفصوص، بين حديث نبوي وقول لعليّ حول الظاهر والباطن[2]. الأول يفرق بين الظاهر والباطن، بين الشخص وعمله. والثاني يوحد بين الاثنين. والتوفيق عن طريق العموم والخصوص. المفهومين الأصولين اللغويين. والتوافق المنطقي النظري عن طريق منطق الجهة والكلية والجزئية بوضع «بعض» مكان «كل». وهو تحليل نظري خالص لا يعتمد على أي دليل نقلي، قرآن أو حديث أو شعر أو قول صوفي.

8 ـ مؤلفات محمد وفا (765هـ)، الجيلي (835هـ)، ابن عجيبة (1224هـ)، الكتاني (1327هـ)

أ ـ **«كتاب الأزل متحدث عن الحقائق الأزلية في شرح تجليات الأسماء الإلهية»، لمحمد وفا الكبير**[3]: والعنوان الفرعي قد يكون إضافة من المحقق. وهو قراءة للأسماء الإلهية وتجلياتها في الوجود مثل، «تحبير التذكر»، و«شرح أسماء الله الحسنى» للقشيري و«المقصد الأسنى» للغزالي. ولا يبرر العنوان. ولا تذكر مناسبة التأليف. والأسماء الإلهية دوائر وليست ألفاظاً أي هي آفاق وميادين وفضاءات. كل دائرة تبدأ بمقدمة نظرية بالإضافة إلى المقدمات النظرية الطويلة الأولى[4]. تبدأ بالمصطلحات لدرجة أن الكتاب قد يدخل أيضاً في المصطلح الصوفي. ويمكن الجمع بين الاثنين لاستنباط المصطلحات من أسماء الله الحسنى مثل القبض والبسط... الخ[5]. فالكتاب يجمع بين المصطلحات الفلسفية والأسماء الإلهية. والخطاب موجه للقارئ بلفظ «اعلم»، «افهم». ويتم تقطيع النص بألفاظ مثل «فرع»[6]. والمقدمة مجرد إلهاميات ووجدانيات. وتعتمد كثيراً

---

(1) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت2005م-1426هـ.

(2) حديث الرسول «إن الله يحب العبد ويبغض عمله، ويحب العمل ويبغض بدنه» وهو حديث مجهول. وقول علي «إن لكل ظاهر باطناً على مثاله. فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه».

(3) دار الكتب العلمية، بيروت2006.

(4) السابق ص6-60.

(5) السابق ص11-26.

(6) فرع (57).

على القسمة العقلية. وقبل كل اسم مقدمة نظرية لشرحه. كما يعتمد على القرآن والحديث دون الشعر أو أقوال الصوفية[1]. والمؤلف هو أحقر العبيد وأفقرهم إلى مولاه الغني، تحقيراً للنفس وتعظيما للآخر[2]. ودلالة ذلك كله أن الأسماء الإلهية بين المنطق والأخلاق بين التعريفات النظرية والمثل العملية.

ب ـ **«الكهف والرقيم في شرح باسم الله الرحمن الرحيم» للجيلي**[3]: وهو عنوان غريب في جزئه الأول «الكهف والرقيم»، وخادع في الثاني «في شرح باسم الله الرحمن الرحيم» لأن الشرح كتابة نص والشرح هنا نص أول. وسبب التأليف أنه إجابة على سؤال[4]. وهو شرح فيه من آثار ابن عربي، شرح البسملة حرفاً حرفاً ابتداء من الباء والألف والميم. وللميم أربعون مرتبة منها القلم واللوح المحفوظ والكرسي والهيولى والهباء والأفلاك والعناصر الأربعة والإنسان وعالم الصور والمعاني والحقائق. يعتمد على القرآن والشعر والحديث[5]. ولا يحال إلى الصوفية السابقين بالرغم من الاعتماد على ابن عربي.

جـ ـ **«تفسير الفاتحة الكبير لابن عجيبة» (1424هـ)**[6]: وهو تفسير كبير لسورة صغيرة لا تحتاج إلى تفسير. يقرؤها الناس كل يوم في صلواتهم عشرات المرات، مثل تفسير صدر الدين القونوي لنفس السورة. وبهذه الطريقة يمكن إعداد مئات الشروح تجميعاً من القدماء وإشباعاً لرغبة المحدثين للغرائب والخيالات والأحلام تعويضا في المستقبل عن مآسيهم في الحاضر. وبالرغم من أن الشرح يبدو لفظاً بلفظ وآية بآية إلا أنه يجعل اللفظ أو الآية مناسبة لدراسة الموضوع بإسهاب وتفصيل وتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات عنه. فهو أقرب إلى

---

(1) الآيات (68)، الأحاديث (13)، القدسي (4).

(2) كتاب الأزل ص141.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت2005 (1) ص11-34.

(4) السابق ص12 «فإني استخرت الله تعالى في إملاء هذا الكتاب المسمى... وذلك بعد باعث رحماني وإجابة لسؤال أخ عارف رباني، هو ذو الفهم الثاقب، والذكاء الباهر الراسخ الناسب، والتجريد والتفريد والقدم الصادق، في المطالب عماد الدين يحيى بن أبي القاسم التونسي المغربي سبط الحسن بن علي بعد مدافعتي إياه، وتأخري عن التقدم إلى ما يهواه»... بعثني صدق رغبته إلى موافقته، فاستخرت الله ولجأت إليه... السابق ص12.

(5) الآيات (29)، الأشعار (12)، الأحاديث (7).

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2006-1427هـ.

الشرح الموضوعي منه إلى الشرح اللفظي مثل شرح الطرابلسي على شيخه الخلوتي. وتظهر أربعة موضوعات كبرى. الأول أسماء الله الحسنى التسعة وتسعون بمناسبة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والأخرويات ومشاهد القيامة والجنة والنار بمناسبة ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾. وكلها للتشويق وإثارة الخيال والمساهمة في خلق الوعي الزائف. والثالث أسرار العبارات والفقه الأخلاقي بمناسبة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾. والرابع وهو الأهم ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ * غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي فرق المؤمنين بإجمال. وهي أصغرها مع أنه كان يمكن إعادة قراءتها ووصف أحوال الأمة ومذاهبها وسط المذاهب والحضارات المعاصرة[1]. ثم تأتي أمور الجهاد ومقاومة الاحتلال وأشكال الهيمنة الجديدة، ودولة الفقراء يوم القيامة إبعاداً لهم عن دولة الأغنياء في هذا العالم[2]. ويعود إلى رصد فرق الواقع من أجل الإشارة إلى الفرقة الناجية طبقا للاستعمال السياسي لهذا الحديث الضعيف طبقا لابن حزم والعز بن عبد السلام لتأييد فرقة السلطان[3]. وكيف تتم الفائدة من هذا الشرح التجميعي وتطبيق هذه الغايات الثلاث من الشرح وهي التعلق والتخلق والتحقق خاصة في الأسماء الإلهية؟ أما المقدمات العشر فمستقاة من علوم القرآن بتفصيلاتها وموضوعاتها وإشكالاتها القديمة. والشارح على وعي بالبرنامج. يفصله في المقدمات[4]. وكلها معلومات مدرسية مجمعة. القصد منها التعالم مع أن ناقل العلم وحامله ليس بعالم. وتبرز الاقتباسات بلفظ «انتهى». ويتم شرح القرآن بالقرآن وبالحديث وبالشعر دون أقوال الصوفية[5]. وتستعمل بعض معطيات الطب الحديث[6]. واستكمالا للمعلومات يذكر الوافد أرسطو كزينة للكلام[7]. ويظهر أسلوب القول بين الحين والآخر ليوحي الشارح بأنه يرد على الاعتراضات النظرية بأسلوب

---

(1) أسماء الله الحسنى (68)، المعاد (47)، العبادات (61)، فرق المؤمنين (26).
(2) تفسير الفاتحة ص437-353.
(3) السابق ص5.
(4) تفسير الفاتحة ص211.
(5) الآيات (485)، الأحاديث (194)، الأشعار (42).
(6) تفسير الفاتحة ص249.
(7) السابق ص25.

«قيل... قلت». وهو لا يرد على أحد ولا يتوجه لأحد بالنقد، وليس له منهج في الشرح، ولا يرتبط المتن بالزمن الحاضر. ويقتصر على شرح القدماء بالقدماء.

د ـ «الكشف والتبيان عما خفي عن الأعيان من سر آية ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ لأبي الفيض الكتاني[1]وهي في علم التفسير والرد على المفسرين الذين يظنون البيعة هي الشرعية مع محمد الرسول وليست الروحية منذ عهد ﴿أَلَسۡتُ﴾ ،البيعة الروحية، وهذا هو سبب التأليف[2]. فالحقيقة الأحمدية هي الوجود كله، رحمة للعالمين قبل محمد وبعده. وهو الإنسان الكامل الذي يتوحد فيه الكون. وهي أفضل من جبريل على عكس المعتزلة الذين فضلوا الملائكة على الرسل. والقرآن مودع فيه. وتبدأ بقصيدة طويلة. وسبب التأليف السؤال عن معنى الآية الموجهة للرسول[3]. الإيمان والكتاب هم الظاهران من محمد، والسر والروح هما الباطنان في أحمد. وتُعقد لذلك ثلاث مقدمات تفسيرية لآية واحدة هي آية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾. وهي تخاطب الحقيقة الأحمدية. والرسالة والنبوة لا ينقطعان بالموت. وتظل الفيوضات على الحقيقة الأحمدية. وتستعرض أقوال المفسرين وتأويلاتهم الغريبة أو البعيدة من التأويل الصوفي ومنها الدين الطبيعي أو الدين الفطري العام الأساس الأول للوحي. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[4]. ومن الصوفية يذكر الحلاج والتستري[5]. والفقهاء هم الأكثر

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت2004م-1425هـ (2) ص117-201.

(2) «أعلم أنه رفع إلينا سؤال يستكشف عن سر قول ربنا العظيم ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾... أعلم أن ظاهر الآية مشكل وهي وما شاكلها من الآي القرآنية المقتضية لنفي الإيمان عن أكمل الأنواع الإنسانية وأطهر الذوات الآدمية وأنزه العقول القدسية والأعلم بالله من جميع الخليقة الربانية، والمقتضية لنفي دراية الكتب، من المتشابه في حق الحضرة المحمدية، ومن المعمي في جانب الجلالة الأحمدية. فلا يتبقى الخوض في ذلك إلا لأهل الكشوفات العرفانية ومظاهر الحقائق التنزيلية السابحين بسفن النور الإلهي في أبحر الغوامض»، السابق ص121.

(3) «ولكن لم يكن بد من ذكر فذلكة تنبئ عما وراءها. فالحق أحق أن يقال، وكتمان العلوم مذموم، وبذله لمستحقيه أكيد محتوم، سيما العلم الذي فيه حفظ العقائد، وحياطة النور الإلهي المودع في الضمائر وليس إلا بحفظ الآداب مع جانب الرسالة...»، السابق ص122.

(4) الآيات (81)، الأحاديث (23)، الأشعار (11).

(5) «إن سيدنا محمد صلعم هو الإنسان الكامل، وإنه مخلوق على صورة الله وعلى صورة الرحمن. وهو معنى حديث: «من رآني فقد رأي الحق»، السابق ص82/ 195.

ذكرا مثل البيهقي ثم ابن أبي الدنيا والصابوني[1]. ويحال إلى عديد من المصادر[2]. ويذكر بعض الأنبياء[3].

هـ - «تعبير الرؤى الغريبة أو الأنوار الباهرة في تعبير الرؤيا بالعبارة والإشارة»: لعبد السلام العمراني الخالدي[4] وموضوعه تعبير الرؤيا مثل ابن سيرين. وتصنف حسب الموضوعات[5]، وتظهر بعض الموضوعات العصرية مثل الطائرة والسفينة والقطار والسيارة والدراجة والسينما والمقهى والنادي والملعب. وكلها ظنون ودلالات ظنية شعبية شائعة تعتمد على الحس البديهي طبقا للمثل الشعبي «الجعان يحلم بسوق العيش» أو «اللي يخاف من العفريت يطلع له». وتعتمد على القرآن والشعر والحديث دون أقوال الصوفية أو الإسرائيليات[6]. ونظراً للتشابه الشديد بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية اختلطت التجربتان في الأشكال الأدبية بل وفي المضمون أيضاً بحيث يصعب التفرقة بين العمل الصوفي والعمل الأدبي.

خامسا: الأشكال الأدبية

وقد عبر الصوفية عن مواجيدهم في عدة أشكال أدبية أولها النظم وهو الشعر. والثاني النثر الفني، الفصول والغايات والتمجيد والمواعظ، والحكم والمناجاة. والثالث القصص الرمزي. والرابع السيرة الذاتية. والخامس المكاتبات. والسادس الرسائل والمسائل. وهو تصنيف يقوم به نقاد الأدب وليس الباحثون في التصوف. ومع ذلك هو موضوع مشترك بين الأدب والتصوف خاصة الشعر الصوفي.

---

(1) البيهقي (3). ابن أبي الدنيا، الصابوني (2)، الجيلي، الطبراني (1).

(2) «النطق المفهوم لابن ظفر بك السياق»، «المولد» لابن عائد، «شرح بردة المديح» للزركشي، «الروض» للواقدي.

(3) مثل: موسى (2)، آدم، شيث، يوسف، هارون، يوشع، داود، دانيال (1).

(4) دار الكتب العلمية، بيروت2004م-1425 هـ (3) ص203-259.

(5) وهي اثنتا عشر موضوعاً: الله، والملائكة، والشيوخ والعوام، والقلم والزواج، والشمس والقمر، والوضوء والغسل، والمركبات والأطعمة، والقصر والحبوب والأشجار والحيوانات والأسماك والسلاح، واللحوم والدود والجن والطير والسوق والخياط.

(6) الآيات (73)، الأشعار (6)، الأحاديث (2).

1 ـ النثر الفني: (الحكم، الوصايا، المناجاة، التجليات)

ويشمل النثر الفني الفصول والغايات والتمجيد والمواعظ للمعري (449هـ)، والحكم عند ابن عطاء الله السكندري (709هـ) ومصطفي البكري (1162هـ)، والوصايا عند ابن عربي(638هـ)، والمناجاة عند ابن عطاء الله (709هـ) والمستغانمي (1353هـ). والنثر الفني في الوعي النظري هو استئناف للوعي التاريخي اللغوي. وهو استعمال اللغة كجرس وموسيقى مثل القرآن الكريم بعد أن فرض نفسه كنوع أدبي جديد بين الشعر والنثر. وهو استمرار للمواقف والمخاطبات للنفري (354)، و «الإشارات الإلهية» لأبي حيان (403هـ). والفرق بينهما هو تجلي الوعي التاريخي الخالص في طبقات الصوفية للسلمي (412هـ) وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم(430هـ).

أ ـ «الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ» للمعري (449هـ)[1]: وهو كتاب يجمع بين التصوف والأدب، من شاعر وأديب لقبه «أمير الحكماء» كما أن التوحيدي «أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء». لذلك اتهمه الفقهاء بتقليد القرآن، فالقرآن جمع بين الأدب والأخلاق مثل التصوف في أسلوب بين النثر والنظم. وتستعمل جميع المحسنات البديعية من جناس وطباق. وهو أسلوب لا يميز العصور المتأخرة وحدها، عصر المقامات، وقد يغالي في ذلك حتى يبدو الأسلوب متكلفاً مصطنعاً. تتحول فيه اللغة من وسيلة للتعبير إلى غاية في ذاتها[2] وتستعمل عدة ألفاظ لتقطيع الفقرات مثل «رجع» أي رجع الصدى. فاللغة أصوات. ويكشف الكتاب عن قدرة خارقة تصل إلى حد الإلهام على الإبداع اللغوي والتعبير عن المواجيد الصوفية بتعبيرات وأساليب أدبية. وهو إملاء شفاهي على مريديه يسمى غاية. ثم يفسر ألفاظه كما هو الحال في تفسير القرآن ويسمى «تفسير». ثم يعود إلى الإملاء ويسمى «رجع». فالتأليف إيقاع ثلاثي، غاية فتفسير فرجع. والعنوان نفسه غامض. فماذا تعني «الفصول والغايات»؟ هل الفصول هي الفصول السبعة التي يتألف منها الجزء الأول؟ وهل الغايات هي الفقرات؟ في هذه الحالة لا يشير العنوان إلا إلى الأشكال الأدبية والتقسيمات الخارجية ووحدات

---

(1) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1977.

(2) وهي نفس التهمة التي وجهت إلى ديوان «جيم» للشاعر حسن طلب.

الكتاب كما هو الحال عند بعض المحدثين الغربيين. لم يعثر إلا على الجزء الأول منه. وهو مقسم إلى فصول غير مرقمة طبقاً للحروف كغايات. أكبرها فصل غايته تاء وأصغرها فصل غايته ألف[1]. ولا يوجد فرق من حيث الموضوع بين فصل وغيره بين حرف وغيره. وهي مناجاة بين النفس والله مثل «اعترافات» أوغسطين. ويتوجه النداء مع الله إلى النفس والقلب والضمير والعقل والأنا والرجل الوحيد والطبيعة مثل الطيور والقبائل ثم إلى مظاهر الوجود الإنساني مثل الراعي والكهل والجسد والدنيا بل وإلى الأنبياء مثل آدم. وتتنوع الأشكال الأدبية للمناجاة بين الأوامر والمواعظ والحكم والتحذير والأخلاق والاستغاثة وطلب المناجاة. ولا يتوجه النداء إلى شخص بعينه إلا أسامة بن زيد[2].

ويعتمد على عديد من الأشعار ثم القرآن دون الحديث. فالمؤلف شاعر. يستشهد بشعره وبشعر غيره. فالنثر الفني يعتمد أحياناً على الآيات. والأخلاق الصوفية تعتمد في الاستشهاد على الأحاديث. فالشحنة الأدبية في القرآن أعلى من الحديث[3]. والاستشهاد بالآيات لمقاربتها للنص في جانبها اللغوي وشكلها الأدبي ليس لمعناها أو مضمونها. ونادراً ما تعتمد «الفصول والغايات» على التحليل العقلي. ولا تظهر القسمة العقلية، وهي إحدى طرق التعريف إلا نادرا[4].

ب ـ حكم ابن عطاء الله السكندري(709هـ): ويتم القفز إلى الوجود عن طريق الأخلاق أي التصوف الخلقي أو عن طريق المعرفة في التصوف النفسي. وقد أبدعت أخلاق الوجود شكلاً أدبياً خاصاً بها هو «الحكم» كما أبدعها المبشر ابن فاتك في الفلسفة في«مختار الحكم في محاسن الكلم» طبقاً لحديث الرسول «أوتيت جوامع الكلم» أو الأقوال كما هو الحال في «أقوال التستري»[5] فقد تعددت أشكال التأليف الصوفي بين الكتاب والرسالة والحكم والأقوال والشعر،

---

(1) فصل غايته ألف (47). فصل غايته باء (60)، فصل غايته تاء (101)، فصل غايته ثاء (92)، فصل غايته جيم (83)، فصل غايته حاء (81)، فصل غايته خاء (90).

(2) الفصول والغايات ص167.

(3) الأشعار (350)، الآيات (10)، والأشعار من النابغة وذي الرمة وامرئ القيس وزهير وأمية وسحيم. (ويخلو التحقيق من أي فهارس عامة ولو للشعر).

(4) الفصول والغايات ص473.

(5) من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ1 التدوين ص224-226.

والسؤال والجواب، والشرح والاختصار..الخ. وهي حكم كثيرة، غير مرقمة وغير مبوبة[1]. معظمها قصيرة. أقلها الشعر وأكثرها النثر المسجوع، وهي موجهة إلى القارئ، أشبه بالمواعظ، نصائح عملية لسالكي الطريق. وتدخل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية داخل صياغة الحكمة. والآيات أكثر من الأحاديث[2]. ويظهر التحول من الأخلاق إلى الوجود في عديد من الحكم وذلك عن طريق تمثل الحضور الإلهي في النفس وتحويلها إلى سلوك فاضل، وتجلي الله في كل شيء. وابن عطاء الله مالكي. فليس كل متصوف هو أشعري بالضرورة.

وأسوأ ما في الحكم هو مضمونها، إسقاط التدبير، وتسليم كل شيء لله، وعدم الأخذ بالأسباب، والتوكل على الله، عكس فشته وإقبال في نظرية الحرية ووضع الذات بالذات، الذات تضع نفسها حين تقاوم. فالعمل من علامات ضعف الرجاء[3]. وقبول الشر ضروري بلا اعتراض. «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان»[4]. يبدأ الأمر بوحدة الشهود ثم يتحول إلى وحدة الوجود[5]. وتتحول المقامات كالشكر والأحوال كالخوف إلى وجود. تتضمن مادة التصوف التقليدية ويُعاد تأويلها كوجود. أسوء ما فيها الفناء عن الذات وتصغيرها. ويستمر الشارح في نفس الاتجاه. فهو أفقر العباد إلى مولاه[6]. ومع ذلك تظهر لغة الذاتية. وكما بدأ التصوف كرد فعل على الفتن الداخلية وهروباً منها فإنه ينتهي أيضاً كرد فعل على هزائم العصر أمام الاستعمار الخارجي والقهر الداخلي.

جـ ـ «الغرر البديهية في الحكم الإلهية» لمصطفي البكري (1162هـ)[7]: وهي مجموعة من الحكم مثل أقوال التستري مرتبة ترتيباً أبجدياً[8]. تظهر الحكم كشكل

(1) عند الشارح الأزهري الشيخ عبد المجيد الشرنوبي 264 حكمة، ولكنها في الحقيقة حوالي 329 بالإضافة إلى المناجاة الأخيرة.

(2) الآيات (5)، الأحاديث (2).

(3) من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الذلل، حكم ص4.

(4) السابق ص30.

(5) «ولا أعمل أرجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده، ويحتقر عندك وجوده»، السابق ص37.

(6) السابق ص3.

(7) البيان والمزيد، دار الكتب العلمية، بيروت2005م-1426هـ (2) ص123-190.

(8) حوالى 1181 حكمة.

أدبي. ويقع السجع بين شطري الحكمة كالقافية في الشعر دون تقسيم موضوعي لها. فالغاية هو المثل السائر. وهي عبارات قصيرة، ذات صياغة أدبية متكلفة أحياناً، نداء إلى القلب، اقتضاء فعل، دعوة إلى العمل، إرشاد إلى النفس، تشبه الأحاديث القصيرة من «جوامع الكلم». والشطحات مع الاحتراس في العبارة. وهي مكتفية وواضحة بذاتها دون شواهد نقلية باستثناء آية واحدة، وصوفي واحد، الحلاج[1]. نبتت من القلب وسطرت بيد العبد الجاثي المتعفر في لحاق أرباب التفاني[2].

د ـ رسائل ابن عربي(638هـ)

1 ـ **«كتاب الوصايا»**[3]: وهو في نظرية المعرفة، الجمع بين علم الإيمان والدليل العقلي[4]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[5]. يخاطب القارئ في نوع أدبي جديد.

2 ـ **«الوصية»**[6]: وهي غير كتاب «الوصايا» ولكنها في نفس النوع الأدبي. ومنها العمل بالعلم والصبر والشكر وعدم العلو في الأرض والخيلاء، وإقامة الحديد، والتسبيح، والحياء. وهي وصايا متوارثة بين الصوفية منهم إلى مريدهم وتعتمد على الحديث والقرآن والشعر[7]. وتذكر وقائع فعلية حدثت فيها الوصايا[8].

3 ـ **«كتاب التجليات»**[9]: وهي عدة رؤى صغيرة مثل اللطائف

---

(1) مثل إقبال في تأملات تائهة Stray Reflections.

(2) «فهذه نبذة في الحكم مرتبة على حروف المعجم جرت على القلب، ونطق بها الفم ورسمها في الطرس اليراع والقلم» الغرر البديهية ص124.

(3) رسائل (1) جـ2 (25) ص1-5.

(4) للشرع نور وللألباب ميزان ... والشرع للعقل تأييد وسلطان
والكشف نور ولكن ليس تدركه ... إلا عقول لها في الوزن رجحان
السابق ص2.

(5) الآيات (3)، الأحديث (1)، الأشعار (1).

(6) رسائل (1) جـ2 (28) ص1-7.

(7) الأحاديث (5)، الآيات (2)، الأشعار (1).

(8) مثل ابن راهويه، وهارون الرشيد والبهلول.

(9) رسائل (1) جـ2 (23) ص1-53.

والإشارات[1]. لكل تجلٍّ عنوان ومثل شعبي صوفي. موضوعاتها متنوعة بين المعرفة مثل الإشارة والظن والخاطر والمناظرة والمجادلة، الفطرة، والدعوة والتهيؤ والولاية والرؤية والنور والقلب والعقل والكلام والعلاقة. وبعضها أخلاق مثل المراقبة والصدق والوصية والنصيحة والاستحقاق والتقرير والمبايعة والمعارضة. وبعضها أحوال مثل الفناء والبقاء. وبعضها مقامات مثل المحبة التي تتكرر في أكثر من تجلٍّ والانتظار والتسليم وبعضها في الطريق مثل السبحات والحيرة والحظ والأماني والشرائع والإيمان والأرواح والهمم. وبعضها في التوحيد الذي يتكرر في أكثر من تجلٍّ، والتنزيه والرحمة والجود والعدل والمغفرة والقدرة. وبعضها في الكون والخلق والنشأة والسريان والتحول، والمقابلة والقسمة والمزج والفردانية والمراتب والاستواء والعلة والشجرة والمعدوم. وبعضها في الزمان مثل الإنية والمعية. ويعتمد على الشعر والقرآن دون الحديث[2]. ويذكر من الصوفية الجنيد ثم الحلاج ثم ابن عطاء ثم ذو النون وأبو سعيد الخراز[3]. ومن الأنبياء موسى[4]. ومن الصحابة علي وأبو بكر[5]. والأسلوب تقليد للقرآن خاصة في البداية. يخاطب القارئ ويدعو مثل أسلوب إخوان الصفا. ويحال إلى كتاب «الهياكل» وكتاب «الحروف» من «الفتوحات».

هـ ـ «المناجاة الإلهية» لابن عطاء الله السكندري(709هـ)[6]: وهي من الأشكال الأدبية في النثر الفني، مثل الوصايا والمواعظ والحكم والدعاء والأحزاب والأوراد. . .الخ. وهي أربع وثلاثون مناجاة تضع تقابلاً بين الإنسان والله مثل: الفقير والغني، الجاهل والعالم، القادر والعاجز، الفضائل والرذائل، المتكلم والصامت، الحاكم والمحكوم، القاهر والمقهور. يعبر الإنسان فيه عن ذلك

---

(1) التجليات (109).

(2) الأشعار (21)، الآيات (14).

(3) الجنيد (5)، الحلاج، ابن عطاء (4)، ذو النون، أبو سعيد الخراز (2)، جعفر الصادق، الشبلي، يوسف بن الحسين، البسطامي، داود الطائي، أبو عبد الله القرشي، إبراهيم الخواص، أبو السعود البغدادي، الشيخ أبو ربيع الكفيف الأندلسي (1).

(4) موسى (1).

(5) على (2)، أبو بكر (1).

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م- 1427هـ (2) ص69-78.

واستجدائه بعبارة نداء «إلهي» أربعاً وثلاثين مرة دون ملل أو اكتفاء. يتوجه إليه بالطلب والرجاء بدلاً من التحقيق، والاستجداء بدلاً من الأداء. ليس بها أية أدلة نقلية من قرآن أو حديث أو شعر أو استشهاد بقول صوفي. ولا يوجد أي تحليل نظري أو دليل عقلي، بل مجرد ابتهالات وأدعية وتمنيات.

و ـ «النور الضاوي في الحكم ومناجاة الشيخ العلاوي» لأحمد المستغانمي(1353هـ)[1]: والمناجاة نوع أدبي، مناجاة الله مثل مدح الرسول وحزب الطريقة ووِرده. وهو سبب التأليف[2] صاحبها هو العبد الفقير إلى ربه المرتجي عفوه. غرضها التقرب إلى الله بشيء من الأعمال النافعة وهي المناجاة أي القول النظري. وهي مملوءة بالشواهد القرآنية منذ البداية بدفقة متتالية من الآيات. والحديث أقل لأنه أقل بلاغة وأكثر اتجاهاً نحو العمل والشعر غائب لأن القرآن يقوم مقامه من حيث البلاغة[3]. تتلوها الحكم العلوية، اثنان وخمسون حكمة مثل حكم ابن عطاء الله السكندري، مثل الأقوال المأثورة والأمثال العامية[4]. في معظمها وجدانيات وتمنيات، تحصيل حاصل، ليس بها موضوع محدد. ومعظمها نقل عن الآخرين.

2 ـ القصص الرمزي

أ ـ «رسالة الطير» للغزالي(505هـ)[5]: وكما عبر الصوفية عن تجاربهم الصوفية بالشعر نظرا للقرب بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية عبروا أيضاً عنها بالقصة التي تشارك الشعر في الخيال وأن افترقت عنه في النظم[6]. وهي قصة رمزية على سلوك الطريق وما به من مخاطر[7].

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 1906 (3) ص125-144.

(2) «أردت أن أتقرب إلى الله بشيء من الأعمال النافعة فما وجدت أنفع من العمل الذي يقربني ويقرب الخلق من الله فأطلقت لفكري العنان..». السابق ص125.

(3) الآيات (57)، الأحاديث (1).

(4) النور الضاوي ص141-144.

(5) مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت).

(6) ولابن سينا أيضاً «رسالة الطير»، ولكنها دخلت في الفلسفة الإشراقية في «من النقل إلى الإبداع». وقد كان الطيران أحد أحلامي الدائمة.

(7) القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي ص228-232.

اجتمع الطير على اختلاف أنواعه لاختيار ملك، وكانت العنقاء الأصلح المقيم بالمغرب وربما الجزائر. فقرروا الذهاب إليها بشوق بالغ بالرغم من المهالك والأخطار واختلاف الأجواء بين الحر والبرد[1]. موضوعها الطريق. هجرة طيور من المغرب إلى المشرق للبحث عن ملك لها هو العنقاء بالرغم من صوت التحذير من الهلاك. ونظراً لشدة الحنين هاجر الطير بالرغم من الحرارة والبرودة. ثم سمعت صوتاً ينادي إنه لا ملك إلا هو، والصبر في السعي إليه دون يأس أو نكوص. فالطيور تعود إلى نشأتها الأولى منذ عهد ﴿أَلَسْتُ﴾ الذي يتطلب تجديد العهد بالوضوء والصلاة والذكر والخلوة. وتعتمد الرسالة على القرآن أولاً ثم الشعر ثانياً ثم الحديث أخيراً[2].

ب ـ **«حي بن يقظان» للسهروردي(587هـ)**[3]: ولابن سينا وابن طفيل أيضاً قصتان بنفس العنوان[4]. وهي في مقامات الصوفية وأصحاب المكاشفات، وليست في علوم الحكمة. وتسمى أيضاً «الغربة الغريبة»، أو «الغربة الغربية»، أو «الغريبة الغربية». بها رمز الغرب، مثل رسالة الطير للغزالي. فقد ذهب حي مع أخيه عاصم، شخصية ابن طفيل الذي عرف الوحي بالنور الطبيعي، لاصطياد طيور من الغرب، القيروان، وهي مدينة ظالمة أهلها. فمسك بها أهلها وقيدوهما ورموهما بالبئر عليهما قصر مشيد. وهي صورة قرآنية ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾. ويقترح الهدهد عليهما طريقة للخلاص، وهو طريق الله. وتدخل الآيات القرآنية في نسيج العبارات[5].

جـ ـ **«منطق الطير» لفريد الدين العطار(627هـ)**[6]: وبه نفس رمز الطير أي السلوك في الطريق. وهو منطق أي طريق ومنهج. وهو أكبر كماً وأغنى صياغة. تعبر أيضاً عن مدى التقارب بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية، والتعبير عن

---

(1) «فكلام الطيور لا يفهمه إلا من هو من الطير»، السابق ص232.

(2) الآيات (9)، الأشعار (7)، الأحاديث (1).

(3) السهروردي (المقتول): حي بن يقظان، لابن سينا وابن طفيل والسهروردي تحقيق وتعليق «أحمد أمين»، جـ3، دار المعارف، مصر ص124-127.

(4) تم تحليلها في إعادة بناء علوم الحكمة، من النقل إلى الإبداع مجـ3 التراكم ص31-41.

(5) حوالي 119 آية.

(6) دار الأندلس، بيروت 1984م-1404هـ.

الأزلي في موقف إنساني وبصيغة أدبية. هي قصة فلسفية، أدب يعبر عن فكر كما هو الحال في الأدب الغربي الوجودي المعاصر. تضم عدة مقالات، خمساً وأربعين، في كل منها أكثر من حكاية. ومعظم المقالات في أعذار الطيور عن الرحيل[1]. ومقالات أخرى عن الأسئلة الموجهة للهدهد عن مخاطر الطريق[2]. وباقي المقالات في وصف الطريق بعد اجتماع الطير وحديث الهدهد في طلب السيمرغ[3]. المقالة الأولى جمع الطيور للبحث عن إله واحد يعبدونه. والثانية توجيه الهدهد الطير إلى السيمرغ والمقالات من الثالثة حتى الثانية عشرة أعذار كل طائر عن السلوك إلى الحضرة العلية. والثالثة عشرة عذر جميع الطيور. والرابعة عشرة سؤال الهدهد عن طريق السير. والخامسة عشرة اتفاق الطير على التوجه إلى السيمرغ، والسادسة عشرة مشاورة الطير مع الهدهد وما به من عقبات. والمقالات السابعة عشرة حتى الثانية والثلاثين أعذار الطير. وفي نهاية المقالة الثامنة والثلاثين يعرض العطار الأودية السبعة وأولها وادي الطلب. والمقالات من التاسعة والثلاثين حتى الرابعة والأربعين الأودية الستة: العشق، المعرفة، الاستسقاء، التوحيد، الخير، الفقر، الفناء. والمقالة الخامسة والأربعون وصول الطير إلى السيمرج ووقوفه أمام الحضرة الإلهية. والنفس والطبيعة واجهتان لشيء واحد كما هو الحال عند إخوان الصفا في التقابل بين العالم الأصغر والعالم الأكبر. ويتم الانتقال من الخاص إلى العام ومن العام إلى الخاص، من الداخل إلى الخارج، ومن الخارج إلى الداخل. وقد تقصر الحكايات وقد تطول[4]. وهي قصة شعرية لا تغني ترجمتها إلى العربية نثراً عن تذوق الأصل شعراً. ويعني المنطق هنا اللغة والفكر والموقف وليس القضايا المنطقية. وهي أشبه برسالة «الحيوان» لإخوان الصفا[5]. اعتنى بها المستشرقون وترجموها وشرحوها عدة مرات. وتحتوي على استطرادات كثيرة داخل القصة أو مجموعة من القصص. فمن الصعب إيجاد ميزان متعادل بين

---

(1) وهي: البلبل، الببغاء، الطاووس، البطة، الحجلة، الحمام، الصقر، مالك الحزين، البومة، الصعوة، وباقي الطيور، منطق الطير المقالات 3-13/ 17-29.

(2) السابق، المقالات 14/ 30-38.

(3) السابق المقالات 1-2/ 15-16/ 39-45.

(4) أطولها حكاية الشيخ صنعان وعقدة الزنا لعشقه الفتاة المسيحية، السابق ص218-240.

(5) رسائل إخوان الصفا جـ2 رسالة الحيوان.

الصياغة الأدبية والأفكار الفلسفية. وتنتهي القصة بمناجاة وهو شكل أدبي آخر. والحكاية تبدأ من واقعة كحامل للفكرة. الواقع يبدأ والخيال ينتهي. وتدور معظم الحكايات حول أحوال الصوفية وكراماتهم.

والعنوان قرآني ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾. والشخصية الرئيسية «الهدهد» من قصة سليمان. روضها الشعري «المزدوج» هو المثنوي[1]. والبداية بالمناجاة ثم مدح الرسول والخلفاء الأربعة ثم ذم التعصب بين السنة والشيعة، ومحادثة عمر وأويس، وحديث للرسول وشفاعته.

والموضوع هو المحبة أو العشق، موضوع الصوفية الأثير. يتجاوز منطق العقل والنقل وقضية الكفر والإيمان. هو التجربة الإنسانية الأصيلة[2]. كما يتجاوز المذهبين الشيعي والسني، والأشعرية والمعتزلة والعداء والتعصب بينهما[3]. مع أن العطار من الملامتية[4]. والعاشقان من طبقتين مختلفتين. ملك وجارية، حر وعبد، لبيان مدى بعد المسافة بين الإنسان والله. وترمز القصة إلى العلاقة بين الشيخ والمريد، رغبة المريد في السير، وضرورة المرشد، وطاعة السالك. كما ترمز إلى العلاقة بين الله والعالم، بين الشيء وظله، الكل والجزء، الماء والقطرة، النور والظلمة، الواحد والكثير، الفاعل والمفعول. والعشق أسمى من العقل كما هو الحال عند الرومي وإقبال. يفنى فيه العاشق والمعشوق. وهو نوعان: دائم وهو عشق المعرفة، وزائل وهو عشق الصورة والعشق يتضمن الغيرة والرضا والصبر وكل مقامات الصوفية وأحوالهم. ولا خير في الشذوذ الجنسي مثل عشق الملك فلاحه إياز وإعطائه بعض السلطة. وغاية الطريق الصوفي الإدراك والاتحاد والفناء مثل فناء القطرة في البحر ثم فناء الظل في الشمس ثم التحول إلى نور ثم

---

(1) وتتكون من 4650 بيتا.

(2) وذلك بمعنى المقطع الألماني Ur في Urfarung. والسياسة ضلال، وسلوك الطريق هدى مما يبين أن التصوف رد فعل على الأزمة السياسية.

(3) «أيها الجاهل المجاهد للحق. لا تجعل في نفسك مقيّما للخلافة. فإن كانت نفسك قد سيطرت عليك فتسبب آلاف الآلام والأحزان لك. وإذا أحد غيرهم قد تولى الخلافة لسيطرت على عهده الآفات والأزمات. وما دامت الروح تسري في الجسد فليست عهدة الخلق في الأعناق أمراً هيناً»، منطق الطير ص172.

(4) «فلتحفظني من التعصب على الدوام. ولتطهر روحي من التعصب»، السابق ص179.

البقاء. والشرط الابتعاد عن الدنيا ومقاومة الشيطان وذم النفس والسيطرة على أهوائها كما هو الحال في الديانات الهندية.

المادة الأولى هي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مباشرة أو على نحو غير مباشر. نصا أو بالعبارات والصور والألفاظ والتصورات[1]. ولكل نبي رمز، يوسف للطريق، وعيسى للامتحان، ومن الأدب الإسلامي تظهر قصة مجنون ليلى كرمز على العشق الإلهي. ومن التاريخ الإسلامي يبرز محمود الغزنوي[2]. وتذكر مناقب الخلفاء الراشدين. ويوظف التاريخ داخل القصة، طبيعة أو صنعة، ويتحول النص إلى موقف، والآية إلى حدث كما هو الحال في الإخراج المسرحي. ومن الوافد اليوناني يظهر الاسكندر وأرسطو والروحانيون اليونان[3].

د ـ **«برقمة البلبل» للرواس(1287هـ)**[4]: وهو حوار جرى في رؤية بين بلبلين عن التصوف استمرارا للغة الطير ومنطقه الأثير عند الصوفية[5]. وفهم اللغة رجل غيبي. وعلمها للمؤلف بأمر نبوي. وقد حدثت في مكة، في بيت الله الحرام والمؤلف يذكر الله. وتعتمد على القرآن والشعر والحديث[6]. وتنتهي بقصيدة

(1) الآيات (4)، الأحاديث (8).

(2) الرسول (22)، محمود الغزنوي (21)، يوسف (18)، عيسى (10)، آدم، موسى، أبو بكر (9)، سليمان (8)، عمر، علي، إياز (7)، جبريل (6)، إبراهيم، فرعون، العزير، الاسكندر، رابعة، البسطامي، العطار (5)، داود، الجنيد، الشبلي، أبو سعيد بن أبي الخير (4)، آذر، إبليس، العباسة، عثمان، ليلي، المجنون، يعقوب (3)، ابن حنبل، صنعان، عزرائيل، الواسطي، قارون، إسماعيل، ذو النون، يونس... (2)، هامان، مريم، أرسطو، عمر بن عثمان المكي، نظام الملك، النوري... (1).

(3) السابق ص436.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت.

(5) «كنت سنة اثنين وخمسين ومائتين وألف في مكة المكرمة، في بيت الله الحرام، وقد استقبلت القبلة، واشتغلت بذكر الله تعالى. فسمعت بلبلا يبرقم بلغة كنت سمعتها في ديوان حضور. وعلمنيها رجل غيبي بأمر نبوي. فلذلك فهمت ما برقم به البلبل يخاطب رفيقا له. فكتبت قوله والجواب الذي رُدَّ له في هذه الصفحات المباركة القليلة، سميت هذه الكلمات «برقمة البلبل». وإنها عن أعجب العجائب، وأغرب الغرائب، يعرف سرها العارفون، وينتفع بها المحققون، ويخشع لمضمونها الموفقون، والأمر بين الكاف والنون»، برقمة البلبل ص227.

(6) الآيات (6)، الأشعار (3)، الأحاديث (2).

طويلة. والموضوع هو أنواع البشر، كل آدمي خيط من نور. وتجتمع الخيوط في جماعة هم العارفون والأولياء الحكميون والمهيمنون والوالهون والمطويون في ستر المحبوبية تحت قباء الغيرة[1]. والرسول زعيمهم.

هـ ـ **«صوت الهزار وزيق الفداء» لأبي الهدى الصيادي(1328هـ)**[2]: ويدل العنوان أيضاً على منطق الطير ولغته. موضوع الرسالة الأخلاق. والغرض منها التسلية. وهي من المبتكرات دون المنقولات[3]. موضوعاتها متناثرة. تغلب عليها الأخلاق العلمية مثل التواضع والتعارف والصدق والعلم والمعرفة والوفاء والصحبة والجهاد. تعتمد على الشعر أولاً ثم القرآن ثانياً ثم السنة ثالثاً[4]. وتنتهي الرسالة بقصيدة طويلة[5]. وأحياناً يذكر الشعراء وأحيانا أخرى تذكر مصادر الشعر[6]. كما يتم الاعتماد على مصادر مدونة[7]. ويتم الاعتماد بصورة أقل على الصوفية السابقين باستثناء الجنيد ثم بعض المعاصرين[8]. ويتم نسبة الأولياء إلى الرسول حتى نوح في عشر حلقات[9]. وتستعمل بعض الألفاظ للتركيز مثل فائدة، تحفة، لطيفة، عجيبة، حكمة شريفة، استطراد مختصر لطيف[10]. ومع ذلك تظهر على استحياء القسمة

(1) برقمة البلبل ص228.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت. «هذه رسالة ظريفة، وقلادة در لطيفة كأنها محسن فصولها روضة بديعة أزهارها ولذلك سميتها «صوت الهزار وزيق الفداء» جعلتها تسلية للخاطر الغائر. وقد تسكن الخواطر بمطالعة ما في الدفاتر. وقد صارت مع صغر فيها مجموعاً جامعاً، وعقداً ساطعاً»، صوت الهزار ص139.

(3) «لم أشعر فيما نسقته من هذه الجمل قول زيد. ولم أدمج في سدوتها أفكار عبيد. بل هي من المبتكرات الأحمدية والسنوحات التنزلية. وقد يوجد فيها من الاستدلالات أو العبارات العلميات من كلام السالفين والأئمة الماضين ما لا بد منه، ولا محيد عنه. فهو من ملتصقات الدرر التي تنظم بسلكها، وتخرج بحبكها..»، السابق ص139.

(4) الأشعار (84)، الآيات (22)، الأحاديث (19).

(5) صوت الهزار ص187-190.

(6) السابق ص169.

(7) مثل الغاية في النسب، السابق ص81.

(8) مثل عبد الرحيم القناوي، أحمد البدوي، إبراهيم الدسوقي وآخرين. ومن الفقهاء الشافعي، السابق ص182.

(9) السابق ص183-185/ 193.

(10) السابق ص146-147/ 156/ 170/ 179-180/ 183/ 185-186.

العقلية مثل أنواع القرابات العشرة[1]. وتوجد بعض الانتقادات لأحوال العصر مما يدل على أن التصوف الطرقي رد فعل عليه[2].

و ـ رسائل ابن عربي(638هـ)

1 ـ «حكاية إبليس»[3]: وهي من القصص الرمزي في صورة حديث بين محمد وإبليس الذي أتى في صورة شوهاء ليعلم أصحابه دون كذب والرسول ينهره ويناديه «أيها اللعين» وإبليس صادق في ردوده على أسئلة الرسول بأدب واحترام[4]. ورفض الرسول أن يقتله عمر لأنه من المنظرين. وطلب من الصحابة فهم ما يقول وسماعه. وقد أتى إبليس بناء على أمر إلهي عن طريق ملك لإخبار محمد عن أفعاله ببني آدم مع طلب الصدق. وخلاصة الإجابة أن محمداً أبغض الناس له ثم شاب تقي وهب نفسه لله، ثم عالم ورع صبور، ثم من يداوم على الطهارة، ثم الفقير الصبور، ثم الغني الشاكر. الصلاة تصيبه بالرعدة والحمى، والسجود يرفع العبد درجة. والصيام قيد لإبليس حتى يفطر الصائم. والحج يصيبه بالجنون. وقراءة القرآن تذيبه كالرصاص. والصدقة شقته نصفين. وأبو بكر لم يطعه في الجاهلية ولا في الإسلام. يهرب من عمر. ويستحي من عثمان. ولا يتركه علي. والمخلصون للشيطان من أحب الدرهم والدينار والجاه والسلطان، ومن يكثر الالتفات في الصلاة. جلساؤه أكلة الربا، وصديقه الزاني، وضجيعه السكران، وضيفه السارق، ورسوله الساخر، وقرة عينه الحلف بالطلاق، وحبيبه تارك صلاة الجمعة، صهيل الخيل في سبيل الله يكسر ظهره، وتوبة التائب تذيب جسمه. وكثرة الاستغفار تنضج كبده، وصدقة السر تخزي وجهه، وصلاة السَحَر

---

(1) السابق ص172-173.

(2) وقد ابتلينا اليوم بأناس لا يفرقون بين الفن والعلم، ولا بين الحُلم والحِلم. يتعلم أحدهم لغة أجنبية، ولم يقف على غوامضها بالكلية. ويطلع على مادة فنية فيعدو جهله على النظريات، وينقلب على المناهج الدينيات، فيصير في طريق ظلمة أوهامه لبعده عن العلم بالدين وأحكامه...»، السابق ص148.

(3) حكاية إبليس فيما أخبر به النبي صلي الله عليه وسلم، مكتبة صبيح، القاهرة 1967.

(4) «شيخ أعور، كوسج في لحيته سبع شعرات كشعر الفرس. وعيناه مشقوقتان بالطول، ورأسه كرأس الفيل الكبير، وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير، وشفتاه كشفتي الثور»، السابق ص24.

تطمس عينيه، وكثرة الصلاة في الجماعة تقمع رأسه، وتارك الصلاة أسعد الناس عنده، والبخلاء أتقى الناس لديه. مجالس العلماء تشغله عن عمله. يأكل بشماله وأصبعه. ويستظل بأولاده وقت الحرور والسموم تحت أظافر الإنسان. سأل الله عشرة أشياء: الشرك في بني آدم وأموالهم وأولادهم، والأكل من مال لا يزكى فيه، ومن الطعام الذي خالطه الربا والحرام، وكل مال وكل جماع لا يتعوذ عليه من الشيطان لأن الشيطان يجامع معه الزوج حتى يأتي الولد سامعاً مطيعاً له. ومن يركب دابة يسير به إلى حرام يركب معه. بيته الحمام. ومسجده الأسواق، وقرآنه الشعر. وأذانه المزامير، وضجيعه السكران. وأعوانه القدرية. وإخوانه الذين ينفقون الأموال في المعصية. ولده عثمة يبول في آذان العبد حتى لا يصلي. وولده المثقاخي يكشف سر الصدقة ويعلنها. وولده كحيل يكحل عيون الناس. ويقعد عند مؤخرة المرأة وفي حجرها حتى تفسق. ويقوم بالوسوسة والتزيين وليس ضلالاً[1]. وبالرغم من هذا النسج الخيالي والإخراج الأدبي يعتمد على القرآن والحديث[2].

2 ـ **«عنقاء مغرب»**[3]: والاسم غريب. العنقاء طائر خرافي والمغرب هو الذي أتي من الغرب أو هو الغريب عن العالم. ومعي نفس القراءة المزدوجة لقصص السهروردي «الغربة الغريبة» أو «الغربة الغربية». ومع ذلك فهي ليست قصة بل قطعة من النثر الفني الفلسفي. كان الاسم الملقى إليه ويعنى أولاً هو «سدرة المنتهى وسر الأنبياء في معرفة الخليفة وخاتم الأولياء»، ولكن لم يجد هوى في نفسه. وفضل عليه الاسم بالإضافة إلى «نكتة سر الشفا في القرن اللاحق بقرن المصطفى»[4].

والعنوان الفرعي «في ختم الأولياء وشمس المغرب» ختم الأولياء، الحقيقة المحمدية أو خاتم الولاية وهو القطب. وهو أيضاً المهدي، وعيسى أي ما يختم به الزمان[5]. وهي الإمامة على الإطلاق، أكبر من الإمامة الكبرى، إمامة الدولة،

---

(1) السابق ص38-41.

(2) الأحاديث (11)، الآيات (5).

(3) مكتبة صبيح، القاهرة (د.ت) وأيضاً رسائل ابن عربي جـ4/ (2) ص79-162.

(4) السابق ص17/ 22.

(5) لذلك الحقيقة المحمدية هي الأكثر تكراراً. الحقيقة المحمدية (4)، الشريعة المحمدية (1)، محمد (3)، عيسى (2)، البخاري، مسلم (1).

والإمامة الصغرى، إمامة الصلاة. وهي الإمامة عند المتكلمين والفقهاء. والحديث عن الإمام المهدي يوحي بهوى شيعي نظراً لما بين التصوف والتشيع من أواصر قربي. فكلاهما حركتان للمعارضة، معارضة في الداخل، ومعارضة في الخارج. ولا توجد إحالات إلى أقوال الصوفية السابقين بل إلى بعض الصحابة مثل أبو هريرة وابن عباس والمحدثين مثل البخاري ومسلم والترمذي، وبعض الصوفية مثل أبو زيد، موسى الدينلي. يكتفي بالتجربة السنوحية[1].

ويعتمد على الشعر أساساً ثم القرآن والحديث[2]. وتغيب الصوفية والفرق[3]. ويضاف رسم توضيحي. كما يحيل إلى بعض المؤلفات السابقة مثل «التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية». ويحيل إلى نظرية أن الإنسان عالم صغير مسلوخ من العالم الكبير. فكل ما ظهر في الكون الأكبر فهو في هذا العين الأصغر كما هو الحال عند إخوان الصفا. ومن الأنبياء يذكر عيسى ثم آدم وإدريس وهارون ويحيى وموسى ويوسف وإبراهيم. وتشتق من بعضهم صفات مثل آدمي ومحمدي. ويظهر المهدي والختم[4].

ولا يوجد موضوع محدد بل مجرد تحليلات جزئية، تدخل في كلٍّ عام غير محدد. يتكون أساسا من ثمان لآلئ للعرش والكرسي والأفلاك والعناصر والدخان واليواقيت والحقيقة المحمدية. لكل منها مرجانات عشر. ويضاف إليها ثلاث نكات. وتنتهي بلؤلؤة ملحقة بالياقوتة السابعة. فلسفة الجواهر الكريمة هي السائدة. هي لغة البحار والأفلاك والغوص. بعضها بعناوين والأخرى دون عناوين. و «الله أعلم» في آخر كل موضوع. والطيران والأدنى والأعلى والعناوين بلا بنية محكمة. وتظهر ألفاظ الربط مثل«فصل» و «وصل»، ومعها السجع في العناوين مما يوحي بالغموض، ويستمر السجع في كل الكتاب. فالسجع أهم من

---

(1) لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها
السابق ص123.

(2) الآيات (49)، الأحاديث (14)، الأشعار (12)، القدسية (1).

(3) الإمام أبو زيد، موسى الدنيلي (1).

(4) عيسى (3)، إدريس، آدم، هارون، يحيى، موسى، يوسف، إبراهيم، المهدي، الختم، آدمي، محمدي (1).

المضمون. وتتخلله بعض الحروف بلغة عجيبة أقرب إلى السريانية[1]. ويغلب عليه طابع التجلي التدريجي للحقائق كما هو الحال في «الفصوص» ومركزه نشأة الإنسان بؤرة نشأة الكون، ووصف الأحوال والمقامات مثل وصف مراتب الوجود[2]. وتؤول العبارات طبقاً للنشأة والتكوين[3]. فالعبادات مثل الحج رموز وإشارات. ومعرفة الذات أساس معرفة الآخر والكون[4].

3 ـ «**المعلوم من عقائد أهل الرسوم**»[5]: وهي أشبه بالغربة الغريبة أو الغربية للسهروردي. فقد اجتمع أربعة نفر من العلماء تحت خط الاستواء في قبة أرين في وسط الأرض بالهند، مغربي ومشرقي ويماني وشامي ممثلين للاتجاهات الأربعة، الغرب والشرق، والجنوب والشمال. وتناقشوا في العلوم، وأنها تعطي السعادة الأبدية. عند المغربي هو العلم القائم الحاصل، وعند الشرقي العلم بالحامل والمحمول، وعند الشامي علم الإبداع والتركيب، وعند اليماني علم التخليص والتركيب الذي لا يُعرف إلا بالإمام. ولا تنتهي الرسالة إلى رأي صحيح أو راجح. ويعتمد على التنظير العقلي الخالص باستثناء حديث واحد عند المغربي «كان الله ولا شيء معه» والاستشهاد بالأشعرية مرة وحدة.

4 ـ «**الاتحاد الكوني في حضرة الاستشهاد العيني**»[6]: يجتمع فيه الشعر

---

(1) مثل «بحر طامس وبحري غاطس»، «مخاطرة أزلية على نشأة أبدية»، «اعتراض لمن أصاب الصيد بالمعراض»، «نكتة الشرف في غرف من فوقها غرف»، «النكتة المؤخرة في الدرة المدخرة»، «نكتة تمام الأنبياء في تعيين خاتم الأولياء» «إفصاح الكتاب العزيز بمقاماته والإعلام بأحواله وآياته»...الخ.

(2) السابق ص75.

(3) السابق ص5.

(4)
موقف الحق أدبي	وإنما يوقف الأديب
أشهد في ذاته كفاحا	فلم أحد شمسها تغيب
واتخذت ذاتنا فلما	كنيت أنا العاشق الحبيب
أرسلني بالصفات كيما	يعرفني العاقل المصيب
فيأخذ السر من فؤادي	فتغتذي باسمه القلوب

السابق ص28.

(5) رسائل جـ6 (4) ص77-86.

(6) رسائل جـ6 (5) ص93-106.

والنثر الفني. ولا يعتمد على آية أو حديث أو قول صوفي[1]. ولا يذكر إلا صخر بن سنان، والسيد الإبراهيمي الأكبر وموسى[2]. والعنوان الأصلي يزيد «بمحضر الشجرة الإنسانية والطيور الأربعة الروحانية» لمخاطب أبي الفوارس صخر ابن سنان «مالك أزمّة الجود والبيان ولكل أهل العرفان»[3]. كتب في مدينة بخط الاستواء. يدور حول حديث النفس والقلب في السيد الإبراهيمي الأكبر. حسنة في زهرة الأحكام، وإمضاؤه في عطارد الإفهام، وخلافته الإلهية في البدر الأرفع، وهيكله في العنصر المربع، في حوار مع المشير يكشف عن شجرة البستان. ثم تُسمع أربعة خطب من المطرقة الورقاء، ومن العقاب المالك ومن الغريبة العنقاء يشير إلى عنقاء مغرب، ومن الغراب المالك. وبهذه الخطب الأربعة تتضح مقامات أمهات الأكوان وهي: الإنسان الكلي، والعقل الأول، والنفس الواحدة، الهيولى، والجسم الكلي[4].

3 ـ الشعر الصوفي

وقد يكون الشعر الصوفي تصوفاً نظرياً من حيث الشكل إلا أنه كذلك من حيث المضمون. فالتجربة الصوفية أساساً تجربة شعرية ذات مضمون إلهي عن المحبة أو الوجود. فقد أخذ التصوف النظري أشكالاً أدبية مختلفة كوسائل التعبير منها الشعر والقصة. وقد عبر الصوفية السابقون عن بعض تجاربهم شعراً مثل رابعة والحلاج ولكن شعراء الصوفية هم الذين اكتفوا بالشعر دون النثر مثل ابن الفارض والبوصيري. في حين جمع البعض بين الشعر والنثر مثل ابن عربي والتلمساني وعبد الكريم الجيلي.

أ ـ «ديوان الحلاج (309هـ)»[5]: التاريخ أم الشعر أيهما أكثر تعبيراً عن الحقيقة؟. الشعر سجل للتاريخ مثل شعر الملاحم. والملحمة الفردية في السيرة الذاتية مفعمة بالتاريخ. لذلك كانت السيرة الذاتية أحد العناصر المكونة للوعي

(1) الأشعار (8).
(2) صخر بن سنان (2)، السيد الإبراهيمي الأكبر، موسى (1).
(3) الإتحاد الكوني ص95.
(4) السابق ص106.
(5) الحلاج: الأعمال الكاملة ص287-335.

التاريخي. ويتضمن الشعر معظم موضوعات التصوف، المقامات مثل: المحبة والعشق والرضا والصبر. والأحوال مثل: الفرق والمجمع، البعد والقرب، الوجد والفقد، الصحو والسكر، الحضور والغياب، القبض والبسط، الفناء والبقاء. كما يتحدث عن الوطن الروحي والطريق إليه والشهادة عليه والانتقال من وحدة الشهود إلى وحدة الوجود، وحدة الحق والخلق وما يتفرع عنه من حلول واتحاد[1]. ويكون الإنسان والله على التبادل في العبادة والهوية[2]. وهو طريق القلب والقضاء والقدر والكرب والذكر والتحول عن الظاهر إلى الباطن وقيادة الشيخ للمريد.

وموسيقى الشعر جزء من مضمونه. ليس بحوره وأوزانه بل ما تثيره في

(1) مازجت روحك روحي ... في دنوي وبعادي
فأنا أنت كما ... أنك أني ومرادي
السابق، ص298
فأنا الحق حق للحق حق ... لا ليس ذاته فما ثمّ خرق
السابق، ص315
شغلت جوارحي عن كل شغل ... فكلي فيك مشغول بكلي
السابق، ص318
أنا من أهوى، ومن أهوى انا ... نحن روحان حللنا بدنا
نحن قد كنا على عهد الهوى ... نضرب الأمثال للناس بنا
فإذا أبصرتني أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا
أيها السائل عن قصتنا ... لو ترانا لم تفرّق بيننا
روحه روحي وروحي روحه ... من رأى روحي حللنا بدنا
السابق ص330.

(2) أدعوك بل أنت تدعوني اليك فهل ... ناجيتك إياك أم ناجيت إياي
السابق، ص288
ذكره ذكري، وذكري ذكره ... هل يكون الذاكران إلا معاً
وجوده بي، ووجودي به ... ووصفه فهو له وصف
السابق، ص31
أنا أنت بلا شك ... فسبحانك سبحاني
وتوحيدك توحيدي ... وعصيانك عصياني
واسخاطك اسخاطي ... وغفرانك غفراني
ولم أجلد يا رب ... إذا قيل هو الزاني
السابق، ص327

النفس من إيقاع يؤهل لفهم المعنى والإحساس به. الشعر أقدر في التعبير عن التجربة الصوفية من النثر بل إن النثر نفسه ينفجر في الشطحات والإشارات والمواقف والمخاطبات، في نثر شعري. فالتجربة الصوفية والتجربة الشعرية صنوان. والجمال الفني تعبير عن الجمال الإلهي. الشعر والشطح صنوان. وصاحب الشطح في نفس الوقت أعمى بصير، أبله فطن. يعبر بكلمات بها ظاهر وباطن[1]. يشعر الصوفي أن أمه ولدت أباه فأصبحت بناته أخواته[2]. وهي كرامة له وليست حقيقة تاريخية ولا نتيجة زنا. والشطحة لا تفرق بين الكفر والإيمان. بل تجعل الكفر طريقا له[3].

والشعر شهادة. والشاعر شهيد، والشهيد شاعر. يطلب الحلاج أن يقتله الناس. فهو يتلذذ بقتله. مماته حياته، وحياته مماته. فقد سئمت روحه بدنه. ويطالب الناس بحرقه وحرق عظامه[4]. ثم يقصقصانه في شريط سريع كما يمر في لحظة الموت منذ أن كان طفلاً في حجور المرضعات إلى أن سكن في لحد القبر من أراضي السباخ. ثم يزرع القبر ويسقى فيعود إلى حياة الاخضرار[5].

---

(1) أعمى بصير، وإني أبله فطن ... ولي كلام إذا ما شئت مقلوب
السابق ص292

(2) ولدت أمي أباها ... إن ذا من عجباتي
ليس من فعل زمان ... لا ولا فعل الزناة
السابق ص294

(3) كفرت بدين الله والكفر واجب ... عليّ وعند المسلمين قبيح
السابق ص297.

(4) أقتلوني يا ثقاتي ... إن في قتلي حياتي
ومماتي في حياتي ... وحياتي في مماتي
سئمت روحي حياتي ... في الرسوم الباليات
فاقتلوني واحرقوني ... بعظامي الفانيات
ثم مروا برفاتي ... في القبور الدارسات.

(5) إنني شيخ كبير ... غير مفقود الصفات
ثم إني صرت طفلا ... في حجور المرضعات
ساكنا في لحد قبر ... في أراض سبخات
فازرع الكل بأرض ... تربها ترب موات
ومقاصدها يسقى ... من كؤوس دائرات =

ب ـ «البردة» للبوصيري(608هـ)[1]: وهي نموذج من الشعر الصوفي. نظم بإلهام في ليلة واحدة. أثارت خيال الشعراء كي ينسجوا مثلها كما حدث في نهج البردة لشوقي. تنبع من آثار «الحقيقة المحمدية» في الاحتفال بالمولد النبوي. وتبدأ بشعر الطبيعة قبل أن تنتهي بالحب الإلهي. وتتكون من مائة وستين بيتاً في موضوعات متعددة مثل التحذير من هوى النفس قبل مدح النبي، ووصف سيرته العطرة ابتداء من مولده، ثم معجزاته، ثم شرف القرآن الكريم، ثم الإسراء والمعراج، ثم جهاده، ثم شفاعته والتوسل به، ثم مناجاته وعرض الحاجات عليه. فهو طوق النجاة للغارقين، وتلبية طلب المحتاجين إذا ما انسدت الطرق، وعجزت الحيل، وضعفت القدرات.

جـ ـ ديوان ابن الفارض (632هـ): وهو شاعر الحب وسلطان العاشقين بالأصالة. عند الصوفية الحب تجربة إلهية. ولا يحب الإنسان إلا الله. فإن لم يعرفه أو ضعّفه فإنه يحب الإنسان. وعند علماء النفس الحب تجربة إنسانية. فإذا ضاعت أو صدمت حدث تعويض في الحب الإلهي. وعند الصوفية الأصل هو الحب الإلهي، والفرع هو الحب الإنساني. وعند علماء النفس الأصل هو الحب الإنساني والفرع هو الحب الإلهي. الأول من أعلى إلى أسفل، والثاني من أسفل إلى أعلى. ولا تتحدد مواضيع القصائد إلا نادرا مثل الصبابة، ومدح بعض القبائل وأخيرا التائية الكبرى في «نظم السلوك»[2]. وتعني تحويل السلوك الإنساني إلى قصيدة شعرية. وبالرغم من القدر الهائل من الإبداع الفني إلا أن موضوع العشق والوله والبكاء وكراهية العالم والآخرين والتجرد لله وحده قد يراه البعض اغتراباً عن العالم وروح العصر الذي يحتاج إلى شعر المقاومة. ليت الله هو الوطن

= من جوارٍ ساقيات وسواق جاريات
فإذا أتممت سبعا أنبتت خير نبات
الديوان ص294-295.
من أراد الكتاب هذا خطابي فاقرؤوا واعلموا بأني شهيد
السابق، ص297.

(1) الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1987م حللنا «تائية السلوك إلى ملك الملوك» للشرنوبي (994هـ) في سابعاً ـ الشروح والتعليقات والملخصات.

(2) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1372هـ- 1953م ديوان ابن الفارض ص17-27/ 69-72/ 78-126.

والأرض. يا ليت المناجاة للأمة والتاريخ كما هو الحال في شعر المقاومة في «عاشق فلسطين»: إنني العاشق والأرض حبيبة. يا ليت كل هذا الحب المكشوف يكون تشجيعاً على الإلتزام بقضايا الوطن والدخول بشوق في تحديات الأمة.

د ـ دواوين ابن عربي(638هـ)

1 ـ ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق[1]: وهو ديوان ابن عربي الذي لا شك في صحته. نظم أولاً «ذخائر الأعلاق» ثم شرحه هو نفسه في «شرح ترجمان الأشواق»[2]. وهو كما يدل العنوان في المحبة الإلهية مثل ديوان ابن الفارض خاصة «نظم السلوك». فالحب مغامرة[3]. تنتهي بالشهادة[4]. حب متبادل بين الإنسان والله[5]. وتتنوع أسماء الحبيبات[6]. وهو رمز لوحدة الأديان فكلاهما توحيد[7]. ومع ذلك لا يخلو من لوم وعتاب[8]. البداية غزل إنساني عندما رأى ابن عربي ابنة عذراء لشيخه[9]. والطريق إلى الله يبدأ بالرياضة والمجاهدة[10]. وينتهي بالمشاهدة وتجتمع فيه الأضداد وكما هو الحال في المقامات والأحوال[11]. وينتهي الطريق بوحدانية الله. يتجلى في الكثرة وفي الكون بالحسن والجمال[12]. والمعرفة الحاصلة ليست معرفة عقلية أو نقلية بل معرفة ذوقية كشفية[13]. وكله مبني على الحديث القدسي الشهير[14].

---

(1) نشر محمد عبد الرحمن الكردي، القاهرة 1388هـ- 1968م.
(2) السابق ص7/ 73.
(3) السابق ص73.
(4) السابق ص5-6/ 100-102/ 106/ 109-112/ 124/ 126.
(5) السابق ص23/ 51/ 106/ 108.
(6) السابق ص43/ 49-50.
(7) السابق ص135/ 139.
(8) السابق ص37/ 39/ 63/ 66-67/ 85.
(9) هو ابن شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجاء الأصفهاني في مكة، ذخائر الأعلاق ص1-4.
(10) السابق ص27/ 55-58.
(11) السابق ص28/ 32/ 71-75/ 96.
(12) السابق ص22/ 53/ 64/ 84/ 141/ 143-144/ 146-148/ 165.
(13) السابق ص66-67.
(14) «ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به فبي يسمع وبي يبصر».

2 ـ الديوان[1]: والشكوك حول صحة نسبة الديوان قضية تاريخية استشراقية. ما يهم هو دلالتها على الشعر الصوفي بصرف النظر عن مؤلفه. فالعمل مستقل عن صاحبه. وقد تستطيع الدراسة الأسلوبية توضيح هذه النسبة إيجاباً أم سلباً.

ويضم الديوان عدة مقاطع. بعضها له موضوع. فالغاية هو الموضوع وليس طريقة التعبير عنه. والأكثر ليس له موضوع[2]. وبعضها شرح قصير يبين القصد أو المصدر، ربما من الجامع أو المنتحل. وعناوين المقاطع من بعض الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو بعض مشايخ الصوفية. وهي المصادر العامة للتصوف بعد أن تحول الشعر إلى طريقة في التعبير وليس مصدراً[3]. وأحياناً قد يكون الموضوع صورا قرآنية وليس آيات مثل خلع النعلين ولباسهما وقد أصبحا رمزاً للتقديس. وقد يكون الحديث هو الأقرب إلى الحقيقة المحمدية ابتداء من مركزية الرسول، سيد الناس يوم القيامة[4].

وبعض المقاطع لها شروح قصيرة لتخريج مصادرها في القرآن والحديث[5].

---

(1) مكتبة المثنى، بغداد، طبعة بولاق 1271هـ- 1855م.

(2) المقاطع حوالي 1000 مقطع، والمقاطع التي بها موضوع حوالي600 مقطع.

(3) الآيات مثل﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾، ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾، ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿...كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

(4) مثل: «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر»، «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، «ولا تفضلوني على يونس بن متى»، «إن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن أردت تقويمها كسرتها وكسرها طلاقها وإن استمعت استمعت وبها عوج»، «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج»، «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»، «المؤمن مرآة أخيه».

(5) مثل ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾، ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾، =

ويُحكم على الحديث بأنه صحيح أو غريب مثل وراثة خطيئة آدم كما هو الحال في المسيحية. وتتعرض بعض المقاطع لأسماء الأعلام مثل النور ابن رشيد أثناء فتح أنطاكية[1]. مما يدل على أن التصوف يعكس أيضاً الأحوال السياسية وإجابة سؤال الشيخ عبد الله الغزال، والمتنبي ورجلين من اشبيلية. وقد يكونوا جماعة مثل الإخوان. ويحال إلى «الفتوحات»، فالديوان إيجاز له[2]. وقد يتحدد القول بالمكان أو الزمان[3]. وأحياناً تكون موضوعات المقاطع من النظم وطرقه وأشكاله الأدبية مثل الدور والموشح[4]. ومنه ما يدور في اليقظة، وما يدور في النوم، وما يدور في الصحة والمرض. واللزومية أحد الأشكال الأدبية مثل «لزوم ما لا يلزم» عند المعري. وكذلك التوشيح الأقرع والتوشيح المضفر الأقرع والتوشيح ذو

= ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾، ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ﴾، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾، ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾، ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى﴾، ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾، والحديث مثل: «ارم فداك أبي وأمي»، «أنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة ومائة مرة»، «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي»، «الحجر يمين الله»، «فنسي آدم فنسيت ذريته»، «وجحد آدم فجحدت ذريته».

(1) خطاب إلى النور بن الرشيد حين بُشر بفتح انطاكية، إجابة الشيخ عبد الله الغزال، ينظر إلى الأول قول المتنبي، ورجلين من أهل أشبيلية منهم القنجباري، ووولیه إسماعيل بن سودكين، ابن حزم وكتابه «المحلى في موضوع الأسماء الحسنى»، بعض الإخوان، الملك العزيز بن الملك العادل لما مات، شخص معين، فتية أهل الكهف، العز بن عبد السلام، شمس الدين الشيرازي، سعد بن أبي وقاص، عائشة، الأنصار، حسان بن ثابت، القوم.

(2) وقد قرئ عليه الباب السابع لأبواب الفتوحات فتعجب من إيجاز وإعجاز.

(3) وكتبه في دائر قاعة سكناه، وقال في دور الستة.

(4) أول قصيدة ظهرت من قلبي على لساني، إلى هنا انتهى ما وقع في الحس من هذه الواقعة: وما أذكره بعد هذا هو مما وقع في النوم. وأما النظم فإنه كله في حال النوم فكانت بشرى، وهذا ذكر ما بقي من النظم فيها، لزومية، لزومية التفصيل، ومن نظمه في التوشيح الأقرع، ذوقية محبته، الدور، المطلع، درج بها كلام تقوم في محضر يصف فيه ما جرى، التوشيح المضفر، نظم التوشيح، نظم التوشيح الأقرع المضفر المحير الممتزج، وقال في النوم مرتجلاً، وما ألقي إليه إلا بإقوائه على غير مأمور منه بذلك الوارد شرحه، وقال أيضاً في مرضه، نظم التوشيح المروّس، نظم التوشيح وهو أحد أفرع نظم التوشيح ذي الرأس، في درج الكلام، الوقوف على قبر، النطق، لزومية نبوية، سر نبوي، نبوية، مسمط.

المنقال، والتوشيح وله منقال، والنظم التوشيحي، وذوقية المجفة، والدور والمطلع، محضر وصف لما جرى، وما ألقي إليه على نحو لا شعوري والوارد وشرحه. وتصنف بعض المقاطع تحت الحروف الأبجدية من الألف حتى الياء.

وتظهر موضوعات المعرفة والإدراك. وتنتقل من علم النفس إلى علم الأخلاق. فالحقيقة بسيطة ومركبة، والبصر والسمع واللسان واليد مكلفة، بل والبطن والفرج والرجل والقلب كل ذلك مكلف. اشترك في البيعة التي تقابل عهد ﴿أَلَسْتُ﴾. والوجه له سبحات. ويظهر موضوع النفس والروح الإنساني في مقابل الروح الحيواني والإنسان الكامل. كما يظهر موضوع العقل، والعقل الأول. والتقليد ليس مصدراً من مصادر العلم أسوة بباقي العلوم[1]. ويظهر الحق في القلب. ويخاطب الأرواح[2]. وعلوم التصوف علوم الأسرار المكنونة المستورة. والتصوف كشفها وفتح مغاليقها. وتبقى الأسرار في صدور الأحرار. والمعارف إلهامية مثل ما يحدث في ليلة القدر[3]. وتظهر الرياضات الروحية والدلالات النفسية للأعداد والرسوم المسطحة والمكعبة كما هو الحال عند فيثاغورس، وإخوان الصفا، والتصوف المتأخر. فالتسديس أفضل من التثليث والتربيع[4]. وتظهر الحروف ودلالتها مثل الأعداد. فلكل حرف دلالة. وهي الحروف في أوائل السور، وهي أرواح لتحقيق العظمة الإلهية[5]. وكل سور لها حياة أو روح. وهو قلبها والموضوع الغالب عليها. ويشير بعضها إلى الفرق الكلامية وعقائدها مثل

---

(1) ارتباط الحقيقتين، البسيط والمركب، المعارف، البصر المكلف، السمع المكلف، اللسان المكلف، اليد المكلفة، البطن المكلف، الفرج المكلف، الرجل المكلف، القلب المكلف، المبايعة، النفس، النفس الناطقة، الإنسان الكامل لا الإنسان الحيواني، العقل الأول، السبحات الوجهية، التبري من التقليد، الوارد.

(2) كون القلب خرقة لما وسع الحق، درج كلام يخاطب بعض الأرواح، حال يخاطب فيه الحق في تجل قلبي لسبب.

(3) الوعاء المختوم على السر المكتوم، إيضاح حجة ومفتاح محجة، صدور الأحرار قبول الأسرار، ليلة قدر العارف، مخاطبة السر الوجودي، السر النبوي.

(4) تخصيص التسديس دون التثليث والتربيع.

(5) الفخر ولا فخراً بالراء والزاي معاً، حروف أوائل السور المسماة لما وقع التلفظ بأسماء حروفها لا بحروفها، حروف لو ولولا وإن، حروف أوائل سور القرآن المجهولة. الحروف الصغار وهي حروف الحركات، حركات البناء وحركات الإعراب والجزم والسكون وحروف العلة، أرواح السور في تحقيق العظمة الإلهية من روح الفاتحة. الحياة البرزخية =

تجديد العالم عند الجبائية والأعراض عند الأشاعرة. وأحياناً يكتفي بروح السورة من غير تسميته[1].

والوحي عام وليس خاصاً، للبشر جميعاً وليس للرسل وحدهم، وحي القلب والضمير وليس فقط وحي الرسل والأنبياء[2]. وتتضمن بعض المقاطع موضوعات كونية[3]. وهي ليست مقصودة بذاتها بل بروحها أي بدلالتها ومعانيها، مثل موافقة

= في البقرة. في من كمل من النساء في آل عمران. والدعاء بالتحذير بلسان النذير في النساء. الوقار تقليدا بلسان البشير في العقود. حال نزول السكينة في الغمام لتلاوة القرآن في سورة الإنعام. مشام العارفين من الأعراف الطيبة وهم المسمون عالم الأنفاس، وما رأيت بينهم سوى رجلين من الكل بأشبيلية ومحمد نزل عن الكمال منهم القنجباري في الأعراف. المصيب بالمصادقة ما هو الأمر عليه في الأنفال. لسان ألا يعاد والاعتبار في التوبة. بشرى بوراثة نبوية من يونس. تأثير الإخوان في هود. مكارم الأخلاق النبوية في يوسف. هبات الصاحب في إبراهيم. حق الإرسال والوراثة بالإتباع للأنبياء، نعت المؤمنين الصادقين ومقامهم في المؤمنين، تقسيم الأنوار والظلم في النور ثلاثة عينها واحد من سورة القصص، اشتقاق البيوت من المبيت في العنكبوت، الآيات المعتادة وغير المعتادة في الروم. الحكمة المجهولة عند النفس المعلومة في لقمان. والتقوى في الصلاة في السجدة. رؤية المقام المحمدي في الأحزاب. كلمة حقيقية إلهية خلقية في الملائكة. عدم تفضيل الرسول على يونس في الصافات. المغفرة في الزمر. الطبع في المؤمن. الولاية في فصلت. معنى المثلين وإن تقابلا في الشورى. الاتحاد بالنيابة في الفتح. التحجير وأربابه في الحجرات. الجبائية في تجديد العالم والأشاعرة في الأعراض في ق. القسم في الذاريات. الميل الحسي والمعنوي في الطور. الشهب العلمية في النجم، والأنوار والإهداء في الفجر. أداء الحقوق في الرحمن. النشأتان في الواقعة. تفصيل الشرائع في الحديد. الحشر والنشر في الحشر. الابتلاء في الممتحنة. الحب في الصف. والأنس في المنافقين. الغوث في تبارك الملك. الحروف المرقومة، نيابة النون عن العين.

(1) سورة الرعد، الحجر، النحل، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الحج، الفرقان، الشعراء، سبأ، ص، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، المجادلة، الجمعة، التغابن، نون، الحاقة، نوح، الجن، المزمل، المدثر، القيامة، الإنسان، المرسلات، النبأ، النازعات، الأعمى، التكوير، الانفطار، التطفيف، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الشرح، التين، العلق، القدر، لم يكن، إذا زلزلت، العاديات، القارعة، ألهاكم التكاثر، والعصر، الهمزة، الفيل، قريش، الدين، الكوثر، الكافرون، النصر والفتح، تبت يدا أبي لهب، الإخلاص، الفلق.

(2) عموم الوحي الإلهي.

(3) مثل: البحر المسجور، روح السماء الدنيا، موافقة النجم الهلال، الكور والدور، =

النجم الهلال. والكور والدور يشيران إلى دوران الأفلاك، وظهور البدر والشمس معا في النهار. ويظهر موضوع النور من الطبيعة إلى الروح، ومن الجغرافيا إلى التصوف وأنواع النور، القمري والبدري والكوكبي والناري والسراجي والبرقي، ورجوم الشياطين. وللأدوار الفلكية تلوين. والطالع والغارب منازل ودليلان على الحضور والغياب. والأركان الأربعة من بقايا الطبيعيات القديمة. وبعض مكونات الطبيعة أشرف من غيرها مثل شرف جبل أبي قبيس. والعلم الإلهي عن طريق الصنعة أي التأمل في الكون[1].

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد والتعليم من الله[2]. والعلم بالله. فالله هو المعلوم وطريق العلم. والعلم بالله فخر. وله رموزه، اللوح والقلم. وتتضمن مقاطع أخرى تاريخ الرسل وقصص الأنبياء كما هو الحال في «فصوص الحكم»، ودلالتها على تطور الروح. وتتكرر أسماء الأنبياء لتنوع دلالاتها. ويتفرد عيسى بمقام خاص[3]. وتختم النبوة وتبدأ الولاية[4]. وأحياناً يكون موضوع المقاطع أرواح الصوفية أنفسهم باعتبارهم ورثة صادقين محمدين مثل الصحابة ومقاماتهم، أبي بكر الصديق. ويظهر الإمام والقطب والخليفة، والمفارد مثل الأقطاب والأبدال والأوتاد والنواب[5].

= حكمة ظهور البدر والشمس معا في النهار، تأخر الأنوار عن النور، النور القمري، النور البدري، النور الكوكبي، النور الناري، النور السراجي، النور البرقي، الجسم الكل، الرجوم، التلوين في الدور الفلكي، الطالع الإلهي الغارب بأسماء المنازل، الأركان الأربعة، مشرق أبي قبيس وهو الجبل الأمين، سير الجواري في البروج والمنازل وذكر أسمائها، زلزلة رآها في النور، الطبيعة، السحاب وما يمنح، ودور السنة، ليلة القدر وهي تنتقل في السنة كما يراه الإمام أبو حنيفة، الطبيعة والأخلاط والأركان، والكون جسم كلي له نفس وعقل وروح.

(1) العلم الإلهي عن طريق الصنعة.

(2) حكمة تعليم من عالم حكيم، العلم بالله، العلم الخاص واللوح والقلم فخر العلم بالله، عزيزية.

(3) مثل: الكاتب العيسوي، الروح الأدريسي، الروح الأحمر الهاروني، روح القاضي الموسوي، حالة موسوية، الحال الموسوي، واعظ ظريف اسمه عيسى، نظرة الصعق المكي والموسوي، الوارث الموسوي، والوارث المحمدي.

(4) خاتم النبوة والولاية، شرف المصطفى.

(5) أرواح الورثة الصادقين المحمدين، المقام البكري الصديقي، الإمام والقطب، الإمامة والخلافة، المفارد والنواب.

ويظهر التحول من الفقه إلى الأخلاق، ومن علم الجوارح إلى علم بواطن القلوب، ومن الشرع إلى الحقيقة. بل إن الكون كله عقود نكاح وشهود أعراس[1]. والأحكام الشرعية ليست كماً بل كيفاً. وهي أصول وليست فروعاً. وقد تخفى على النفوس أوامر. فالأوامر كلها ليست تعليمات بل تعاليم، والله هو المؤدب للصوفي. وتأخذ الشرائع مدلولات روحية، الصلاة، والصيام، والزكاة والحج. فالطهارة شرط الصلاة وهي طهارة القلب وليست فقط غسل البدن. والمسح على الخفين رمز مثل التيمم والغسل من الجنابة. والصلاة حالة نفسية وليست مجرد حركة ركوع وسجود، والصوم صوم القلب. والزكاة زكاة النفس. فقد يعرض طائف عن البيت لأن الطواف ليس بالبدن في المكان بل بالروح في الزمان. وتعظيم الكعبة حالة روحية وليس تقديساً لوثن. واللباس ليس هو الرداء بل لباس التقوى خير[2].

وتظهر موضوعات الطريق من الإنسان إلى الله، ومن الشريعة إلى الحقيقة مثل إنكار الخلاف في الطريق لأنه يقوم على الصحبة والألفة من أجل الوصول إلى التوحيد. وهو طريق تدريجي من غرفة إلى غرفة. ومنها موضوعات الذكر الذي قد يتوه فيه الذاكرون، والحماسة، والتحرك في ضجر[3]. والإنسان يعطي لضعفه ويعطي لقوته[4]. وتظهر المقامات والأحوال التي تعبر عن مراحل الطريق ودون فصل بينهما مثل الغنى والاستغناء، والطمأنينة والخشية، والتوبة والإنابة والأوبة والهمة والظنون والتقوى، والمراد والمريد والرضا»[5]. ومن المقامات معلوم

(1) الشرع والحقيقة، نكاح عقده وعرس شهده، المواقف الأدبية، ما يخف على النفوس من الأوامر، كمية الأحكام الشرعية، أقسام أحكام الشرع في العلم الإلهي.

(2) قول ابن عمر في طائف معرض عن البيت، طواف وهاتف يجيبه، لباس أخته، حضرة الكعبة المعظمة بحال، توحيد في حضرة خيالية، ووقع لباسها بعد ذلك في الحر، الطهارة التي هي من شرائط الصلاة، المسح على الخفين، التيمم، الجنابة، الصلاة، أنواع الصلاة وأحوال المصلي، صلاة المسافر، الوتر، الجماعة، العيد، الجمعة، الكسوف، الاستسقاء، الاستخارة، الزكاة، صوم رمضان، الحج.

(3) إنكار الخلاف في الطريق، غرفة من فوقها غرف، فيه الذاكرين في الله، الحماسة، من تحرك عن ضجر.

(4) العبد يعطى لضعفه ويعطى لقوته.

(5) الغنى والاستغناء، الطمأنينة، الخشية، التوبة، الإنابة، الأوبة، الهمة، الظنون، المشيئة، =

ومجهول. وبطبيعة الحال يظهر التوحيد الذاتي، فالله ذات وليس موضوعاً، حالة وليس شيئاً مثل الفخر بالله، والاتحاد به وحده ذات وشهود ووجود، والوحدة شريفة مما يدل على أنها ليست فقط حكم واقع بل حكم قيمة[1]. والأسماء الحسنى أيضاً حالات نفسية حتى يتجلى الإنسان الكامل[2].

هـ ـ «مثنوي» جلال الدين الرومي(672هـ)[3]: وهو أضخم ملحمة صوفية في تاريخ الشعر الصوفي بالفارسية، والترجمة النثرية تفقد الشعر تجربته، والمعنى رونقه، والأسلوب عظمته. ولا يحصل القارئ من الترجمة النثرية أي تجربة أدبية أو صوفية. تفقد التجربة النثرية غنائية الشعر، ومخاطبته المباشرة للوجدان. تقرأ بالعقل ولا تدرك بالذوق. تبين أهمية الشعر كأداة لتوصيل علوم الذوق. وتتوالى الحكايات بلا رابط. وتتخللها بعض الآيات القرآنية كرابط. فكل حادثة تحقيق لمناط آية. ومعظمها حكايات عن الملك أو الحيوانات كما هو الحال في «منطاق الطير». وتظهر المقامات والأحوال في ثنايا التجربة الصوفية. كما تظهر معجزات الرسول، وكرامات الدراويش، وقصة موسى والخضر، والحواريين معاوية وإبليس. ويظهر تاريخ الأديان والنبوات وفي مقدمتهم نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومريم ثم التركيز على شخصية محمد. وتنقد المجوسية في فارس وباقي أنبياء الفرس. ويظهر شعر الطبيعة الرمزي. فالبستان هو المرأة. وتبدو مناجاة الأفلاك جزءاً من شعر الطبيعة. ويذكر العديد من الآيات القرآنية داخل الشعر نصاً أو روحاً[4]. ومن الموروث يذكر الحلاج وإبراهيم ابن أدهم[5]. ويذكر الوافد أحياناً مثل جالينوس، سوفسطائي. وبعض نواحي الطب[6]. وتتخلله بعض جوانب الأدب الشعبي الممثل في شخصية جحا، وبعض

= المراد والمريد، المتقي، رضى الله وسخطه، ما سواه، المقام المجهول المذكور.

(1) مثل الفخر بالله، وصف حال إلهي، الاتحاد بل الأحد، شرف الوحدة الإنسان الكامل، في غلط القائل لا يصدر عن الواحد إلا واحد.

(2) الفرق بين الأسماء الإلهية من كونه متكلماً وبين ما بأيدينا من الأسماء الحسنى وهي أسماء أسمائه الحسنى.

(3) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة1996 (6أجزاء).

(4) السابق جـ1 (35).

(5) السابق جـ1 ص83.

(6) السابق جـ1 ص81.

الأمثال العامية وكليلة ودمنة[1].

و ـ ديوان عفيف الدين التلمساني(688هـ)[2]: وهو موزع على حروف الهجاء من الهمزة حتى الذال. ويدور حول موضوعين المحبة والوحدة. فالمضمون الصوفي أضخم من بحور العروض. وتظهر لغة الحب بحيث يصعب التفرقة بين الحب الإلهي والحب الإنساني، والجمال الجسدي والجمال الروحي. ولا ضير من استعمال لغة الحب المكشوف من خلع العذار للتعبير عن الاشتياق والطلب. كما تظهر لغة الجسد مثل لغة العيون ولمس الأيادي وتمايل الأجسام. وتظهر المقامات والأحوال مثل الصبر على الهجر والفرح باللقاء من ثنايا مقام المحبة. ويذكر الحلاج باعتباره شهيد العشق[3].

ز ـ ديوان البرعي(803هـ)[4]: وهو ديوان العارف بالله تعالى أحمد بن علي البرعي الهاجري اليماني. يؤكد على مدى التماثل بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية. تم تجميعه طبقاً للقافية. وتظهر اللازمة الشعرية في بعض أشعار الأبيات المتكررة[5]. والموضوع مدح الرسول والثناء على الله والوعظ والاعتبار الصوفي. لا فرق بين الله والرسول والولي. ففي الرسول يكون الشوق إليه، والتغزل فيه، والابتهال إليه، والصلاة عليه[6]. وفي الله يكون مدحه، وشكر نعمته وعدم الركون إلى خلقه، والشهادة على وحدانيته، والاستدلال عليه، والتوسل إليه، ورجاء فضله، وتقديس أسمائه الجميلة[7]. وفي الولي ذكر فضائل الصوفية، والغزل في الكعبة، والطريق إلى الحق وبعض المقامات والأحوال مثل السكر، والوعظ والاعتبار بالقرون الماضية والنصيحة، والثناء على عشرات من المشايخ والأعلام بأسمائهم[8]. كما يتم الاقتداء بآل البيت مثل علي والحسين وبعض كبار

---

(1) السابق جـ2 ص263.

(2) أخبار اليوم، القاهرة1990م.

(3) ديوان عفيف الدين التلمساني ص101.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ.

(5) السابق ص19.

(6) السابق ص 15/ 19/ 22/ 87.

(7) السابق ص92-93/ 99/ 105/ 111/ 123.

(8) السابق ص25/ 31/ 37/ 71/ 150/ 177.

الصوفية. مثل الجنيد والشبلي ومعروف الكرخي والجيلاني ويظلهم جبريل[1]. كما يتم تحليل بعض التجارب الذاتية مثل إشراف ولده على الموت، وعتاب شيخه لعدم زيارته، ومواقف إنسانية أخرى تدل على أن التصوف جزء من التجارب الذاتية في الحياة اليومية[2]. وتنتهي القصائد بأبيات من عمل بها جمع خير الدارين[3].

ح ـ قصيدة «النادرات العينية» لعبد الكريم الجيلي (826هـ): وهي أكبر قصيدة صوفية بعد تائية ابن الفارض[4]. والعينية لأن قافيتها العين مثل قصيدة النفس عند ابن سينا. والنادرات أي البوادر أو المبادرات. وهي قصيدة رمزية بلغة القوم ومصطلحاتهم. موضوعها المحبة آخر مرحلة في العلم، وأول مرحلة في المعرفة، وباطن العبادة، والتحول من الفقه إلى الأخلاق. والعالم من صنع الخيال لأن الله وحده هو الموجود الحق. بالإضافة إلى سيرة ذاتية للشاعر، والروح والجسم والأفلاك، وعلاقة الشيخ بالمريد.

ط ـ ديوان العارف بالله تعالي سيدي محمد البوزيدي المستغانمي (1229هـ)[5]: ويتضمن خمس عشرة قصيدة. موضوعها المحبة مثل ابن الفارض وبعض الموضوعات الخلقية الأخرى. فالتصوف الخلقي طريق إلى التصوف النظري أي التوحيد.

ي ـ «ديوان آيات المحبين في مقامات العارفين» للعارف بالله الشيخ عدة بن تونس المستغانمي[6]: ويتكون من ست وأربعين قصيدة. موضوعاتها رموز الحب مثل الشراب والعطش والسكر وما يتلوها من مشاهدة وقدر الوطن والقرية والهجر، والغزل في مصر.

ك ـ «القول الحق في مدح سيد الخلق» للنبهاني (1350هـ)[7]: وهو نظم في

---

(1) السابق ص26.

(2) السابق ص129/ 133.

(3) السابق ص195.

(4) تتكون من 534 بيتا في حين أن الثانية 667 بيتا.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م-1427هـ (2) ص157-176.

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (3) ص179-218.

(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (2) ص152 -156.

مدح الرسول. ويدخل من حيث المضمون في مدح الرسول أي في الوعي العملي في العودة إلى عالم السيرة، وتشخيص الرسول وتجسيمه في الحقيقة المحمدية. وهو ما طبع العقلية المعاصرة بطابع المديح لغير الرسول، حكام ووزراء وقادة ومسؤولين. ويخلو النظم من الآيات والأحاديث وأقوال الصوفية.

ل ـ ديوان العارف بالله أحمد المستغانمي (1353هـ)[1]: ويتكون من واحد وسبعين قصيدة من أوزان وأطوال مختلفة كلها في الحب الإلهي والشوق والسكر والشراب وبعضها في التصوف الخلقي والباطن والظاهر والخواص والعوام. والبعض الآخر في التصوف النفسي في الأحوال مثل القرب والبعد والقبض والبسط والمقامات مثل الرضا والشكر والزهد. وثالثهما في التصوف الفلسفي في الذات الإلهية وأشكال التوحيد والحقيقة المحمدية ومدح الرسول، والفناء والبقاء. في طريق السالكين والوصل والحجاب والستر والفرق والجمع، والبصر والبصيرة والأقطاب والأبدال. والبعض في حيرة العقل ويقين الكشف والبعض في الإنسان. ويظهر القرآن الحر في داخل الشعر[2]. ولا يذكر

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2006 (1) ص11-84.

(2) مثل:

الكل لها أواني ... ونفس وما سواها

السابق ص28.

وقد نذرت للرحمن صوما ... إذ في الكتمان عز واحترام

السابق ص39.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ... وله مزيد الحمد والثناء والشكر

واحلل عقدة من لساني، وأجعل لي وزيرا ... من أنصارك، ولا تخزني يوم الحشر

السابق ص41.

من صخر العرفان سقينا كيزان ... من يد ولدان مخلدينا

أهل الحقائق بين الحدائق ... على نمارق متكئينا

حال العارفين متقابلين ... على سرر مستبشرينا.

لهم احترام في كل العالم ... وعند الكرام الكاتبينا

السابق ص50.

بصراط مستقيم ... موصل للإيقان

فيها من ماء تسنيم ... من كل شيء زوجان

السابق ص56.

=

من أسماء الأعلام إلا روح الأستاذ البوزيدي[1].

م ـ «الدرر المنظومة الرقيقة في شرح الشريعة والطريقة والحقيقة» للعمراني الخالدي[2]: وهي أربع عشرة قصيدة في موضوعات التصوف المختلفة مثل التوحيد، والطريق، والأخوة، ومدح الشيخ، وتمجيد الرسول، والتشوق إلى الحضرة المقدسة، والتضرع إلى الله، والتوسل بأسماء الله، وذكره، وقراءة الورد، ومعنى الشريعة والحقيقة[3]. أكبرها الثالثة عشرة في معنى الشريعة والحقيقة، ثم التوسل بأسماء الله الحسنى[4].

4 ـ السيرة الذاتية

أ ـ «المنقذ من الضلال» للغزالي (505هـ)[5]: وهو كتاب نموذجي في فن

= فخلعت النعلين كذا الكونين   لئلا يبقي من بيني ثم نُوديت
السابق ص80.
تشكل بالإنسان   وبالروح مني
أنا لست إنسان   ولا من الجن
السابق ص33.

(1) بشرني روح الأستاذ البوزيدي عين المدد   إذ قال لي باجتهاد بعد أن قسم بالله
السابق ص20.
صخرة مع علي وعمر وبو بكر   عثمان زيد خالد وابن الجراح
السابق ص82.
تشكل بالإنسان   وبالروح مني
أنا لست إنسان   ولا من الجن
السابق ص33.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت2004م-1425هـ (5) ص151-199.

(3) هي: 1- التوحيد الخاص2- نهج طريق الصوفية الأخيار 3- أخذ الحيطة عند الانتساب إلى طريق الصوفية 4- الحث على حضور جميع الأخوة الصوفية 5- مدح شيخ التربية الكامل 6- الآداب مع شيخ القرية 7- مدح أهل التوسل بهم إلى الله 8- تمجيد الرسول 9- التشوق إلى الحضرة المقدسة وشرح طريق الوصول إليها 10- التضرع إلى الله وطلب رضاه والوصول إلى حضرته 11- ذكر الله وما له من قدر 12- قراءة الورد والاسم المفرد 13- معنى الشريعة والحقيقة 14- بغية المنى في التوسل بأسماء الله الحسنى.

(4) السابق ص183-191/ 192-199.

(5) مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت).

السيرة الذاتية الفلسفية ويتم فيها الانتقال من الفقه إلى الكلام إلى الفلسفة للحط أخيرا في التصوف، في تدرج من الأدنى إلى الأعلى[1]. وهو إجابة على سؤال غاية العلوم وأسرارها وغائلة المذاهب وأغوارها والمعاناة في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق. وتباين المسالك والطرق، والتحول من التقليد إلى الفهم، وتجاوز المتكلمين والباطنية والفلاسفة حتى الوصول إلى التصوف وجلاء الحق. والتحول من العلم الكسبي والتحصيل إلى العلم الكشفي. وقد أناف السن على الخمسين. ولما كان العلم ممكناً تبدأ السيرة الذاتية بنقد الموقف السفسطائي وجحد العلوم[2]. ثم تصنف الطالبين، المتكلمين أصحاب الرأي والنظر، والباطنية أصحاب التعليم وتقليد الإمام المعصوم، والفلاسفة أهل المنطق والبرهان. وأخيراً الصوفية خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة[3]. ثم يبرز موضوع «حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق إليها»[4]. ثم تأتي المرحلة الأخيرة في السيرة الذاتية عن «سبب نشر العلم بعد الإعراض عنه»[5]. وهو العلم اليقيني وليس الظني، علم التصوف ضد أسباب فتور الخلق وضعف إيمانهم من الخائضين في الفلسفة والتصوف ودعوى التعليم ومدعي العلم[6]. وتنتهي السيرة الذاتية برفض الخرافات والخزعبلات والأحجبة والسحر والأشكال الهندسية والمعجمية لعلاج الحامل التي عسر عليها الطلق وعلم التنجيم[7].

(1) «فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق، مع تباين المسالك والطرق، وما استجرأت عليه من الارتفاع إلى حضيض التقليد إلى يفاع الاستفسار، وما استفدته، أولاً من علم الكلام، وما احتويته ثانياً من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام، وما ازدريته ثالثاً من طرق التفلسف، وما ارتضيته أخيراً من طرق التصوف، وما أنجلى لي في تضاعيف تفتيش عن أقاويل الخلق من لباب الحق، وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة، وما دعاني إلى معاودتي نيسابور بعد طول المدة فابتدرت لإجابتك على مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك. . .» السابق ص3.

(2) مداخل السفسطة وجحد العلوم، السابق ص7-12.

(3) القول في أصناف الطالبين ص12-51.

(4) السابق ص51-57.

(5) السابق ص57-60.

(6) السابق ص60-66.

(7) السابق ص66-70.

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[1]. كما يحيل إلى الفرق الإسلامية، المتكلمين والباطنية والفلاسفة (اليونان) والصوفية والمتفلسفة الإسلاميين مثل ابن سينا والفارابي وإخوان الصفا[2]. ويحال إلى الفرق غير الإسلامية مثل النصرانية. ولأول مرة يُحال إلى الفلاسفة بمعني الوافد أي فلاسفة اليونان «أرسطوطاليس» ثم أفلاطون ثم سقراط ثم فيثاغورث وجالينوس[3]. وهم الإلهيون مع الطبيعيين والدهريين (الزنادقة). ومن الصوفية يحيل إلى المحاسبي ثم الجنيد والشبلي والبسطامي[4]. للتمييز بين المضمون الخلقي عند المحاسبي والتصوف النفسي عند الجنيد والشبلي والبسطامي. ويحال إلى الفقهاء أحمد بن حنبل ثم الشافعي ثم أبو حنيفة لبيان الاتفاق بين الفقه والتصوف، بين الشريعة والحقيقة[5]. ويحيل الغزالي إلى عشرة من مؤلفاته الأخرى لبيان وحدة مشروعه سواء في الفقه مثل «فيصل التفرقة» أو في الكلام «المقصد الأسنى»، أو في الفلسفة في «تهافت الفلاسفة» أو في المنطق في «القسطاس المستقيم»، أو في التصوف في «الإحياء» و «كيمياء السعادة»، أو في الرد على الباطنية في «المستظهري» و «حجة الحق» و «فيصل الخلاف» و«الدرج المرقوم». ومن كتب الصوفية يحيل إلى «قوت القلوب» لأبي طالب المكي الذي دخل معظمه في «الإحياء» مع «اللمع» للطوسي. ومن المدن تذكر بغداد ونيسابور.

ب ـ فهرست مؤلفات ابن عربي[6]: والاسم ليس من ابن عربي. وهي إجازة للسلطان للرواية عما فيها بعد التعرف على الخط[7]. لذلك تدخل في السيرة الذاتية

---

(1) الآيات (17)، الأحاديث (11)، الأشعار (1).

(2) الصوفية (2)، المتكلمون، الباطنية، الفلاسفة، المتفلسفة الإسلاميين (1)، ابن سينا (1)، الفارابي، إخوان الصفا (3)، النصراني.

(3) أرسطو طاليس (7)، أفلاطون (3)، سقراط (2)، جالينوس، فيثاغورث (1).

(4) المحاسبي (4)، الجنيد، الشبلي، البسطامي (1).

(5) أحمد بن حنبل، أبو حنيفة (3)، الشافعي (2).

(6) رسائل ابن عربي جـ1 (1) ص43-68.

(7) «وهذا لفظي. استخرت الله تعالى، وأجزت للسلطان الملك المظفر بهاء الدين غازي ابن الملك العادل المرحوم إن شاء الله أبي بكر بن أيوب وأولاده ولمن أدرك حياتي الرواية عني في جميع ما رويته عن أشياخي من قراءة وسماع ومناولة وكتابة وإجازة وجميع ما ألفته وصنفته من ضروب العلم، وما لنا من نثر ونظم على الشرط المعتبر بين أهل هذا الشأن. وتلفظت بالإجازة عن تقييدي هذا الخط. وذلك في غرة المحرم سنة اثنين وثلاثين =

كشكل أدبي. تبدأ بذكر الشيوخ[1]. ثم تثني بذكر المؤلفات[2]. وقد كتبها قبل أن يتوفى بست سنوات بدمشق. وما ورد على قدر ما سمحت به الذاكرة. فهو ليس إحصاء شاملاً للشيوخ ولا للمؤلفات كما يفعل الباحثون اليوم خاصة والمستشرقين منهم. ولا يذكر القرآن إلا مرة واحدة[3]. ولا يظهر الوعي التاريخي إلا مرة واحدة في إشارة إلى الحلاج[4]. ومنها اختصار كتب الحديث والجمع بينها وبعض الأمور الباطنية مثل المثلثات الواردة في القرآن.

جـ ـ «رسالة اللمعة الموسومة بكشف الغطا عن إخوان الصفا» لابن عربي[5]:

ويتجلي الوعي التاريخي المتأخر عند ابن عربي لدى ذي النون وإخوان الصفا. ولا يذكر اسم «إخوان الصفا» في الرسالة. ولا يعتمد على أي آية أو حديث نبوي أو قدسي أو شعر أو قول صوفي. بل هي تنظير عقلي برهاني خالص كما تعبر المقدمة عن ذلك[6]. يسميهم إخوان التجريد بالرغم من اعتمادهم على الشواهد النقلية، القرآن والحديث والشعر وأقوال الحكماء والكتب المقدسة بما في ذلك الديانات الشرقية وحكماء فارس والهند والأمثال العامية والثقافات الشعبية. وتقسم الرسالة إلى أربعة فصول بلا عناوين. الأول عن العلة والمعلول وكمالاته. والثاني عن العلم والمشاهدة. والثالث عن معرفة الذات. والرابع في معرفة الكون. وكل درجة دنيا تؤدي إلى الدرجة العليا.

= وستمائة بمحروسة دمشق. وكان في استدعائه أن أذكر له من أسماء شيوخي ما تيسر لي ذكري منهم. وبعضهم مسموعاتي، وما تيسر من أسماء مصنفاتي. فأحببت استدعاءه، نفعنا الله وإياه بالعلم. وجعلنا وإياه من أهله. إنه ولي كريم»، السابق ص43.

(1) من الشيوخ يذكر ستين شيخا، السابق ص44-49.

(2) ومن مؤلفاته يذكر 284 مؤلفا. وهي تربو على الثلاثمائة كما أحصى بركلمان وعثمان ويحيى فيما بعد. وتدور حول موضوعات التصوف كلها ومراحله الخلقية والنفسية والنظرية والعملية.

(3) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ﴾ في العمل السادس «الاحتفال فيما كان عليه الرسول من سني الأحوال».

(4) السراج الوقاد في شرح كلام الحلاج، العمل 24، السابق ص52.

(5) رسائل ابن عربي جـ1 (4) ص149-153. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

(6) «فإن هذه اللمعة موسومة بكشف الغطا لإخوان الصفا»، «أبرزتها الرحمة الإلهية الأزلية لترقي أرباب النظر والبرهان إلى رتبة أصحاب العبر والعيان»، السابق ص149.

5 ـ المكاتبات والتراجم والرسائل والمسائل

أ ـ رسائل ابن عربي(638هـ)

1 ـ رسالة إلى الإمام الرازي[1]: ليس لها موضوع محدد بل مجرد رسالة. وفي نهايتها عناوين جانبية مثل: فعل، إشارة، إشارة أخرى، إشارة تالية، من كلام ابن عربي، كتاب الحلاج، شعر لغز به، البسملة، كلام الشيخ مما يبين بنيتها الضعيفة. تعتمد على القرآن ثم الحديث والشعر[2]. ومن الصوفية يذكر الغزالي. ومن الطرق يُذكر المتكلمون والحكماء والفلاسفة. ويحال إلى كتاب «فضائل الشهادة» لأبي طالب المكي.

2 ـ «كتاب التراجم»[3]: ويوحي العنوان بأنه في السيرة الذاتية أو الوعي التاريخي، ولكن يعني في الحقيقة الترجمة عما في النفس والتعبير عن الأفكار. ويتكون من أبواب. وكل باب من لطائف وإشارات، وسؤال وجواب[4]. وكل باب ترجمة لموضوع[5]. وبعض الأبواب ترجمة فقط دون موضوع. وموضوع بعض الأبواب آيات قرآنية، وتتكرر بعض الموضوعات مثل المنة والعبادة. ويبرز موضوع الإنسان الكامل، رجلاً أو امرأة. فهو ليس رجلاً بالضرورة. ويعتمد على القرآن والحديث. والقرآن نصي وحر. والحديث نبوي وقدسي[6]. ومن أسماء

---

(1) رسائل (1) جـ1 (15) ص1–14.

(2) الآيات (3)، الأحاديث، الأشعار (1).

(3) رسائل (1) جـ2 (18) ص1–61.

(4) الإشارات (190)، اللطائف (140)، لطيفة وإشارة، جواب (1).

(5) مثل: القهر، الكبرياء، الفتح، الإجابة، التعريف، الثبات، العدل، التعظيم، المنة، الغيرة، الوجود، الجمع، التقديس، الاستواء، الباطن، الرحمة، الوعظة، الأنانية، السيادة، الوهب، التبعة، الكمال، الكثيب، الشريعة والحقيقة، خبيثة ابن صائد، التقليب، المشاورة، حمد الملك، المغفرة، الإخلاص، انبعاث نور الصدق، الصف الأول، الجمع والوجود، فتح الأبواب، مالك الملك، الاشتراك بين النفس والروح، القسمة، السبب، الأقصى، أرض العبادة، الأدب، البهائم، السعر، إياك أعني فاسمعي يا جارة، وإن إلى ربك المنتهى، العالم، العناية، القضاء، العبادة، الغيب، الوفاء، المفهوم، التوقيع، التسخير، السلب والتنزيه، القدرة، الذكر، المحبة، الصرف، النوراني، قدر القرب، الاستفهام، الجزاء، الهادي، الحجاب، الرداء.

(6) الآيات (55)، القرآن الحر (22)، الأحاديث (3)، القدسية (2).

الأعلام يتقدم أبو السعود ثم أبو طالب المكي والغزالي وسهل بن عبد الله وأبو عقال المغربي[1]. ومن الأنبياء محمد. ومن الأتقياء آسية امرأة فرعون ومريم العذراء[2].

3 ـ **«كتاب الكتب»**[3]: وهي رسائل ابن عربي، حقيقية أو متخيلة[4]. تعتمد على القرآن والشعر والحديث[5]. ويذكر بعض المرسل إليهم. ومن الصوفية الجنيد والمحاسبي[6]. ومن الأنبياء موسى ويوسف ومحمد وهارون[7]. ويعتمد الأسلوب على المحسنات البديعية.

4 ـ **«تاج الرسائل ومنهاج الرسائل»**[8]: والعنوان الكامل يضيف «المودعة في المعاني الروحية»، وهي ثمان رسائل متخيلة إلهية نزلت قدسية على عبد الحي، واتحادية على عبد العليم، وسريانية على عبد الشكور، ومشهدية على عبد النصير، وفردوسية على عبد السميع، وعذرية على عبد الودود، ووحدوية على عبد القادر. وهناك صلة بين موضوع الرسالة والرسول التي ترسل بها، الإلهية والقدسية والحياة، الاتحاد والعلم، السريانية والشكر، المشاهدة والبصيرة، الفردوس والسمع، القدرية والود، الوجود والقدرة. وتتخللها تأويل الحروف[9]. والمرسِل محمد بن علي والمرسل إليها كعبة الحسن، الرسول الشيعي والمرأة الجميلة. ويوصف المرسل أحياناً بالودود أي المحب. والأسلوب أسلوب المخاطب. وتعتمد على القرآن والشعر والحديث[10]. ومن الصوفية يذكر الشبلي والبسطامي.

---

(1) أبو السعود (2)، أبو طالب المكي، الغزالي، سهيل بن عبد الله، أبو عقال المغربي.

(2) آسية، مريم (1).

(3) رسائل (1) جـ2 (21) ص1-56.

(4) هي 44 رسالة.

(5) الآيات (20)، الأشعار (14)، الأحاديث (3).

(6) أبو القاسم العماد بن السكري، أبو أحمد، أبو اسحق بن طريف، أبو الحسن الخوئي، أبو عبد الله المحاسبي، الجنيد (1).

(7) موسى، يوسف (2)، محمد، هارون (1).

(8) رسائل ابن عربي جـ2 (8) ص237-285.

(9) السابق ص260-261.

(10) الآيات (15)، الأشعار (12)، الأحاديث (5).

ومن الصحابة بلال. ومن الشعراء بشار. ومن الأنبياء محمد ويوسف. ومن النساء زليخا[1]. في أولها الإجازة[2]. وفي أخرها الرواية السماعية[3].

5 ـ **«كتاب المسائل»**[4]: وهي مجموعة من المسائل الفلسفية مثل مسائل الفارابي. تطول وتقصر. تبدأ بفصل بلا عنوان ثم ترقم المسائل[5]. تغلب عليها الموضوعات النظرية الفلسفية الخالصة. العاشرة منها في الحقيقة المحمدية. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر[6]. ومن الفرق يذكر الأشاعرة والمعتزلة والقدماء[7]. وأسلوبها مثل أسلوب الإخوان «انظر وفقك الله».

ب ـ رسائل ابن سبعين (669هـ)[8]: عرف ابن سبعين بأنه من أنصار «الوحدة المطلقة» مثل هيجل. لم يكتب مؤلفات بل ترك رسائل متفرقة، عشرين رسالة تتفاوت كما. أطولها شرح عهد بن سبعين لتلاميذه «في علاقة الشيخ بالمريد، والرسالة الرضوانية، وعن التوبة[9]. وتدور الرسائل حول عدة موضوعات في الأخلاق العلمية مثل «الرسالة الفقيرية» التي ينتقل فيها من الأخلاق إلى الوجود، و «كتاب فيه حكم ومواعظ» «رسالة النصيحة أو التوبة»، ورسالة أخرى بلا عنوان وهي الفضائل، ورسالة في عرفة يتم فيها الانتقال من الفقه إلى التصوف[10]. وهناك رسائل في التصوف النفسي ابتداء من وصف الطريق وعلاقة الشيخ بالمريد مثل «عهد ابن سبعين لتلاميذه» وشرحها و «ملاحظات في يد العارف» و «وصية ابن سبعين لأصحابه». ثم هناك وسائل في المقامات مثل

---

(1) البسطامي، الشبلي، بلال، بشار (1)، محمد (2).
(2) تاج الرسائل ص235/ 284-285.
(3) لم نستطع تحليل رسالة في سؤال اسماعيل بن سودكين نظراً لسقوطها من الطبعة العثمانية عند التجليد، رسائل (1) جـ1/ 14.
(4) رسائل (1) جـ2 (22) ص1-36.
(5) هي 53 مسألة.
(6) الآيات (18)، الأحاديث، الأشعار (2).
(7) الأشاعرة (3)، الأشعري (1)، المعتزلة، القدماء (1).
(8) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1965.
(9) شرح العهد (84)، الرسالة الرضوانية (40).
(10) رسائل ص1-38/ 151-189/ 298-207.

«الرسالة الرضوانية» في التوبة دون رسائل في الأحوال[1]. ثم تأتي معظم الرسائل في التصوف الفلسفي عامة والوحدة المطلقة خاصة مثل «الرسالة القوسية» في رسم الكون و «كتاب الإحاطة» في وجود الكل ثم رسالة بلا عنوان في الذات الإلهية، ورسالة في «أنوار النبي» عن الحقيقة المحمدية، و «رسالة الله بلسان نوره» وأربع رسائل بلا عنوان، ورسالة الألواح المباركة. كلها تدور حول الوحدة المطلقة. وتجلي الله في الكون. وتتردد في أحد الرسائل لازمة «الله فقط»[2].

وتتعدد الأساليب وطرق التعبير من النصائح والمواعظ والمناجاة ولكنها خالية من العرض النظري الخالص ومن الترتيب المنطقي. تتكرر فيها الموضوعات. لا يوجد مصطلح «الوحدة المطلقة» الذي عرف به، ولكن يستعمل لازمة «الله فقط» أو لفظ «الوحدة»[3]. وتوحي المناجاة بالانتقال من وحدة الشهود إلى وحدة الوجود. ينقد الفلاسفة المشائين الذين اكتفوا بالفلسفة العقلية المجردة دون أن يكون لها رصيد في التجربة الذوقية. ويستعمل الكثير من الآيات والأحاديث والأشعار[4]. والبيت الذي يعبر عن فلسفته هو:

وفـــي كـــل شـــيء لـــه آيـــة تـــدل عـــلـــى أنـــه الـــواحـــد

ومع ذلك يظل التنظير له الأولوية على الشواهد النصية والشعرية. كما يستعمل بعض آيات الزبور لداود[5]. فكما أن الكون واحد، الأديان واحدة. ومن الصوفية المسلمين يذكر إبراهيم بن أدهم خاصة صاحب التجربة الشخصية، ومن الوافد يذكر سقراط وأفلاطون[6]. ومن العصر الوسيط يذكر الافرنج والبابا وقد كان ابن سبعين في علاقة مع فردريك الثاني ملك صقلية كما يبدو ذلك في «المسائل الصقلية»[7].

---

(1) السابق ص43-129/ 247-258/ 312-315/ 316-356.
(2) السابق ص39-42/ 120-150/ 190-246/ 259-397/ 357-361.
(3) وصية ابن سبعين لأصحابه، رسائل ص314.
(4) الآيات (27)، الأحاديث (13)، الأشعار (27).
(5) رسائل ص164.
(6) السابق ص161-162.
(7) انظر دراستنا: روح الأندلس ونهضة الغرب الأحاديث، قراءة في المسائل العقلية =

حـ ـ مكاتبات ابن عطاء الله السكندري إلى بعض إخوانه ومريديه (709هـ)[1]: وهي نوع أدبي، رسائل متبادلة بينه وبين بعض الإخوان. وهي خمس رسائل، مملوءة بالمصطلحات الصوفية. والبعض منها بناء على سؤال[2]. وأغلبها أخبار عن الطريق بدايته ونهايته أو نصائح عملية للسلوك. تعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية[3].

سادساً: تناثر البنية

ثم بدأت بنية العلم بعد أن اكتملت في القرن الخامس، «الإحياء» نموذجا في الانحلال والامتداد عرضاً لا طولاً، في الاتساع وليس في العمق، نحو أقطاب جديدة مثل الكون والله والإنسان والكون أو الوجود أو العالم في «الفتوحات» والإنسان في «مكاشفة القلوب» و «روضة الطالبين» للغزالي (505هـ)، و«فتوح الغيب للجيلاني» (561هـ)، في «منارات السائرين» و «مقامات الطائرين» للرازي(654هـ) و«عوارف المعارف» للسهروردي (632هـ)، و«كتاب فيه ما فيه»، للرومي (672هـ)، و«طهارة القلوب» للديريني (694هـ)، و«آداب الطريقة وأسرار الحقيقة» للكاشاني (730هـ)، و«روضة التعريف بالحب الشريف» لابن الخطيب (776هـ)، و«سر الأسرار» للقادلي (963هـ)، و «نزهة المجالس» للعصفوري (1043هـ).

1 ـ للغزالي (505هـ)[4]

أ ـ «مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف»: ويدل العنوان على الجمع بين التصوف النظري المعرفي في «مكاشفة القلوب» وعلى التصوف العملي كطريق في «المقرب إلى حضرة علام الغيوب». وهو أيضاً تلخيص

= لابن سبعين هموم الفكر والوطن حـ1 الذات والعصر والحداثة، دار قباء، القاهرة 2003، ص145-164.

(1) دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427 هـ (3) ص81-93.

(2) السابق ص85.

(3) الآيات (16)، الأحاديث (3).

(4) مكتبة صبيح، القاهرة (د.ت).

«الإحياء» دون بنيته الرباعية. ويتكون من مائة وأحد عشر باباً متناثرة الموضوعات. يتكرر بعضها. وتدور محاورها حول التصوف الخلقي، الرذائل والفضائل، والتصوف النفسي، المقامات والأحوال، والتصوف الفلسفي، الله والإنسان والعالم، والتصوف العملي كالطريق والطريقة وآداب الشيخ والمريد[1] ولا فرق بين الأصل «الإحياء» والاختصار من حيث كثرة الأدلة النقلية التي زادت على حساب الأدلة العقلية. والغرض من زيادة الفصوص الإرهاب والتخويف والحذير.

ويعتمد على الآيات ثم الأحاديث ثم الأشعار[2]. كما يعتمد على بعض الإسرائيليات بمناسبة قصص الأنبياء. وتذكر الأحاديث بلا أسانيد. فالغاية هي

---

(1) ضمن التصوف الخلقي تبرز موضوعات الأمانة في الصلاة والترحم، والقناعة، والفقر، والتواضع، والصدقة، وقضاء حاجات الناس، والإيمان. ومن تحول الفقه إلى أخلاق تبرز موضوعات الخضوع، والخشوع في الصلاة، والوضوء، وطاعة الله، والزكاة ضد البخل، وترك الحرام، والربا، وفضل المسجد، وصلاة الجماعة، وصلاة الليل، وفضائل رجب وشعبان ورمضان وليلة القدر والعيد والأيام العشرة لذي الحجة، وعقوبة شارب الخمر، والنهي عن البدعة، وتجنب الغيبة والنميمة، والزنا، وطول الأمل رغبة في الدنيا، وترك الدنيا وذمها وغرورها وذم المال والكبر والعجب والنفاق، وتلبيس الحق بالباطل، وعقوبة علماء الدنيا، ومن التصوف النفسي تبرز المقامات مثل الصبر، والتوبة، والمحبة وما يتعلق بها من عشق، والتوكل والأرزاق، والشكر،والرضا، والأحوال مثل الخوف، وثنائيات أخرى مثل الضحك والبكاء، ومن التصوف الفلسفي تبرز موضوعات مثل محبة الرسول التي تؤدي إلى الحقيقة المحمدية، ومعراج النبي ووفاته، والملائكة، والولاية، والنفخ، والفزع، والحشر، والأعمال، والميزان، والصراط، وعذاب النار، والقضاء، وعلم اليقين وعين اليقين، وأهوال أهل القيامة، وصفات الجنة ومراتب أهلها. ومن التصوف العلمي تبرز موضوعات الطريق مثل الرياضة، والشهوة، وغلبة النفس، ومعاداة الشيطان، والغفلة والنسيان، وإبليس وعذابه رمزاً، وعداوة الشيطان ومكره، وذكر الموت والجنازة والقبر وشدته، والقبر وسؤاله، وسؤال يوم العرض، والسموات، والتفكر وذم الهوى، وفضل أهل الكرامة، ومحاسبة النفس، والسماع. ومن المعاملات بر الوالدين، وحقوق الأولاد، وحق الزوج على الزوجة. ومن الموضوعات السياسية يبرز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنهي عن الظلم عامة، وظلم اليتيم خاصة، والإحسان إليه، وحقوق الإنسان (العبد)، وفضل الجهاد، وضيافة الفقراء، وحسن الخلق، وفضل القرآن، والعلم والعلماء، والإحسان إلى المساكين. وألقاب الغزالي «العالم العامل والحبر الفاضل الكامل عن أعيان أكابر العلماء وأستاذ الأساتذة الكملة النجباء أستاذ الشريعة شمس مشايخ الإسلام الشيخ الغزالي بوأه الله دار السلام بسلام».

(2) الآيات (350)، الأحاديث (270)، الأشعار (52).

المتن لتعليق المطلوب عليه. ومعظمها حكايات أكثر منها أقوالاً، ومواعظ أكثر منها قضايا وتعريفات. وعلى الرغم من الوعي بالقسمة العقلية إلا أنها نادراً ما تظهر[1]. ويقل الربط بين الفقرات لأنها مجتزأة من الكل. وتظهر بعض الألفاظ الرابطة مثل: نكتة، حكاية. ويتم الاستشهاد بأقوال الصوفية وبعض الحكماء بالرغم من الهجوم على الفلسفة والفلاسفة. فمن الصوفية يأتي في المقدمة الجنيد ثم الشبلي ثم ذو النون وإبراهيم بن أدهم ثم مالك بن دينار ويحيى بن معاذ ثم إبراهيم الخواص والحلاج والتستري وسفيان الثوري والدقاق وشقيق البلخي ورابعة والسري السقطي والفضيل بن عياض وبشر الحافي وأويس القرني وأبو سليمان الداراني وغيرهم[2]. ومن الفقهاء يذكر الشافعي بطبيعة الحال نظراً لما بين الشافعية والتصوف من قربى. ومن الفلاسفة يذكر الحكماء[3]. ومن الشعراء الأدباء يذكر مجنون ليلى والفرزدق وابن المقفع والجاحظ، ومن النصارى يذكر كعب الأحبار. ومن الأنبياء يذكر عيسى رمز الولي، ويوسف رمز الصوفي، وموسى رمز الفقيه، وداود رمز القطب، وسليمان رمز الحكمة[4]. ويستشهد بالتوراة والإنجيل. ومن الفرق غير الإسلامية يذكر اليهود والنصارى والصابئة والمجوس والمشركون. ومن الوافد لا يظهر إلا أفلاطون مرة واحدة[5]. كما يحيل الغزالي إلى باقي مؤلفاته لبيان وحده المشروع[6].

ب ـ **«روضة الطالبين وعمدة السالكين»**[7]: وقد يدخل عملان مختلفان لمؤلف واحد تحت نوعين مختلفين من الوعي الصوفي. إذ يدخل «الإحياء» في

(1) مكاشفة القلوب ص2-4.

(2) الجنيد (9)، الشبلي (6)، ذو النون، إبراهيم بن أدهم (4)، مالك بن دينار، يحيى بن معاذ (3)، إبراهيم الخواص، الحلاج، التستري، سفيان الثوري، الدقاق، شقيق البلخي، رابعة، أبو تراب النخشبي، السري السقطي، الزنجاني، الفضيل بن عياض، بشر الحافي، أويس القرني، أبو الدرداء، داود الطائي، أبو زيد الرقاش، أبو سليمان الداراني. . .الخ (1).

(3) الحكماء (6)، الشافعي (5).

(4) كعب الأحبار (4)، موسى (25)، عيسى (20)، داود (7)، إبراهيم، لقمان (2)، سليمان، يحيى بن زكريا (1).

(5) مكاشفة القلوب ص74.

(6) باقي المؤلفات مثل: منهاج العابدين، بداية الهداية، رونق المجالس، مجمع اللطائف.

(7) مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت).

الوعي الموضوعي الخالص و«مشكاة الأنوار» في الوعي النظري في نظرية المعرفة و«روضة الطالبين» في الوعي النظري أيضاً في «تناثر البنية» وتفككها. ومع ذلك يمكن إعادة تجميع الأبواب في أنواع التصوف، الخلقي والنفسي والفلسفي والعملي بعد البداية بعلم الكلام «أركان الدين» وبالتحول من الفقه إلى الأخلاق. فمن التصوف الخلقي تظهر موضوعات الأدب والحياء والمراقبة والإخلاص وآفات اللسان والبطن ومخادعات الشيطان وحسن الخلق والفقر والمحاسبة والصدق ومكارم الأخلاق والقناعة وآفة الذنوب. ومن التصوف تظهر المقامات والأحوال، المقامات مثل: المحبة والتوبة والصبر والزهد والشكر والتوكل والرضا والشفقة. والأحوال مثل الأنس والقرب والخوف والرجاء والغيبة. ومن التصوف النظري تظهر موضوعات التوحيد والمعرفة والنفس والروح والقلب والعقل وشرف العلم والأسماء الحسنى والاعتقاد والصفات والنبوة والخواطر والفكر. ومن التصوف العملي تظهر موضوعات السلوك والطريق والوصول والوصال والفتوة والنية والسائل وصلاة أهل الغرب. وسبب تأليف الكتاب كي يتمسك به طالب الحق ويستعين به على سلوكه مع وعي بالبنية في مقدمة الكتاب[1]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر[2]. كما يذكر العديد من الفرق الكلامية مما يبين أن التصوف رد فعل عليها وفي مقدمتها المعتزلة أو القدرية. والصوفية هم الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة. والصوفي سني رشيد[3]. ومن المتكلمين الأشعري. ويعتمد على بعض أقوال الصوفية وفي مقدمتهم الجنيد ثم التستري وذو النون والبسطامي وإبراهيم بن أدهم[4].

2 ـ «فتوح الغيب» لعبد القادر الجيلاني (561هـ)[5]

وتتناثر فيه البنية المحكمة إلى ثمانية وسبعين مقالة حول موضوعات بلا نسق

(1) روضة الطالبين ص98.

(2) الآيات (53)، الأحاديث (27)، الأشعار (8)، القدسية (3).

(3) المعتزلة (4)، القدرية (2)، الجبرية، المشبهة، المعطلة، الرافضة، الفلاسفة، السنة والجماعة أو الناجية، الصوفية، الأشعري (1).

(4) الجنيد (4)، التستري، ذو النون (2)، يحيى بن معاذ، البسطامي، سفيان الثوري، ابن عطاء، القاضي عياض (كتاب الشفا)، إبراهيم بن أدهم (1).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ، (2) ص63-179.

يجمعها. أقلها في التصوف الخلقي مثل ذم الدنيا والورع والصدق والنصيحة وذم الحسد أو في التصوف النفسي والمقامات مثل التوكل والزهد والرضا والمحبة والشكر أو الأحوال مثل الخوف والرجاء والفناء أو في التصوف النظري مثل الموت. وأكثرها في التصوف العملي في الطريق مثل الابتلاء والتقرب إلى الله وملازمة بابه والدعاء والمجاهدة والمحاسبة. ويقوم على الأدلة النقلية، القرآن والحديث وبعض الأمثال العامية وتحليل التجارب الذاتية[1]. أمّا الشعر فيأتي جملة واحدة في مجموعة من القصائد في النهاية، أولها من القصائد الطوال[2]. ويشرح إحداها[3]. وتذكر بعض الإسرائيليات[4]. ولا يذكر أحد من أعلام التصوف.

3 ـ «عوارف المعارف» للسهروردي (ت632هـ)[5]:

فقد تناثرت بنية «الإحياء» الرباعية و «الفتوحات» السداسية إلى مجرد ثلاث وستين باباً تضم موضوعات متفرقة. وبالرغم من أن العنوان نفسه «عوارف المعارف» يدل على مرحلة التصوف النظري. يغيب النسق وينفرط العقد. ويضم موضوع واحد عدة أبواب مثل الصوفية والتصوف، والملامتية. وهو أقرب إلى تعريف التصوف والصوفية[6]. ثم يغلب موضوع الطرقية والسماع وعلاقة الشيخ بالمريد والسفر والصحبة والرباط[7]. ثم يأتي موضوع الأخلاق والآداب أي التصوف الخلقي في المرحلة الأولى[8]. ثم يظهر موضوع الفقه والأخلاق، وتأويل الوضوء والطهارة والصلاة والصوم واللباس تأويلاً باطنياً[9]. ثم تظهر آداب الليل كنوع من الرياضة والمجاهدة[10]. ثم يأتي الإنسان والخواطر وهي ضمن العلوم

---

(1) الآيات (138)، الأحاديث (67)، القدسية (3).

(2) القصائد سبع عشرة قصيدة ص151-179.

(3) فتوح الغيب ص174.

(4) السابق ص114.

(5) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1939م- 1358هـ (على هامش «الأحياء») 4أجزاء.

(6) الأبواب 1-9.

(7) السابق10-25/ 51-55.

(8) السابق 26-32.

(9) السابق 33-40.

(10) السابق 45-50.

الكشفية[1]. وأخيراً تظهر المقامات والأحوال وهي صلب الطريق الصوفي في المرحلة النفسية في بابين اثنين[2]. ثم تأتي الخاتمة بعنوان «البدايات والنهايات»[3]. وتغيب باقي أبواب الفقه عن الزكاة والحج. كما يغيب موضوع التوحيد، وهو لب التصوف النظري في حين يتسع موضوع الشيخ والمريد بحيث يشمل نصف الأبواب كلها. ويظهر «الفناء والبقاء» في أحد الأبواب[4].

ويبدأ الصراع بين التصوف وباقي العلوم النقلية. فيتم نقد الفلاسفة الدهريين[5]. في حين يظهر التعاون بين التأويل والتنزيل. والصوفية أتباع الرسول والمقتدون بنسبه[6]. وبه كثير من الإيمانيات. ويخف التحليل النظري. فالصوفية ورثة الأنبياء وليسوا فلاسفة. وتظهر مصطلحات جديدة مثل علم الدراسة وعلم الوارثة أي العلم الكسبي والعلم اللدني[7]. وتظهر مركزية محمد كما هو الحال في«الفتوحات» في نظرية «الحضرة المحمدية». وهي إحدى الموضوعات الرئيسية في التصوف النظري. ويتم الحديث عن الصوفية باعتبارهم آخر، مما يدل على بداية التمايز بين الذات والموضوع، بين التصوف كتجربة ذاتية، والتصوف كموضوع. ويُدرس الموضوع ثم يوضع الصوفية في أحد أقسامه. بل وهناك محاولة لإضفاء الشرعية عليهم بعد أن بدأ الصراع بينهم وبين الفقهاء، ورفع اللبس عنهم، وتبديد الشبهات حولهم. وهناك عود إلى المرحلتين السابقتين، التصوف الخلقي والتصوف النفسي لقلة الإحكام النظري[8].

ويستشهد بكثير من الأحاديث سنداً ومتناً وإجازة[9]. ويبدأ كل باب بالسند قبل المتن. وتتكرر نفس الأحاديث ونفس الآيات. وتتكرر الإجازات في كل

(1) السابق 56-57.
(2) السابق 58-62.
(3) الباب 63.
(4) السابق جـ2/ 276.
(5) السابق جـ2/ 314.
(6) السابق ص354.
(7) السابق جـ1 ص229.
(8) السابق ص276.
(9) السابق جـ1 124/ 221.

باب، كما يستشهد بعديد من روايات الصوفية وحكاياتهم[1]. أما الأقوال فهي قليلة. وتروى بعض الأحاديث القدسية المرسلة لأنها أقرب إلى إبداع الخيال[2]. كما يظهر الرسول في المنام محدثاً وراوياً[3]. ويعتمد على مصادر مدونة. فقد أصبح التصوف ليس مجرد تجربة ذاتية بل دراسة موضوعية موثقة[4]. وتظهر بعض الشواهد الشعرية في باب السماع وما يتبعها من طاعة وقبول. وليس ثورة أو غضباً. ويستعمل القرآن استعمالاً حراً لتقوية الأسلوب في جانبه الشعري[5]. والنص مطابق للتجربة الإنسانية، لا فرق بين الخطاب ودلالته الذاتية. ويختفي التحليل النظري. كما تختفي الحجج العقلية. ولا تبقى إلا القسمة العقلية[6]. ويشبه أسلوبه في التحليل النظري أسلوب ابن عربي في «الفتوحات» دون ألغازه، مع مزيد من الوضوح. وهو أسلوب سهل تعليمي.

4 ـ «منارات السائرين ومقامات الطائرين» للرازي (654هـ)[7]:

والعنوان الكامل «منارات السائرين إلى الله، ومقامات الطائرين بالله». يشير إلى الطريق الرأسي من الإنسان إلى الله. فالسائر بالمنارات، والطائر بالمقامات. وهو استئناف لعمل آخر للمؤلف هو «مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد» بالفارسية. وكما انحلت القسمة الرباعية «للإحياء» إلى سداسية في «الفتوحات» كذلك انحلت القسمة السداسية للفتوحات إلى قسمة عشرية، بناء على ذكر العدد عشرة في القرآن وليس الموضوع ذاته[8] والعشرة كلها مقامات بالمعنى العام للفظ مقام وهو درجة أو منزلة وليس بالمعنى الخاص في مقابل الحال أي درجة السلوك في الطريق[9]. يظهر الإنسان في ثلاثة مقامات، الإنسان وخلافته في الأرض

---

(1) السابق ص258.
(2) السابق ص281-286.
(3) السابق ص273.
(4) السابق ص340.
(5) السابق جـ3/ 367.
(6) السابق جـ1/ 252/ 369 جـ2/ 251، 327، 331، 370. جـ3/ 6، 39.
(7) دار سعاد الصباح، القاهرة، الكويت 1993.
(8) وهي آية ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، منارات السائرين ص29.
(9) وهي: المعرفة، التوحيد، النبوة، الولاية، الإنسان، الخلافة، الرجوع، النفس، القلب، الروح.

ورجوعه إلى الله. وتشغل النفس والقلب والروح ثلاثة مقامات أخرى. والولاية والنبوة مقامان. والمعرفة والتوحيد مقامان. ويظهر المقام بالمعنى الخاص كجزء من مقام الولاية بالمعني العام مثل التقوى والزهد والصبر والرضا والمحبة. كما تبدو بعض الموضوعات الخلقية مثل الرذائل في مقام النفس مثل الكبر والمرض والحسد والشهوة والغضب والبخل والحقد. وتختفي الأحوال .وتغلب الموضوعات النظرية مثل النفس والقلب والروح على الموضوعات العملية مما يدل على التوجه نحو التصوف النظري. وتُوضع القسمة الجديدة المفصلة في بداية الكتاب مما يدل على وعي بمبدأ البنية التجزئية الجديدة .وكان الدافع إلى التأليف طلب أحد الأصحاب تصنيف كتاب يشرح مقامات العارفين وكرامات السالكين ومنازل السائرين ومراحل الحائرين لفائدة المبتدئين[1]. والمعرفة والتوحيد، المقامان الأولان للعوام والخواص وخواص الخواص. ومقام الإنسان مستمد من إخوان الصفا والتقابل بين الإنسان كعالم صغير والكون كإنسان كبير. والجديد في المقام السادس عن خلافة الإنسان في الأرض العودة إلى الإحساس بالمسؤولية عن العالم والالتزام بقضاياه، وتحمل الأمانة أو الرسالة. في الظاهر مقامات وأحوال طبقا للعنوان، وفي الباطن نظرية الفيض المستمدة من الفلاسفة. فقد عادت المقامات والأحوال إلى لحظتها الأولى في أنها جزء من العلم وليست جزءاً مستقلاً عنه. لذلك يذكر «الحكيم» و «السماع الطبيعي»[2].

5 ـ «كتاب فيه ما فيه» لجلال الدين الرومي (672هـ)[3]:

وهو نموذج للنص الذي تتناثر فيه البنية. إذ يضم واحداً وسبعين موضوعاً متفرقاً. يمكن إعادة تصنيفها في موضوعات التصوف الأخلاقي مثل: الدنيا والآخرة، والفقر والغنى، والخير والشر، وبعض الموضوعات في التصوف النفسي في المقامات والأحوال مثل المحبة وما يتعلق بها من العشق والشوق والسكر والرضا والشكر. وبعض موضوعات الطريق مثل الذكر والبلاء والجهاد. وبعض موضوعات التصوف النظري مثل الحق وتجلياته وعلاقة الإنسان به، والخلق وعهد

(1) منارات ص28-29.

(2) السابق ص232.

(3) دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق 2002م.

﴿أَلَسْتُ﴾ والتراب واليم والبحر وآدم. وبعض أمور المعاد مثل الموت والروح والجسد والجنة والنار. وبعض موضوعات المعرفة مثل الإيمان والكفر والظاهر والباطن والكشف والتجلي، ورؤية الأشياء كما هي، واليقين والنظر والمناظرة والنبوة والقرآن والرسالة والتأويل. والعنوان عبارة من ابن عربي. في الظاهر تحصيل حاصل «فيه ما فيه». وفي الباطن قانون الهوية للأشياء. وعناوين الفصول الواحد وسبعين إما آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو صور فنية[1]. وهو كتاب نظري لشاعر ولو أن أسلوب النثر يغلب عليه الطابع الشعري. ويتذوق الشاعر الشعر العربي للمتنبي وغيره من الشعراء. فالتجربة الصوفية تجربة شعرية. وقد جمع القرآن بين التجربتين. والتجربة عربية بأسلوب أدبي راق وكأن النص مكتوب أصلاً بالعربية. ويعتمد الكتاب على عديد من الأدلة النقلية، الشعر ثم القرآن ثم الحديث[2]. وبعض الفصول آيات وأحاديث مثل «الفتوحات». لا يهم السند في الحديث بل المتن. فقد بعُد العهد عن تدوين الحديث. ولا يذكر الرسول بل المتن فقط كمطلق. ما يهم الشاعر هو النص كتجربة شعرية له أبعاده الجمالية سواء كان من القرآن أو من جوامع الكلم من الحديث وليس رواية أو حكاية. ولا يكاد يخلو موضوع من آية أو حديث أو بيت شعر باستثناء القليل[3]. وما وجد منها قصص خيالية ومواقف أدبية. وهي البنية التي يزدهر فيها الفكر الديني عامة والتجارب الصوفية خاصة. كما تذكر أحاديث حوارية بين الرسول والخضر وكأن الرسول وليٌّ من الأولياء[4]. وكثير من المتون رموز مثل أقوال الصوفية[5]. وقد تذكر بعض الأقوال دون قائليها مثل ذكر المتن دون السند. فالمهم هو النص

(1) الأبواب التي عناوينها آيات (5)، والتي عناوينها أحاديث (6) الأبواب التي عناوينها صور فنية وتشبيهات مثل: المخاض الموصل، عرائس الأسرار، البحر والزبد، ماء الحياة، شيخ اليقين، أرض الله واسعة، لا يكون نقش دون نقاش، هذه القطرة من ذلك اليم، القرآن ديباج ذو وجهين، الشكر صيد للنعم، النطق شمس لطيفة، شعاع، الغنى، المعلم والصانع، جري الحصرم إلى سواد العنب، نفائس الكنز....الخ.

(2) الأشعار (137)، الآيات (135)، الأحاديث (35).

(3) «كتاب فيه ما فيه، الحكايات» ص43-44/ 49-50/ 52/ 65-66.

(4) السابق، الحكايات ص111.

(5) السابق ص116.

وليس صاحبه، والقول وليس مؤلفه[1]. تتوالى الأحاديث في دفعات كطلقات مدفع رشاش. ويذكر حديث قدسي واحد يساعد على إثارة الخيال الشعري. ويروي عن الخضر، إمام الصوفية والتأويل[2]. كما يعتمد على بعض أقوال الصوفية مثل البسطامي الذي أخذ أحد أقواله عنوانا لفصل[3]. ويعتمد على تاريخ الأديان المقارن وحكايات عيسى ومريم وبعض حكايات المجوس عن أهرمان وأرمزدا[4]. وأحياناً يعتمد على تحليل التجارب. فالتجارب الشعورية أساس التجربتين الصوفية والشعرية[5].

6 ـ «طهارة القلوب والخضوع إلى علام الغيوب» للدريني (697هـ)[6]:

وتتناثر البنية الرئيسية للتصوف، الرباعية في «الإحياء» أو السداسية في «الفتوحات» إلى ثلاثين فصلاً كما حدث في «عوارف المعارف»، في موضوعات التصوف. كل موضوع مستقل بذاته ليبدأ بالبسملة والحمدلة. تتداخل فيها الفضائل من التصوف الخلقي كالإيمان والثناء والذكر والفكر والتقوى مع موضوعات الفقه الخلقي مثل ذكر شعبان وقدوم رمضان والاجتهاد مع المقامات والأحوال في التصوف النفسي، المقامات مثل التوبة والفقر والمحبة أو الأحوال مثل الخوف والرجاء أو في التصوف النظري مثل أمور المعاد، القيامة والوعيد والجنة أو في التصوف العملي في الطريق مثل العمل والعبودية والفرار إلى الله والاصطبار والمراقبة والإنابة والحذر والدعوة والدعاء وفضل أمة محمد. وهذا هو سبب التأليف، مجرد جمع مادة للانتفاع بها دون رؤية خاصة[7]. وتكثر فيه الأدلة

---

(1) السابق ص105.

(2) السابق ص190.

(3) من الصوفية يذكر أبو نعيم الأصفهاني (2)، الترمذي، سرزي (1). ومن الفقهاء أبو حنيفة (1)، الخضر (3).

(4) السابق ص54/ 89/ 139/ 190/ 331.

(5) السابق ص235.

(6) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ.

(7) «هذا كتاب فيه فصول يتذكر بها من أصغى إليها بسمع قابل. وينتفع بها من كان قلبه روضة يصيبها الطل والوابل. جمعتها ما بين آيات مفسرة، وأخبار مسندة مؤثرة، وخطب وعظية مبتكرة، وكلمات منقولة عن السلف الصالح، ونظم ونثر من كتب الأئمة العاملين. . .»، السابق ص8.

النقلية، القرآن والحديث والشعر[1]. وتدخل الإسرائيليات والاقتباس من الكتب المقدسة السابقة[2]. وأخبار المعجزات روايات وليست أقوال مباشرة. وهي أضعف من الأقوال المباشرة. كما يعتمد على الصحابة وأقوال الصوفية. فالصوفية استئناف للصحابة. يتقدمهم ذو النون ثم الحسن البصري والجنيد وسفيان الثوري ثم يحيى بن معاذ وإبراهيم بن أدهم وحاتم الأصم وغيرهم[3].

والنصف الأول من العنوان «طهارة القلوب» يوحي بالعودة إلى التصوف الخلقي. والنصف الثاني «الخضوع إلى علام الغيوب» بالعودة إلى التصوف النفسي أي نهاية التصوف النظري. ولمزيد من التشويق ظهر العنوان في المنام مثل علم المأمون و «موافقات» الشاطبي[4]. ويتكون من ثلاثين فصلاً متناثرة الموضوعات بلا نسق. وفي آخرها «فصول تضرع نختم بها الكتاب»[5]. وتختلط موضوعات التصوف الخلقي مع موضوعات التصوف النفسي مع موضوعات التصوف النظري. ويحل الإيمان والثناء والذكر والفكر وذكر النبي محل نظرية العلم[6]. ثم يظهر الاغتراب في الأخرويات، القيامة والوعيد والجنة[7]. ثم تظهر موضوعات التصوف النفسي، المقامات مختلطة بالأحوال، المقامات مثل التوبة والعبودية والمحبة، والأحوال مثل الخوف والرجاء[8]. وتظهر موضوعات التصوف الخلقي مثل التقوى والأسف والمراقبة والإنابة والحذر والفقر[9]. وتظهر موضوعات الفقه والأخلاق والمعاني الباطنية لشعبان ورمضان وليلة القدر ووداع رمضان مثل الاستعانة

---

(1) الآيات (444)، الأشعار (136)، الأحاديث (135)، القدسية (3).
(2) الإسرائيليات، طهارة القلوب ص85-86.
(3) ذو النون (5)، الحسن البصري، الجنيد، سفيان الثوري (3)، يحيى بن معاذ، إبراهيم بن أدهم، الفضيل بن عياض، أبو الدرداء، حاتم الأصم (2)، أبو طالب المكي، التستري، رابعة، ابن عيينة، النيسابوري، البرقاشي، الكسائي، الروزباري، البسطامي.
(4) «وإنما سميته بهذا الاسم لأني لما أكملته رأيته في المنام. وهذا الاسم مكتوب عليه بخط غليظ فسميته بذلك»، طهارة القلوب»، جـ1/ 8-9.
(5) السابق جـ2/ 246-276.
(6) الفصول جـ1/ 1-5.
(7) الفصول جـ2/ 6-8.
(8) الفصول 9-11/ 18-24/ 26.
(9) الفصول جـ1/ 12/ 22.

والاجتهاد والفرح[1]. وأخيراً تظهر موضوعات الطريق مثل القلوب والدعاء والتضرع[2]. وأخيراً تظهر موضوعات توحي بأزمة العصر مثل الإسلام وفضل أمة محمد أي مصير الإسلام ودور الأمة في التاريخ ومكانتها بين الأمم[3]. والفصول منفصلة عن بعضها البعض وكأنها وحدات مستقلة يبدأ كل منها بالبسملة والحمدلة والأدعية والابتهالات وليس فقط في مقدمة الكتاب كله. وسبب التأليف المنفعة وليس العلم، الهداية وليس النظر، النصيحة وليس التفكير. وهي من خصائص التصوف العملي[4]. وهو تجميع من مصادر عدة. وهي سمة التأليف المتأخر قبل الشروح والملخصات[5]. وبعض الكتب مجهولة. وأعلام الصوفية قليلة أشهرها الجنيد وذو النون.

تعتمد على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواقعية التي قالها الرسول في حياته والخيالية التي قالها الرسول في منامات الصالحين أو مع الأنبياء في الملأ الأعلى أو في حوار مع الله كما هو الحال في الأحاديث القدسية الطويلة[6]. فطغت الأدلة النقلية. وقلت الأدلة العقلية إلى الحد الأدنى إلا من بقايا قسمة[7]. وتمتلأ بالكونيات الخيالية[8]. ومعظمها مستمدة من الإسرائيليات وأساطير الخلق والكتب المقدسة السابقة مثل التوراة[9]. وبعض المرويات بلا أسانيد لأنها ضعيفة أو موضوعة يكفي ذكر «وروي»[10]. والشعر كثير. فالشعر ديوان العرب. وهو الذي يعود في لحظة الضعف الحضاري باعتباره ثقافة العرب الأولى.

---

(1) الفصول 13-17.

(2) الفصول 19-21/ 25/ 30/ فصول تضرع يختتم بها هذا الكتاب.

(3) الفصول 28-29.

(4) «هذا كتاب فيه فصول يتذكر بها من أصغى إليها بسمع قابل. وينتفع بها من كان قلبه روضة يصيبها الطل والوابل»، طهارة القلوب جـ1/ 8.

(5) «جمعتها ما بين آيات مقرة، وأخبار مسندة مؤثرة، وخطب وعظية مبتكرة، وكلمات منقولة على السلف الصالحين، ونظم من كتب الأئمة العاملين»، السابق جـ1/ 8/ 40.

(6) السابق جـ1/ ص92.

(7) السابق جـ1/ ص45.

(8) السابق جـ1/ ص47-52.

(9) السابق جـ1/ ص39-40.

(10) السابق جـ1 / ص49.

7 ـ «محبة الله تعالى» عند الإمامين الجليلين ابن تيمية الحراني (728هـ) وابن القيّم الجوزية (751هـ) للراوي[1]:

وهو نوع من التأليف يقوم على تجميع النص من عدة مؤلفات حول موضوع واحد مثل المحبة عند ابن تيمية وابن القيم. وهو نوع من تناثر البنية عن طريق التجزئة ثم اختيار أحد الأجزاء والتأليف فيه بالعمق وليس بالعرض. يقوم على تجميع الفصوص من عدة أعمال سابقة أو فتاوى. فهو تأليف مصطنع عبر المؤلفات وليس مؤلفاً واحداً، وتجميع من نفس المدرسة السلفية[2]. والغرض إثبات أنه لا تعارض بين الفقهاء والصوفية في الحب بين ابن حزم في «طوق الحمامة» وابن الفارض في «التائية الكبري» أو ابن عربي في «ترجمان الأشواق». تغلب على نصوص ابن تيمية الأدلة النقلية من القرآن والحديث وأقلها من الشعر[3]. وتظهر بعض الإسرائيليات حتى عند أهل السلف بعد أن أصبحت أخباراً أو أثاراً متناقلة[4]. والعودة إلى النص الواضح المباشر أفضل من التحليلات النظرية العويصة على الفهم عند الفلاسفة والمتكلمين والصوفية. لذلك يغيب التحليل العقلي. ويغيب الاستشهاد بأقوال الصوفية إلا القليل منهم مثل إبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وسليمان الداراني ومعروف الكرخي.

ويخاطب ابن القيم القارئ خطاباً مباشراً. يعطي تعريفات للمحبة[5]. ويظل التوحيد ملاذ المحتاجين[6]. ويعتمد أيضاً على الأدلة النقلية من القرآن والحديث والشعر[7]. كما يستشهد ببعض الإسرائيليات[8]. ومن الصوفية يذكر يحيى بن معاذ

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت ط2. 2006-1427.

(2) مثل: فتاوي ابن تيمية (الجزء العاشر) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين»، «الجواب الكافي»، «معارج السالكين»، «إغاثة اللهفان، «في طريق الهجرتين» لابن القيم.

(3) الآيات (570)، الأحاديث (116)، القدسية (5)، الأشعار (1).

(4) محبة الله ص113.

(5) السابق ص222-228.

(6) السابق ص22.

(7) الآيات (317)، الأحاديث (120)، القدسية (3)، الأشعار (75).

(8) محبة الله ص240.

ثم ذو النون وسليمان الداراني وسمنون[1]. وتظهر القسمة الفلسفية كنوع من الدليل العقلي[2].

8 ـ «آداب الطريقة وأسرار الحقيقة» في الكاشاني (730هـ)[3]:

والعنوان نفسه بالرغم من أنه مصطنع يدل على التحول من التصوف النظري إلى التصوف العملي. وتحتوي على إحدى وعشرين رسالة يمكن تجميعها في ثمان موضوعات ابتداء من الموضوعات النظرية الخالصة في الكلام والفلسفة والعلم إلى الموضوعات العملية الخالصة مثل سلوك الطريق وآداب الشيخ والمريد[4]. فمن علم الكلام تظهر موضوعات التراث والصفات، والقضاء والقدر والمعاد. ومن الفلسفة تظهر موضوعات النفس والبدن، والجوهر والأعراض، وفلسفة التاريخ من خلال دورات الأفلاك وقصص الأنبياء. ومن التصوف تظهر موضوعات المعرفة مثل الغيب والشهادة، والعرفان، والحقيقة في العلم الاستدلالي، علم العربية، وبعض العلوم النقلية القرآن والحديث. ومن موضوعات التصوف الصلة بين الحق والعبد، وجميع الموجودات مرايا لله، وتصوير المحبوب تصويراً حياً، وطرق السالكين، وآداب الشيخ مع المريدين. فالكاشاني نقطة تحول من التصوف النظري إلى التصوف العملي.

---

(1) يحيى بن معاذ (2)، سلمان الداراني، ذو النون، سمنون (1).

(2) محبة الله ص198.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م - 1426هـ.

(4) الموضوعات النظرية: أ- الكلام مثل: رسالة في القضاء والقدر- الرسالة المعادية، رسالة في اتحاد الذات مع الصفات أو تغايرهما. ب- الفلسفة مثل: في سبب تعلق النفس بالبدن، في شرح مسألة البسائط والأعراض، بيان مقدار السنة السرمدية وتعيين الأيام الإلهية، في تحقيق ما فعل آصف بن برخيا من حصول عرش بلقيس عند سليمان عليه السلام حـ- التصوف: السوانح الغيبية والمواهب العينية، الرسالة العرفانية ومن موضوعات التصوف أيضاً، ما الرابطة بين الحق والعبد؟ في بيان المراد بما وقع في كلام المحققين من ذكر الوجه والأشعار لمحبوبهم، في تقييم السلاك إلى أربعة أقسام، تحفة الإخوان في خصائص الفتيان. وفي العلم الاستدلالي، تعليقة على المفصل في علم العربية. ومن العلوم علم الأحاديث: شرح حديث الحقيقة، الفوائد العربية في بيان قول النبي «الراحمون يرحمهم الرحمن»، رسالة في التلفيق بين الأحاديثين، رسالة في الجمع بين الأحاديثين، وعلوم القرآن مثل: فيما يتعلق ببطون الآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾.

والرسائل ذات نفس قصير مما يدل على نهاية التصوف النظري من نوع «الفتوحات». أكبرها الرسائل في التصوف العملي مثل «تحفة الإخوان في خصائص الفتيان»[1]. ثم تأتي الموضوعات النظرية. ثم تعود الموضوعات العملية بعد ذلك. وتعتمد الرسائل على الآيات والأحاديث والأشعار[2]. كما تعتمد على بعض المصادر المدونة والاقتباسات منها وضع علامة «انتهى»[3]. وفي العصور المتأخرة وبداية الاتصال مع الفرنجة بعد الحروب الصليبية بدأ التوجه نحو التراث الغربي مثل الإحالة إلى إمبراطور الروم دقيانوس[4].

9 ـ «روضة التعريف بالحب الشريف» للسان الدين بن الخطيب (776هـ)[5]:

ويدل هذا العمل على مدى التماهي بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية في موضوع واحد وهو المحبة عند الصوفية أو الحب عند الشعراء. وكلاهما حب «شريف» أي الحب العذري الشهير في الأدب والغزل الإلهي الذي غناه سلطان العاشقين وإمام المحبين. يقوم على تجميع الأقوال الشعرية والصوفية عن الحب من أديب شاعر ووزير. وهذا هو سبب التأليف[6]. وهو في النهاية أقرب إلى

---

(1) تحفة الإخوان في خصائص الفتيان (41)، القضاء والقدر (19)، السوانح الغيبية والمواهب العينية (19)، بيان مقدار السنة السرمدية وتعيين الأيام الإلهية، الرسالة المعادية، شرح حديث الحقيقة، الرسالة العرفانية، الفوائد العربية في بيان قول النبي «الراحمون يرحمهم الرحمن»، في تعلق النفس بالبدن (4)، في شرح مسألة البسائط والأعراض (3)، في اتحاد الذات مع الصفات أو تغايرهما، في التلفيق بين الأحاديثين، في الجمع بين الأحاديثين، ما الرابطة بين الحق والعبد؟ في بيان المراد بما وقع في كلام المحققين من ذكر الوجه والأشعار لمحبوبهم، في تقسيم السلاك إلى الله أربعة أقسام (2)، في ما يتعلق ببطون الآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾، في العلم الاستدلالي، إن جميع الموجودات مرايا وجه الحق تعالى، في تحقيق ما فعل آصف بن برخيا من حصول عرش بلقيس عند سليمان عليه السلام، تعليقة على «المفصل في علم العربية» (1).

(2) القرآن (78)، الأحاديث (28)، الأشعار (16).

(3) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة ص195.

(4) السابق ص14.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ.

(6) «ولم أترك فناً إلا جمعت بينه وبين مناسبة، ولا نوعاً إلا ضخمته إلى ما يليق به ويؤدي إلى الأنوف روائح ريحانها...»، روضة التعريف ص54.

الأدب منه إلى التصوف كما هو الحال عند ابن حيان في علوم الحكمة في «الصداقة والصديق» في الحكمة الأدبية وإخوان الصفا في العروض الأدبية الشعبية[1]. يعني تناثر البنية هنا التركيز حول موضوع واحد وليس بعثرتها في عدة موضوعات أي تجزئة البنية وتعميقها. التأليف في العمق وليس في العرض. لذلك كبر الحجم. أسلوبه أدبي، يغلب عليه المحسنات البديعية. ونظراً لطول عهد الشعر العربي بالغزل والتشبيب وطول عهد الصوفية بالحب الإلهي منذ رابعة وذي النون والجنيد والحلاج حتى ابن الفارض وابن عربي فإن سبب قتل المؤلف ليس سبباً أدبياً أو صوفياً يخدش الحياء وهو يتكلم عن الحب الشريف أي الحب العذري بل بسبب الحساد أو الصراع السياسي.

يعلن عن برنامج الكتاب في المقدمة[2]. إذ يتكون من قسمين رئيسين: الأول «خطبة الأغراس وتوطئة الفراس». والثاني «الأسباب في حب اللباب». وواضح الأسلوب الأدبي الذي يقوم على تشبيه الحب بالجغرافيا، والتجربة الإنسانية بالتجربة الطبيعية في الزراعة والأرض والغرس. فالنفس والطبيعة عالم واحد كما قرر إخوان الصفا من قبل. ويضم القسم الأول مقدمة عن الأرض وأجزائها والفلاحة والعمل ومقايسة ذلك على النفس، والقلب والروح والعقل. ثم يعرض خمسة اختيارات. الأول في أنواع النفس الثلاثة، المطمئنة والأمارة واللوامة. والثاني عن العزيمة والوعظ وذم الكسل. والثالث عن العقل والنقل كماء الفلاحة. والرابع في الحرث. والخامس في تنظيف الأرض أي إزالة الشكوك. ويتضمن القسم الثاني موضوعات عدة. بعضها ينقسم إلى أصول أو فصول أو غصون أو فنون. وتعود موضوعات الباطن والشرع والعقل، والظاهر الطبع، والمحب والمحبوب وآراء الفلاسفة الأقدمين وأهل الأنوار والإشراقيين والحكماء الإسلاميين والمتكلمين وأهل الوحدة المطلقة من المتوغلين وأخيراً الصوفية[3]. وينتهي بعلامات المحبة وأخبار المحبين.

(1) من النقل إلى الإبداع مجـ2 التحول جـ1 العرض.
(2) السابق ص60-66.
(3) السابق ص189-190.

ويعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث[1]. ويذكر من الأعلام الفلاسفة وفي مقدمتهم أرسطو والشيخ الرئيس الفارابي وابن رشد وابن طفيل والمتكلمين وأقلهم من الفقهاء والصوفية[2]. ومن الصوفية يذكر ابن الفارض وابن عربي وغيرهم[3]. ومن أنصار الوحدة المطلقة يذكر ابن دهاق وابن سبعين والتستري وغيرهم من الأندلسيين[4]. ومن الصوفية يذكر إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، وبشر الحافي، والحارث والمحاسبي، وداود الطائي، وشقيق البلخي، والبسطامي، والتستري والداراني، ويحيى بن معاذ، والنخشبي، والشبلي، وحمدون القصار، والجنيد، والحلاج، وغيرهم بالعشرات. كما يحال إلى بعض المصادر الرئيسية مثل «الرسالة القشيرية»[5]. تعرض الأعلام كلها أولاً ثم تعرض الأفكار العامة التي تجمعهم ثانياً. كما تذكر بعض مصطلحات الصوفية وأسماء الله الحسنى[6]. وتُعرض الفلسفة عرضاً نظرياً خالصاً، تلخيصاً وتجميعاً لأقوال الفلاسفة[7]. كما يُذكر العديد من أسماء الفرق والمذاهب والطوائف والملل والنحل[8].

10 ـ «سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار» للتاذتي (963هـ)[9]:

وفيه تتناثر بنية التصوف إلى أربعة وعشرين فصلاً بلا نسق خاص بل طبقاً

---

(1) الأشعار (329)، الآيات (267)، الأحاديث (31).

(2) روضة التعريف ص402.

(3) مثل: ابن سودكين الدمشقي الذي راسله ابن عربي، أبو بكر الصديق، أبو الحكم = ابن برجان، أبو الحسن بن قسي، أبو العباس البوني، السابق ص410.

(4) مثل: الشوذي، ابن مطرق الأعمي، ابن أحلي، الحاج المغربي، والجم الفقير من أهل شرقي الأندلس ووادي رفوط»، السابق ص425.

(5) مثل: أبو حامد البلخي، النيسابوري، النوري، ابن الجلاء، رويم، الدقاق، سمنون، الخراز، مسروق، الجريري، ابن عطاء الله السكندري، إبراهيم الخواص، ممشاذ، الروزباري، النهرجوري، الدنيوري، النصرأباذي. . .الخ، السابق ص433-434.

(6) روضة التعريف ص213-226.

(7) السابق ص402-431.

(8) السابق ص381-384.

(9) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ (1) ص7-59.

لعدد حروف الشهادتين، وعدد ساعات الليل والنهار وهو سبب خرافي ساذج[1]. معظمها في التصوف العملي عن الطريق وليس التصوف الخلقي أو النفسي باستثناء مقام التوبة أو النظري مثل الإنسان والروح والذكر والفقر والطهارة والشريعة والطريقة والوجد والصفاء والخلوة والعزلة.

ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر[2]. ويستشهد بأقوال بعض الصوفية مثل البسطامي ثم يحيى بن معاذ والجنيد ثم الغزالي[3]. ويذكر التفسير الكبير للرازي، وهو أقرب الحكماء إلى الصوفية لاشتراكه معهم في الفلسفة الإشراقية. تشرئب أحياناً القسمة العقلية كبديل عن الدليل العقلي. تكثر التشبيهات في الأسلوب نظراً للتقارب بين التصوف والأدب في أساليب التعبير وفي التجارب الذاتية.

11 ـ «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» للصفوري (1043هـ)[4]:

وهو من الكتابات المتأخرة. وكما يبدو من العنوان الأول الاعتماد على الحكايات المسلية والروايات المشوقة كي يكون «نزهة المجالس»، وغياب التأليف الإبداعي، والاعتماد على التجميع سمة المؤلفات المتأخرة وكما يبدو وفي العنوان الثاني «منتخب النفائس» وهو سبب تأليف الكتاب[5]. وتتحدد فقراته بعناوين دالة مثل «حكاية»، «لطيفة»، «مسألة»، «فائدة»، «موعظة».

والكتاب مضطرب في بنيته بعد تفكيك البنية الرباعية في «الإحياء»، والسادسية في «الفتوحات»، بالرغم من تخصيص مقدمة لسرد ما اشتمل عليه الكتاب من الأبواب والكتب والفصول[6]. يبدو أن الغالب هي القسمة إلى أبواب، أربعة وأربعين باباً. ينقسم بعضها إلى عدة فصول، مجموعها اثنان وثلاثون فصلاً.

---

(1) «وهذا الكتاب على أربعة وعشرين فصلاً بعد حروف كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وبعدد ساعات الليل والنهار.

(2) الآيات (139)، الأحاديث (72)، القدسية (2).

(3) البسطامي (3)، يحيى بن معاذ، الجنيد (2)، الغزالي (1).

(4) دار الفكر، دمشق (د.ت) (طبعة مصورة).

(5) «فإن النفس لها ارتياح إلى سماع القصص الملاح، وأخبار أهل الخير والصلاح فأجبتها إلى مقصودها»، نزهة المجالس جـ1/2.

(6) السابق ص2.

وأحياناً تبدو القسمة كتباً، كتابان: الأول في العقائد، والثاني في الصوم، وتحت كل منها موضوعات أوسع وأشمل[1]. الأول أشبه بما تبقى من البداية بعلم العقائد دفاعا عن الشبهات ضد الصوفية بالاتحاد والخروج على العقائد السنية. والثاني من بقايا الفقه وتحوله إلى أخلاق[2]. وأحياناً تبدو القسمة كلاماً، «الكلام علي»[3].

ويمكن تجميع كل هذه الأبواب والفصول والكتب والكلام غير المرقمة في موضوعات التصوف بمراحله الثلاث: الخلقي والنفسي والفلسفي[4]. ومن التصوف

(1) «كتاب العقائد وفضل الذكر وآيات منه وسور»، السابق ص6.

(2) كتاب الصوم، السابق ص151.

(3) مثل «الكلام على العرش وصفته»، السابق جـ2/ 245. «الكلام على قارون» جـ2/ 252.

(4) فمن التصوف الخلقي يظهر أولاً الإخلاص، والأدب، والتقوى، وفعل الخيرات، وذم الكبر، والغيبة والنميمة، والإحسان إلى اليتيم، وفضل الجوع وآفاق الشبع، والبر بالوالدين، والحلم والصفح عن عشرات الإخوان، والكرم والفتوة، ورد السلام، وكرم الله، وفضل الصدقة، والمعروف، وإكرام الجار، وحفظ الأمانة، وذكر النساء، وفضل العدل، واجتناب الظلم، والشفقة على الخلق، وإكرام المشايخ. بل يتجاوز الأمر إلى حسن الهندام مثل الخضاب والتسريح ثم يظهر كتاب العقائد وفضل الذكر والقرآن وآيات منه وسور. وبدلاً من نظرية العلم يظهر الذكر وفضائل البسملة وأذكار غير القرآن وفوائدها وأذكار الصباح والمساء. كما يبرز فضل العقل وفضل العلم وأهله بالشام. وموضوعات الفقه والأخلاق مثل فضل الصلوات ليلاً ونهاراً أو متعلقاتها ومناقب السؤال وما ورد فيها من الآثار النبوية، والأذان وفضل الجمعة وليلتها وكرمها مع ذكر الدجال، وفضل الزكاة، زكاة الأنصار وهو كفها عن المحرمات. ثم يأتي الصوم، وفضل رجب وصومه، وشعبان، وفضل صلاة التسابيح، ورمضان والترغيب في العمل الصالح وما فيه عن الفضائل، وليلة القدر وفضلها، وفضل عرفة والعيدين والتكبير والأضحية، وفضل صيام عاشوراء والأيام البيض والسود، وفضل الحج وأركانه، وفضل الجهاد. وتظهر موضوعات الطريق مثل الدعاء. ثم تظهر ثقافة الموت في ذكر الموت وقصر الأمل. ويختتم الكتاب بذكر أشياء حرمها الله على النار مع ذكر الجنة. وتظهر بعض الموضوعات العلمية الطبيعية مثل الزراعة، وخلق الجنين، وخروج الماء من فم النائم. ثم يتخلل موضوع الإسراء موضوع فقهي خالص مثل تحريم الوالد أن يأكل من مال ولده بطريق غير شرعي. تبدأ بالرسول الإنساني مثل مولده ونسبه ورضاعته إلى الرسول المتخيل مثل الصلاة عليه والإسراء والمعراج وتفصيل مراكب المعراج مثل البراق من مكة إلى بيت المقدس وصلاته بالأنبياء، ثم من بيت المقدس إلى السماء ثم أجنحة الملائكة من السماء الدنيا إلى السماء السابعة ثم جناح جبريل من السماء السابعة إلى سدرة المنتهى ثم الرفرف إلى قاب قوسين واجتماعه بميكائيل وإسرافيل والروح ثم الوصول إلي العرش وصفته ثم وفاته. ثم تظهر كتب =

النفسي تظهر بعض المقامات المتناثرة مثل المحبة والصبر والرضا والزهد والقناعة والتوكل والتوبة. ثم تظهر الأحوال مثل الخوف[1]. ومن التصوف الفلسفي تظهر مناقب الرسول، سيد الأولين والآخرين إيذاناً بظهور عقيدة الحضرة أو الحقيقة المحمدية[2].

وتكثر الحجج والأدلة النقلية، الآيات والأحاديث. ويرفع التناقض الظاهري بين الآيات. وتستعمل الآيات للسحر والشفاء وإحضار المنافع تعويضاً عن العجز على العلم والسيطرة به على العالم[3]. وتذكر بأسانيد عندما تكون الأحاديث من صنع الخيال مثل أحاديث الله والرسول مع الأنبياء أو في المنام. وتذكر عندما تكون أقرب إلى الصحة. كما تذكر أقوال الصوفية بأسانيدها لإثبات صدق الحكايات حول الكرامات. ويستشهد بالشعر على نحو مطرد. فالشعر ديوان العرب وذاكرتهم الجماعية والذي استطاع تدوين العلوم لحفظها بعد أن توقف الإبداع النظري. وتكثر حكايات اليهود والنصارى وتحولهم إلى الإسلام كدليل على كرامات الأولياء ومشايخ الصوفية.

سابعاً: الشروح والتعليقات والملخصات:

بعد تناثر البنية تحاول الشروح والتعليقات والملخصات لمها من جديد عن

= المناقب إيذاناً بالعودة إلى الوعي التاريخي بداية بمناقب أمهات المؤمنين من أجل إبراز فضائل النساء على عكس الحكم الشائع اليوم بتهميش النساء في التراث الإسلامي القديم. ثم تذكر فضائل الصحابة مع بعض التقديس كما يظهر في ألقابهم. فعمر سراج أهل الجنة. ثم تذكر مناقب العشرة المبشرين بالجنة ثم يُعاد ذكر أفضل النساء فاطمة. الزهراء ويتخلل ذلك الواقع التاريخي المثالي، الخيال الشعري في تزويج حواء بآدم دون دليل إلا ببعض النقل الضعيف أو الموضوع المستمد من الإسرائيليات. ثم يعاد ذكر مناقب الحسن والحسين والعباس وحمزة. ثم تذكر فضائل الآية كلها. ثم يذكر فضائل الأنبياء، إبراهيم وموسى وقارون وعيسى والخضر وإلياس. ثم يعود ذكر المشهورين بالكنية بأسمائهم وتواريخهم من الصحابة. السابق، جـ1/ 3-6/ 78/ 94-102/ 142-151/ 196-241/ 257، جـ2 2-35/ 44-58/ 58-76/ 129-132.

(1) السابق ص35-44/ 48-78/ 241-257 جـ2/ 44-58.

(2) السابق ص2/ 87-129/ 132-265.

(3) السابق جـ1/ ص29.

طريق تجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول نص عمدة يقوم بلم الشمل كخيط العقد الذي تتجمع فيه حبات الخرز. وعادة ما يكون بين المتن والشرح من قرن إلى ثمانية قرون طبقاً لأهمية النص. وأكثر النصوص شرحاً هي «الحكم» لما تتسم به من تركيز يحتاج إلى إسهاب وتطبيق. وتكون الشروح للنثر وللنظم على حد سواء. وأكثرها للنثر وقد يكشف الترتيب التاريخي للشروح عن تطور في فن الشرح كشكل أو كمضمون. كما يكشف عن مدى الفترة الزمنية بين المتن والشرح.

1 ـ شرح النثر

والشرح من حيث الشكل الأدبي نوعان شرح النثر وشرح النظم. ومن حيث الزمان شروح المحدثين وشروح المعاصرين وهناك ترتيبان زمانيان ممكنان للشروح. الأول طبقاً للنص المشروح مثل «الرسالة القشيرية» أو «الإحياء» أو «الفتوحات» أو «الفصوص» أو «الحكم» أو «البردة». والثاني طبقاً للنص الشارح مثل «الشجرة النعمانية» للقونوي أو «شرح الحكم العطائية» لزروق أو «شرح مشكلات الفتوحات» للجيلي أو «شرح الفصوص» للجامي أو «الرسالة القشيرية» لزكريا الأنصاري. . .الخ. والأول أفضل لأنه يكشف عن النص الشارح وهو المطلوب وليس النص المشروح الذي دخل من قبل في تطور المؤلفات الصوفية وبنيتها.

أ ـ شروح المحدثين: وتعني الشروح بين القرنين السابع والرابع عشر وهي الشروح التي توفي أصحابها وأهمها:

1 ـ «الشجرة النعمانية» بشرح صدر الدين القونوي (673هـ)[1]: ويبدأ عصر الشروح والملخصات من القرن السابع في شرح القونوي (673هـ) لكتاب «الشجرة النعمانية» لابن عربي(638هـ). فبين المشروح والشارح خمسة وثلاثون عاماً. فإذا كان ابن عربي هو نهاية النص الإبداعي في التصوف النظري فإن القونوي هو بداية الشرح.

ولا يعني هنا الشرح الأكبر أو التفسير كما هو الحال لدى ابن رشد في

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م - 1425هـ (1) ص19-59.

«تفسير ما بعد الطبيعة» لأرسطو فصلاً بين النص المشروح والنص الشارح على مستوى اللفظ. ولا يعني أيضاً الشرح الأوسط وهي الملخصات، بداية بالنص المشروح ونهاية بالنص الشارح على مستوى المعنى، ولا الشرح الأصغر وهي الجوامع على مستوى الشيء نفسه[1]. بل يعني توضيح مضمون النص بنص جديد وبيان القصد والقراءة الكاشفة، وإعادة كتابة نص جديد. الشرح هنا يعني التأويل والقراءة كما هو الحال في علوم التأويل المعاصرة. تأليف جديد في الموضوع. وتبدو بعض الأشكال الأدبية مثل «تنبيه على أسرار عجيبة» لجذب الانتباه وتوجيه الشعور نحو كشف معين أو «تنبيه وتقرير»[2]. ويعتمد على الأدلة النقلية، القرآن والحديث والشعر[3]. والآيات أكثر لما فيها من تجارب أولى مباشرة[4]. وهو مرتبط بعلم الحروف أي الانتقال من الكتابة إلى الفكر، ومن الحرف إلى الوجود.

والأهم في «الشجرة النعمانية»، هي مركزية مصر، درة الدولة العثمانية وقلبها وجوهرتها. تقع بين حركات الأفلاك ودورات التاريخ والموقع الجغرافي. ويسميها أرض الكنانة كما سماها ابن خلدون «أم الدنيا»، وسماها آخرون «مصر المحروسة». ويؤمن بالمهدي كما يفعل الشيعة في الزمان، وأهل السنة في نهاية الزمان[5].

2 ـ شروح الكاشاني (730هـ):

أ ـ «شرح فصوص الحكم»[6]: وهو شرح يقوم كالعادة على تقطيع النص المشروح، فقرة فقرة أو عبارة عبارة أو أحياناً لفظة لفظة. وقد يطول النص المشروح أو يقصر. ويعتمد الشرح أحياناً على اللغة، المعنى الاشتقاقي والمترادفات والبحث عن معاني الألفاظ. فالشيطان من الشطط والانحراف. ويميز تحليل العبارة بين الجملة الرئيسية والجملة الاعتراضية[7]. كما يوضع اللفظ أو

(1) من النقل إلى الإبداع مجـ1، جـ3 الشرح.
(2) الشجرة النعمانية 56/ 75.
(3) الآيات (16)، الأحاديث (1)، الأشعار (2).
(4) بالمعنى الألماني للفظ Urfahrung.
(5) الشجرة النعمانية ص58-59.
(6) دار الكتب العلمية، بيروت.
(7) السابق ص6-7/ 9/ 217/ 226.

العبارة في السياق. ويقوم بالربط بين الأجزاء[1]. ويستعمل أسلوب التعليل خاصة العلة الغائية بالجمل الشرطية، فعل الشرط وجواب الشرط[2]. ولا يكون الشرح لكل لفظ وعبارة إلا إذا استدعى الأمر. فهناك عبارات غنية عن الشرح. يكفي فيها ظاهر الكلام[3]. ولا يستفاض في الشرح[4]. والأسلوب محكوم بالمحسنات البديعية طبقا لهذا العصر المتأخر، القرن الثامن. وهناك بعض الألفاظ المعربة من الفارسية مثل «الانمونامج» أو «الانموذناج» أي النموذج[5]. ويشير إلى نسخ أخرى إذا ما تعددت القراءة كاحتمال لتفاوت المعاني[6]. ويستعمل أسلوب السؤال والجواب، والرد على الاعتراضات[7]. وسبب التأليف هو طلب بعض الأصدقاء وأحد المبرزين منهم دون كتمان شيء من الكنوز[8].

ويبدأ بثلاث مقدمات نظرية عامة تضع الشرح في إطاره النظري الكلي وهي «أصول فصول الحكم». الأولى في تحقيق حقيقة الذات الأحدية، حقيقة الحق، وهو الوجود اللا متعين. والثانية بيان حقائق الأسماء ولا تناهيها. والثالثة بيان الشأن الإلهي والأمر التدبيري الدوري المسمى بلسان أهل الذوق البرزخ بين أحكام

---

(1) السابق ص86.

(2) السابق ص8-9/ 16.

(3) «وهذا غني عن الشرح» السابق ص102/ 143/ 175/ 195. «وهذا ظاهر الكلام»، السابق ص257. «هذا كلام ظاهر اللفظ والمعنى»، السابق ص160.

(4) السابق ص25/ 172/ 174/ 203/ 280.

(5) «وهذا القدر كاف»، السابق ص236.

(6) السابق ص252.

(7) السابق 10-11/ 206.

(8) «أقبل عليّ جماعة من إخوان الصدق والصفا وأرباب الفتوة والوفا من أهل العرفان والتحقيق ومن أيدته العناية بالتوفيق خصوصاً كالصاحب المعظم العالم العارف الموحد المحقق شمس الملة والدين قدوة أرباب اليقين محمد بن مصلح المشتهر بالتبريزي متعه الله بما فيه وأطلعه على خوافيه أن أشرح لهم كتاب «فصوص الحكم» المنسوب إلى الشيخ الكامل المكمل البحر الخضم محيي الملة والدين أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بأبن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي قدس الله روحه وكثر من عنده من فتوحه، شارطين عليّ أن لا أكتم شيئاً من جواهر كنوزه وأبرز ما أمكن من مفصلات مخفياته ورموزه. فأسعفتهم إلى ملتهم. وحذفت عنان همتي إلى تسهيل مقتبسهم مجتهداً في حل ألفاظ الكتاب بقدر ما يسر الله لي من فهم ما هو الحق والصواب... » السابق ص2-3.

الوجوب والإمكان[1]. والشرح بوجه عام يزيد فيه التحليل النظري على الشواهد النقلية. ومن التحليلات النظرية شرح العلاقة بين الحكمة والنبوة كما هو الحال في عناوين «الفصوص المتقابلة» مثل «حكمة إلهية» في كلمة آدمية «لإيجاد العلاقة بين الإثنين في أول كل فصل كمدخل نظري. ويشرح القسمة النظرية ويؤصلها مع بعض الحدود المنطقية[2].

ويعتمد الشرح على التجربة الصوفية للشارح. وبالتالي فهو لا يشرح نصاً خارجياً بل يقرأ نصاً داخلياً مثل شروح ابن رشد على أرسطو[3]. ويستفاض في نبوة خالد بن سنان مع الحديث الشهير «حبّبَ إليّ من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة»[4]. ويُفصل موضوع النكاح باعتباره رمزاً للوحدة. ويُسهب أيضاً في قصة موسى والخضر، الظاهر والباطن[5]. وكل عبادة لها ظاهر وباطن مثل الحج[6]. وهو ما أفاض فيه ابن عربي من قبل في «الفتوحات». كما يعتمد الشرح على الأدلة النقلية من القرآن والحديث والشعر[7]. ويستعمل القرآن والحديث أيضاً استعمالاً حراً داخل الأسلوب لتقويته. وتتكرر بعض الشواهد الشعرية[8]. ويحيل على بعض الصوفية السابقين المذكورين في النص المشروح أو في النص الشارح[9]. ويأتي في المقدمة الجنيد ثم البسطامي ثم الغزالي والترمذي والأصمعي. كما يعتمد على الشراح السابقين[10]. وتذكر بعض الفرق الإسلامية مثل المعتزلة والأشاعرة والصوفية أو أهل التصوف والاشراقيون. ومن الوافد يظهر أغاثاذيمون[11].

---

(1) السابق ص3–4/ 123.

(2) السابق ص30–141.

(3) من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ3 الشرح.

(4) شرح فصوص الحكم ص265/ 272.

(5) السابق ص257–261.

(6) السابق ص268.

(7) الآيات (188)، الأحاديث (34)، الأشعار (6).

(8) شروح فصوص الحكم ص63/ 130.

(9) الجنيد (3)، البسطامي (2)، الأصمعي، الغزالي، الترمذي (1).

(10) السابق ص16.

(11) المعتزلة، الأشاعرة، الصوفية، اهل التصوف، الإشراقيون، أغاثاذيمون (1).

ب ـ **«كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر»**[1]: وهو شرح لتائية ابن الفارض، شرح للنظم بالنثر، بيتاً بيتاً أو مجموعة مجموعة بعد تقسيم القصيدة إلى موضوعات في أقسام وفصول. القسم الأول «في المعارف». ويشمل خمسة فصول: معرفة الذات والصفات والأفعال، ومعرفة العالم على الإجمال، والروح والنفس، والإنسان وخلافته، والنبوة والولاية. والثاني «في المواجيد». وتشمل خمسة فصول في المحبة والسكر، والوجد والوجود، والجمع والتوحيد. المعارف في الفلسفة، والمواجيد في التصوف. وهو ما يوحي به العنوان كشف وجوه المعاني. وهو شرح فلسفي نظري خالص. يشرح الشعر بالشعر، والقرآن بالشعر. يعتمد على القرآن والحديث والشعر أكثر من الاعتماد على أقوال الصوفية[2]. يتقدمهم الشبلي ثم الحلاج والدقاق والسهروردي. ومن الأصوليين الآمدي. ومن الأنبياء عيسى[3].

3 ـ **شرح ابن عباد الرندي على الحكم(792هـ)**[4]: وكما حدث في علم أصول الدين وعلم أصول الفقه وعلوم الحكمة شرح المتأخرون المتقدمين نثراً وشعراً. وكان أشهر الشروح للفصوص التكوينية المفصلية مثل «الرسالة القشيرية» و«الإحياء»، و«الفتوحات»، و«الحكم العطائية». كان الغرض من شرح ابن عباد الرندي هو إثبات أن «الحكم» في التوحيد مع أنها وصايا ومواعظ للمريدين. فالتوحيد عملي وليس نظرياً. وهو أفضل ما صنف في التوحيد لصغر حجمه، وعظم دلالته، وحسن عبارته. يبين طريق العارفين ومناهج السالكين. يعني الشرح. هنا «التنبيه» على بعض المعاني الظاهرة[5]. ولا يستطيع الشرح أن يكشف كل شيء ولا بيان كل شيء اشتمل عليه النص المشروح. فكلام الأولياء مليء بالأسرار التي لا يمكن بيانها. ولا يدعي الشرح أنه قادر على بيان قصد المؤلف أو مذاهب الأولياء بل هو شرح طبقاً للاجتهاد والطاقة. والمنهج هو تقديم النص

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ.
(2) الآيات (88)، الأحاديث (19)، القدسية (4)، الأشعار (14).
(3) الشبلي (3)، الحلاج، أبو علي الدقاق، السهروردي (شهاب الدين) (1)، ومن الأصوليين الأموي (1).
(4) مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1939م - 1358هـ.
(5) السابق جـ1/ 2-3.

المشروح ثم إلحاقه بالنص الشارح كما هو الحال في كتب التفسير وفي «تفسير ما بعد الطبيعة» لابن رشد، الشرح الكبير. وشرط الشرح أن تكون العبارة الشارحة أوضح من العبارة المشروحة حتى تتم الفائدة خاصة مع تداخل المعاني والفروع والمباني. وقد كان الشرح بناء على طلب الأصدقاء أي التعبير عن رغبة لدي القراء. والسؤال هو: هل تحتاج «الحكم» العطائية لشرح وهي واضحة وأقرب إلى الأسلوب الأدبي التعبيري؟ يعني الشرح هنا إعطاء التطبيقات العملية للوصايا النظرية، وبيان المناسبات التي يتحقق فيها. فهي تثير في النفس انفعالات عدة في مواقف متباينة وبالتالي تسمح بتعدد الشروح واختلاف التفسيرات طبقاً لمدى عمق شعور الشارح. يتحول النص إلى تجربة، ثم تتحول التجربة إلى نص. فالنص تجربة مدونة. والتجربة نص قبل التدوين.

وقد يطول الشرح أو يقصر طبقاً لإفاضة الشارح وملأ شعوره بالانفعالات بالحكم ومدى إثارتها للخيال. كما يتم شرح الألفاظ والمصطلحات الصوفية مثل لفظ «الأسباب». ويشرح الجزء بالكل إما داخل سياق «الحكم» أو بالإحالة إلى باقي مؤلفات ابن عطاء مثل «التنوير في إسقاط التدبير» و «لطائف المنن». ويشرح نفس النص أكثر من مرة حتى يتضخم الشرح. ويستعمل النص المشروح كمشجب أو علاقة لإضافة مادة جديدة عليها. فالغاية ليس شرح النص بل إضافة معلومات عليه. ولا تقطع الحكمة إلى أجزاء، ولا تقسم إلى ألفاظ أو جمل يشرح كل منها على حدة كما تفعل بعض الشروح اللغوية. بل ترتبط الحكم ببعضها ببعض في سياق متصل حتى يتم تجاوز الانقطاع بين الحكم وتواليها وكأن كلاً منها موضوع مستقل. ولا تقطع الحكمة إلا إذا طالت[1]. لذلك يخلو الشرح من الفهرس بالرغم من محاولة الناشر إكمال ذلك.

وتأتي مادة الشرح من الأمثلة والمواقف العملية على صدق «الحكمة»، وإيجاد التجارب الشعورية المطابقة لها. كما تأتي من مزيد من الأدلة النقلية والنفسية ومزيد من الشواهد الشعرية. وتذكر الأسانيد لإيجاد مادة إضافية للشرح بالرغم من ضعفها. وتتكرر أكثر من مرة في أكثر من مناسبة. كما تستعمل مؤلفات

(1) السابق ص19–20.

الصوفية السابقين ويحال إليهم مثل «الإحياء»[1]. ويقتبس منها ووضع لفظ «انتهى» كعلامة على نهاية الاقتباس. وتأتي المادة من حكايات الصوفية ورواياتهم عن الكرامات والأولياء، وكل ما يستثير الذهن، ويستدعي الخيال. ويتم التركيز على المقامات والأحوال عصب التصوف وليس الطريق. كما يستعان بالإسرائيليات في قصص الأنبياء في كثير من الحوارات بين الله والملائكة والأنبياء من خلال الأحاديث القدسية. وقد شرحها أيضاً شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي على سبيل الاختصار من أجل نفع المريدين[2].

4 ـ شروح عبد الكريم الجيلي (826هـ):

أ ـ شرح مشكلات الفتوحات المكية»[3]: وهو شرح للباب 559 فقط. عبارة عبارة. قسمه إلى عشرة أبواب أقرب إلى الشرح الأكبر أي الفصل بين النص المشروح والنص الشارح. ويعتبر النص المشروح أعظم نص صوفي[4]. ويحصل صاحب النص المشروح على أكبر قدر من الألقاب: الولي الأكبر، القطب الأعظم الأفخر... الخ[5]. والدافع على الشرح هو إسهاب كتاب «الفتوحات» وإطالته مع أنه يتناول حقائق الأشياء. لذلك لزم بيانها وشرحها وتأويلها بدلاً من العجز عن تحصيله أو عدم معرفة معناه[6]. ومفتاح الكتاب هو هذا الباب 559 الذي جمع

---

(1) السابق جـ2/ 52.

(2) «هذه تقييدات لطيفة على حكم العارف بالله سيدي أحمد بن عطاء الله قدس سره. وقصده بها في الغالب خطاب المريدين الصادقين وترقيهم إلى مكان العارفين. فينبغي لنا أن نقتصر على بيان مقصوده بقدر الإمكان، «شرح الشرقاوي على الحكم» جـ1 ص2.

(3) دار سعاد الصباح، القاهرة، الكويت، 1999.

(4) «أعظم الكتب المصنفة في هذا العلم نفعاً، وأكثرها لغرائبه وعجائبه جمعاً، وأجلها إحاطة ووسعاً. تكلم فيها بألسنة كثيرة، وأفصح عن معاني غريبة وخطيرة. فصرح تارة عن حاله، ورمز أخرى عن حال، وأفصح طوراً عن مقصود، وأدمج أخرى في المقال»، السابق ص87.

(5) «الولي الأكبر»، والقطب الأعظم الأفخر، مظهر الصفة العلمية، ومجلى الكمالات العينية والحكمية، لسان الحقيقة وأستاذ الطريقة، المتبوع التابع لآثار الشريعة.. قدس الله سره، وأعلى عنده مقامه...،» السابق ص87.

(6) «ولم يزل.. يتكلم في هذا الكتاب على حقائق الأشياء حتى آل به الأمر إلى الإسهاب والإطناب فعثر على الأكثرين تحصيله. وفات عن الغالب معرفته وتأويله. وصار الناس فيه بين أحد رجلين: رجل عجز عن تحصيل الكتاب وعن انتوال الفائدة منه وخاب، =

الرموز والأسرار[1]. فكان الشرح اتِّباعاً لترتيبه من أجل فهم المعنى وطرق الاستدلال واكتشاف حقائق الأشياء[2].

وبتحليل أفعال القول يتضح أن الغالب هو «قال الشيخ» وهي نفسها صيغة الشرح الأكبر في «تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد «قال أرسطو». تأتي أفعال مثل «تكلم»، «أراد» تبين الإرادة والقصد. ثم تأتي أفعال بيان المعنى مثل «يعني»، «بين»، «أشار»، «نبّه»، «جمع»... الخ[3]. ثم تأتي أفعال وأسماء إشارة وحروف للدلالة على السبب[4]. فالشرح تعليل كما هو الحال في علم أصول الفقه. ثم تأتي حروف العطف مثل «لما» لبيان عناصر الربط بين المعاني والموضوعات، وطرق الاستدلال، والانتقال من المقدمات إلى النتائج في عدة صياغات مثل «ولما فرغ»، «ولما بين»، «ولما تحقق»، «ولما لاح هذا المعنى»...الخ. كما يعني الشرح البحث عن الأدلة وبيان منطق الاستدلال في «والدليل على ذلك». فالشرح نظرية في البرهان. ويتم الشرح على مستوى اللفظ مثل شرح لام التعليل، أو على مستوى المعنى والبيان، أو على مستوى الشيء نفسه بإيجاد المرادف له وهي العبارات التي تبدأ بالأسماء وليس بالأفعال كما هو الحال في «المقتطفات»

= ورجل حصّل وعجز عن معرفة ما أراد الشيخ من كتابات عجيبة، وإشارات غريبة، فانقطع بالكلية عن درك علمه لأنه يختار عقل كل فاضل ولبيب في حل مشكل ذلك الرمز الغريب»، السابق ص87-88.

(1) «لكنه... صرح بأنه جمع معاني العلوم المبسوطة في ذلك الكتاب. وجعلها مرموزة في الباب التاسع والخمسين بعد الخمسمائة من الأبواب وكف ذلك النشر، وأدمج ذلك العلم الكبير القدر الكثير الفخر على وضعه العجيب وأسلوبه الغزير الغريب. فانغلق بالكلية فهم ما جعله ذلك الباب على كثير من أولي الألباب».

(2) «فقصدت بشرح هذا الباب المخصوص، حل جميع مشكلات الكتاب. واختصرت في الكلام لئلا يفضي إلى الإسهاب والإطناب وسميته «شرح مشكلات الفتوحات المكية وفتح الأبواب المغلقات من العلوم اللدنية». غير أني سأتحفه تهذيباً، وأجعله على أسلوب الكتاب ترتيباً...»، السابق ص88.

(3) تكرار الأفعال: قال (11)، تكلم (4)، أراد (3). يعني (3)، أشار ونبه، نبه، سمّى، عبر، كنّى، صرح (1)، ولهذا قال (4)، ولهذا (3)، سبب ذلك (2)، ولأجل ذلك. ولذلك (1)، ولما فرغ (5)، ولما بين، ولما تحقق، ولما لاح، وبعد هذا (1)، والدليل على ذلك (1).

(4) مثل: وأطلق لفظ الحقيقة.

الأخيرة[1]. وهو الشرح الموضوعي[2]. ويبين الشارح قصده بأفعال «أردت»، «قصدت». وينبه القارئ على شرحه بأفعال «واعلم»، «أنبهك»، «يجب عليك»...الخ[3]. ومادة الشرح الأساسية هي القرآن، وإرجاع النص المشروح إلى المصدر الأول الذي خرج منه. وتتجاوز الآيات بمراحل الأحاديث والأشعار[4]. ويحيل الشارح إلى بعض مؤلفاته لاستكمال الموضوع[5]. ثم يكتشف الشرح القسمة العقلية للموضوع ويعددها محيلا النص المشروح إلى العقل لاكتشاف بنيته[6]. كما يعتمد على بعض أقوال الصوفية مثل الحلاج[7].

ب ـ «الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأنوار»[8]: وهو شرح على «رسالة الأنوار» لابن عربي، المتن أعلى الصفحة، والشرح أسفلها، أسوة بتفسير القرآن. ويقطع فيها المتن. ويتم الشرح لفظاً بلفظ، وعبارة بعبارة كما هو الشائع. الغرض منه الدفاع عن ابن عربي ضد منتقديه. فهو شرح دفاعي. يثبت أن أقوال الصوفية لا تخالف الكتاب والسنة أكثر من اختلاف المذهب الأشعري أو اتفاقه معها بالرغم من اختلاف وسائل المعرفة، الكشف عند الصوفية، والبرهان عند الأشاعرة. ومن ثم لا يجوز محاربة أولياء الله وإلا كانت عداوة للرسول. لذلك أخطأ من ردوا على ابن عربي وهم كثر[9]. والمقدمة نظرية طويلة عامة تتعلق بالمعرفة. فالله يبصر الأشياء وهي معدومة العين. كما أن صفة العلم غير صفة البصر. أما بالنسبة للإنسان فالتكاليف الشرعية مطابقة للحقيقة تمام المطابقة، ومن ثم شرعية من يريد الخروج إلى الجناب الأقدس والوصول إلى

---

(1) شرح مشكلات الفتوحات ص136-153.

(2) الموضوعي Thematic. انظر دراستنا Thematic interpetation Islam in the modern world, Ipp, 484 - 543 rpr method of.

(3) أردت، قصدت (1). اعلم (3)، انبهك (2)، يجب عليك (1).

(4) الآيات (68)، الأحاديث (1)، الأشعار (1).

(5) الإحالة إلى كتاب «الناموس الأعظم»، شرح مشكلات ص128.

(6) «الناموس الأعظم» السابق ص95-96 (أنواع الحروف) ص126 (أنواع الأجسام).

(7) السابق ص115.

(8) دار الكتب العلمية، بيروت 2004-1425هـ.

(9) السابق ص24-25.

غايته. وقد رأى الشارح هؤلاء السالكين في طول البلاد وعرضها. الوصية إذن عدم مجادلة فقهاء الشريعة، والاعتقاد بأهل الحديث، وتجنب التأويل لأنه «دهليز الإلحاد»، والالتزام بالعزلة، وحفظ الله[1]. وبالرغم من تقطيع النص إلا أن الشرح حوله إلى مطالب وفصول ووصايا وموضوعات[2]. ومن المطالب كيفية السلوك إلى الله، وأقسام الواصلين، وتعدد طرق الوصول، والسفر والمشاهدة والمسامرة والرؤية، واتساع القلب وضيقه، وسجن الدنيا، والدخول إلى الحضرة، وبعض المقامات مثل الورع والزهد والتوكل ثم تأتي مطالب عالم الخيال والروح واللوح، ثم مطالب السموات واستقرار الأنبياء فيها. والموضوعات مثل السحق والمحق، والإثبات والإحضار. والأحوال مثل الفناء والبقاء. ويتم شرح القرآن بالقرآن والحديث بالشعر، لذلك تكثر الشواهد القرآنية[3]. كما تذكر بعض أقوال الصوفية خاصة الغزالي. ويحال إلى الأنبياء إدريس وعيسى وموسى[4]. ومن الفرق الصوفية تذكر الملامتية. كما تستعمل باقي مؤلفات ابن عربي مثله «عقلة المستوفز»[5]. وتستعمل بعض الرسوم التوضيحية البسيطة[6].

5 ـ «التمهيد لصائن الدين» للشيخ الأصفهاني (835هـ)[7]: وهو شرح لكتاب جده «قواعد التوحيد». والشرح على مساق أهل الاستدلال مع مقدمة نظرية على سبيل الإجمال وإبراز الموضوعات والمسائل وبيان مقاصد الرسالة وفوائدها. فهو

(1) السابق ص39.
(2) المطالب (106)، الفصول (7)، الوصايا (5).
(3) الآيات (185)، الأحاديث (18)، الأشعار (15).
(4) إدريس، عيسى (3)، إبراهيم، موسى (2)، آدم، هارون، إسحق، إسماعيل، محمد (1).
(5) الأسفار ص182.

مطلب البيت
المعمور المسمى
بالضراح

(6) السابق ص165.
(7) هو الشيخ أبو حامد بن محمد الأصفهاني، السابق ص5-6. دار الكتب العلمية، بيروت2005. والعنوان على الغلاف «تمهيد القواعد الصوفية». وهو عنوان من =

شرح كلي وإن كان في التحقيق فقرة فقرة على نحو جزئي[1]. والمقدمة نظرية خالصة في المنطق باعتباره نظرية للعلم عند الفلاسفة، تتناول التصور والتصديق في العلم الإلهي، والألفاظ المتداولة عند الصوفية، والتوحيد بين الحق والوجود، والوحدة والكثرة الذاتية والاعتبارية[2].

ويدخل الشرح في فكر النص، موضوعه واستدلاله. يتحول الفكر إلى استدلال منطقي وقضايا كبرى وصغرى. ويتبع أحياناً طريقة العرض. وأحياناً أخرى يأخذ الطابع السجالي بأسلوب القول «فإن قال قلت، أقول، لا يقال، فإن قيل، لأنا نقول...». ثم يدخل في جدل الإثبات والنفي، إبطال المذهب المشائي ونقده، ودفاع عن مذهب المحققين وهو التصوف، وإنكار وجود المطلق في الأعيان، والتحقق من الشكوك، وحل الشبهات، ودفع ما يرد على الكون...الخ[3]. ثم تبرز موضوعات الرسالة المشروحة مثل الحقيقة المحمدية والإنسان[4]. وبالرغم من الطابع النظري المجرد للرسالة إلا أنها لا تخلو من فائدة عملية للسالكين[5]. ويعتمد الشرح على الشعر والقرآن والحديث[6]. كما يشير إلى المعلم الأول والحكماء والمتأخرين دون الصوفية. والعجيب أن يتم هذا الشرح في زمان كامل آن أوان اقتطاف ثمرة العلوم مما يفسر غياب النقد

= وضع المحقق الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، وكذلك العنوان الفرعي «كتاب يبحث في الحقيقة المحمدية ومراتب التجليات الإلهية». وكان اسم الشرح في البداية، تمهيد القواعد العرفانية ص3.

(1) «ثم إنه لما كان سوق الكلام في هذه الرسالة إنما هو على مساق أهل الاستدلال ناسب أن نصدّر الكلام بمقدمة مبينة لتصور ما فيه على سبيل الإجمال، مميزة بين ما يختص بهذا العلم من الموضوع والمبادئ والمسائل، تأسيا بهم، وجريا على عادتهم في تقديم هذا المقال. وبعد ذلك نشرع في تحرير مقاصد الرسالة ونبين فوائدها»، السابق ص8.

(2) السابق ص5-24.

(3) السابق ص38-51/ 59-67/ 101-110/ 122-137.

(4) الحقيقة المحمدية، السابق ص78-83، جمعية الإنسان للمراتب الاطلاقية الحقية والقيدية العبدية، السابق ص 114-117. دفع ما يريد على كون الإنسان غاية للحركة الإيجادية، السابق ص122-131. الإنسان هو المظهر الكامل والكون الجامع ص138-150.

(5) «فائدة كثيرة الجدوى يحتاج إليها السالكون، السابق ص169-171.

(6) الأشعار (13)، الآيات (10)، الأحاديث (2).

الاجتماعي والإيغال في التحليل النظري[1]. والخطاب موجه للقارئ بلفظ «اعلم».

6 ـ «شرح شواهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية» للشيخة ست العجم البغدادية (بعد852)[2]: وهو شرح لامرأة حتى تسعد الحركة النسوية لكتاب «المشاهد القدسية» لابن عربي. يقوم بتقطيع المتن وشرحه لفظاً لفظاً. وعبارة عبارة. وتعتمد على جمع المواد السابقة. لذلك سمي «تصنيفاً» أي «تجميع» وليس «تأليفاً». ويتم تقسيم الشرح مثل المتن إلى أربعة عشر مشهداً مع مقدمة وخاتمة. وتبين المقدمة أن مادة الشرح إلهام وليست كسباً، باختيار الله وليس بإرادة الشارحة. تقرأ المشاهد أكثر مما تكتبها[3]. فالشارحة من العامة لا تقرأ ولا تكتب بل ظهر لها ابن عربي في المنام وأملاها إياه لتشرح المتن بالقرآن وبالحديث دون الشعر[4]. كما تقتبس العديد من أقوال الصوفية يتقدمهم البسطامي ثم الشبلي والحلاج وأبو سعيد[5]. وتستعمل باقي فصوص ابن عربي مثل «فصوص الحكم». ومن المذاهب تظهر الأشعرية مع الصوفية والحكماء[6].

7 ـ شروح عبد الرحمن الجامي (898هـ):

أ ـ «نقد الفصوص» للجامي (898هـ) في شرح «نقش الفصوص» لابن عربي (638هـ)[7]: وهو شرح لنقش الفصوص الذي هو إعادة كتابة للفصوص حكمة حكمة من الحكم السبعة والعشرين. ويضم الشرح مقدمة من ثمان نقاط[8]. ولفظ «نقد» ليس في محله. فلا يوجد نقد بل شرح. ولماذا شرح النص الثاني «نقش

---

(1) «وإن زماننا هذا قد بلغ منتهى كماله. واستوى دوحة إقباله، وحان أوان اجتناء ثماره، وكشف القناع عن مخدرات أبكاره بما استنارت على صفحات أيامه من الآثار الموجودة في الكتب المنزلة السماوية والزبر الكشفية العالية»، السابق ص6.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ.

(3) السابق ص51-53.

(4) الآيات (119)، الأحاديث (48)، القدسية (3).

(5) البسطامي (2)، الشبلي، الحلاج، أبو سعيد (1).

(6) الأشعرية، الصوفية، الحكماء (1).

(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2005.

(8) دار الكتب العلمية، بيروت 2005، ص40-65.

الفصوص» وليس النص الأول «فصوص الحكم»؟ ويتخلل الشرح لفظ «وصل» لبيان أجزاء الشرح[1]. وتشمل المقدمة النظرية الأولى تجليات الحق في النور. وهو الوجود، الهوية الذاتية. وهناك خمس خطوات[2]. بها سلسلة من التعينات مثل الأعيان الثابتة والنفوس الإنسانية، وعالم الأرواح، والإنسان الكامل خليفة الله في الأرض. ثم يأتي الشرح فصاً فصاً، وحكمة حكمة، لفظاً لفظاً وعبارة عبارة[3]. ويعتمد على القرآن والشعر والحديث[4]. ومن الصوفية يذكر الجنيد والجندي والأنصاري والكاشي[5]. ويعتمد على عدة مصادر مدونة[6].

ب ـ **«شرح الجامي على فصوص الحكم»**[7]: وهو شرح بطريقة الشرح الأكبر أي الفصل بين النص المشروح والنص الشارح، عبارة عبارة مع اتّباع نفس التبويب والترقيم والتنظيم على نحو تقليدي دون اكتشاف بنية أو قراءة أو تأويل. فالشارح والمشروح ينتسبان إلى نفس المدرسة الفكرية والطريقة الصوفية. والدافع على النص شرح مشكلات النص المشروح وكشف معضلاته، فتح مغاليقه وفك رموزه. مع أن النص المشروح إلهام من الرسول والنص الشارح من جهد البشر[8].

---

(1) وصل (27).

(2) وهي شيئية الثبوت، عالم الجبروت، المثال المطلق، المثال المقيد، الحس والشهادة والملك، السابق ص44-45.

(3) مثل «مفتاح الغيب»، «الفكوك» وكلاهما للقونوي.

(4) الآيات (173)، الأشعار (8)، الأحاديث (6).

(5) الجنيد، الغزالي، مؤيد الدين الجندي، إسماعيل عبد الله الأنصاري، كمال الدين عبد الرازق، الكاشي (1).

(6) نقد النصوص ص69-181.

(7) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م- 1425هـ.

(8) «ومن عجائب هذا النوع ما فاض من قلبه الأنور وروحه الأطهر كتاب «فصوص الحكم» بجملة ما فيه من الحكم والأسرار دفعة واحدة على قلب الشيخ الكامل المكمل محيي الملة والدين... قدس الله تعالى روحه وكثر من عند فتوحه. ثم إني كنت برهة من الزمان مشفوعاً بمطالعته، مشغولاً بمذاكرته، ولم أجد أستاذاً يمن على مستفيده بشرح مشكلاته ولا مرشداً يرشد مريديه إلى كشف معضلاته. فقصدت إلى جمع شروحه، وجعلتها مفاتيح أبواب مفتوحة. وطالعتها مرة بعد مرة. ورجعت إليها كرة بعد كرة حتى استقر رأيي على أن انتخبت منها ما يجذبني في حل مبانيه، ويكفيني فهم معانيه. وأضفت إليه ما سنح في أثناء المطالعة ليالي، وسمح به وقتي وحالي...»، شرح الجامي للفصوص ص139.

وتكشف ألقاب صاحب النص المشروح عن مدى التقديس له. فهو الشيخ الكامل المكمل، محيي الملة والدين، قدس الله روحه، وكثر من فتوحه. ويحال إلى عدة نسخ من النص المشروح كما تبين عبارات مثل «في بعض النسخ»، «في نسخة أخرى»، «هكذا في النسخة المقروءة». ويتكرر ذلك أكثر من مرة[1].

وبتحليل ألفاظ الفقرات تبدو غلبة فعل «القول» وصياغاته المختلفة مما يدل على الفصل بين النصين، المشروح والشارح. ثم يتبعها أفعال أخرى مثل: وصف، صرح أردف، استغرب، بالغ، بيّن، أيد. وكلها تصف أفعال فكر صاحب النص المشروح وكأن الشارح قد دخل فكره وأصبح قادراً على وصف أفعال الشعور كما تبدو في النص. وهناك أفعال أخرى تدل على مسار الفكر من المقدمات إلى النتائج، ومن البدايات إلى النهايات يسبقها ظرف «لما» مثل: لما ذكر، لما فرغ، لما أشار، لما أنجز، لما كان... الخ. وهناك ألفاظ أخرى تدل على النتيجة مثل: الحاصل أو القياس أو ما سبق. وهناك أيضاً صيغ الشرط، التسليم بفعل الشرط يؤدي إلى التسليم بجواب الشرط. وهناك ألفاظ تدل على القصد والمراد مثل: والمراد، المقصود. وهناك ألفاظ البيان أو عبارات تضع الأجزاء في مجموعها. وقد تدل بعض الألفاظ على التقييم والحكم النقدي مثل «هذا كلام زخرفة ظن الشيخ». ويتم الشرح على ثلاث مستويات، مستوى اللفظ، وهي المترادفات والتعريفات مثل شرح النفث والروح لغة، وعلى مستوى المعاني وهو التوضيح والبيان مثل معنى السبوح، وعلى مستوى الأشياء وهو الكشف والرؤية في الفقرات التي تبدأ بالأسماء وليس بالأفعال[2].

وتأتي مادة الشرح من القرآن ثم الشعر ثم الحديث[3]. والأولوية للشعر على

---

(1) حوالي خمسين مرة.

(2) قال (18)، قلت (10)، قوله (8)، وصف، استشهد (2)، أردف، أيد، أكد، بالغ، استغرب (4) لما ذكر (16)، لما فرغ (14)، لما أشار، لما أنجز، لما كان (4)، لما عرف، لما حكم، لما أثبت، لما نفى، لما فسر، لما قيد، لما انساق (2)، الحاصل (4).
وعلى هذا القياس السابق، مثال ذلك، ما سبق، معناه، والإشارة إلى ذلك، بعد ما عرف هذا، وإذا عرفته ذلك (1). والمراد (14)، وكان المقصود، وإذا عرفت المعنى المراد (2)، وبيان ذلك (2)، وبالجملة، صفة لمجموع، وهذا مجمل لما فصل (2).

(3) الآيات (80)، الأشعار (14)، الأحاديث (8).

الحديث لجوءاً إلى التجربة الشعرية كأساس وجودي للتجربة الصوفية[1]. وفي نفس الوقت يعتمد على القسمة العقلية حتى يكون للشرح بنية نظرية يوضع النص المشروح فيها[2]. وتتم الإحالة إلى باقي الشروح مثل شرح مؤيد الجندي وبعض الشارحين الآخرين. كما يحال إلى باقي أعمال صاحب النص المشروح مثل «الفتوحات» شرحاً للجزء بالكل. كما يحال إلى بعض القواميس والمعاجم والإصحاحات شرحاً للجزء بالكل وللعمل بباقي الأعمال ويتوجه الشرح إلى القارئ بلفظ «اعلم» في صيغة الأمر[3].

8 ـ «شرح الحكم العطائية» لزروق (899هـ)[4]: وقد تكون الحكم العطائية أكثر النصوص الصوفية شرحاً مثل مقدمة ابن الحاجب في علم أصول الفقه. وهي أكثر شرحاً من «الإحياء» و «الفتوحات» و «الفصوص». مؤلفها سكندري وليس قاهرياً. ومع ذلك ذاعت كنص مشروح لصياغتها الأدبية، ومضمونها الأخلاقي، وصيغتها العملية. ربما لأنها وعظ ديني في حاجة إلى بنية عقلية، وتحويلها من التصوف العملي إلى التصوف النظري، ومن الأخلاق إلى الفلسفة[5]. وربما لوضعها مئات الحكم في فصول أصغر، خمسة وعشرين فصلاً. والسؤال هو: لماذا خمسة وعشرون فصلاً؟ وتنقسم المناجاة إلى فصلين فقط. وهي خالية من القسمة لصعوبة ذلك.

ويعني الشرح هنا «التفسير» بالمعنى التقليدي أي الشرح الأكبر، فصلاً بين النص المشروح والنص الشارح كما هو الحال في تفسير القرآن. يبدأ النص الشارح بلفظ «قلت» تمييزاً له عن النص المشروح. والآيات في «المناجاة» قليلة لأن المناجاة كشكل أدبي إبداع فني خالص. وتتكرر بعض الحجج النقلية أكثر من مرة[6]. وتأتي

---

(1) شرح الجامي للفصوص ص11/ 55/ 201/ 204/ 213/ 237/ 261/ 277/ 279/ 328/ 346/ 492/ 512.

(2) السابق ص57/ 91/ 98/ 105/ 133/ 142/ 235/ 345/ 485.

(3) ذُكر حوالي أربعين مرة.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م- 1426هـ.

(5) القسمة العقلية حوالي (26)، شرح الحكم العطائية ص16/ 18/ 20-21/ 23/ 29/ 31/ 41-42/ 70/ 73/ 79/ 91-92/ 108-109/ 113/ 144/ 172/ 184/ 193-194/ 205/ 211/ 221/ 227.

(6) السابق ص186/ 220/ 242.

مادة الشرح كالعادة من القرآن والحديث. والقرآن أكثر من الشعر ثم الحديث أقلها[1]. كما يتم الاعتماد على أقوال الصوفية كتراث متراكم في الوعي التاريخي. ويحال إلى باقي مؤلفات المشروح مثل «التنوير» و«لطائف المنن» وإلى مؤلفات الشارح مثل «التنبيه» لاستكمال الموضوع[2]. وتؤخذ بعض الاقتباسات والدلالة عليها بلفظ «انتهى»[3]. ويستشهد بأحمد بن حنبل دون صراع موهوم بين الفقهاء والصوفية[4].

9 ـ **«شرح الرسالة القشيرية» لزكريا الأنصاري(926هـ)**[5]: وهو شرح ضخم في أربعة أجزاء بين المؤلف والشارح ما يقرب من خمسة قرون، يتبع نفس التقسيم الثلاثي للرسالة: أسماء الأعلام، والألفاظ والمصطلحات، وآداب الشيخ والمريد. وهو من نوع الشرح الأكبر أي الفصل بين النص المشروح والنص الشارح بلفظ القول في صيغة «قوله» دون ذكر القول كله. ولا يذكر الدافع على الشرح. ربما كان تمريناً علمياً أو متطلباً دراسياً أو نيل درجة. فالشارح شيخ الإسلام، وأحياناً يجادل الشارح الفرق الكلامية، وينكر آراء المعتزلة أي القدرية[6]. ويتم الشرح على نفس المستويات الثلاثة للنص، اللفظ وهو الشرح اللغوي، والمعنى هو البيان والتوضيح، والموضوعي وهو كشف الموضوع ذاته. وتأتي مادة الشرح من القرآن ثم الشعر ثم الحديث[7]. كما يعتمد الشرح على مادة سابقة يقتبس منها بعلامة «أ هـ» أي انتهى[8].

10 ـ **«شرح فصوص الحكم» لابن عربي لمصطفى بالي زاده الحنفي (960هـ)**[9]: «والشرح بعد المتن بأكثر من ثلاثة قرون، عبارة بعبارة، ولفظاً بلفظ

---

(1) الآيات (151)، الأشعار (53)، الأحاديث (44).

(2) التنوير، شرح الحكم العطائية ص17/ 39/ 69/ 85/ 143. لطائف المنن، السابق ص51/ 54/ 96/ 102/ 401/ 205/ 207، التنبيه، شرح الحكم ص187.

(3) السابق ص46/ 57/ 90/ 96/ 146/ 149/ 150/ 161/ 190/ 208/ 216/ 226/ 236/ 192/ 225.

(4) السابق ص87.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م- 1420هـ (4 أجزاء في مجلدين).

(6) السابق ص81.

(7) القرآن (68)، الأشعار (18)، الأحاديث (10).

(8) شرح الرسالة القشيرية ص10/ 14.

(9) دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ (على الفلاق1069).

دون مقدمة نظرية تضع الغاية من الشرح ومنهجه وأسلوبه وسببه. والمتن من أكثر المتون شروحاً مع الحكم العطائية. ويوضح اللفظ المنقول باللفظ المعرب مثل الحسبانية أي السوفسطائية[1]. لذلك أتى الشرح بلا هدف، مجرد تحصيل حاصل، دون قراءة أو تأويل أو نقد. وتوجد صفحات طويلة من المتن بلا شرح[2]. ويتبع الشرح نفس تبويب المتن. يضيف أحياناً قسمة عقلية مثل شرح كلمة نص في أربعة معان[3]. وفي النهاية يتم مدح الشارح والمشروح والسلطان. فالمشروح هو القطب، والشارح هو خليفة الصوفية. والسلطان الخاقان الأضخم خليفة الله الأعظم[4]. ومادة الشرح القرآن والحديث دون الشعر أو أقوال الصوفية. والقرآن أكثر من الحديث لأنه المصدر الأول للتصوف[5]. وبالرغم من أن المتن به أيضاً مصادره في القرآن والحديث إلا أن الشرح يزيد من الفصوص. وقد يكمل الشرح آية المتن. ويعتمد على تفسير البيضاوي[6].

(1) السابق ص174.

(2) السابق ص152-156/ 293-294.

(3) السابق ص18.

(4) صاحب المتن هو سيدنا قطب الوجود، حاتمي الأصل والعلم، معدن الفضل والجود، الإمام الرباني، الشيخ الأكبر، الغوث، الفرد، الصمداني، الكبريت الأحمر، سيدي ومولاي ووسيلتي ومنتماي...»، السابق ص326. والشارح لفصوص الحكم «بيد أنه كنز مغلق مطلسم، جلي العبارة، خفي الإشارة. فقد انتدب الجسم الفقير لفتح كنوزه، وحل مشكلات رموزه. وكان من جملة من أتى بالشرح المفيد، وذكر ما ليس عليه بمزيد، بشر زمانه وجنيد عصره وأوانه، العلامة الفاضل، الفهامة الكامل الشيخ بالي أفندي.. المعيد المبدي المكنى بخليفة الصوفية...» السابق ص326، وقد طبع الكتاب «بعون الملك الوهاب في عصر حضرة سلطاننا الأعظم وخاقاننا الأضخم خليفة الله الأعظم على أفراد بني الإنسان ثاني الحميد بن صرامة وجزماً من ملوك آل عثمان من بسط رعيته سحائب الأمن والأمان فأصبحت الرعية ساكنة في ظل الأمان، داخلة في ثوب العز والامتنان، المؤيد المظفر، المعان المحفوف بعناية الملك الديان، بدر الملة الإسلامية، مجدد الدولة العثمانية، المحفوظ بالقرآن والسبع المثان، مولانا السلطان بن السلطان بن السلطان الغازي (عبد المجيد) خان الثاني. خلد الله أيام خلافته ما تعاقب الشهور والسنون، وأجرى أحكام سلطنته في أكناف الربيع المسكون، وحفظه وذريته وعائلته ومن يلوذ به ومملكته بالسبع من الست في الخمس من كل الآفات، بجاه فاء الفتح وطاء الطمس وعناية أهل الإشارات...»، السابق ص326.

(5) الآيات (236)، الأحاديث (6)، القدسية (1).

(6) شرح فصوص الحكم ص208.

11 ـ «أشرف الرسائل إلى فهم الشمائل» لابن حجر الهيثمي (974هـ)[1]: وهو شرح لمتن «الشمائل النبوية» لأبي عيسى الترمذي الضرير(279هـ). وبين النصين سبعة قرون. ولا يذكر لفظ الشرح في العنوان. وهو شرح عبارة بل لفظاً لفظاً مع زيادة في الروايات الخيالية عن حياة الرسول، مولده وجسده وطعامه وشرابه، خلطاً بين الخاص والعام، بين الإنسان والنبي. وكلها روايات وليست أقوالاً مباشرة له، حكايات عنه وليست كلاماً منه. لا فائدة منها. وأخبار كلها ضعيفة[2]. يعتمد على الحديث والقرآن وحدهما دون الشعر أو أقوال الصوفية[3]. ولا يوجد سبب معين للتأليف. ونظراً لتركيزه على شخص الرسول فإنه يمكن تصنيفه في علم السيرة وليست في علم التصوف لغياب الصوفية، أعلاماً ونظريات. ويخلو من الإسرائيليات مع أن المجال متسع في قصص الأنبياء والتنبؤ به في الكتب المقدسة السابقة. ويذكر من الصوفية القليل مثل الغزالي، ومن الفقهاء الشافعي والسبكي. ومن علماء القرآن الزركشي. ومن الفرق المعتزلة[4].

12 ـ «شرح حكم الشيخ الأكبر» لملا حسن القادري الدمشقي الشافعي (1148)[5]: وبين المتن والشرح أكثر من خمسة قرون. والشرح حكمة حكمة ثم لفظاً لفظاً بعد تقطيع الحكمة على ألفاظ.. والمحقق يطيل شرحه في الهوامش زيادة في التعالم. ومع الحكم تضاف الاقتباسات الإلهية وشرح لحديث وقواعد للتربي[6]. ويبدأ الشرح بمقدمة نظرية طويلة عن تأويل الحروف، وهو الموضوع الأثير عند ابن عربي[7]. ويغرق الشرح في الإشراقيات الكونية. فأسماء الأفلاك

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 1998م-1419هـ.
(2) يشمل المتن ستة وخمسين باباً عن خلقه وخاتمه وشعره وترجله وشيبه وخضابه وكحله ولباسه وعيشه وخفه ونعله وسيفه ودرعه وعمامته وإزاره ومشيته وجلسته، وتكأته وأكله وخبزه وآدابه ورضوعه وتسميته على الطعام وقدحه وفاكهته وشربه وتعطره وكلامه وضحكته ومزاحه وسحره ونومه وعبادته وتطوعه وصومه وقراءته وبكائه وفراشه وتواضعه وخلقه وحيائه وحجامته وأسمائه وعيشه وسنة وفاته وميراثه ورؤيته.
(3) الأحاديث (168)، الآيات (94).
(4) الشافعي (2)، الغزالي، الزركشي، السبكي (1)، المعتزلة (2).
(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ.
(6) الحكم (160)، الاقتباسات الإلهية (100)، شرح حديث (20)، قواعد التربي (39).
(7) شرح حكم ص13-28.

مشتقة من أسماء الأنبياء[1] وبطبيعة الحال يتم الشرح بالقرآن والحديث والشعر واقتباسات من أقوال الصوفية[2]. وتنتهي الاقتباسات بلفظ «انتهى» أو «انتهى ملخصا». وتختلط أقوال الرسول بأقوال أفلاطون مثل«مت بالإرادة تحيا بالطبيعة». وأهم الصوفية الجيلي ثم ابن عربي وإبراهيم المتبولي والجنيد ثم الشعراني والجامي والكرخي والبسطامي وابن عطاء وغيرهم[3]. كما تستعمل باقي مؤلفات ابن عربي لشرح ابن عربي بابن عربي خاصة بالإحالة إلى «الفتوحات» و«الفصوص» بآيات وأحاديث وأشعار أكثر مما هو موجود في المتن. كما يستعمل شعر ابن عربي في شرح حكمه. وتذكر معلومات تاريخية عن صاحب المتن، ميلاده ووفاته وأعماله وشيوخه وتلاميذه، ومناقبه وكرامته[4]. وتستعمل بعض الإسرائيليات في روايات الأنبياء السابقين خاصة موسى وعيسى[5] ومع ذلك لا يخلو الشرح من القسمة العقلية وإعطاء بعض التعريفات النظرية[6]. والحكم نظراً لبساطتها ليست في حاجة إلى شرح. قوتها في قصرها وتركيزها ومخاطبتها الوجدان مباشرة بعبارة شرطية، فعل الشرط وجواب الشرط. هي دعوة إلى الفعل وليس إلى الفهم. وهي مثل «جوامع الكلم» للرسول، بلاغة وحكمة. وتتمثل بلاغتها في محسناتها البديعية خاصة الجناس والطباق وكأنها شعر منثور. ومازال الخطاب موجهاً إلى القارئ وكأن الشرح مازالت له رسائل ليتأملها[7]. ويحذر الشارح من القرن العاشر وقد أتى بعده بقرنين. هل لدورة ألفية في التاريخ كما هو معروف في تاريخ الأديان بالرغم من أن الدورة الإسلامية مائة عام، قرنٌ من الزمان؟[8]. هل هو عصر الفتن

(1) السابق ص183.
(2) الآيات (330)، الأحاديث (141)، القدسية (10)، الأشعار (68).
(3) الجيلي (3)، الجنيد، ابن عربي، إبراهيم المتبولي (2)، الجامعي، الكرخي، الأشعاراني، إبراهيم الخواص، ابن عطاء الله، أبو طالب المكي، البسطامي، الهروي الأنصاري.
(4) شرح حكم ص9-12.
(5) السابق ص183.
(6) السابق ص227/ 231/ 285/ 229.
(7) السابق ص243.
(8) هذه هي الحكم الثلاثة، 93- «في القرن العاشر من الأهوال ما يكفي عن المقال»، 94- «في العاشر من القرون كن في الخمول مدفون»، 95- «في العاشر من القرون تسوء بالصالحين الظنون»، السابق ص346-347.

والأهوال بالرغم من أنه ليس أكثر هولاً من القرن السادس وتدمير بغداد؟ والحروب الصليبية واحتلال الفرس لم تبدأ بعد. ويبدو أن النصيحة في وقت الفتن الاختباء والانعزال.

13 ـ «إحياء القلوب»، شرح الشيخ عبد القادر الرافعي الفاروقي الطرابلسي على حكم شيخه سيدي محمود الكرخي الخلوتي(1195هـ)[1]: وهو شرح عبارة عبارة، وليس لفظاً لفظاً. يتجاوز الشرح اللغوي النحو القاموسى الاشتقاقي للألفاظ إلى الشرح الموضوعي. فاللفظ مثل «الزهد» أو «التوكل» ليس مجرد لفظ له معنى بل يحيل إلى موضوع يعرضه الشارع ويؤلف فيه تأليفاً مستقلاً. يحتاج إلى المتن فقط كنقطة بداية، كمرشد ودليل، والاعتماد على شيء سابق، نظراً لعدم القدرة على وضع شيء جديد لنهاية عصر الإبداع وبداية عصر النقل. فالأصل عند القدماء، وليس للمحدثين إلا التهميش على المتن القديم، ربما لضعف العقل أو نقص في اليقين. وتتوالى الموضوعات متناثرة طبقاً لورودها في النص، ودون وضعها في أبواب وفصول. المتن «عكاز» أو «مسند» للشرح. هو الذي يعطي الموضوع. والشرح تجميع لمواد عدة من القرآن والحديث والشعر وأقوال الصحابة والصوفية، قدماء ومحدثين[2]. ويتقدم الصوفية ابن عربي، وابن عطاء الله السكندري والشعراني، ثم الجيلي والشاذلي، ثم مالك بن دينار، وإبراهيم بن أدهم، وبشر الحارث والغزالي وغيرهم[3]. وتؤخذ اقتباسات منهم بالعلامة (1 هـ). كما يحال إلى مصادر مدونة[4]. ويعتمد على الإسرائيليات وأقوال الأنبياء خاصة عيسى وموسى[5]. وجاء الشرح بناء على رؤية الرسول في المنام. ويصنف كثيراً من مناقب المشايخ وكراماتهم[6]. ومع ذلك لا يخلو الشرح من بعد التحليل

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت2005م-1426هـ.

(2) الآيات (260)، الأحاديث (255)، القدسية (5).

(3) ابن عربي، ابن عطاء الله السكندري، الأشعاراني (3)، الشاذلي (2)، مالك بن دينار، إبراهيم الدسوقي، القشيري، إبراهيم بن أدهم، بشر الحارث، ابن السماك (1).

(4) مثل: الأنوار القدسية في آداب العبودية للشعراني، السابق ص97.

(5) السابق ص16/ 18/ 54. وتقتبس أقاويل من الجنيد والسقاف، وأبي مدين والجيلي.

(6) السابق ص7.

العقلي مثل رصد بعض الموضوعات وإحصائها[1] وأهم الموضوعات التي تناولها الشرح من التصوف الخلقي الجوع والحسد والغل والتكبر والجود والجهل، ومن الأحوال الخوف واليأس. ومن التصوف النظري نور الحق. ومن التصوف العملي الذكر والتفكر والعزلة، والطاعة، والمجاهدة، والجماعة.

14 ـ «توضيح المرام ومسرح الأفهام» للشيخ حسين بن آدم (1335هـ)[2]: والمتن هو «تنبيه الأنام في الصلاة على خير الأنام» لعبد الجليل بن عظوم القيرواني(960هـ). فبين المتن والشرح حوالي أربعة قرون. وهو بلا هدف إلا تجميع العلوم لإظهار علم العالم المنقول. لا جديد فيه، في حين أن تحميل المتن بشرح واقتباسات إضعاف له وإغماض لأثره وتقويض لمباشرته. لا قيمة له من حيث الموضوع. بل يكشف عن الذات، عقلية الشارح وطبيعة الحضارة المتأخرة. وهو شرح لفظ بلفظ للتأييد وليس للمعارضة. فلا توجد شروح معارضة من الأساس. كلها تأييد وتفريط ومدح في المتن وصاحبه. وهو الدافع على الشرح. بالإضافة إلى الصدقة الجارية على أبيه وأمه[3].

وموضوعاته كلها حول شخص الرسول، ولادته ورضاعته ونسبه ونوره وانتقاله من صلب إلى صلب، والصلاة عليه وإطلاق ألقاب السيد والمولى والمحب والحافظ عليه، وأسمائه وصفاته وشمائله وخصائصه وفضائله وأخلاقه وصفاته الحية، وعلو قدره على سائر الأنبياء، والإسراء والمعراج، وإخباره بالغيب. وما رآه بالعين، والدعاء لتفريج الكروب، وكراماته ومعجزاته ودعواته وأدعيته وعصمته وأوامره، ومقالاته ومناقبه وإمامته وأفعاله، وحسن الظن به والاشتياق إليه. . .الخ. ومن ثم تتحول الرسالة إلى الرسول، والنبوة إلى النبي.

---

(1) مثل إحصاء فوائد الجوع ص57-59.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ.

(3) «هذا شرح وجيز مفيد إن شاء الله تعالى، وضعته على كتاب «تنبيه الأنام على خير الأنام» مع الثناء والمدح بما تضمنه خير الأنام تأليف الشيخ الإمام الجليل محمد بن أحمد بن عظوم القيرواني المغربي. ولم أر من شرحه غيري. فأكون أنا الذي حل مغلقه. . . وما حملني على شرحه الآن إلا إرادتي أن يكون لأبي حبيب بن آدم وأمي فاطمة بنت عبد الله من الصدقة الجارية. . .، السابق ص4.

وتعتمد مادة الشرح على الحديث أولاً ثم القرآن ثم الشعر[1]. وهو شرح ضخم في جزأين[2].

15 ـ «سراج الطالبين على منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين للغزالي» لأحمد دحلان (1360هـ)[3]: وهناك ثمانية قرون بين المتن والشرح مما يدل على أن الزمان ليس عاملاً مؤثراً في اختيار المتن المشروح، قصر أم طال. وهو شرح مطول للغاية، لفظاً بلفظ كما تدل على ذلك محتويات الكتاب وحجم الشرح الذي يفوق ثلاثة أضعاف المتن. المتن في أعلى الصفحة. والشرح في أسفلها، أسوة بالمحدثين. يخلو من الفكر أو التأويل، مجرد تجميع لمواد من علوم الحديث والفقه دفاعاً عن التصوف ضد منتقديه، وإرجاعه إلى العلوم النقلية، وإفراغه من العلوم النظرية والذوقية[4]. ويتم الاستطراد في علم الكلام لإدخال التصوف في علم العقائد، وبالتالي إضفاء الشرعية عليه[5]. ويتطرق إلى موضوعات كلامية وفقهية وصوفية دون الفلسفية وباقي العلوم المشبوهة. والتصوف في النهاية فرقة من الفرق الكلامية[6]. ولإبراز أهمية بعض الشروح تستعمل ألفاظ مثل «فائدة»، «فائدة جليلة»، «تتمة»، «تنبيه»، «غريبة». . . إلخ[7]. ويعترف الشارح بأن جهده ما هو إلا في الجمع من كلام العلماء الراسخين، يأخذ الصائب، ويترك الشارد بالرغم من عدم أهليته للحكم. وهذا أقصى جهده في التأليف. والجمع هم وحزن[8].

(1) الأحاديث (160)، الآيات (80)، الأشعار (24).

(2) جـ1 (411)ص، جـ2 (413)ص.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ.

(4) «قال ويعجبني من هذا الفقيه الذي استلب التصوف علمه وعقله أكثر من تعجبني من هذا المستلب للثياب من الحمام. فيا ليت أبا حامد بقي مع القواعد الفقهية، واستغنى عن هذه الهذيانات. والجواب عن هذا كله أن القوم مجتهدون في إحكام الطريق»، السابق جـ1/ ص30.

(5) السابق جـ1/ 39.

(6) السابق جـ1/ 303.

(7) السابق جـ1/ 94/ 103/ 115/ 455.

(8) «وما لي في هذا المجموع إلا التقلل والجمع من كلام العلماء الراسخين: والصلحاء العارفين. فإذا رأيت صواباً فمن هؤلاء الأعلام. وإن رأيت خلل فمن وهم صدر مني لشرود الأفهام لعدم تأهلي لذلك، وقصوري عن الوصول إلى ما هنالك. فالمتصدي =

والشارح على وعي بالشرح ويبرز اللفظ أكثر من مرة[1]. وتأتي مادة الشرح من القرآن والشعر والحديث[2]. ويضاف ما يضاف إلى الآيات كأسباب النزول. وتذكر الأسانيد مع المتون زيادة في جمع المادة. وتكثر الأحاديث عن الله مثل الأحاديث القدسية، وأحاديث الرسول في المنام[3]. وتقتبس فقرات عديدة من المصادر المدونة مع علامة «أ هـ» أو تلخيصها «انتهت عبارته ملخصاً»[4]. ومنها القواميس[5]. ويتم شرح الغزالي بالغزالي بالإحالة إلى باقي مؤلفاته خاصة الإحياء ومعراج السالكين، ويحال إلى عديد من أعلام الصوفية ابتداء من أقوال الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين. فالكل صوفية. والصوفية منهم ومعهم. ويحال إلى عديد من المصادر الفقهية عن العلم[6].كما يعتمد على الإسرائيليات في تاريخ النبوات. فالوحي متصل بصرف النظر عن درجة صحته التاريخية[7]. وأحياناً يكون الشرح متصلاً دون تدخل أجزاء المتن المتقطعة. يعتمد على القسمة العقلية بالتصنيف. وتخلو من المنقول[8].

وإذا كان المتن يتضمن سبعة أبواب في سبعة أبواب في سبعة عقبات فإن

= للتأليف والمعتني بالتصنيف ولو بلغ السهى في النهى فقد استهدف. ومن أنصف أسعف. ولله در بعض الأكياس حيث قال: من صنّف فقد وضع عقله في طبق وعرضه على الناس. لا سيما من كان مثلي قليل البضاعة، في كل علم وصناعة. على أني والله عز وجل يعلم في أكثر من مدة جمعي له في هم وحزن، مع قلة المعين والناصر والمنبه والمذاكر. فإن تصفح الناظر فيه الغلط فليصفح. ولا يكن من أناس بالأغاليط يفرحون. وليصلح بعد التأمل ما يجده فاسداً...»، السابق ص3-4.

(1) «شرح لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وما جاء في فضلها»، السابق جـ1/ 61، «شرح علم المكاشفة...»، السابق ص62، باب شرح العقبة الثالثة وهي عقبة العوائق»، «سراج الطالبين على منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين للغزالي» لأحمد دحلان (1360هـ)، ص163.

(2) الآيات (960)، الأشعار (328)، الأحادبث (280).

(3) سراج الطالبين جـ1/ 47.

(4) السابق ص58.

(5) السابق ص80.

(6) مثل «بيان العلم وفضله» للقاضي ابن عبد البر، السابق ص81/ 85.

(7) السابق ص72

(8) السابق ص75-77/ 84-85/ 99-100/ 185.

الشرح يعطي أكبر قدر ممكن من التفصيلات والمعلومات عنها[1].همه تعريف التصوف تعريفاً شرعياً وشرح مبادئه[2]. ويتجه الشرح نحو شخص صاحب المتن، الغزالي، مجدد القرن الخامس الهجري، مولده ووفاته وكفنه وأعماله وإرثه[3]. وتظهر بعض موضوعات الكلام مثل الاستدلال بالصنعة على الصانع والنظر والاستدلال والذات والصفات والأفعال والأخرويات وقصص الأنبياء، يضاف إلى ذلك نقد الفرق الكلامية كالمعتزلة[4].

ثم تبرز الموضوعات الصوفية من التصوف الخلقي، الرذائل مثل العجب والرياء، والفضائل مثل التقوى والصمت والإخلاص وخواطر النفس، ومن التصوف النفسي المقامات والأحوال، مثل التوبة والتوكل والرضى والشكر والفقر وأفعال القلوب. ومن التصوف النظري وفي مقدمتها شخص الرسول، والحقيقة المحمدية، يضاف إليها معجزات الرسول، ومدح الرسول. ومنها القرب من الله ومناجاته، والأبدال والأقطاب، وأحوال الطريق والعزلة والصحبة. ويظهر التصوف كنقد لأحوال العصر سواء في المتن أو الشرح مثل الانكباب على الدنيا. فالتصوف رد فعل على أوضاع البذخ والترف التي سادت حياة المسلمين[5].

16 ـ «تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير» لأبي الفيض الزبيدي (1205هـ)[6]: وهو شرح لفظي، لفظاً بلفظ، بعد كتابة شرح مختصر وصياغته. كتب هذا الشرح، وسطاً بين الإخلال والإطالة، ومعتمداً على مصادر سابقة. وهو حزب البر في مقابل حزب البحر. وفضائله كثيرة في الوصول إلى الغاية القصوى، وهي النجاة في الآخرة. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية[7]. وفي مقدمة الصوفية المغيلي ثم ابن عربي (الشيخ الأكبر) ثم الترمذي والمروزي ثم

(1) السابق جـ1/ 5/ 232/ 234.

(2) السابق ص7-9.

(3) «من الدقائق التي نكرها المنكرون وطعنوا فيها على الإمام الغزالي ما دفعت في مواضع من الأحياء»، السابق ص25-32.

(4) السابق ص86-125 جـ2/ 332-334.

(5) «اعلم أن هذا الزمان قد أصبح في فساد عظيم»، السابق ص205-206.

(6) دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1423هـ ص32-109.

(7) الآيات (132)، الأحاديث (6)، القدسية (1)، الأشعار (2).

الجنيد وآخرون[1]. وتقتبس أقوال تنتهي بلفظ «انتهى». ومن الفرق المعتزلة والأشاعرة، ومن الأنبياء يذكر يوسف. وتستعمل أحياناً القسمة العقلية[2]. ويقوم أحياناً على بعض التجارب الشخصية[3]. وتظهر في الأسلوب بعض ألفاظ التلخيص والمراجعة مثل «وحاصله»[4].

17 ـ شروح ابن عجيبة (1224هـ):

أ ـ «شرح صلاة القطب ابن مشيش»[5]: ولا يوجد سبب خاص للتأليف إلا جمع المعلومات لإثبات علم الشارح بناء على طلب أحد المشايخ[6]. والشرح لفظ بلفظ مع مقدمة عامة عن حِكم صاحب النص قبل تقطيعه[7] ومادة الشرح كالعادة من الشعر ثم القرآن ثم الحديث[8]. ويعتمد الشرح على مصادر مكتوبة يقتبس منها، والإشارة إلى ذلك بعلامة «اهـ». ويضيف إلى زكريا همزة كما يضيفها إلى ابن سينا تعالماً خاطئاً. ومن الصوفية يذكر الحلاج وابن الفارض. ومن المؤرخين ابن خلدون[9].

ب ـ «الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية»[10]: واستمر الشرح لفترة متأخرة ومازال مستمراً. فالعقلية الشارحة نتيجة الشروح المستمرة أصبحت طبعاً وعادة. والمتن هو «المباحث الأصلية» لابن البنا السرقسطي. أراد الشارح أن يضع له شرحاً متوسطاً ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، يبين المعنى ويحقق المبنى[11]. ويتبع طريقة الشرح المعروفة، تقطيع المتن إلى المتناهي في الصغر،

---

(1) المغيلي (5)، الترمذي (4)، ابن عربي (2)، الجنيد، الصيرفي، المحشي (1). ومن الصحابة الحسن بن علي (1). ومن الفرق: المعتزلة، الأشاعرة (1). ومن الأنبياء يوسف (1).

(2) تنبيه العارف ص43/ 65-66.

(3) السابق ص57.

(4) السابق ص49.

(5) اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (3) ص143-179.

(6) السابق ص143.

(7) السابق ص143-149.

(8) الأشعار (22)، الآيات (18)، الأحاديث (3)، القدسية (1).

(9) الحلاج، ابن الفارض، ابن خلدون (1).

(10) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م-1420هـ.

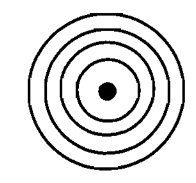
(11) السابق ص4.

لفظاً لفظاً بل وحرفاً حرفاً، واتخاذ اللفظ تكئة يستند عليها لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات من المصادر المدونة عليها بما في ذلك المعاني اللغوية للفظ وليس فقط المعاني الاصطلاحية. والعنوان مستمد من ابن عربي. ومع ذلك لا جديد فيه. كله حشو وجمع وتراكم، دون قراءة أو تأويل أو تجاوز أو نقد. يدافع عن التصوف ضد منتقديه. ومن ثم يسير في اتجاه معاكس للموقف الإصلاحي الناقد للتصوف مثل إقبال والأفغاني. الأنبياء صوفية، والصحابة صوفية، وكل العلماء صوفية. ويشفعه برسم توضيحي[1]. الشرح هنا تأليف غير مباشر وتأليف بالمعنى المتأخر. هو تجميع لمعلومات سابقة خشية من الاندثار في الذاكرة الجمعية بعد الغارات على العالم الإسلامي من الغرب أولاً ومن الشرق ثانياً. وأحياناً يظهر نقد العصر بين الحين والأخر وهو ما سماه أحد الشيوخ «فساد الوقت»[2]. ويعتمد على الشعر والقرآن والحديث[3]. كما يحيل إلى عديد من أعلام الصوفية ومؤلفاتهم وفي مقدمتهم زورق ثم السلمي ثم الجنيد ثم إبراهيم بن أدهم والقشيري والسري السقطي والغزالي والشاذلي وغيرهم[4]. ومن الأعمال الصوفية يتقدم «الحكم» و«لطائف المنن» ثم «عوارف المعارف»، ثم «قوت القلوب»[5]. ومن الطرق الصوفية يتقدم الشاذلية[6]. ومن الوافد يظهر بقراط وجالينوس للتعالم[7].

---

(1) السابق ص13.

(2) «وهي صورة دوائر الحس، النقطة الحضرة، والدائرة الأولى للنبيين، والثانية للصديقين وهم الأولياء، والثالثة للشهداء وهم السائرون، والرابعة للصالحين ومن ورائهم علماء المسلمين».



(3) الأشعار (306)، الآيات (192)، الأحاديث (130).

(4) زورق (14)، السلمي (6)، الجنيد، أبو مدين (5)، التستري (4)، إبراهيم بن أدهم، القشيري، البوصيري، السري السقطي، الشاذلي، الغزالي (3)، ذو النون (2)، مالك بن دينار، يحيى بن معاذ، ابن عربي، علي الجمل، الفضيل بن عياض، حمدون القصار، بشر الحافي، السهروردي (1).

(5) «الحكم» (5)، لطائف المنن (4)، عوارف المعارف (3)، قوت القلوب (1).

(6) الطرق الصوفية: الشاذلية (3).

(7) الفتوحات الإلهية ص93-94.

جـ ـ **«شرح صلاة الشيخ الأكبر»**[1]: صاحب المتن هو الشيخ الأكبر وصاحب الشرح العبد الفقير إلى مولاه الغني عما سواه. والصلاة أوب إلى الوجدان في حين أن الشرح أقرب إلى العقل. ومن ثم فالصلاة لا تُشرح بل تمارس. وتظهر بعض المصطلحات في الشرح في حاجة إلى شرح آخر مثل«الذات المطلسم»، ويتجه الشرح نحو «الحقيقة المحمدية» أحد أشكال «الحقيقة المحمدية»، فالشرح عقائدي سابق على النص المشروح. الشرح مجرد مناسبة أو آلية أو ذريعة لتعليق عقائد الصوفية المتأخرة عليه. ومادة الشرح من الشعر والحديث والقرآن[2]. ويحال إلى بعض الصوفية مثل ابن عربي ثم ابن مشيش والبوصيري[3].

د ـ **«شرح بعض مقتطفات التستري»**[4]: وهو شرح على بعض مقتطفات وليس على نص كامل. ويذكر المقتطفات واحداً تلو الآخر يتخللها الشرح. وأحياناً يقطع المقتطف إلى ألفاظ، وتضاف معلومات خارجية على المتن، حياة صاحب المتن ومؤلفاته وأساتذته. ويعتمد الشرح على الشعر والقرآن والحديث[5]. كما يعتمد على اقتباسات بعض الصوفية مثل ابن سبعين ثم الجنيد وابن عطاء الله وصاحب العينية والشاذلي والتستري[6]. وينتهي كل اقتباس بعلامة «اًه».

هـ ـ **«إيقاظ الهمم في شرح الحكم»**[7]: والشرح هنا مثل التفسير أي الشرح الأكبر فصلاً بين النص المشروح والنص الشارح. والشرح حكمة حكمة. وإذا طالت الحكمة تقطع عبارة عبارة. والمناجاة مستقلة عن الحكم، وكذلك الرسائل

---

(1) اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ (6) ص259-266.
(2) الأشعار (8)، الأحاديث (2)، الآيات (1).
(3) ابن عربي (3)، ابن مشيش، البوصيري (1).
(4) اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (8) ص297-318.
(5) الأشعار (12)، الآيات (7)، الأحاديث (5).
(6) ابن سبعين (2)، الجنيد، ابن عطاء الله، صاحب العينية، الشاذلي، التستري (1).
(7) دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م - 1426هـ. يأتي شرح ابن عجيبة تالياً لشرح زروق مع أن هناك شروحاً أخرى سابقة عليه مثل شرح مشكلات الفتوحات للجيلي (832هـ) و«شرح الفصوص» للجامي (898هـ) وشرح الرسالة القشيرية لزكريا للأنصاري (936هـ)، و«الذخر والعدة في شرح البردة»، للصديق المكي (1057).

الأربعة للمؤلف[1]. كما يعقد الشارح مقدمتين عن تعريف التصوف وتعريف الشروح[2]. والعنوان دال. فالمقصود من الشرح إيقاظ الهمم أي التذكير والتنبيه وجذب الانتباه والإيقاظ. وقسمت الحكم إلى خمسة وعشرين باباً مثل شرح زروق دون بيان الأسباب أو الدوافع أو الحكمة لذلك[3]. كما لا توجد حكمة واضحة في قسمة الشرح إلى جزأين في كل منها عدة حكم مقسمة بدورها إلى أبواب[4]. وقد لايكون هناك داع لهذا الشرح المسهب لحكم أخلاقية وعظية عملية سهلة وواضحة وموجهة للسلوك المباشر .ويعني الشرح الدخول في منطق النص المشروح، مقدماته ونتائجه، استدلالاته وبراهينه، ووصف المسار الفكري والمنطق الداخلي للنص المشروح. لذلك يكثر استعمال لفظ «والحاصل» أو «وحاصله» أو «المحصل» للدلالة على النتيجة العامة للنص المشروح وخلاصته النهائية[5]. ويفصل بين الاثنين فعل القول، «قلت». ويتم الربط بين الحكم في استدلال منطقي[6]. ومع ذلك يبدأ تقديس النص المشروح ويصبح الشارح العبد الفقير الذليل. ولا يوجد نقد للنص المشروح. فالمقدس لا يُنقد. والكامل لا نقص فيه. وتأتي مادة الشرح من القرآن والشعر والحديث مع أولوية القرآن على المصدرين الآخرين، وأسبقية الشعر على الحديث[7]. ويكثر الشعر في الشروح المتأخرة، فالشعر ديوان العرب الأول الحامل للذاكرة. فالشرح موجه إلى القارئ محافظاً قدر الإمكان على أسلوب «الحكم»[8]. وتتكرر الحجج النقلية أكثر من مرة. ولا توجد

---

(1) المراسلات، إيقاظ الهمم ص457-491.

(2) السابق ص15-22.

(3) عدد الحكم254.

(4) الجزء الأول يشمل الترجمتين للشارح والمشروح والمقدمتين بالإضافة إلى 121 حكمة مشروحة في اثني عشر باباً. والجزء الثاني يشمل 132 حكمة موزعة على ثلاثة عشر باباً.

(5) والحاصل، السابق ص148/ 178/ 234/ 235/ 252/ 296/ 300/ 312/ 337/ 342/ 356/ 377/ 409/ 410/ 451/ 465/ 468/ 503/ 538/ وحاصله، السابق ص 135/ 158/ 143/ 248/ 317/ 327/ 395/ 491، محصل، السابق ص278/ 281.

(6) السابق ص13/ 45.

(7) الآيات (522)، الأشعار (بصرف النظر عن عدد الأبيات في كل شاهد) (286)، الأحاديث (195).

(8) الله أعلم، إيقاظ الهمم ص101/ 118/ 228 فافهم، السابق ص131، تنبيه ص30/ 39/ 86، فذلكه ص73.

أشعار في المراسلات. فالموضوع لا يحتمل ولا يحتاج. كما يعتمد على أقوال الصوفية والشروح السابقة خاصة شرح «زورق». ويقتبس من بعض المصادر المدونة[1]. ويحال إلى مؤلفات الشروح الأخرى مثل «لطائف المنن» و «التنوير»[2]. وتؤخذ عدة اقتباسات ووضع علامة «انتهى»[3]. ويحال إلى الحكماء مع الصوفية لاشتراكهم في الحكمة «الإشراقية» كما وضح ذلك عند ابن سينا والسهروردي. وتظهر الإسرائيليات في حكايات الأنبياء السابقين وأحاديث الله معهم[4]. وهناك بعض اللازمات اللغوية مثل «الله أعلم» تعبيراً عن الأشعرية ومخاطبة القارئ ودعوته إلى الفهم في الصيغة الأمرية «فافهم»[5].

18 ـ «شرح السبعات والصلوات» للدردير الجنيد (القرن الثالث عشر)[6]: والسبعات عشرة أشياء وسبعة. فالعدد سبعة عدد رمزي والعدد عشرة أيضاً كذلك طبقاً لعلم الأعداد الشرقي القديم. والشرح هنا ليس شرح لفظ بلفظ أو عبارة بعبارة ولكن تدعيم النص النظري المشروح بالأدلة النقلية من القرآن والحديث[7]. من الصوفية يذكر مصطفى البكري ثم الجزولي والفاسي من المتأخرين، والحكيم الترمذي من المتقدمين[8]. وفي النهاية ينقسم النص إلى أربعة فصول. الأول عن التسبيح والثاني عن الحمد، والثالث عن التوحيد، والرابع عن الحوقلة[9].

19 ـ شروح المنلا (القرن الثالث عشر):

أ ـ «الصلاة الكبرى في شرح الصلاة الصغرى»[10]: يحاول إبراز موضوعات

(1) السابق ص199.
(2) السابق ص175.
(3) لطائف المنن، إيقاظ الهمم ص70/ 124/ 141/ 201-202/ 274/ 432-433. التنوير، السابق ص34/ 139-140/ 217/ 290/ . 507.
(4) السابق ص46.
(5) انتهى، السابق ص64/ 72/ 118/ 131/ 139/ 142/ 160-161/ 508/ 511/ 513/ 526/ 535/ 542.
(6) دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ (5) ص217-239.
(7) الآيات (83)، الأحاديث (48)، الأشعار (3).
(8) مصطفى البكري (2)، الجزولي، الفاسي، الترمذي (1).
(9) شرح المسبعات ص232-335.
(10) السفينة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسنى (561هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1423هـ (2) ص49-116.

المتن مثل فضل الصلاة على النبي وثمراتها وما قيل فيها نظماً وفوائدها الثلاث مستنبطة من خصائصه ومن اسمه ومن حروفه الأربعة، وشرفه الأموي، والعمامة الخضراء للأشراف، وأبنائه وأزواجه وسراريه ونسبه ونسب أمه. ويتم التركيز على المناقب والكرامات. ويظهر لفظ «فصل» مرة واحدة وبلا عنوان[1]. ويقطع النص قطعاً صغيرة للغاية، لفظاً لفظاً. ويسهب الشرح بحيث فاق المتن مئات المرات. المتن مجرد مناسبة أو وسيلة أو أداة للشرح، مجرد خيط تنتظم حوله المعلومات من المصادر التي تبلغ المئات. فهو تأليف على تأليف. المتن مجرد «عكاز» للشرح. وبدونه لا يتم الشرح لغياب العنفوان الحضاري الأول. ويعتمد الشرح على القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية[2]. ومنهم يظهر على استحياء. الحسن البصري وسفيان الثوري والبسطامي من المتقدمين، والدباغ وابن عطاء من المتأخرين[3].

ب ـ **«شرح تسع صلوات للشيخ عبد القادر الجيلاني»**[4]: وهو أيضاً شرح القليل بالكثير، وتقطيع المتن لفظاً لفظاً، واعتباره مناسبة لتجميع المعلومات من مئات المصادر السابقة. ويعتمد الشرح أساساً على الأدلة النقلية، الحديث والقرآن والشعر[5]. ويُرى الرسول في المنام. ويحال إلى بعض الصوفية على استحياء، مثل الترمذي والقشيري والسهروردي المقتول والشاذلي ومصطفى البكري وابن عطاء الله السكندري[6]. ويحاول الشرح إبراز موضوعات المتن وهي فوائد الصلاة على الرسول السادسة عشرة مع التحول من الظاهر إلى الباطن[7].

---

(1) السابق ص73.

(2) الآيات (25)، الأحاديث (21)، الأشعار (15).

(3) الحسن البصري، سفيان الثوري، البسطامي، الدباغ، ابن عطاء، مصطفى البكري (1).

(4) السفينة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني (561هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1423هـ (3) ص119-177.

(5) الأحاديث (57)، الآيات (49)، الأشعار (15).

(6) الترمذي، القشيري، السهروردي المقتول، الشاذلي، مصطفى البكري، ابن عطاء الله السكندري (1).

(7) وهي حل الألفاظ، مفاخر الإسلام، مواصلة الصلاة، كتابتها، الاختلاف حول صلاة الله عليه وفائدتها، وتاريخ مشروعية الصلاة عليه، وهل تجوز الصلاة على نفسه، وهل تعبدت الأمم السابقة بالصلاة على أبنائها،وهل لها أجر؟ وهل يقطع بقبولها؟ وهي حبس على صاحبها، متفردة عن السلام، وحكم الصلاة على الملائكة وسائر الأنبياء، ومعنى =

20 ـ «المواهب الجليلة في شرح حزب الوسيلة» لمحمد الأمين الكيلاني (القرن الثالث عشر)[1]: وهو شرح على نفس المنوال، تقطيع النص إلى ألفاظ يسبق كل منها «وقوله»، وتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات التاريخية حول اللفظ والموضوع. وتبرز عدة موضوعات في الشرح تجمع بين المناقب والصلاة وبعض الأخرويات. يبرز نسب الشيخ وأوصافه ومزاياه، والصلاة على النبي ومدى القطع بقبولها، وفائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له، ومعنى الفقر والفناء، والفرق بين المعصية من المؤمن والمعصية من الفاجر، والتمييز بين نوعين من الظلم، ظلم النفس وظلم الخلق. ثم تأتي الأخرويات ابتداء من عذاب القبر وسؤال الملكين وحملة العرش. وأخيراً تأتي عقوبة دعوى الولاية وهو سوء الخاتمة، وفائدة حديث «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، وهل يجوز كتابة الصلاة على الرسول منحوتة. ومادة الشرح هي القرآن والحديث والشعر[2]. كما يحال إلى بعض الصوفية في مقدمتهم «الغزالي» في «الإحياء» ثم القشيري والحلاج والبسطامي وزروق وآخرون[3]. كما تدخل بعض الإسرائيليات وروايات عيسى[4]. وتستعمل بعض العبارات الفارسية فيما يبدو. فالتصوف ليس له لغة معينة. وتبرز بعض الأفكار بالتنبيه عليها بألفاظ مثل «لطيفة»، «فائدة»[5].

21 ـ «كشف الأسرار لصلاة سيد الأبرار» للشيخ عمر العطار(1307هـ)[6]: وهو شرح الصلاة الكبرى لابن عربي. يخلو من التقسيم الموضوعي، ويقتصر على الشرح اللغوي، لفظاً لفظاً. وبه مقدمة نظرية من المحقق مملوءة بالصلوات والدعوات والابتهالات، ولا تفيد في شيء[7]. ويعبر بأسلوب القول «فإن قال

= كثرة الصلاة عليه، وتخصيص يوم الجمعة بالإضافة إلى فوائد أخرى نظما ونثرا.

(1) «السفينة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني (561هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت2002م-1423هـ (4) ص181-252.

(2) الآيات (71)، الأحاديث (52)، الأشعار (19).

(3) الغزالي (3)، الإحياء (2)، القشيري (2)، إبراهيم بن أدهم، الحلاج، البسطامي، زروق، ابن عطاء الله، أحمد التجاني (1).

(4) السابق ص231.

(5) لطيفة (2)، فائدة (1).

(6) «دار الكتب العلمية»، بيروت2006م-1427هـ.

(7) السابق ص7-93.

قلت» للإيحاء بالفكر والاستدلال. وتؤخذ مادة الشرح من القرآن والحديث والشعر[1]. ومن الأشعار واحد فقط بالفارسية. ومع ذلك يعتمد على العد والإحصاء وهي صورة كمية للقسمة العقلية[2].

22 - شروح الخالدي (1311هـ):

أ - **«جامع الأصول في الأولياء»**[3]: وهو نموذج التأليف في تناثر البنية وتجزأتها وبعثرتها ثم جمعها في موسوعة صغيرة أو كبيرة للم الشتات وإعادة تجميع الأجزاء. ويتم التجميع على الموضوع المركزي المتأخر وهم الأولياء أصحاب المناقب والكرامات. ويدل العنوان على ذلك «جامع الأصول» أي إعادة تجميع التصوف حول أصوله الأولى «في الأولياء» أي ابتداء من الأولياء، أنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريقة ومهمات المريد وشروط الشيخ وكلمات الصوفية واصطلاحهم وأنواع التصوف»[4]. وهذا هو سبب التأليف[5] لا ينقسم إلى أبواب وفصول بالرغم من الإعلان عن جمع الفصول. وتظهر أمام الموضوعات ألفاظ مثل «بيان». وتتنوع الموضوعات بين أنواع التصوف الأربعة: التصوف الخلقي مثل: النية، الزهد، الورع، الإخلاص، اليقين، العلم، الإرادة، الكمالات. والتصوف النفسي مثل: الواجب والخواطر، المراقبة، المعرفة، اللطائف، البصيرة، الحقائق، العقل. والأحوال مثل القبض والبسط، الفناء والبقاء. والمقامات مثل المحبة. والتصوف الفلسفي مثل: التوحيد، الاستعانة بالله، الشفاعة، وحدة الوجود ووحدة الشهود، الحقائق الإلهية، الحقائق الأنبيائية. والتصوف العملي مثل: الطرق، العزلة والصحبة، الأوراد والأذكار، السلوك، الشيخ والمريد، آداب المجالسة، الاقتداء، جهاد العدو وجهاد النفس، المصائب، الشر، القطب الولي، الكرامة، الولاية، الشريعة والطريقة والحقيقة. النقباء

---

(1) الآيات (144)، الأحاديث (100)، القدسية (2)، الأشعار (35).

(2) كشف الأسرار ص154-158/ 226-227.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م-1423هـ (1)11-13.

(4) بيان (48)، الفرق (2)، خطبة، مظاهر، شروط، أقسام (1).

(5) «لما رأيت الناس ضيعوا أصول الطريق أردت أن أجمع نبذة من أصولها وأوصافها، والأولياء وأنواعهم واصطلاحهم وأطوراهم وبعض أسرارهم وآدابهم ومسلكهم وشروطهم إجمالاً مستعيناً بالله»، جامع الأصول ص11.

والابدال والأقطاب والأوتاد. فأصبح الكتاب موسوعة في التصوف، تعريفات من السابقين، هم تاريخي مع أخذ بعض المواقف في الهامش[1]. ويبدأ تقريظ الكتاب وهي صفة المدح للذات من سمات التأليف المتأخر[2].

والطرق الصوفية مثل الفرق الكلامية. ويتم التركيز على النقشبندية والشاذلية كما يتم التركيز في الكلام على الأشاعرة والمعتزلة أو السنة والشيعة[3]. ويركز على نسب الصوفية، وهو تقليدي جاهلي[4]. ويتم التقارب والتماثل بين أسماء الأولياء وصفات الله[5]. وألقاب الرسول مثل ألقاب الصوفية «سيد الأكوان»، «أكمل المرشدين»[6]. ويتم الاعتماد على القرآن والحديث والشعر[7]. وتفصل أنواع بحور الشعر. وتكثر الأدلة النقلية. وهو الطابع للمؤلفات المتأخرة وكما هو الحال في كتب الحديث والتصوف الخلقي. كما يتم الاعتماد على القسمة العقلية والتقسيم الثلاثي المطرد[8].

ب ـ **«متممات كتاب جامع فصول في الأولياء وأنواعهم»**[9]: ولكي تكتمل الموسوعة وتزداد تفصيلاً أشفع الكتاب الأول بكتاب ثان كتب له. والمتممة ثلاث أضعاف الأصل تقريباً وتعطي فريداً من التفصيلات. وفي نفس الوقت تحاول تجميع موضوعات التصوف في أصول. يبدأ أولاً بمصطلحات الصوفية مرتبة ترتيباً أبجدياً[10]. ثم يأتي النقشبندي شيخ الطريقة. نسبته وولادته ومشايخه وتلاميذه والطريقة التي تحمل اسمه ونسبها إلى طريقة ابن عربي وطريقة الشاذلي وعلاقته بالمريدين[11]. ثم يأتي ثالثاً الطريق مع بعض المقامات والأحوال مثل الهيبة

---

(1) جامع الأصول ص94-95.
(2) السابق ص7-9.
(3) السابق ص11.
(4) السابق ص228-229.
(5) السابق ص18-28.
(6) السابق ص38/ 235.
(7) الآيات (109)، الأحاديث (8)، القدسية (4)، الأشعار (1).
(8) جامع الأصول ص95-98.
(9) دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1423هـ (2) ص114-429.
(10) السابق ص114-164.
(11) متممات كتاب جامع الفصول في الأولياء وأنواعهم لضياء الدين الخالدي (1311هـ) =

والأنس والقرب والبعد والفناء والبقاء وبعض النظريات الصوفية في الإنسان الكامل. ثم يأتي الطريق النظري وهو يعادل التصوف الفلسفي في التوحيد واليقين مع بعض المقامات مثل الشكر والصبر والعبودية والأحوال مثل الخوف والرجاء. وأخيراً تظهر بعض موضوعات التصوف العملي مثل الذكر والمجاهدة والولاية والمكاشفة والمحاضرة والمشاهدة مع تدخل المقامات والأحوال من جديد حوالي مائتي موضوعاً متناثراً ومكرراً لا جامع بينها ولا بنية فيها. تعتمد على القرآن والشعر والحديث[1]. كما يعتمد على الكثير من أقوال الصوفية يتقدمهم الشاذلي ثم النقشبندي ثم الشبلي ثم القشيري ثم البسطامي ثم ابن عربي ويحيى بن معاذ وذو النون. . . الخ، حوالي أربعين صوفياً. ومن الطرق الصوفية تتقدم النقشبندية ثم الشاذلية ثم السهرودية ثم حوالي أربعين طريقة أخرى[2]. ويُرى الرسول في المنام[3]. وتخترق الطرق الصوفية كل المذاهب الفقهية الأربعة. ويحال إلى عدة مصادر أولية[4].

23 ـ «النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية» لمحمد بهاء الدين البيطار (1328هـ)[5]: وبين المتن والشرح ما يقل عن قرن. وهل تحتاج الصلاة إلى شرح؟ الصلاة فعل ومعاني، والشرح فعل عقلي. الصلاة تحتاج إلى

= دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1423هـ (2)، السابق ص164-192.

(1) الآيات (148)، الأشعار (54)، الأحاديث (29).

(2) الشاذلي (36)، النقشبندي (13)، الشبلي (8)، الجنيد، البسطامي (5)، ابن عربي، يحيى ابن معاذ، ذو النون (4)، إبراهيم بن أدهم، الكرخي، الأشعاراني، إبراهيم الخواص (3)، جعفر الصادق، بن مشيش، محمد الكتاني، أبوعلي الدقاق، الواسطي (2)، الأحنف، ابن عطاء الله، السري السقطي، الروزباري، بشر الحافي، زروق، أبو مدين، نجم الدين كبري، السهروردي، الجيلاني، الخراز، سفيان الثوري، مالك بن دينار (1) ومن الطرق الصوفية النقشبندية (9)، الشاذلية (4)، السهروردية (3)، الرفاعية، الأحمدية، الأكبرية، الدسوقية، المولوية، الكبروية، الخلوتية، الجلوتية، الغزالية، الرومية، السعدية، الشعبانية. . .الخ (حوالي أربعين طريقة).

(3) السابق ص181/ 272.

(4) مثل: الكواكب الظاهرة في اجتماع الأولياء في الدنيا والآخرة للشاذلي «وعوارف المعارف» للسهررودي (1)، ورسالة الخادمي (3).

(5) دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ (على الغلاف ت1314هـ) وتوفي الأدريسي1253هـ.

ممارسة، والشرح يهدف إلى الفهم. وأحيانا الشرح يحتاج إلى شرح لاستعماله بعض المصطلحات الصوفية مثل البرزخ أو حديثة مثل «مغناطيس الكمالات»[1]. يبدو أن الغرض هو التعالم، وتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول المتن أسوة بالشرح في باقي العلوم، الكلام والفلسفة والأصول[2]. بل إن العنوان تغلب عليه المغالاة مثل «النفحات الأقدسية». وإذا كان الشرح أيضاً من علوم الذوق والكشف فإنه يحتاج إلى شرح إلى ما لا نهاية إن لم يكن الشرح فعل العقل والتحليل النظري اللغوي والتجريبي.

سبب التأليف هو مجرد الاستجابة إلى طلب أحد مشايخ الشارح، وإظهار علم التلميذ كما هو الحال في شروح ابن عجيبة[3]. ويتم الشرح صلاة صلاة، وعبارة عبارة، بل ولفظاً لفظاً. فتضخم الشرح على حساب المتن اثنتي عشرة مرة[4]. ويتجه الشرح إلى الشارح، ومن المتن إلى صاحبه، ومن التحليل إلى التعظيم والتضخيم والتبجيل لإمام العارفين وحجة المحققين وسيد العارفين وقطب المحققين. وفي نفس الوقت تستعمل اللازمة المعروفة «الله اعلم». ويبدأ الشرح بذكر المتن أولاً بلا شروح[5]. ثم يذكر متن آخر بعنوان «الحصون النبوية المنيعة» توحي بهم الرسول والحقيقة المحمدية[6]. ثم يشفع بمتن ثالث من الأوراد[7]. وهي

---

(1) السابق ص73.

(2) من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل حـ3 الشرح. من النص إلى الواقع حـ1 تكوين النص ص433-439.

(3) «أما بعد، فقد أمرني من لا تسعني مخالفته، ولا تمكنني منازعته، وهو سيدي وأستاذي وعمدتي وملاذي، مرشد العباد إلى الطريق، ومنجد القصاد لحرم المشاهدة والتحقيق، طبيب أمراض القلوب، المداوي سيدي الشيخ محمد الدندراوي، أن أشرح الصلوات الأحمدية الإدريسية، وأجلو الحجب عن أسرارها الأقدسية لفحوص مداركها الخفية وشموخ معارجها الوفية...»، النفحات الأقدسية ص23.

(4) متن الأربع عشرة صلاة 12 صفحة والشرح 359ص.

(5) متن الصلوات الأحمدية، السابق ص11-16.

(6) «هذه الحصون النبوية المنيعة لسيد العارفين وقطب المحققين سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه»، السابق ص17-20.

(7) «أوراد الطريقة الأحمدية المنسوبة إلى إمام العارفين وحجة المحققين مولانا السيد أحمد ابن إدريس رضي الله تعالى عنه»، السابق ص21-22.

متون واضحة بذاتها متجه مباشرة إلى القارئ دون حاجة إلى شرح. لذلك يبدو الشرح استطراداً خارج الموضوع الذي لا وجود له[1]. والخطاب موجه إلى القارئ مع الدعاء له «حياك الله ورعاك» «فافهم ذلك». وهو تقليد قديم من إخوان الصفا.

ويعتمد الشرح بطبيعة الحال على القرآن والشعر والحديث[2]. وواضح غلبة القرآن عشرة أضعاف الشعر وعشرة أضعاف الحديث. فالقرآن أقرب إلى الوجدان. وهو المصدر الرئيسي للصلوات. وهي آيات وأحاديث صوفية منتقاة يمكن انتقاء غيرها في اتجاه معاكس للتصوف. والقرآن به كل شيء ويمكن للشارح إمالته على الجانب الذي يريد. رداً للكل إلى أحد أجزائه. ونظراً لأن الشرح ليس له موضوع فقد أضاف الشارح عناوين فرعية من لديه كعصب للشرح وهيكل عظمي له. الشرح مجرد مناسبة للتعبير عن عقائد الصوفية خاصة الحقيقة المحمدية. كما يعتمد على أقوال الصوفية السابقين. ولكل منهم ألقابه: الشيخ الأكبر، وسلطان العارفين، والإمام ابن عربي، ثم الغوث القطب الجيلي، ثم سلطان العاشقين ابن الفارض، وأحمد الإدريسي صاحب المتن ثم الحلاج ثم علي وفا ثم الغوث الجيلاني ومحمد وفا الدباغ، ثم الغزالي والبكري، ثم النقشبندي والأبوصيري والبسطامي، ثم ابن عطاء الله والشبلي والخراز والقونوي والتستري وعبد القادر الجزائري والشاذلي وابن مشيش وجعفر الصادق وغيرهم[3]. وواضح الحضور الطاغي لابن عربي. وتظهر الاقتباسات بلفظ «انتهى»[4]. ومن الأنبياء موسى وآدم ثم عيسى ثم حواء. ويلتقي البعض منهم خارج التاريخ في عالم الأرواح مثل لقاء ابن عربي بموسى، وابن عربي بالحلاج. ومن المصادر تأتي مؤلفات ابن عربي في المقدمة، «الفتوحات» ثم «الفصوص» ثم «التجليات» ثم «عنقاء مغرب»[5]. ومع

---

(1) استطراد، السابق ص331/ 348.

(2) الآيات (1280)، الأشعار (135)، الأحاديث (123)، القدسية (10).

(3) ابن عربي (56)، الجيلي (14)، ابن الفارض، أحمد الإدريسي (13)، الحلاج (6)، علي وفا، الدباغ (4)، الغزالي، البكري، صاحب الأبريز (3)، النقشبندي، الأبوصيري، أرسلان الدمشقي، الدندراوي، البسطامي (2). ابن عطاء الله، الشبلي، الخراز، القونوي، التستري، عبد القادر الجزائري، الشاذلي، ابن مشيش، جعفر الصادق (1)، ومن الأنبياء موسى، آدم (5)، عيسى (3)، حواء (1).

(4) السابق ص321/ 282.

(5) الفتوحات (8)، الفصوص (4)، التجليات (2)، عنقاء مغرب (1).

ذلك لا تخلو بعض جوانب الشرح من القسمة والعدد والإحصاء[1]. والأهم من ذلك كله تحول الشرح من المتن إلى صاحب المتن، من النص إلى الشخص، ابتداء من شخص المؤلف إلى شخص الشيخ إلى شخص الرسول، والتوجه بالشرح كله في النهاية إلى الحقيقة المحمدية والتي لها صياغات عديدة ابتداء من محمد الرسول إلى «السيد الأعظم» إلى «حقيقة محمد» إلى «كمال محمد» حتى «البحر المحمدي»، «المظهر المحمدي»، «السر المحمدي»، المرآة المحمدية»، «الحضرة المحمدية»، «الحضرة الإلهية المحمدية»، «الربوبية المحمدية». وفي «الإنسان الكامل» يمحي التمييز بين الله والرسول والولي. كما يختفي التمييز بين محمد والكون. فمحمد هو النور والخلق والدهر وهو على علم بالفلسفة اليونانية، المادة والهواء والعماء[2]. وعلى خليفته ووصيه مما يوحي بالصلة الشهيرة بين التصوف والتشيع[3]. وتؤول آيات موسى وهارون لتطبيقها على محمد وعلي.

24 ـ «الإلهامات الإلهية على الوظيفة الشاذلية» لأبي الشامات الدمشقي (1341هـ)[4]: وبين الشرح والمتن حوالي سبعة قرون. لا يضيف جديداً، ولا هدف له. ومع ذلك الشرح عبارة عبارة ولفظ لفظاً مع إعجاب بصاحب المتن أكثر من المتن. ويسميه الشارح «سيدي المؤلف»[5]. وله مقدمة لا هدف لها إلا ذكر أكبر قدر عدد ممكن من المشايخ[6]. ويقع الشارح في الاستطراد[7]. وتعتمد مادة الشرح على الشعر ثم الحديث ثم القرآن[8]. وتؤخذ عدة اقتباسات من الشاذلي ثم النابلسي. ويحال إلى أبي العباس المرسي وزروق، ومن الفقهاء إلى السيوطي والعز بن عبد السلام ومن الطرق الصوفية يحال بطبيعة الحال وباستمرار إلى

(1) النفحات القدسية ص429.
(2) السابق ص346-348.
(3) السابق ص339-341.
(4) الإلهامات السنية في شروح الوظيفة الشاذلية، دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ (2) ص109-149.
(5) السابق ص117-133.
(6) السابق ص109-144.
(7) «وإنما أطلت الكلام»، السابق ص147.
(8) الأشعار (31)، الأحاديث (18)، القدسية (2)، الآيات (8).

الشاذلية وآخرين[1]. وينتهي الاقتباس بلفظ «انتهى» ويحال إلى بعض المصادر المدونة[2].

25 ـ «كشف الأسرار لتنوير الأفكار» لمصطفى البيروني (1350هـ)[3]: وبين المتن والشرح ما يقرب من سبعة قرون. المتن صغير والشرح كبير دون ما حاجة إلى شرح الواضح وتنظير الابتهالات والدعوات والمناجيات والصلوات[4]. ومع ذلك يقطع المتن الصغير، عبارة عبارة، ولفظاً لفظاً بل وحرفاً حرفاً لتكبير الشرح، وجعله أكثر أهمية من المتن عن طريق الزيادة الكمية[5]. ونظراً لأن الشرح لا موضوع له فقد تم التحول من المتن إلى صاحبه ومد نسبه الشريف إلى الرسول مع سلسلة المشايخ التي تعادل سلسلة الرواة في علم الحديث. ويُرى الرسول في المنام وتؤخذ منه أحاديث مباشرة[6] ويعتمد الشرح على القرآن والشعر والحديث[7]. كما يتم اقتباس العديد من أقوال الصوفية وفي مقدمتهم الشاذلي الذي ينسب إليه المتن بالإضافة إلى أقواله وأدعية أخرى وأحزابه مثل حزب البر وحزب البحر وحزب اللطيف وغيرها[8]. ثم يحال إلى أبي العباس المرسي ثم إلى الدرقاوي والشعراني وابن عطاء الله وكتابه «لطائف المنن» و«الطبقات الكبرى» وابن دقيق العيد[9]. والمقدمة طويلة دون أن تتضمن أي إشكال أو قضية أو موضوع[10]. وتروى

(1) الشاذلي (6)، النابلسي (4)، الشاذلية (3)، أبو العباس المرسي، زروق، السيوطي، العز ابن عبد السلام (1)، ومن الصحابة علي. ومن الأنبياء آدم (1).

(2) مثل «شرح الجامع الصغير» للمناوي، «الجوهر الخامس في أجوبة حكم الإخلاص» لشمس الدين المرصفي.

(3) الإلهامات السنية في شروح الوظيفة الشاذلية، دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ (1) ص15-105.

(4) متن الوظيفة الشاذلية ص9-11، الشرح15-105.

(5) كشف الأسرار ص89.

(6) السابق ص30.

(7) الآيات (248)، الأشعار (35)، الأحاديث (29).

(8) كشف الأسرار ص15-42.

(9) الشاذلي (3)، أبو العباس المرسي (2)، الدرقاوي، الأشعاراني، ابن عطاء الله، ابن دقيق العيد، البسطامي، التستري، ابن عربي (1).

(10) السابق ص25-29.

حكايات وكرامات عن مشايخ الطريقة. والشرح كله أقرب إلى الإبداع الأدبي والنثر الفني. يتخلله أسلوب القول للإيحاء بالحوار والنقاش والردود على الاعتراضات. ومن كثرة الإعجاب بالشرح يأتي تقريظه من بعض المشايخ في النهاية[1].

ب - **شروح المعاصرين**: وتعني الشروح في القرن الرابع عشر الذين توفوا أو الذين ما زالوا على قيد الحياة. وأهمها:

1 ـ «تنوير الصدر شرح حزب البر» للشبراوي[2]: وهو شرح حديث يقوم على مادة منقولة من السابقين[3]. يبدأ بشرح موضوعي أولاً بإبراز موضوعات الحزب وإعادة عرضها. ثم ينتهي بالعبارة الشارحة التقليدية، لفظاً بلفظ وعبارة بعبارة. والشارح شافعي مذهباً، وخلوتي، حمدي شاذلي طريقة أي تحديد المذهب الفقهي والطريقة الصوفية. وتبرز موضوعات التصوف الرئيسية مثل «الحقيقة المحمدية». وهو شرح بناء على سؤال واعتماد على المشايخ القدماء. وكلها استطرادات ونقول تبعد عن الموضوع. لذلك تظهر لازمة «فلنرجع لما نحن فيه ونقول»[4]. وأحياناً تظهر الشروح اللغوية. وتذكر اقتباسات عدة من أقوال السابقين بعلامة «انتهى»[5]. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية مع إسهاب كثير[6]. وتأتي مادة الشرح من «اليواقيت والجواهر» للشعراني، ومن الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي خاصة «الفتوحات» أو نقلاً عن الشيخ الأكبر الشعراني ثم ابن الفارض ثم الجيلي ثم النابلسي ثم القونوي ثم ابن عطاء الله السكندري والخواص والسبكي والتستري وإبراهيم الدسوقي وذو النون، ثم الجنيد

---

(1) السابق ص103-105.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2004 (3) ص107-231.

(3) «وسألني أن أصنع لهم كتاباً على حزب القطب الشاذلي الكبير المسمي بحزب البر. وقد شرحه شيخنا الأستاذ الشيخ البهي شرحاً عظيماً، لكن لغرابته صعب تناوله على القاصرين من أمثالي. فاجبته لذلك وإن كنت لست أهلاً لما هنالك معتمداً في ذلك على الملك الوهاب وعلى شرح شيخنا الأستاذ البهي وما يفتح الله به علينا مما تلقيناه عن أشياخنا وكتب بعض العارفين»، السابق ص107.

(4) السابق ص110/ 168/ 214.

(5) انتهى (29).

(6) الآيات (310)، الأحاديث (46)، الأشعار (34).

والحكيم الترمذي، والكرخي، والجيلاني والشاذلي وعلى الخواص وحسن البصري وأبو نعيم الأصفهاني والقشيري وزروق[1]... إلخ ابن عربي هو الفريد بن العربي تعظيماً له وتأكيداً لتميزه. ومن المصادر بالإضافة إلى «اليواقيت والجواهر» و«الكبريت الأحمر» يأتي «الإنسان الكامل»، و«الفتوحات» و«حلية الأولياء» و«لطائف المنن»[2]. ومن الفقهاء الشافعي وأحمد. ومن الأنبياء آدم وموسى ثم لوط ثم الخضر. ومن الصحابة ابن عباس. ويقتبس من التوراة ومن الفرق يذكر المتكلمون والمعتزلة[3]. ومن الشعراء أبو الفوارس. وفي البداية تذكر إنجازات النقل وهي الروايات الكتابية[4]. وتبرز بعض الموضوعات تحت ألفاظ «فائدة»، «تنبيه»، «لطيفة»...الخ[5].

2 ـ «شرح حزب البر» للشاذلي المعروف بالحزب الكبير للفاسي[6]: ليس الشرح للفصوص الفاسية وحدها بل أيضاً للأحزاب والأوراد الطرقية. وقد ٱختير هذا الحزب لاشتهاره وذيوعه. وهو شرح لا جديد فيه، أقرب إلى تحصيل الحاصل. لا يوضع له إطار نظري جديد أو قراءة عملية جديدة. ومع ذلك يقول الشارح بإنه تم بإذن من الله والرسول في اليقظة والنوم[7]. هو شرح لفظاً بلفظ، وعبارة بعبارة، أقرب إلى العبارة الشارحة. وتوضع نقاط جامعة للشرح بعد كل قطعة من الحزب كما هو الحال في التأليف المدرسي. ويعتمد على القرآن

---

(1) الشعراني (29)، ابن عربي (21)، ابن الفارض (7)، الجيلي (6)، النابلسي (4)، القونوي (3)، ابن عطاء الله السكندري، الشيخ الخواص، السبكي، التستري، إبراهيم الدسوقي، ذو النون (2)، الجنيد، الكرخي، الحكيم الترمذي، الجيلاني، الشاذلي (الشاذلية) علي الخواص، الحسن البصري، أبو نعيم، القشيري، زروق...الخ (1)، ويذكر أبو رضا الخياط الدمشقي، وصاحب الجوهرة وأبو الدرداء وداود بن نخلا وإسماعيل السلمي والشيخ أرسلان ومحمد الولي والشرقاوي.

(2) اليواقيت والجواهر (18)، الكبريت الأحمر (4)، الإنسان الكامل، الفتوحات (3)، حلية الأولياء (2)، لطائف المنن (1).

(3) المتكلمون، المعتزلة (1).

(4) شرح حزب البر ص107-108.

(5) فائدة (4)، تنبيه (2)، لطيفة (1).

(6) دار الكتب العلمية، بيروت2004 (1) ص23-91.

(7) «ما ثبت منه بكلمة إلا بإذن من ربي وأمر من رسول الله»، السابق ص23.

والحديث والشعر[1]. كما تعتمد على عديد من اقتباسات الصوفية توضع بعدها علامة «انتهى»[2]. ولا يهم ذكر أصحابها. فالأقوال والحكم قائمة بذاتها. ويستعمل أسلوب القيل والقال. كما يعتمد على أعمال الشاذلي السابقة[3]. يشرح النص بصاحبه[4]. كما تذكر بعض المصادر الأخرى مثل «شمس القلوب». وتستعمل الحكم استعمالا مرسلا دون الإشارة إليها[5] ويذكر من الصوفية، مالك بن دينار والسيد البدوي والبرزلي[6]. كما تذكر من التوراة قصة بلعام بن باعوراء[7]. والعجيب بركات الحزب «فلو قرأ ببغداد ما أخذت»[8].

3 ـ «روح الكبريت الأحمر عن حكم الشيخ الأكبر» للداموني[9]: وهو شرح لمتن ينتمي كلاهما للقرن العاشر. لا يوجد سبب خاص للتأليف. وهو شرح عادي، لفظاً بلفظ، وعبارة بعبارة، أشبه بالأقوال المأثورة أو المثل السائرة أو «جوامع الكلم» أسوة بالحديث ويقوم الشرح بتحليل النص عقلياً وشرعياً ولغوياً وصوفياً. أتى الشرح إلهاماً كالعادة مع أنه مجرد تجميع من نصوص سابقة. وتتضمن الشرح تركيبة كلمة ومن كلمات عن أصول للسؤال عنها، واقتباسات إلهامية، وأحاديث للرسول، وقواعد خمسة للتربية، وبعض أقوال من الشارح[10]. يعتمد على القرآن والحديث والشعر وبعض اقتباسات من مصادر سابقة[11]. ومعظم الأحاديث ضعيفة.

---

(1) الآيات (83)، الأحاديث (34)، الأشعار (19).

(2) انتهى (36).

(3) مثل «لطائف المنن» شرح حزب البر ص46.

(4) السابق ص80.

(5) الحكم (3).

(6) البرزلي (2)، عبد السلام، أبو اليزيد، أبو العباس المرسي، العراقي، القشيري، مالك ابن دينار، السيد البدوي (1).

(7) قصة بلعام بن باعوراء، شرح حزب البر ص67.

(8) السابق ص25.

(9) البيان والمريد، دار الكتب العلمية، بيروت2005م-1426هـ (3)، ص193-284.

(10) الحكم (161)، كلمات عن أصول للسؤال عنها (16)، اقتباسات إلهية (104)، قال (21) قواعد التربي (5)، قلت (39)، ويكون مجموعها348.

(11) الآيات (7)، الأحاديث (6)، الأشعار (1).

4 ـ **«البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد على أنس الوحيد ونزهة المريد» لشهاب الدين باعشي**[1]: المتن للغوث أبي مدين التلمساني. والشرح لفظاً بلفظ، وعبارة بعبارة، بالعبارة الشارحة اعتماداً على القرآن[2]. ولا يوجد صوفي واحد يُحال إليه إلا فقيهان، الشافعي وأبو حنيفة. ويقطع النص وتوضع له رؤوس موضوعات مرقمة. وتترك بعض العبارات دون شرح لوضوحها أو لعدم وجود مادة لها[3]. وهو شرح واضح، مرتب، تعليمي. يركز على الموضوعات دون استطرادات. يخاطب القارئ. ويبرز الحقيقة المحمدية في آخر الشرح مع أحاديث موضوعة في الغيبيات.

5 ـ **«النفحات القدسية لشرح الوظيفة الشاذلية» لمصطفى البقاعي**[4]: وبين المتن والشرح حوالي ثمانية قرون. وسبب الشرح هو طاعة أمر الشيخ وليس نابعاً من الشارح بناء على قضية أو حلاً لإشكال أو إعطاء لقراءة جديدة بعد هذا الزمان الطويل الذي تغيرت فيه الظروف وتبدلت الأحوال[5]. ويتم الشرح عبارة بعبارة، ولفظاً بلفظ دون إبراز الموضوع أو إدخال قسمة. وتأتي مادة الشرح من القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية[6]. وتبرز أسماء المشايخ وكأنها مادة علمية. وهم الرواة الجدد الذين حلوا محل علم الحديث في النقل الكتابي وليس في النقل الشفاهي. بل وضعوا في نظم دون الاكتفاء بالنثر لسرعة حفظهم. فما زال الشعر ذاكرة العرب[7]. الشرح يكمل الآية كما يؤيدها آية جديدة. وفي النهاية تقريظ للشرح. فالشرح مدح للمتن، والتقريظ مدح للشرح[8].

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت2005م-1426هـ.
(2) الآيات (275)، الأحاديث (51)، القدسية (1)، الأشعار (1).
(3) البيان والمزيد ص12/ 21/ 54.
(4) الإلهامات السنية في شروح الوظيفة الشاذلية، دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ (3) ص153-187.
(5) السابق ص154.
(6) الآيات (25)، الأحاديث (3).
(7) الإلهامات السنية ص156.
(8) السابق ص186-187.

6 ـ شروح الدرقاوي

أ ـ **«اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية»**[1]: وبين المتن والشرح أيضاً ما يقرب من سبعة قرون. ومع ذلك لا يضيف الشرح إلى المتن جديدا إلا زيادة المعلومات اللغوية والتاريخية. ويتم الشرح حكمة حكمة. مع الفصل بين المتن والشرح كما هو الحال في علم التفسير وفي «تفسير ما بعد الطبيعة» لابن رشد. ثم تقطع الحكمة، لفظاً لفظاً وأحياناً حرفاً حرفاً. وتظهر القسمة العقلية بين الحين والآخر لتجعل الشرح يقوم على النقل والعقل معاً[2]. وفي أحيان كثيرة تحول الحكمة إلى قسمة عقلية حتى يتجاوز الشرح اللفظ والمعنى إلى الشيء ذاته[3]. كما يتم الشرح بالقرآن والحديث وهما مصدر التجربة الصوفية والشعر، نظراً للتماثل بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية[4]. كما يحال إلى بعض الصوفية مع حضور واضح لابن عربي وعلي بن أبي طالب[5]. ومن الصوفية إبراهيم بن أدهم ورابعة، والحسن البصري، وجعفر الصادق، والترمذي، والتستري، وسفيان الثوري، والغزالي، وابن عطاء الله وغيرهم. ومن المصادر المدونة «لطائف المنن» للشعراني. وأحياناً يتحول اللفظ إلى موضوع مستقل مثل «الهوى»[6]. وهو شرح واضح ومرتب بلا استطراد أو تعالم كما هو الحال عند ابن عجيبة. يخاطب القارئ «فعليك أيها المسلم»[7].

---

(1) دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ (1) ص45-92. ويتضمن الكتاب مقدمة للشارح تتضمن بحثاً في التصوف الإسلامي كما هو الحال في الكتب الجامعية والمدرسية، السابق ص9-41. كما يشمل الكتاب فصوصاً لابن عطاء الله نشرت من قبل عدة مرات وهي الحكم العطائية الكبري (وهي264 حكمة) (ص95-114). 2- الحكم العطائية الصغري (60 حكمة) (ص117-120). 3- المناجاة الإلهية (34 مناجاة) (ص123-126). 4-مكاتبات ابن عطاء الله السكندري إلى بعض أخوانه ومريديه (ص129-133).

(2) اللطائف الإلهية ص45/ 47/ 49/ 55.

(3) من النقل إلى الإبداع مجـ1 النقل جـ3 الشرح.

(4) الآيات (134)، الأحاديث (51)، الأشعار (9).

(5) عليّ بن أبي طالب (2)، الشافعي (شاعرا)، البوصيري، ابن عطاء الله (شاعراً)، إبراهيم ابن أدهم، رابعة، جعفر الصادق، الوراق، الغزالي، الحسن البصري، الترمذي، التستري، سفيان الثوري (1)، ومن المتكلمين الجويني، ومن الشعراء أبو العتاهية (1).

(6) اللطائف الإلهية ص72.

(7) السابق ص66.

ب ـ «فهرس لشرح المصطلحات الصوفية عند الشيخ ابن عطاء الله السكندري كما وردت في الحكم لمؤلف اللطائف الإلهية»[1]: وهو عمل أحد المحدثين كالدراسات الجامعية في الأدبيات الثانوية. يدخل في الشرح أكثر مما يدخل في المصطلح. يذكر خمسة وستين مصطلحاً في الحكم العطائية، مرتبة ترتيباً أبجدياً. وتُستمد مادة الشرح من القرآن والحديث والشعر[2]. كما يستمد من مصادر موسوعات ومعاجم من القدماء والمحدثين، حوالي ثلاثة وعشرين مصدراً يتقدمها «لطائف الأعلام» للكاشاني من القدماء ثم «موسوعة مصطلحات التصوف لرفيق العجم من المحدثين»[3]. لكل مصطلح مصدر أو مصدران. ومصطلحان فقط بلا مصادر اعتماداً على الذاكرة. وغالباً ما يذكر المصدر في النهاية بلا رقم للصفحة ونادراً ما يذكر في البداية أو في الوسط. وتُقتبس بعض التعريفات ووضع علامة «انتهى». ومن أعلام الصوفية يذكر ابن عجيبة ثم الجنيد ثم الهروي والجيلي ثم ذو النون ثم التستري والدقاق وأبو مدين والغزالي والقشيري وابن عربي والنخشبي والداراني وابن عطاء الله[4].

(1) اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية، دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ (5) ص137-200.

(2) الآيات (34)، الأحاديث (5)، الأشعار (1).

(3) وهي: 1- لطائف الأعلام للكاشاني (62) 2-موسوعة مصطلحات التصوف لرفيق العجم (35) 3- إيقاظ الهمم في شروح الحكم لابن عجيبة (32) 4- اللمع للطوسي 5- الإنسان الكامل للجيلي (11)6- التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي (5) 7-جامع الأصول في الأولياء للنقشبندي 8- الرسالة القشيرية 9- اصطلاحات الصوفية للكاشاني (4) 10- المقصد الأسنى للغزالي 11- الفتوحات المكية 12- كشف المحجوب 13- التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله (3) 14-إحياء علوم الدين 15- الإسفار عن رسالة الأنبار 16- منازل السائرين للهروي (2) 17- غيث المواهب العلمية في شرح الحكم العطائية للنفري 18- الأنوار القدسية للشعراني 19- ترجمان الأشواق 20- شرح بدأ الأماني للداراني 21- عوارف المعارف للسهروردي 22- آداب النفوس للمحاسبي 23- مكاشفات العيون بالأبصار ومكاشفات القلوب بالاتصال للنوري (1).

(4) ابن عجيبة (5)، الجنيد (4)، الهروي، الجيلي (3)، ذو النون، ابن عربي (2)، أبو علي الدقاق، التستري، الفضيل بن عياض، أبو مدين، الغزالي، القشيري، النخشبي، الداراني، ابن عطاء الله، أحمد بن على الرازي (1).

حـ ـ «فهرس الحكم العطائية مرتباً على الموضوعات في ثلاثين باباً»[1]: وهو عمل حديث آخر. يعيد الدرقاوي تصنيف الحكم طبقاً لثلاثين موضوعاً موزعة على التصوف الخلقي مثل الإخلاص، الصلاة، الطمع، التواضع، والوعظ والتصوف النفسي: المقامات مثل التوبة، الزهد، الفقر، التسليم، الصبر، الشكر، والأحوال مثل الخوف والرجاء، القبض والبسط. والتصوف النظري مثل العلم، الفكرة، الورد والوارد، الأنوار، المعارف، التفرس، والتصوف العملي في الطريق مثل العزلة، الوقت، الذكر، رياضة النفس، الدعاء، الألطاف، أو الطريقة مثل الصحبة، الاستدراج، مراتب السالكين، قرب العبد من الله وقرب الله من العبد. ومن الفوائد أيضاً في الدراسات الحديثة ذكر معظم الشروح على الحكم العطائية للدارسين وتبلغ خمسة وخمسين شرحاً[2].

2 ـ شرح النظم:

أ ـ «الذخر والعدة في شرح البردة» للصديقي المكي (1057هـ)[3]: وهو شرح لغوي نحوي خالص، لفظاً لفظاً، وبيتاً بيتاً، بالإضافة إلى شرح الكلمات عن طريق المفردات. ولا علاقة له بالشرح الصوفي مع أن للشارح أعمالاً صوفية أخرى[4]. يعتمد على الشروح اللغوية السابقة. ومقدمتها لغير المتخصصين. فالشارح غير عربي. وإعراب القصيدة عمل علمي. ويبرز الشرح الجوانب النحوية والصرفية والبلاغية[5].

ب ـ «شرح قصيدة النادرات العينية» للنابلسي (1143هـ)[6]: وهو نوع من شرح الشعر بالنثر مع تقطيع القصيدة إلى مجموعة أبيات، وشرح كل مجموعة

---

(1) اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية، دار الكتب العلمية، بيروت2003م-1424هـ ص201-203.
(2) السابق ص 204-206.
(3) وقف كلية الالهيات بجامعة مرمرة، أستانبول 1999.
(4) السابق ص67-70.
(5) السابق ص75-76.
(6) دار الجيل، بيروت 1408هـ- 1988 م.

على حدة[1]. والشرح معنوي موضوعي ويتجاوز الشرح اللغوي. يبدأ الشرح المعنوي بفعل «يعني». ويطابق الشرح الموضوعي بين الصورة والشيء أو بين المثل والممثول وهو شرح معرفي خالص كما يتضح من العنوان «المعارف الغيبية في شرح القصيدة العينية» وتظهر الموضوعات الفلسفية الخالصة مثل قوى النفس[2]. وفي نفس الوقت يظهر التصوف العملي في محور الشيخ والمريد[3]. كما تتم مخاطبة القارئ والتوجه له بالشرح[4]. ومادة الشرح كالعادة القرآن أولاً والحديث ثانياً والشعر ثالثاً[5]. من أجل رد التجارب الصوفية الشعرية إلى أصولها الدينية والأخلاقية والأدبية.

جـ ـ شروح ابن عجيبة (1224هـ):

1 ـ «شرح خمرية ابن الفارض»[6]: وبين المتن والشرح ما يقرب من ستة قرون. وهو شرح بيتاً بيتاً، وأحياناً لفظاً لفظاً، الألفاظ العويصة بالاعتماد على قواميس اللغة. لا يوجد عرض موضوعي للقصيدة كما حدث في شروح البردة. لذلك غاب التبويب الموضوعي. ومادة الشرح من الشعر ثم القرآن ثم الحديث[7]. ويقتبس من أقوال الصوفية قدماء ومحدثين مثل الجنيد والقشيري وابن الفارض والشاذلي والتستري وأبي العباس المرسي وغيرهم[8]. ويحال إلى «لطائف المنن».

---

(1) هي مجرد مقتطفات الحقها الناشر بالقصيدة. لذلك لم نستطع إجراء تحليل مضمون كامل للشرح ومن الصعب الحكم على التقطيع إلى فقرات هل هي من الشارح أم الناشر، السابق ص28.

(2) السابق ص145.

(3) السابق ص135-137.

(4) السابق ص141.

(5) الآيات (23)، الأحاديث (20)، الأشعار (4).

(6) «اللطائف الإيمانية الملكوتية والحقائق الإحسانية الجبروتية في رسائل العارف بالله الشيخ أحمد بن عجيبة الحسيني»، دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ (1) ص13-65. وتضم تسع رسائل للمؤلف، سبعة في الشرح، وواحدة في المصطلحات، وواحدة في علم الكلام تحت هذا العنوان، وهو عنوان متضخم ينم عن الغرور والمدح الزائد للمصنف من المحقق الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي.

(7) الأشعار (57)، الآيات (28)، الأحاديث (5)، القدسية (1).

(8) الجنيد، القشيري، ابن الفارض، الشاذلي، التستري، أبو العباس المرسي، علي العمراني، إبراهيم التازي (1).

ويُضاف حياة صاحب المتن، مولده ووفاته وأعماله وتلاميذه وشيوخه. وتروى حكايات عنه، وبعض مصطلحاته دون تعيين مصدرها. ويتبع أسلوب القول «فإن قيل.. قلت» لإدخال بعض الحياة في الشرح غير الموجه لمجرد مزيد من المعلومات. ومن الأنبياء يذكر موسى لإدخال تاريخ النبوة لتقوية الشرح.

2 ـ **«شرح نونية الإمام التستري»**[1]: وبين المتن والشرح حوالي ستة قرون. ويهدف الشرح إلى الدفاع عن صاحب المتن وليس قراءة المتن أو تأويله أو تجاوزه ضد المهاجمين له مثل الشيخ زروق الذي لم يعرف علوم الذوق إلا في آخر حياته طبقا للشارح. فهو معذور في نقده صاحب المتن واتهامه بالقول بالاتحاد والحلول مع أن زروق هو المصدر الأول للشارح. وهو الذي شرح قبل الشارح نونية التستري مقتصراً على الشرح اللغوي لأنه لم يكن قد فتح عليه بعد[2]. والشرح بيتاً بيتاً وأحياناً لفظاً لفظاً، ويعني الشرح التأويل أي إبراز المعنى[3]. ويعني أيضاً إضافة المعلومات غير اللازمة لإظهار علم الشارح أكثر من إضاءة المتن المشروح[4]. منها إضافة تاريخ حياة صاحب المتن وإعطاء تواريخ محددة مثل وفاة الجنيد. ويتعرض أحياناً قليلة لبعض الموضوعات مثل الفقه والشريعة. وكثيراً ما يصمت عن مصادره ومنها «الحكم»[5]. وهي من عادات العرب[6]. والأخطر من ذلك هو إعطاء معلومات خاطئة يغلب عليها الخيال للتشويق وإعطاء بعض الحياة للشرح حتى لو كان إيهاماً، مثل أخطاء المعلومات حول الهوامش، وأرسطو وأبو قراط، واشتقاق اسم ابن جني نتيجة الاعتماد على قواميس اللغة وليس قواميس الفلسفة[7]. والحديث عن الفلسفة ينمّ عن جهل كبير ووظيفة الشرح العلم[8].

---

(1) «اللطائف الإيمانية» دار الكتب العلمية، بيروت2006م-1427هـ.

(2) السابق ص69-70.

(3) السابق ص136.

(4) السابق ص70-72.

(5) السابق ص96.

(6) السابق ص76/ 121.

(7) في القاموس الهُرماس الأسد الشديد. تسميه الفلاسفة بذلك لشدة عقولهم وكفرهم، وكان أبو ابن جني جنياً رومياً مملوكاً لسليمان الأزدي، السابق ص122-123/ 128.

(8) السابق ص30-133.

ويذكر الشرح رواية الخضر وموسى والكرامات[1].

وتأتي مادة الشرح من الشعر والقرآن والحديث. والشعر مجال مفتوح للشراح الأدباء[2]. ويذكر العديد من الصوفية على رأسهم زروق ثم الشبلي ثم الشاذلي ثم الحلاج والغزالي ثم الجنيد ثم الشعراني وابن عربي ثم التستري وأبو العباس المرسي والنفري (التوفري) وغيرهم[3]. ومن اللغويين الفلاسفة يذكر ابن سيناء (ابن سينا) وابن طفيل وابن رشد ثم ابن خلدون وغيرهم[4]. ومن الوافد أرسطو ثم أفلاطون ثم بقراط لإظهار العلم بالفلسفة اليونانية[5]. ومن الأنبياء موسى ثم عيسى والخضر[6].

3 ـ **«شرح قصيدة «يا من تعاظم» للرفاعي»**[7]: وهو شرح بيتاً بيتاً وأحياناً لفظاً لفظاً من الشرح للعبد الفقير لمولاه الغني[8]. ومع ذلك تبرز بعض الموضوعات الخلقية مثل الإخلاص والإحسان. كما تروى بعض الحكايات عن أصحاب النظم لإظهار مدى علم الشارح مع بعض أقوال في مقدمة الشرح كإطار نظري عام. ومادة الشرح الأولى هي الشعر والقرآن والحديث[9]. وتقتبس بعض أقوال الصوفية من ابن مشيش ثم ابن الفارض والشاذلي ثم الجنيد والحلاج والشبلي وابن عربي وابن عطاء الله وسحنون ومكحول والوراق[10]. وأحياناً تظهر

---

(1) السابق ص133-135.

(2) الأشعار (46)، الآيات (34)، الأحاديث (8).

(3) زروق (14)، الشبلي (7)، الشاذلي (6)، الحلاج، الغزالي (5)، الجنيد (4)، ابن عربي، الأشعاراني (3)، التستري، أبو العباس المرسي، النفري (2)، صاحب العينية (الجيلي)، ابن مشيش، علي الجمل، أبو مدين، البسطامي، النقشبندي، الجيلاني، التلمساني، السهروردي، السنوسي، ابن سبعين (1).

(4) ابن سينا، ابن طفيل، ابن رشد، ابن جني (2)، ابن خلدون، السبتي، الرازي (1)، ومن الفقهاء مالك.

(5) أرسطو (7)، أفلاطون (4)، بقراط، الهرامس (2)، ذو القرنين، اليونان (1).

(6) موسى (2)، الخضر، عيسى (1).

(7) اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت 2006م-1427هـ (4) ص183-210.

(8) «يقول العبد الفقير إلى مولاه الغني به عمن سواه...»، السابق ص183.

(9) الأشعار (30)، الآيات (16)، الأحاديث (6)، القدسية (2).

(10) ابن مشيش (4)، ابن الفارض، الشاذلي (2)، الجنيد، الحلاج، الشبلي، ابن عربي، ابن عطاء =

القسمة العقلية كحد أدنى من إعمال النظر في النص[1].

4 ـ **«شرح الأبيات الثلاثة لأبي القاسم الجنيد»**[2]: وهو شرح لثلاثة أبيات فقط، بيتاً بيتاً، وشطر شطراً، ولفظاً لفظاً. ليس هناك سبب للتأليف إلا الدفاع عن التصوف وإرجاعه إلى الكتاب والسنة. لذلك تعتمد مادة الشرح على القرآن والحديث والشعر[3]. ويحال إلى بعض الصوفية مثل الجنيد والقشيري وابن مشيش وغيرهم[4].

د ـ **«بغية المستفيد لشرح منية المريد» للتجاني (1260هـ)**[5]: وهو شرح للنظم بالنثر وبنثر فني تغلب عليه المحسنات البديعية. شرح قصيدة «منية المريد» لأحمد التجاني (1230هـ) مؤسس الطريقة التجانية من أحد أتباعه. أصلها سوداني. وانتشرت في المغرب. واستقبلتها «مصر المحروسة». وتتكاثر ألقابه، وفي مقدمتها العارف. وتشتق اسم الطريقة من اسم مؤسسها كما هو الحال في الفرق الكلامية، بداية من التشخيص وتعني الختمية خاتم الأولياء وليس خاتم النبوة، وبالتالي غلق الولاية مع أنها مفتوحة إلى يوم الدين[6].

والشرح بطريقة التفسير الكبير أي الشرح الأكبر أي الفصل بين النظم المشروح والنظم الشارح ويتم تقطيع القصيدة إلى بيت أو بيتين أو ثلاثة حتى خمس عشر بيتاً. ولكل موضوع. وللكل فهرس تفصيلي. وقد استعمل الشرح كمناسبة للتأليف، ووضع مقدمة مسهبة تضم سبعة مطالب حول الطريق، وعلاقة الشيخ بالمريد، وتطبيق ذلك على الطريقة التجانية وسيرة التجاني أي الموضوعات الثلاثة الرئيسية في التصوف العملي[7]. ويذكر مشايخها وتواريخهم، المتقدمون منهم والمتأخرون[8].

= الله، الششتري، البوصيري، التستري، الوراق، مكحول (1)، ومن الشعراء كعب ابن زهير (1).

(1) شرح قصيدة «يا من تعاظم» ص195-196.

(2) اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م-1427هـ (9) ص321-327.

(3) الآيات (7)، الأحاديث، الأشعار (1).

(4) الجنيد، القشيري، ابن مشيش، الشريشي (1).

(5) دار الفكر، دمشق 1973م- 1393هـ (طبعة مصورة).

(6) هو سيدي محمد العربي السائح الشرقي العمري التجاني، بغية المستفيد ص72/ 104/ 165.

(7) السابق 10-135.

(8) السابق ص70.

يعني الشرح هنا نقل النص المشروح إلى عصر الشارح، وتأويله، وإعادة توظيفه طبقاً للظروف الجديدة، وتحقيقه في واقع معين وهي الطريقة التجانية. ويتردد لفظ العصر[1]. ويتم الشرح كالعادة على مستوى اللفظ، لفظاً بلفظ كما هو الحال في قواميس اللغة والاعتماد عليها. وأحياناً يكون على مستوى المعنى والمترادفات والتحليلات النظرية. ويلحق به منطق الاستدلال في النص المشروح، والانتقال من المقدمات إلى النتائج مع التعليل. وفي أغلب الأحوال يكون الشرح بتحقيق النص في الواقع بطريقة تحقيق المناط عند الأصوليين أي تحويل النص إلى واقعة[2]. وهي أسباب النزول على نحو معكوس، من النص إلى الواقع وليس من الواقع إلى النص. والقصيدة تعليمية تتغير قافيتها بين الشطرين في كل بيت حتى يسهل حفظها. تتصدرها ثمانية أبيات للتعريف بالشيخ[3].

وتتناثر الموضوعات إيذاناً بتناثر البنية وتفككها. وتضطرب الفصول وتختل كما بين الفصلين الأول والثاني[4]. يدور معظمها حول الطريقة التجانية ومشايخها وسيرهم وفضائلهم وأورادهم وكراماتهم، ورؤية مشايخهم في المنام خاصة في المطالب السبعة وسط الطرق الأخرى ومشايخها مثل الجيلي، والدفاع عن الطريقة ضد منتقديها مثل الثعالبي، وأورادها وأدعيتها وأركانها وذكرها[5]. وتتراءى عن بعض الموضوعات الأخلاقية مثل الإخلاص والتواضع، والاعتدال والتقوى[6]. وتختلط السير مع الأقوال الذاتية مع الموضوعية.

ويتركز البعض الآخر حول الرسول، حضوره واستدعائه، والأخبار المروية عنه والصلاة عليه ورؤيته ومنافعها، وهي العناصر المكونة للحقيقة المحمدية. بل تظهر بعض الموضوعات الغيبية مثل الجن والبرهنة على وجوده والأخذ من شمهورش الصحابي وفي نفس الوقت التحذير من مخالطة الجن ومجالستهم أو

(1) السابق ص121.
(2) السابق ص 51/ 83-85/ 119/ 146/ 198.
(3) السابق ص135.
(4) الفصل ألأول ص356-391 (35)، الثاني ص391-395 (4).
(5) بغية المستفيد ص218.
(6) السابق ص233-235/ 325-334.

الموضوعات الحسية مثل السبحة ووضعها في العنق، ولطيفة في التربية بقصة ديك. ولا يهم إذا كانت هذه الموضوعات في النظم والمشروح أو في النثر الشارح إذ أن إبرازها وتفصيلها في الشرح تجعلها أقرب إلى النص الشارح منها إلى النص المشروح.

وتأتي مادة الشرح من القرآن والحديث والشعر[1]. وتروى بعض الأحاديث عندما تتم رؤية الرسول في المنام. والولي عمره خمس سنوات، وتتكرر بعض الآيات والأحاديث. ويحال إلى بعض مؤلفات الصوفية مثل «عوارف المعارف» و «الفتوحات»، كما يحال إلى بعض كتب التفسير مثل السيوطي والطبري و «جواهر المعاني» في اللغة[2]. و «لطائف المنن»[3]. ويحال إلى عديد من الصوفية في مقدمتهم ابن عربي الذي هيمن على تاريخ التصوف من بعده. ثم الشعراني ثم البسطامي ثم زروق ثم عشرات من مشاهير الصوفية ورؤساء الفرق الكلامية. ومن الفقهاء أحمد بن حنبل والعز بن عبد السلام[4].

والطريقة التجانية جمعت بين الأحمدية والمحمدية والإبراهيمية والحنفية. وتظهر المنافسة بين الطرق على المريدين مثل المنافسة بين الشركات على الزبائن. وتظهر العديد من الاقتباسات بعلامة «اَهـ»[5]. ويحال إلى بعض المراجع أسوة بالدراسات الحديثة. كما تعتمد على العديد من الروايات الشفاهية والتجارب المعاشة. فالمؤلف أحد أتباع الطريقة، وعلى صلة مباشرة بمشايخها ومريديها[6].

(1) الآيات (157)، الأشعار (138)، الأحاديث (87)، القدسية (5).

(2) بغية المستفيد ص214.

(3) عوراف المعارف (3)، الفتوحات (2)، لطائف المنن، قوت القلوب، نظرة الشرفا في الرد على أهل الجفا، تنوير الملك، نشر البنود على مراقي السعود، أحكام الجان.

(4) السيوطي (11)، الطبري (2)، الرازي (1)، ابن عربي (14)، الأشعاراني (12)، البسطامي (4)، زروق (3)، الترمذي، السهروردي، ابن عطاء الله، الرازي، الجنيد، السري السقطي، الشاذلي (2)، يحيى بن معاذ، ابن عيينة، أبو طالب المكي، علي الخواص، الدقاق، الواسطي، محمد الفاسي، النيسابوري، أفضل الدين، الحلاج، ذو النون، علي ابن وفا، إبراهيم الدسوقي، السنوسي، القشيري، نجم الدين كبري، ابن الجلاء، السلمي. . . إلخ. ومن المتكلمين الباقلاني (2)، الأشعري (1).

(5) السابق ص10/ 26.

(6) السابق ص36/ 57/ 59/ 60/ 61/ 75/ 77/ 101/ 139/ 163/ 173-174/ 221-223.

وتظهر بعض الإسرائيليات في أحوال الأنبياء السابقين. فكانت معرفة العرب باليهودية والنصرانية قبل الإسلام أحد المصادر دون أن يكون لها معنى قدحي كما هو الحال في هذا العصر بمعني التشويه والخلط عن قصد للتشويه على الإسلام كما فعل عبد الله بن سبأ في نشأة التشيع.

وتبرز الفقرات بألفاظ لاسترعاء الانتباه مثل: فائدة، تنبيه، تكميل، تتمّة، دقيقة، تذييل، لطيفة، استدراك، نكتة... الخ. أو جمعاً مثل لطائف أو بلفظين مثل تتمّة نافعة[1]. وأحياناً يشد الانتباه إلى الملخص بعد التطويل. وتتخلل الشواهد النقلية وأقوال الصوفية والمصادر المدونة والاقتباسات. وتظهر بين الحين والآخر القسمة العقلية كبقايا من التصوف النظري والتحليل العقلي الذي يكشف عن بنية الموضوع[2]. ويظهر أسلوب المحاجة العقلية في «يقول... قلت»[3]. وتتم مخاطبة القارئ كالعادة ومطالبته بالمراجعة والاشتراك والتصحيح. فالطرقية عمل جماعي[4].

هـ - «نحت حديد الباطل وبرده في أدلة الحق الذابة عن صاحب البردة» لداود النقشبندي (1299هـ)[5]: وهو عنوان تشبيهي طويل للدفاع عن صاحب البردة، البوصيري. اعتمادا على العلماء خاصة الحنابلة منهم المدافعين عن العقيدة. فقد رواها العلماء وشرحها الفضلاء. تخلو من الشرك والكفر في الموضوع أو في التشطير في الشكل الشعري. تثبت الشفاعة بفعل القدرة الإلهية ضد الخوارج والمعتزلة، فعلم الغيب مكاشفة[6]. وهو أكرم الخلق. والنداء والطلب من الأموات

(1) السابق ص7/ 31-33/ 40-41/ 71/ 81-85/ 198.
(2) السابق ص248.
(3) السابق ص77.
(4) السابق ص181.
(5) دار الكتب العلمية، بيروت 2004 (1) ص15-96.
(6) «أتاني سنة تسعة وتسعين ومائتين وألف من مكة المشرفة كتاب كريم فيه نبأ عظيم، وهو أن بعض من أخذ العلم علينا من أهل نجد معه بُردة المديح التي هي مرهم مجرب لكل جريح مع تشطيري لها الذي امتزج بها وزادها رونقاً وبهاء. قرأها بعض طغام في نجد فأنكر بعض ما وجد فيها من التشفع وجّد، وأنه كتب بعضهم رسالة ينتقض فيها مقام صاحب الرسالة، وأظهر فسالة كلام يدعي فيه البسالة من اعتراضات على بعض أبياتها واهية وما أدراك ماهيه. سفاف وترهات، وعلى الجهل المركب دالات. ويدعي أن صاحب البردة في =

ليس عبادة. والأدلة على ذلك أربعة عشر دليلاً. فلا خلاف إذن بين الحنابلة، ابن تيمية وابن القيم وابن رجب والفقهاء الأربعة على صدق إيمان البوصيري. وهذا هو سبب التأليف، الدفاع عن الشعر المديح ضد الوهابية خاصة حول الشفاعة بين الإثبات والإنكار. هو أقرب إلى الشرح المؤيد للمشروح دفاعاً عنه ولو أن لفظ الشرح غير وارد في العنوان ولا في الرسالة. الشرح رد اعتبار للمشروح ضد تهم التكفير والردة. وتدخل أيضاً في الشروح والملخصات. كما تدخل في الحقيقة المحمدية. وهي ليست أول قصيدة من نوعها بل تلتها قصائد عدة مثل القصيدة المحمدية، القصيدة المضرية، قصيدة الإمام العدني[1].

تعتمد على الشروح السابقة وتنقل منها خاصة الحنابلة. وتؤخذ منها اقتباسات بعلامة «انتهى». وهو شرح متقطع بيتاً بيتاً وأحياناً شطراً شطراً. وأحياناً يتوجه الشرح إلى الألفاظ وتعداد المعاني وترقيمها. ويُستطرد فيه. هو شرح عقائدي وليس شرحاً فنياً للشكل الشعري. وأحياناً يشرح الشعر بالشعر[2]. كما يشرح بالقرآن والحديث. والأحاديث بلا أسانيد. وبعضها ضعيف من صنع الخيال[3]. وتذكر أحاديث الرسول في المنام[4]. ولا يذكر فلاسفة ولا متكلمون ولا صوفية. ويكثر المحدّثون والفقهاء والرواة والأئمة. فالموضوع جدلي بين الخصوم. وقد أكثر المحدثون الحديث فيه. وفي مقدمتها إجازات الرواية[5].

= قوله «يا أكرم الخلق. . .» كفر وحصلت له الردة وأن من قرأها أو سمعها أو كانت عنده أو رضي به فقد كفر وتجاوز حده، وأوجب بالقتل حده. فصار ذلك المخبر لي بكتابه والمبدي ما فيه أوطابه يستنهض همتي لرد هذه الخرافات. فقلت عجباً، هؤلاء الأرجاس ما شبعوا من كل الخرافات حتى ظهر منهم هذه الأيام ظاهر، يثابر على تقويم معوج بدعتهم ويظاهر. فاستعنت الله تعالى على بيان رده، ورد ردّته إليه وإلى حزبه وجنده لتقر بذلك عين محبي المصطفى مما راق من الأدلة القوية وصفا. فهي لعمر الله لا تحتاج لظهور فسادها رد. ولا تُحسب شيئاً ولا تُعد ولكن تحاشياً عن دخول سفاسفهم على بعض العقول ليدفع ما يتقوله هذا الخارجي بما تقول من أوضح النقول وسميتها. . .»، السابق ص16.

(1) السابق ص137-146.

(2) السابق ص35.

(3) الآيات (75)، الأحاديث (28)، الأشعار (9).

(4) نحت حديد الباطل ص59.

(5) السابق ص17-20.

والمؤلف هو الفقير إلى سيده ومولاه والراجي شفاعة نبيه في دنياه وأخراه[1]. وتكثر أسماء الأعلام، رواة ومحدثين وفقهاء وأقلهم من الصوفية[2]. كذلك قسمت البردة موضوعياً إلى: في الغزل وشكوى الغرام، التحذير من هوى النفس، مدح القبر، مولده، معجزاته، شرف القرآن ومدحه، إسراؤه ومعراجه، جهاده، التوسل به، المناجاة وعرض الحاجات.

و ـ «النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية» لحسن العدوي الحمزاوي (1303هـ)[3]: وهو شرح بمعنى تأليف بمناسبة النص المشروح والذي يستعمل مجرد حامل أو مناسبة لزيادات حوله بحيث يكون بؤرة تأليف جديد، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول الموضوع. ويدخل التصوف في منظومة أعم لباقي العلوم مثل التاريخ والفقه والسيرة. وتتراكم المعلومات. ويجتر العلم المنقول خاصة لو كان الشارح أزهرياً متعوداً على نقل القدماء، وإذا كان الشارح طرقياً شاذلياً فإن شرحه ينحو هذا النحو الطرقية الشاذلية كما هو واضح في العنوان «النفحات الشاذلية»[4]. يتكون الشرح من ثلاثة أجزاء. الأول في سيرة الرسول فضائله ونبذ عنه وشمائله الظاهرة وأخلاقه وأعمامه وخصائصه. والثاني ذكر ثلاثمائة حديث من جوامع كلم الرسول، الشخصي أولاً والكلام ثانياً. وتدور الأحاديث أولاً حول موضوعات التصوف الخلقي عوداً بالتصوف إلى علم الحديث[5]. وتدور ثانياً حول الإصلاح بين الناس[6]. وتتناول أيضاً المقامات

---

(1) السابق ص15.

(2) ابن تيمية (7)، ابن القيم، ابن عبد السلام، ابن قدامة، تقي الدين السبكي، ابن حجر... إلخ (1).

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2005م - 1426هـ.

(4) وهو نفس المعنى الذي وضعه المحقق أو الناشر لست رسائل لابن عجيبة في عنوان فرعي هو «ستة شروح شرعية وصوفية، الجواهر العجيبة من تأليف سيدي أحمد بن عجيبة».

(5) جـ1 (114)، جـ2 (116)، جـ3 (218).

(6) مثل: الإخلاص والصدق والمراقبة والاستقامة، والمبادرة إلى الخير، الاقتصاد في العبادة، المحافظة على السنة، والذكر، والاستغفار، والدعاء والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتعاون على البر، وتعظيم حرمات المسلمين، وتشمل أيضاً الوصية بالنساء، والنفقة على العيال، وحق الجار، والبر بالوالدين، وصلة الرحم، والتحذير من إيذاء الصالحين وبعض الأفعال مثل التوبة والصبر.

والأحوال[1]. ثم تتناول موضوعات الفقه وثقافة الموت: المحتضر، والصلاة على الميت والجلوس على القبر نهاية بكرامات الأولياء[2]. ثم يأتي نص البردة[3]. ويخصص الجزء الثالث للشرح. فالشرح ثلث من ثلثين آخرين. بل إن الشرح يسبقه ترجمة للبوصيري ومقدمة لراحة الأرواح[4]. وهو تجسيد للحقيقة المحمدية وتضخم شخصي للرسول.

ويتم الشرح أيضاً على مستويات ثلاثة: اللفظ وهو الشرح اللغوي النحوي، والمعنى وهو الشرح بالتعريفات والمترادفات بحرف «أي» أو بفعل «يعني»، والثالث الموضوع وهو مضمون النص وفحواه. أما ألفاظ القول فتشير إلى القطع بين النص المشروح والنص الشارح. تظهر آليات الشرح في ألفاظ الاستدلال، والانتقال من المقدمات إلى النتائج[5]. كما تظهر بعض اللازمات للإشارة إلى النتائج مثل «فائدة»، و «تقدير الكلام»، الجواب والشرح بيتاً بيتاً، ونادراً ما يكون لبيتين[6]. وتظهر لازمة «الله أعلم» للدلالة على نسبية المعرفة البشرية[7]. ومادة الشرح الكتاب والسنة والشعر مع أولوية الشعر على السنة[8]. نظراً للقرابة بين النص القرآني والنص الشعري. ويحال إلى مصادر مدونة أخرى مثل «مشارق الأنوار»[9]. كما تتم الإحالة إلى باقي أعمال الشارح[10]. وتأتي المادة من عدة

---

(1) مثل: الخوف والرجاء وبعض الفضائل مثل الجود والكرم، والإيثار والمواساة والتواضع والحلم وحسن الخلق، وإفشاء السلام وكيفية التعامل مع المرضى.

(2) بالإضافة إلى الإسراع بالجنازة، وقضاء دين الميت، والموعظة عند القبر، والصدقة على الميت، والنهي عن الجلوس عند القبر وتجصيصه والبناء عليه.

(3) وتقسم إلى موضوعات عشرة مثل: الغزل، شكوى الغرام، التحذير من هوى النفس، مدح النبي، مولده، معجزاته، شرف القرآن، إسراؤه ومعراجه، جهاده، التوسل به، مناجاته وعرض الحاجات.

(4) النفحات الشاذلية ص319-326.

(5) مثل: وظهر مما قلناه، خاتمة، فائدة التقدير الكلام، فالجواب، السابق ص342/ 465/ 512.

(6) السابق ص510.

(7) السابق ص373.

(8) الآيات (206)، الأشعار (106)، الأحاديث (79).

(9) النفحات الشاذلية ص366.

(10) مثل المدد الفياض على السقاء، النفحات النبوية، السابق ص381-346.

اقتباسات يشار إليها بالحرفين «اَهـ» أو مجرد اختصار لنص[1]. ويأتي معظمها من القسطلاني. كما تستعمل بعض الإسرائيليات بالإحالة إلى الكتب المقدسة الأخرى، خاصة الأناجيل مصدر أقوال عيسى[2]. ونادراً ما تأتي القسمة العقلية لتأسيس الموضوع نظرياً.

ز ـ «الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة» للنطيفي (تأليف 1319)[3]: هو شرح مستفيض تفصيلي لقصيدة طويلة لفظاً لفظاً، وبيتاً بيتاً، وبيتين بيتين، وثلاثة أبيات ثلاثة أبيات. يغلب عليها التصوف الخلقي والفقه الخلقي فيما يسمى بأسرار العبادات. كما يغلب عليها الشرح اللغوي والصوفي خاصة مناقب الأولياء مثل السيد أحمد التجاني والحقيقة المحمدية[4]. وألقابه سيد الوجود، وسيد الأنبياء[5]. ويُشرح كل شيء، الدال وغير الدال، البسملة والحمدلة والحوقلة. كما يركز على الطريقة، شيخها وصلاتها وتسابيحها. ويركز الجزء الثاني على أخلاق الإخوان، المصافحة والبشاشة والبر والتقوى والمحبة، والنهي عن المقاطعة والحقد والغش والتهافت على الدنيا والإلحاح وأخذ الأجرة والغيبة[6]. فكلها أوامر ونواهي متصلة بفصلين، الأول النهي عن إضاعة المال والثاني محبة الحق وأهله وكراهية الظلم وأهله[7]. والجزء الثالث أدخل في التصوف بداية بالتحذير من الرياسة والقضاء والعدالة والفتيا، والأمر بالقسط وفضل الصدقة. ثم تأتي شعائر الطريقة مثل السبحة وتجنب شرب المتشابه. ثم تأتي الأوراد الأحمدية وشروط المريد وصفات الشيخ. ويبدأ النقد الاجتماعي لمتمشيخي الوقت وهم من أجهل العباد بالسنة واتخاذ الزوايا لاصطياد الدنيا والمعاش والتجارة وتمرد المشايخ وظهورهم في الصدارة[8]. والجزء الرابع كله في الطريقة الأحمدية، وأورادها وشعائرها، وملازمة

---

(1) النفحات الشاذلية 346.

(2) السابق ص371-372.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م- 1419هـ (أربعة أجزاء).

(4) السابق جـ1/ 33-150.

(5) السابق جـ1 ص4-33.

(6) السابق جـ1 156-213.

(7) السابق جـ2/ 289-348.

(8) السابق جـ3 ص120-141.

الزوايا والذكر والأحزاب والحقيقة المحمدية[1].

ومادة الشرح هي الحديث ثم القرآن ثم الشعر[2]. ويضاف إلى ذلك حكايات الأولياء وكراماتهم ومناقب الشيخ. الآيات مختارة ومنتقاة لتتفق مع اعتقادات الصوفية[3]. ويُرى الرسول في المنام وتروى عنه الأحاديث. والأحاديث في مجملها بلا أسانيد لضعفها. ويبدو الرسول مؤسس علم الحروف. ويتم تشخيص كل مرة يذكر فيها اسم محمد في الحقيقة المحمدية.

ويقوم على التجميع من مصادر عدة يذكر بعضها. وتنتهى الاقتباسات منها بعلامة «أهـ». ويوضع قبل بعض الفقرات بعض ألفاظ الإيضاح مثل: تنبيه، تتمّة، لطيفة. ويستعمل أسلوب الحجاج «فإن قيل قلنا»، وكأن الشرح له موقف، يجادل الخصوم. الشرح نفسه بلا هدف، معركة وهمية. يقوم على تجميع أقوال السابقين من المحدثين والفقهاء والصحابة. ونادراً ما يذكر كبار الصوفية ومؤسسو مذاهبهم.

ح ـ «شرح تائية السلوك إلى ملك الملوك» لسعيد أحمد عرب الشرنوبي (994هـ) من الشيخ عبد المجيد الشرنوبي الأزهري (1328هـ)[4]: وهناك ثلاثة قرون ونصف تقريباً بين الشارح والمشروح. وهما من نفس عائلة «الشرنوبي». فالشرح حفاظ على التراث الصوفي للعائلة. وسبب الشرح مجرد إعجاب الشارح بالمشروح دون هدف آخر لتطوير موضوع القصيدة أو دراسة الصلة بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية[5]. والأسلوب يقوم على المحسنات البديعية حتى يكون النثر على نفس المستوى الأدبي للنظم ويشعر الشارح أنه أقل درجة من المشروح.

---

(1) السابق جـ4/ 348-354.

(2) الأحاديث (1616)، القدسية (8)، الآيات (1216)، الأشعار (1092).

(3) الدرة الخريدة جـ1/ 274.

(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ.

(5) «وكان من أجمل ما ألف فيه هذه التائية الفريدة التي هي في بابها بديعة وحيدة، نسيجة قطب الوجود وعمدتي في خطوبي سيدي وسندي السيد أحمد عرب الشرنوبي بادرت إلى ارتشاف حميا كأسها الشهي، وطفقت أنظم لؤلؤاً في جيدها البهي ليكون ذلك شرحاً بديع المثال مفصلاً لتلك الدراري التي نسجت على أحسن منوال، ملتقطاً تلك اللآلئ المهدية من محار السادة الأعلام ذوي الكؤوس الوفية. . .» تائية السلوك ص7.

فهو العبد الفقير، خادم الأعتاب وتراب الأقدام. لا فرق بين الفقير للمولى الغني والخادم للمولى الصوفي[1]. وفي نفس الوقت تلحق بالمشروح ألقاب التعظيم مثل «العارف بالله»، «خطب الوجود». ويتم الشرح بيتاً بيتاً، وعبارة عبارة، ولفظاً لفظاً. ويبدأ الشرح أحياناً بلفظ القول «أقول» ومادة الشرح بلفظ «يقال»[2]. ومن وظائف الشرح تحويل النظم إلى نثر، والشعر إلى مقال. فتبرز الموضوعات. ويوضع لكل مجموعة أبيات عنوان. وتتنوع الموضوعات بين التصوف مثل أصول الطريق والقناعة به والسهد له وآدابه والعزلة، وآداب الشيخ والمريد، والاستعداد والمدد، ولطائف التدبير، ووصف اليقين، ومراقبة النفس، وحد التصوف وبعض المواعظ والنصائح. وبعض الموضوعات أقرب إلى علم الكلام مثل أسماء الله الحسنى.

ويضاف إلى المشروح مادة ليست منه. فالمشروح مجرد مناسبة أو مشجب لتعليق الحفظ عليه. وقد أسفر ذلك عن طابع عام للتأليف في عصر النهضة[3]. فيضاف تاريخ حياة المشروح وقصيدة للأباصيري، وتقريظ الأفاضل للكتاب كنوع من المناقب وكما يحدث في النشر الحديث على ظهر الكتاب، وذكر أقوال له. وينتهي الشرح ببعض الأدعية[4]. وتبرز الكرامات كمادة أساسية للشرح، والحقيقة المحمدية. وتضاف معلومات عن الأشخاص ورؤساء المذاهب الفقهية الأربعة، الميلاد، والوفاة، والمكان[5]. كما تأتي المادة من الإسرائيليات وأقوال الأنبياء السابقين دون تحديد مصادرها[6]. ويعبر عن بعض نتائج الشرح بألفاظ مثل «فائدة»، «تنبيه»، «لطيفة»، «تتمة». ويخاطب الشارح القارئ «اعلم أيها المريد»[7].

ويستعمل الشعر والقرآن والحديث. فالأولوية للشعر[8]. ويُشرح الشعر

---

(1) «فيقول الفقير إلى مولاه الغني. . . فإني خادم أعتابهم وتراب أقدامهم»، السابق ص7.

(2) السابق ص12-13.

(3) وهذا واضح في مؤلفات الطهطاوي ورواية «علم الدين» لعلى مبارك.

(4) تائية السلوك ص117-156.

(5) السابق ص146-147.

(6) السابق ص20/ 47/ 126.

(7) السابق ص33/ 48/ 76/ 77/ 94-97/ 109/ 111/ 134.

(8) الأشعار (368)، الآيات (110)، الأحاديث (72).

بالشعر. فالنثر أضعف وأقل قدرة من التعبير الشعري. وتؤدي الأدلة الشعرية وظيفتين، تأييد الشعر بالشعر أو الاستشهاد به على صدق الشعر. وتتنوع فنون الشعر مثل الغزل وليس بالضرورة الشعر الصوفي. فالشعر شعر بصرف النظر عن موضوعه. لذلك يستشهد بشعر أبي نواس وأبي العتاهية، كما يستشهد بأشعار ابن الفارض والجيلي وابن عربي والبوصيري وغيرهم من شعراء الصوفية[1]. وقد تطول القصائد الشارحة لبيت مشروح واحد[2]. وقد تتوالى في زخات[3]. وتستعمل الآيات القرآنية لإرجاع الشعر إليه. فلا فرق بين الشعر والقرآن، البيت والآية. كلاهما يعبر عن تجربة واحدة. والأصل هو التجربة الشعرية أساس التجربة الدينية. وقد تتوالى الآيات في دفعات[4]. ويستعمل الحديث المتن دون السند. فقد بعد العهد بالجرح وتعديل ونقد الرواة. المهم هو تطابق متن الحديث مع الآية القرآنية والبيت الشعري. ويُرى الرسول في المنام كالعادة[5].كما تأتي مادة الشرح من أقوال الصوفية والفقهاء والنحاة مع اقتباسات تنتهي بعلامة «أهـ»[6]. ولا يوجد أي صراع بين الفقهاء والصوفية[7]. ويأتي في المقدمة الجرجاني في «التعريفات» التي يحتاج إليها الشارح لتحديد معاني الألفاظ. كما تذكر بعض مصادر الصوفية مثل «عوارف المعارف» و «الفتوحات»، وبعض الحواشي مثل «حاشية الجوهرة» للصاوي[8]. كما يذكر بعض

---

(1) من الشعراء: ابن الفارض (سلطان العاشقين) (8)، ابن عربي (5). صفي الدين الحلي (2)، أبو العتاهية (4)، المتنبي (2)، البوصيري، اللقاني، أبو نواس، التهامي، الطغرائي (1).

(2) تائية السلوك ص62-66/ 75/ 137-144/ 155-156.

(3) السابق ص24-27.

(4) السابق ص134-136.

(5) السابق ص 10.

(6) السابق ص23/ 47/ 51/ 58/ 85/ 87/ 109/ 119.

(7) أهمهم: السيد الشريف الجرجاني، الجيلي (3)، الشاذلي، الفضيل بن عياض، الشبلي، الأشعاراني (2)، الكتاني، رابعة، ابن زريق، القسطلاني، الوراق، البستي، ابن الوردي، السيد الرضي، الحسن البصري، أبو نصر الطوسي، السهروردي، البسطامي، السري السقطي، إبراهيم بن أدهم، الدميري، المقدسي، الجنيد، إبراهيم الدسوقي، أحمد الرفاعي، الغزالي، سعدون المجنون، أبو العشائر، ومن الفقهاء: الشافعي (2)، أحمد، أبو حنيفة (1). . . الخ.

(8) تائية السلوك ص21/ 96/ 119.

الصحابة باعتبارهم من أئمة التصوف مثل علي وابن عباس[1]. وبالرغم من كثرة الأدلة النقلية إلا أن القسمة العقلية وهي أحد وسائل التعريف تبرز بين الحين والآخر[2].

ط ـ «شرح ديوان ابن الفارض من شرحي البوريني» (1024هـ) للنابلسي (1143هـ): جمعه رشيد بن غالب اللباني (1306هـ)[3]: ويدل على طبيعة الشرح في العصور المتأخرة على أنها مجرد تجميع من شروح متقدمة وليست شرحاً أصيلاً. الجامع هو «المفتقر إلى عون الله الغني». وهذا هو سبب التأليف[4]. وقد أخذ الجامع الشرح الأول برمته لأنه أبان كل ما يختص باللغة والشعر والبديع وكل الفنون العلمية دون الصوفية. ثم أضاف إليه مقتطفات من شرح النابلسي الصوفي الخاص بأهل الطريقة[5].

والشرح بيتاً بيتاً، وعبارة عبارة، ولفظاً لفظاً. وهو مجرد عبارات شارحة دون قراءة أو تأويل. شرح بلا هدف أو تجميع شرحين بلا غاية. لا مقارنة بين الشرحين السابقين، ولا مفاضلة بينهما. للشارح عقلية الجامع وليس الشارح. الشرح الأول لغوي. يتم أولاً بالإعراب ثم بيان المعنى. والثاني صوفي مملوء بالآيات والأحاديث والاقتباسات تنتهي بعلامة «أهـ».

---

(1) على (2)، ابن عباس، جعفر الصادق (1).

(2) تائية السلوك ص8/ 37-38/ 56-57/ 70/ 80.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م-1424هـ.

(4) «ولكوني طالعت شرحاً للشيخ حسن البوريني كامل الفائدة، وافر الفائدة. أبان فيه كل ما يختص باللغة والأشعار البديع وباقي الفنون العلمية. ولم يتعرض لشيء مما يؤول إلى طريقة الصوفية. ووقفت على شرح ثان للشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي الصوفي. استفرغ فيه مجهوده ببيان المقاصد الدقيقة المختصة بأهل الطريقة أخذت شرح الشيخ البوريني برمته. ثم أضفت إلى آخر شرح كل بيت نبذة من كلام الشيخ النابلسي فيما يذهب إليه أهل أمته إلا بعض أبيات اقتصرت فيها على كلام البوريني لمطابقة الشرحين. ولكون الإيجاز للكتاب زين. ونقلت من مجموع الشيخ النابلسي ديباجة الديوان، وتذليل العينية والميمية للشيخ علي سبط الناظم مع شرح أبيات وقصائد من غير نظم المؤلف رغبت في جمعها إلى كتابه توسيطاً لمغنم طلابه»، السابق جـ1/ 7.

(5) خمس قصائد طوال في الجزء الأول، وثلاث عشرة قصيدة بالإضافة إلى ثلاثة وعشرين لغزاً من ألغاز الشيخ وتتمة قصائد ومقاطع للشيخ في الجزء الثاني.

وهو مبوب طبقاً للقصائد[1]. وتوضع أحياناً بعض العناوين من الأمثال الشعبية مثل «اشتدي أزمة تنفرجي». أما مادة الشرح فهي الشعر ثم القرآن ثم الحديث[2]. وتضاف حكايات وروايات شفاهية[3]. كما يتم الاعتماد على أقوال المحدّثين والمفسرين والفقهاء واللغويين والشعراء. ويقل الاعتماد على أعلام الصوفية الكبار والشعراء[4]. وتستعمل القواميس اللغوية وبعض المصادر المدونة الأخرى.

ي ـ «إرغام المريد في نظم الشرح العتيد لتوسل المريد» للكوثري (1371هـ)[5]: وهو كتاب في شرح النظم من حيث الشكل وفي آداب المريد من حيث المضمون. ويبدو من العنوان «إرغام المريد» و«توسل المريد»، علاقة الشيخ بالمريد القائمة على إرغام المريد وتوسله إلى الشيخ مما يتنافى مع أصول التربية ومناهجها. وسبب التأليف هو شرح النظم لإزالة الشكوك عن معانيه والكشف عن معانيه مع ذكر تراجم السادات ضمن شرح الأبيات للاقتداء بها[6]. ومؤلفه أفقر العباد إلى سبيل الرشاد أسير المعاصي والذنوب البارز النقائص والعيوب.

وأهم ما فيه الرد على ابن تيمية في هجومه على التصوف ووصفهم بأنهم «أولياء الشيطان» وليسوا «أولياء الرحمن». فقد أنكر زيارة القبور والتوسل بأرواح الأموات بل ومنعوا زيارة الروضة المطهرة والتوسل بالنبي. فأفتى العلماء بحبسه ومات في السجن. فقد غلط في كثير من الأحكام. ورد عليه أبو الحسن، وتاج الدين السبكي، وعز بن جماعة، وابن حجر، وكثير من أئمة الحنفية والشافعية والمالكية لإثبات أن التصوف والتوسل بالسادات وتحلية النفس بالكمالات

---

(1) السابق ص17.

(2) الأشعار (420)، الآيات (135)، الأحاديث (18).

(3) شرح ديوان ابن الفارض جـ1/ 11/ 17/ 19/ 84.

(4) من الشعراء المتنبي (3)، المعري، لبيد، أبو تمام (1)، ومن الفقهاء، الشافعي، أبو حنيفة، أحمد (1). ومن المفسرين البيضاوي (1). ومن المتكلمين التافتازاني (1). ومن الصوفية: الجنيد، السهروردي، التلمساني، البكري، الجنيد، الشيخ الأكبر ابن عربي.

(5) دار الكتب العلمية، بيروت2004م ص37-107.

(6) «مفتقراً إلى شرح يزيد الشكوك عن مباينة ويرفع النقاب عن وجود معانيه أردت أن أشرحه على حسب إطلاعي وإن قصر في ذلك باعي مع ذكر تراجم السادات في ضمن شرح تلك الأبيات ليكون وسيلة لاستجلاب هممهم الباهرة وذريعة للارتشاف من تلك البحار الزاخرة...»، السابق ص37.

حق[1]. وفيها الرد على اليهود والنصارى والمجوس في التشبيه والتحريف. وهو شرح للنظم بيتاً بيتاً حتى سبعة أبيات لغوياً ونحوياً وفلسفياً. والأهم هو زيادة معلومات تاريخية عن مشايخ الصوفية. ومعظمها من المنقولات التي تنتهي بلفظ «انتهى» أو بعلامة «اهـ»[2]. مما يوحي باجترار المعلومات مع ألقاب التقديس للمشايخ. فهي تواريخ ذاتية يبدو منها تدخل الوعي التاريخي داخل الشرح[3]. وتذكر مصادر المعلومات مثل «الفتوحات» و «تذكرة الأولياء» للعطار. وتظهر بعض الأبيات الفارسية[4]. ومن الصوفية يذكر العديد منهم مثل ابن عربي الشيخ الأكبر ثم البسطامي والجامعي والجيلي والنابلسي والشاذلي[5]. ويعتمد على الشعر أولاً ثم القرآن دون الحديث[6]. ويتحدث عن «زماننا هذا» مما يدل على ارتباط التصوف بالعصر والتاريخ[7].

---

(1) «إلا أن ابن تيمية ومن حذى حذوه ممن دينهم الخلاف أنكروا زيارة القبور فضلاً عن التوسل بأرواح الأموات حتى اجترءوا على المنع من زيارة الروضة المطهرة بل على التوسل بالنبي عليه أكمل التحيات. وألف في ذلك كتاباً. فأفتى العلماء بحبسه رجاء لارتداعه، وإنقاذاً له عن غوايته وابتداعه لكن أصر إصراراً حتى قيل أن سيصلى ناراً. ومات في السجن سامحه الله. وهو وإن كان ممن قدم في العلم لكنه غلط في كثير من الأحكام على ما ذكره من علماء الأعلام مع أنه من المجسمة المراغمة لأهل السنة. فلا يكفي الطعن فيه بالألسنة بل بالأسنة. وقد انتصب جماعة من المحققين لرد أباطيله منهم الإمام المجتهد أبو الحسن السبكي. . . حيث رد أباطيل ابن تيمية حق الردة في مؤلفاته سيما في شفاء السقام في زيارة خير الأنام». ومنهم التاج السبكي والإمام عز بن جماعة وابن حجر وأهل عصرهم وغيرهم من الحنفية والشافعية والمالكية. وأما من انتصر له ممن ينتمي إلى العلم، وناطح هؤلاء الجبال الشوامخ فليشفق على رأسه. والحاصل أن التصوف المعنوي الذي أثبت للأولياء ثابت بعد الممات. إذ هو أمر روحاني لا يعتريه الفوات. فتخلص مما ذكرنا لزوم التوسل بالسادات في تحلية النفس بالكمالات. فلذا ترى القوم يأمرون المريدين بالتوسل بالسعادة المتقين»، السابق ص40-41.

(2) انتهى (30).

(3) إرغام المريد ص46.

(4) ابن عربي (4)، ابن تيمية (3)، البسطامي، الجيلي، الشاذلي، النابلسي، البكري، الرازي (الفخر)، المناوي (2)، أبو نعيم، السيوطي.

(5) الأشعار (33)، الآيات (6).

(6) إرغام المريد ص98.

(7) وتبدأ بسيرة الرسول ثم أبي بكر، سلمان الفارسي، جعفر الصادق، البسطامي، وحوالي تسعة وعشرين من مشايخ الطرق.

ك ـ «المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية» لابن علوية المستغانمي[1]: وهو شرح نظم بالنثر مثل شرح القصيدة العينية، وشرح البردة. وكما يبدو من العنوان «المنح القدسية»، الإيحاء بأن الشرح منحة قدسية وليس عملاً عقلياً تأويلياً في النص. والنص نفسه في الطريقة التي ينتقل فيها المريد من الشريعة إلى الحقيقة. لذلك أتى موضوعها في الفقه والتصوف، في التنزيل والتأويل. ولذلك أيضاً انقسمت القصيدة إلى قسمين. الأول في الفقه وهي «الأصول» وتشمل موضوعات الطهارة والوضوء ونواقضه والغسل والتيمم والصلاة وفرائضها وصلاة الجمعة، والزكاة والصيام والحج، وتطول موضوعات الطهارة، كناية عن طهارة الروح. والثاني في «مبادي التصويف وهوادي التعريف» في التصوف. ويتجاوز حجم الفقه حجم التصوف أحد عشرة مرة[2]. واللفظ المستعمل «التصويف» أي كيف يكون الإنسان صوفياً، و «هوادي» أي كيف يهتدي حتى يصل إلى المعرفة. فالشروح أيضاً في آداب الشيخ والمريد.

ويسبق ذلك مقدمتان، الأولى في شرف علم التصوف، والثانية في فهم اللفظ الواحد بعدة معاني. وهو الدافع على الشرح من أجل الضبط والإيضاح. والثالث الاعتقاد لبيان أن التصوف مطابق لعقائد أهل السنة، فهو أشعرية روحية كما أن الكلام أشعرية جدلية. فالنص يجمع بين الظاهر والباطن، بين التنزيل والتأويل. ولا يعطي الشارح جديدا عما في النص المشروح. لا يتجاوز الشرح العبارة الشارحة[3]. وقد يصل أحياناً إلى حد السطحية. فمن الصعب شرح الواضح وفتح غير المستغلق[4]. ووظيفة الشرح أحياناً اجتراء المعلومات السابقة في العصور المتأخرة، واستعمال النص كشرنقة تلتف حولها المعلومات. فعمل العقل الحفظ وليس التفكير.

(1) دار الكتب العلمية، بيروت 2003م - 1424هـ.

(2) الفقه (222)، التصوف (20).

(3) العبارة الشارحة Paraphrase.

(4) «ووفقني لفتح مغلقات هذا النظم العجيب، المحتوي ظاهراً على أركان الدين، وباطناً على مسلك من مسالك الإشارة غريب. فوجدته قد أقبل على ظاهره جم غفير من أهل الظاهر. وتوقف في التفحص عن باطنه أهل الباطن غيرة منهم على إفشاء السرائر...»، المنح القدوسية ص6.

وتتم آليات الشرح كالعادة على ثلاثة مستويات: الأول اللفظ وهو الشرح اللغوي، النحو والإعراب. والثاني المعنوي، وهو توضيح المعنى عن طريق المترادفات. والثالث الموضوع وهو كشف الموضوع ومحاولة إيجاد بنية عقلية له تقوم على القسمة[1]. وقد تتداخل هذه المستويات الثلاثة في شرح لغوي منطقي فلسفي[2]. ويتم تقطيع القصيدة إلى بيت أو اثنين حتى سبعة أبيات. ويبدأ الشرح أحياناً بفعل القول وصيغته المختلفة الفعلية مثل «قال» أو الاسمية مثل «قوله». وتستعمل ألفاظ وصيغ أخرى للتعبير عن مسار الفكر في «النص المشروح»، مقدمتان ونتائج وطرق الاستدلال فيه أو العود على بدأ مثل «تقدم الكلام»[3]. كما تدل ألفاظ أخرى على الكشف عن المراد مثل «المراد». ويُعبر عن التحليل للربط بين الأشياء وإيجاد البرهان التجريبي بتعبير «ولهذا قال»[4].

ومادة الشرح القرآن أولاً والشعر ثانياً والحديث ثالثاً[5]. فالشعر كفن أدبي أقرب إلى التجربة الصوفية. إذ يشترك الأدب والتصوف في النظم. وابن الفارض لم يكتب إلا نظماً. وهو المصدر الأول للشعر[6]. وتستعمل بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على نحو حر داخل الأسلوب[7]. وللشارح أيضاً نظمه. الذي يعتمد عليه بعد ابن الفارض[8]. وقد يجمع البعض بين الفقه والشعر مثل الشافعي[9]. ويستشهد بكثير من أقوال الصوفية وأشعارهم غير ابن الفارض مثل التستري، والشيخ الحراق، والشاذلي، والجيلي، والجنيد، والشبلي، والغزالي،

---

(1) إعراب الضمير، السابق ص62، أي، السابق ص94-95-99، قسمة قواعد الصلاة، قسمة عناصر الدين، قسمة الفرض، قسمة الحج، أقسام حكمة الشرع، السابق ص11-62/ 65/ 80/ 81/ 267.

(2) السابق ص20.

(3) السابق ص31س6.

(4) السابق ص171/ 295/ 134/ 87/ 33/ 45.

(5) الآيات (257)، الأشعار (223)، الأحاديث (29)، القدسية (4).

(6) الإحالة إلى ابن الفارض حوالي 20مرة، المنح القدوسية ص46/ 51/ 69/ 121/ 139/ 142/ 158/ 115/ 180/ 181/ 186/ 193/ 217/ 223/ 243/ 256/ 263/ 306.

(7) السابق ص40.

(8) السابق ص36/ 116/ 121/ 163/ 218/ 244/ 276/ 282/ 290.

(9) السابق ص24.

وابن عربي، والعز بن عبد السلام، وبومدين، وبعض الفقهاء مثل ميمون الفقيه، وبعض النحويين مثل سيبويه. ويشار إلى شعراء آخرين عن طريق قصائدهم مثل «صاحب العينية»، أو مؤلفاتهم مثل «الحكم العطائية»، أو صاحب «الإنسان الكامل»، أو حكيم الصوفية (الجيلي)، وربما هو الترمذي[1]. ويحال إلى مصادر مدونة مثل «حاشية الكشاف». وهناك مصادر أخرى على العموم مع اقتباسات منها. فالتراث الصوفي ملك للجميع[2].

ل ـ «المحب المحبوب أو شرح تائية الحراق وابن الفارض في الحب الإلهي» للكتاني[3]: وهي نهاية الشرح كشكل أدبي إلى الشرح كوظيفة مدرسية، شرح مدرس الفصل للتلاميذ، لذلك استعمل لفظ «إعداد» وليس شرح. والإعداد هو مجرد التوضيح بالعبارات الشارحة وتحويل الشعر إلى نثر في عدة مقطوعات من عدة أبيات. يربطها حرف عطف «ثم» وكأن القصيدة متوالية روائية. والحراق (1261هـ) يقلد تائية ابن الفارض بتائية أخرى. والمعد يشرح للتلاميذ بلا هدف خاص أو قراءة أو رؤية أو منهج يثبت أو ينفي، يؤيد أو يعترض، يعمّق أو يقارن أو يضع في سياق[4]. يكفيه ترقيم الأبيات لسهولة الحفظ والإشارة. ولا يوجد سبب للإعداد أو الدافع عليه، مجرد تحويل النظم إلى نثر، ولا يعتمد الشرح على قرآن أو حديث أو أقوال صوفية. وقد تبع نفس الأسلوب في شرح تائية ابن الفارض ولكن بإفاضة أكثر[5]. ولا توجد مادة من تاريخ التصوف ولا دراسة مقارنة بين التائيتين. ولا يحدد معنى الشرح وغايته. ويتم التعامل مع القدماء أحياناً بلا قراءة جديدة بالرغم من تعدد القراءات للنص الواحد. حتى الخاتمة ليس بها شيء. وتقطع القصيدة إلى موضوعات أكبر يصل بعضها إلى سبعة وسبعين بيتا[6]. صحيح أن الموضوع الرئيسي في القصيدة هو المحبة ولكنها عرض أكثر منها

(1) السابق ص312/ 37/ 29/ 8.
(2) السابق ص11/ 24-26.
(3) دار الكتب العلمية، بيروت2006.
(4) تائية الحراق 53 بيتاً، السابق ص13-37.
(5) شرح تائية الحراق (25)، شرح تائية ابن الفارض (119) (ص).
(6) أكبرها 67 بيتاً ثم 52 ثم 37 ثم 35 بيتاً وتائية ابن الفارض 761 بيتاً ص40-158.

تحليلاً. وتعتمد على أقل قدر من الشواهد النقلية[1].

م ـ «الأنوار السنية في شرح ثلاثة قصائد صوفية» للعمراني الخالدي[2]:
ويدخل في الشرح أكثر منه في الشعر كشكل أدبي بالرغم من أن القصائد الثلاث لابن عجيبة هي النص المشروح يبدأ الشرح بثبت بأهم مصطلحات الصوفية الخمسة عشر[3]. منها حالات مثل الصحو والسكر، والجمع والفرق، والفناء والبقاء أو حال واحد مثل الوجد. ومنها ألفاظ ميتافيزيقية خالصة مثل اللاهوت والناسوت[4]. ويتحول الشرح إلى تعريف بالمصطلحات وتحديد لمعاني الألفاظ. ويستعان على ذلك بالقرآن وبكتاب الناظم «معراج التشوف لحقائق التصوف» و«خمرية» ابن الفارض و «تائية» شيخه البوزيدي و «التحفة العتيقة» لعبد السلام الأندلسي و «الذخيرة العتيقة» للمنزلي. فالشارح يعرض مصادره التي جمع منها شرحه. والشارح عمراني نسباً خالدي منشأ، عرائشي داراً، مدرس للغة العربية، وخطيب جمعة مهنة، ومرشد الفقراء بالشريعة والحقيقة هواية واختياراً. يعطي معلومات عن ناظم القصائد. ويعتمد على القرآن والحديث[5]. الشرح أقرب إلى العبارة الشارحة. لا تضيف جديداً إلا مزيداً من المعلومات الكمية من المصادر المدونة. وبطبيعة الحال يتقدم ابن عجيبة صاحب النص المشروح والحلاج[6]. وبالرغم من أنها ثلاث قصائد متمايزة إلا أنها تمثل وحدة شعرية واحدة.

---

(1) الآيات (3)، الأحاديث القدسية (1).

(2) دار الكتب العلمية، بيروت 2004م-1425هـ (4) ص87-145. والقصائد الثلاث لابن عجيبة وهي: في بعض الآداب الصوفية، «في شرح الخمرة الأزلية»، «في تفسير أطوار النفس البشرية».

(3) السابق ص88.

(4) هي: الغيبة في الله، الذوق، الشرب، السكر، الصحو، الوجد، الوجدان، الوجود، الجمع والفرق، الحس والمعنى، السر القدرة والحكمة، المال والمنام، الفقهاء والبقاء، اللاهوت والناسوت، الأنوار السنية ص91-95.

(5) الآيات (25)، الأحاديث (19).

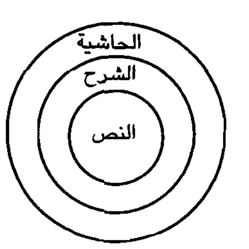
(6) ابن عجيبة، الحلاج (3)، الجنيد، الشبلي، أبو مدين، ابن عطاء الله، البوصيري، النقشبندي، البوزيدي، ابن البنا (شاعر) (1) ومن الفقهاء مالك. ومن المصادر حكم بن عطاء الله.

3 ـ الحواشي والتلخيصات والتعليقات:

أ ـ «حاشية الدردير على قصة المعراج» للغيطي(1201هـ)[1]: والموضوع بين الكلام والتصوف، في معجزات الرسول وفي المسار الروحي كما هو الحال في القصص الصوفي عن الطير. وهو موضوع ثلاثي له دلالة صوفية، تصفية القلب والطريق إلى الله. ولا تعني الحاشية هنا تعليقاً على شرح بل شرحاً لنص. فالحاشية هنا شرح مباشر لنص. ويتم تقطيع النص مصدراً بلفظ «قوله» دون ذكر العبارة كاملة. ولا توجد مادة خارجية للشرح من القرآن أو الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية. إنما تعتمد على الخيال والخرافات. وتنقصها الأدلة النقلية والعقلية. وتظهر اقتباسات بين الحين والآخر بعلامة «أهـ»[2]. ونظراً لأن الحاشية لا تقدم جديداً فإنها تستدعي الانتباه باستعمال لفظ «تنبيه»[3].

ب ـ **«نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية»، حاشية العلامة مصطفى العروسي(1293هـ)**[4]: والحاشية تعليق على الشرح أو شرح الشرح بعد أن عجز الفكر الشارح عن التعامل مع النص مباشرة. فهو شرح من الدرجة الثانية، الدائرة الثالثة من بؤرة النص. ولا يغير في تسمية النص أو الشرح الثالثة الأعلام، والألفاظ، وآداب الشيخ والمريد[5]. وتستعمل الحاشية كوسيلة لجمع المعلومات وحفظها وتعليقها على الشرح اعتماداً على المعلومات المعرفة التي حفظتها الذاكرة. فالعلم اجتراء ونقل. ويقطع الشرح إلى فقرات مسبوقة بفعل القول «قوله» دون ذكر القول. يكفي أول لفظ فيها. والمادة الرئيسية للحاشية

(1) مطبعة التقدم العلمية، القاهرة (د.ت).
(2) حاشية الدردير على قصة المعراج ص26.
(3) السابق ص14.
(4) دار الكتب العلمية، بيروت 2000م - 1420هـ (4 أجزاء مجلدان).
(5)



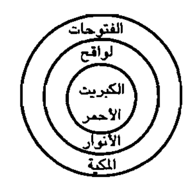
القرآن والحديث[1]. وتستخلص النتائج مسبوقة بكلمة «فائدة»[2]. ولا جديد فيها، مجرد إضافة لمعلومات سابقة. ويحال العلم إلى الله ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ «الله أعلم»[3].

جـ ـ مختصرات الشعراني (1973هـ):

1 ـ «الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر»[4]: الكبريت الأحمر هو أكسير الذهب أي المعدن النفيس خلاصة الذهب، والشيخ الأكبر هو محيي الدين بن عربي. وهو مختصر لكتاب الشعراني «لواقح الأنوار القدسية» الذي بدوره اختصار «الفتوحات المكية». والقصد الكشف عن أسراره وتحويله من الظاهر إلى الباطن. فالباطن على درجات. فلا يوجد كتاب أجمع عليه أهل الطريق مثل «الفتوحات» خاصة فيما يتعلق بأسرار الشريعة، ومنازع المجتهدين، ومفسري القرآن، وشارحي الأحاديث أو المتكلمين أو اللغويين أو المقرئين أو مفسري المنامات أو علماء الطبيعة وحكماء الطب أو علماء الهندسة أو النحويين أو المناطقة أو الصوفية أو علماء الأسماء الإلهية أو علماء الحروف. وتبلغ هذه العلوم حوالي الثلاثة الآف علم. وقد عرضها الشعراني من قبل في كتابه «تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء». وعلوم الشيخ كلها كشفية تطهر من الشك والتحريف.

والسؤال هو: لم اختصار الاختصار؟ هل كان الاختصار الأول مازال مسهباً؟ فما هي مقاييس الاختيار في الاختصار؟ وكيف تم؟ هل عن طريق حذف فصوص وإبقاء أخرى أم عن طريق إعادة التعبير عن مضمون النص في عبارات أقل؟

(1) الآيات (320)، الأشعار (308)، الأحاديث (24).
(2) نتائج الأفكار القدسية ص90/ 108/ 112/ 124.
(3) السابق ص251.
(4) دار صادر، بيروت 2003م - 1424هـ.



السابق ص2-3.

الأقرب الطريقة الأولى أي الاختصار الكمي وليس الاختصار الكيفي، الاختصار اللفظي وليس الاختصار المعنوي[1]. ليس التلخيص للأبواب على التوالي بل هو انتقاء بعض الأبواب دون الأخرى. وهل تم اختصار الأدلة النقلية، القرآن والحديث؟ وهل يعني الاختصار الإقلال والتصغير دون إضافة أو زيادة ولو قليلة لربط الأجزاء المختصرة والتغطية على المحذوف؟ وما الدافع على التلخيص أساساً؟ هل الإعجاب بالنص الأصلي أم تقديس صاحبه أم مجرد تمرين عقلي وإحدى طرق التعلم مثل النسخ والإجازة والقراءة والمناولة؟ هل الفرق بين التلخيص وتلخيص التلخيص مجرد اختلاف في درجة التركيز من حيث الكم أم إنه أيضاً خلاف من حيث الاتجاه، اتجاه النص نحو بؤرة معينة؟ ما الجديد في التلخيص؟ هل هو عمل إبداعي حتى ولو كان يضيف معلومات أم إنه عمل آلي خالص مجرد بترقي عصر لا يقوي فيه أحد على قراءة بالموسوعات الكبرى. يريد القراءة السريعة كما هو الحال هذه الأيام؟ هو مجرد تمرين دون إبداع، وكتابة دون إضافة، وتجميع دون تفكير؟ يقلد القدماء، ويعجب بالسلف. ولا تتساوى الفقرات المستبقاة في التلخيص. أحياناً تطول، وأحياناً أخرى تقصر[2]. ولا يوجد في كل الأبواب على التساوى. لا يوجد في الأبواب الأخيرة. وقد أطال فيه لأنه تلخيص واحد. إنما التلخيص في الباب الأول، ونادراً ما يكون في النهاية[3]. وقد يشفع التلخيص برسم توضيحي لمزيد من التوضيح[4]. ويحتوي التلخيص على أحكام عدة على ابن عربي أقلها طول الأبواب والفصول، وأكبرها الحكم بالصواب أو الخطأ[5]. قد يكون الهدف من التلخيص حذف ما هو مدسوس على ابن عربي. وقد لا يعني الدس التشويه بل هو نوع من العمل الجماعي والإبداع الذاتي مثل الانتحال[6].

---

(1) «فهذا كتاب نفيس انتخبته من كتابي المسمي ب «لواقح الأنوار القدسية» الذي اختصرته من «الفتوحات المكية» خاصة فهمه بالعلماء الأكابر وليس لغيرهم منه إلا الظاهر. قد اشتمل على علوم وأسرار ومعارف لا يكاد يخطر علمها على قلب الناظر فيه قبل رؤيتها فيه»، الكبريت الأحمر ص2.

(2) الكبريت الأحمر، تلخيص طويل ص137-159/ ص160-166.

(3) السابق ص172/ 174.

(4) السابق ص154.

(5) حوالي 45 حكما.

(6) السابق ص183.

وتعتمد على الأدلة النقلية، القرآن والحديث مع كثير من الأحاديث الخيالية دون أسانيد[1]. كما تعتمد على كثير من الاقتباسات من «الفتوحات» وحكايات ابن عربي وأسفاره، والإحالة إلى باقي مؤلفات صاحب النص مثل «الفصوص»[2]. وتبدأ كل فقرة بفعل القول في صيغة «قال». وينتهي الاقتباس بعلامة «انتهى»[3]. ولا يخلو من بعض الأدلة العقلية للإحكام النظري وإفراد المسائل.

2 ـ **«مختصر تذكرة القرطبي»**[4]: واسم الأصل «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة». وهو موضوع كلامي في ثقافة الموت وما يتعلق به من كفن وغسل وقبر وعذاب وسؤال الملكين، وميزان وصراط وشفاعة، وجنة ونار، وفتن وملاحم، وأشراط الساعة. ولا يوجد أي جانب صوفي فيها باستثناء «إيمان القلوب»[5].

ويعتمد على الآيات والأحاديث والأشعار. والأحاديث أكثر لأنها من السمعيات التي صمت القرآن عن تفصيلاتها[6]. وزادت أخبار الآحاد وفي الأحاديث الضعيفة والموضوعة تفتقد شروط التواتر ومنها الإخبار عن حس. ولم يشاهد أحد الحياة بعد الموت. ولا تعرف إلا بقياس الغائب على الشاهد. ولا تذكر الأسانيد. وليست مهمة الحديث بيان موضوع عقائدي بل أوجه تحقيق السلوك. ويحال إلى كثير من أقوال الصوفية ومؤلفاتهم. ويأتي الغزالي في المقدمة وكتابه «كشف علوم الآخرة». كما يذكر الترمذي[7]. وتؤخذ عدة اقتباسات من مصادر مدونة منتهية بعلامة «أهـ» أي انتهى[8]. وكثير منها مستمد من الإسرائيليات والثقافة الشعبية للموت عند المصريين. كله أدلة نقلية دون أي تحليل عقلي أو تأويل نظري. ويكثر الشعر في استشهاد الحسين ومراثيه[9]. ويذكر الشافعي

(1) الآيات (431)، الأحاديث (59)، الأشعار (2).
(2) الكبريت الأحمر ص93.
(3) السابق ص76.
(4) مكتبة صبيح، القاهرة، 1968م-1388هـ.
(5) مختصر التذكرة ص210.
(6) الأحاديث (300)، الأشعار (99)، الآيات (75).
(7) الغزالي (48)، القرطبي (30)، الترمذي (4)، يحيى بن أكثم (3).
(8) مختصر التذكرة ص11/ 69.
(9) السابق ص179-188.

شاعراً. والاختصار هو التركيز على الأدلة النقلية وإبرازها دون أسس عقلية أو تجارب صوفية. وتستعمل بعض الرسوم التوضيحية إذا لزم الأمر[1]. وهو موجه إلى القارئ للتعليم[2]. ويعبر عن تشبيه المعرفة كالعادة بتعبير «الله أعلم».

د ـ **«النوافح العطرية المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية» للداغري (تأليف 1371هـ)**[3]: وهو عنوان مركب «النوافح العطرية» اختصار من «النفحة العنبرية» وهي بدورها شرح لقصيدة العشرينية في مدح خير البرية[4]. ولما كانت الصياغة الأخيرة الاختصار فإنها تقع في المختصر كشكل أدبي.

والشرح لفظاً بلفظ وتخميساً تخميساً للقصائد، مرتبة ترتيباً أبجدياً. ويتضمن الإعراب عوداً إلى اللغة لسان العرب. لا يتضمن سبب التأليف أو هدفاً أو غاية. والقصيدة في الأصل مدح للرسول على عادة العرب في المديح والهجاء. موضوعها الحقيقة المحمدية. ويتم الشرح بالقرآن والشعر والحديث[5]. يشرح الشعر بالقرآن وبالشعر عوداً إلى المصدر الأول قبل الإسلام لثقافة العرب وهو الشعر، وبعد الإسلام وهو القرآن. ويغيب التراث الصوفي في حين يحضر الشعراء الصوفية مثل البوصيري، ابن الفارض، أو الشعراء الخلص مثل كعب بن زهير، وقبل الإسلام مثل أمرؤ القيس أو من المخضرمين مثل حسان بن ثابت. كما يحال إلى مقامات الحريري[6]. وللمؤلف قصيدتان في المدائح النبوية، وثالثة في مدح

---

(1) السابق ص104.

(2) السابق ص52/ 152.

(3) دار الكتب العلمية، بيروت 2002م-1424هـ.

(4) «القصيدة العشرينية للوزير الفاضل أبي زيد عبد الرحمن بن أبي سعيد يخلفتن بن أحمد الفازازي الاندلسي، تم تأليفها عام604 في حاضرة قرطبة في بلاد الأندلس. رواها الإمام الحافظ يوسف بن سدي المهلبي في المسجد الحرام عام 624. وخمسها الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن المهيب في صحراء المغرب. وشرحها «النفحة العنبرية» للشيخ محمد بن مسنة بن غم بن محمد بن عبد الله بن نوح البرنوي، السابق ص1».

(5) الآيات (684)، الأشعار (150)، الأحاديث (45).

(6) البوصيري (3)، ابن الفارض (2)، كعب بن زهير، حسان بن ثابت، أمرؤ القيس (1)، مقامات الحريري (1).

الغوث الأكبر سيدي أحمد التجاني[1].

هـ ـ «تعليقة على المفصل في علم العربية» للكاشاني (730هـ)[2]: وهي رسالة قصيرة، صفحة واحدة، تعليق على موضوع في كتاب في اللغة العربية. والتعليق شكل أدبي في علوم الحكمة بعد الترجمة[3]. وهو تعليق للكاشاني على تعريف الزمخشري للكلمة كلفظة دالة على معنى مفرد بالوضع. وهي جنس تحته ثلاثة أنواع. في حين عند الكاشاني أن ذلك غير مستقيم لأن المعرَّف يطابق المعرّف. كما أنه متناقض لأن الجنس لا أنواع له. وإن كان المقصود التعريف المطلق فهو المعنى الذي أراده ابن الحاجب. ولا يعتمد على أي دليل نقلي من القرآن أو السنة أو الشعر. بل يعتمد على آراء الزمخشري وابن الحاجب بالإضافة إلى درجة عالية من التنظير[4].

---

(1) النوافح العطرية ص336-364.

(2) آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت 2005م-1426هـ.

(3) من النقل إلى الإبداع، مجـ1 النقل جـ2 النص فصل3 التعليق.

(4) الزمخشري، ابن الحاجب (1).